دكتور بهاء الأمير

هلاوس التطور البيولوجي





٢٠٢٦م

دكتور بهاء الأمير

هلاوس التطور البيولوجي



٢٠٢٦م



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

عنوان الكتاب: هلاوس التطور البيولوجي

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢٦م

٤١٤ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- النشوء والارتقاء
٢- الأحياء، علم

أ – العنوان ٥٧٧

تدمك: 978.977.95.6001.4

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٢٦/٥٣٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خلق الإنســـان في أحســـن تقويم، وجعله خليفة في الأرض، وعلَّمه دون جميع خلقه الأســماء كلها، وأســجد له ملائكته، وســخر له ما في السـماوات وما في الأرض جميعاً منه، وكرَّم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأرسل رسله وأنزل كتابه وبيانه فرقاناً بين الحق والباطل ونوراً لهم مبيناً، فمن آمن به كان من عباده وهداه إليه صراطاً مستقيماً، ومن أعرض عنه واستبدل به غيره فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

والصلاة والسلام على رسل الله وأنبيائه جميعاً، من أول آدم أبي البشر، إلى خاتمهم المبعوث رحمة للعالمين ونوراً للناس أجمعين، وعلى من آمن بهم وتبعهم وســـار بهديهم، ولم تضلله وساوس الأبالسة والمضلين، ولا هلاوس من تبعوهم من الضالين والأميين.

وبعد،

فكتاب: **هلاوس التطور البيولوجي**، الذي بين يديك، كان في الأصـــل آخر أبواب كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات الســـرية**، ثم فصـــلناه في كتاب مســتقل بعد أن زاد حجمه، وأيضــاً لاختلاف موضــوعه نســبياً عن موضــوع كتاب: **المحفل والمعمل**، رغم أن الكتابين معاً في دائرة واحدة، هي دائرة العلوم الطبيعية.

وكتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية**، كما ترى من عنوانه، عن علاقة الحركات السـرية بالعلوم الطبيعية، وكيف نشـأت هي وعلماؤها في الغرب

بين أحضانها، والصبغة التي صبغت بها الحركات السرية العلوم والجراثيم التي حقنتها بها وهي في مهدها، وما زالت ســـارية فيها، وكذلك آثارها في تكوين علماء الطبيعة وبنائهم الذهني والنفسي، وفهمهم للوجود والحياة وموقع العلوم الطبيعية منها، وتوظيف ذلك كله في إزاحة الوجود الإلهي ومنظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي ترتبط به من وعي البشــر وأذهانهم وتكوين مجتمعاتهم، وهي الغاية العليا للحركات الســرية في جميع العصور، لأنهم لن يتمكنوا من السيطرة على وعي البشر ومجتمعاتهم وتحريكهم بالأساليب والوسائل الناعمة التي يسعون للسيطرة عليها عبر التاريخ، إلا بهذه الإزاحة، وإحلال معتقداتهم ومنظومتهم محلها.

والعلوم الطبيعية التي نشــأت بين أحضـــان الحركات الســرية في الغرب، هي أولاً وبصفة أساسية علم الفلك والفيزياء، والبيولوجيا أو علم الأحياء جاءت في مرحلة تالية، ومحور كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات الســـرية**، هو بيان الخفايا التي تحفل بها الفرضـيات والنظريات التي تم وضـعها وإنتاجها في علم الفلك والفيزياء النظرية، وكيف وظفتها الحركات الســرية ووظفت من أنتجوها في توجيه الضـــربات لأصــل مســألة الألوهية، وهو الوجود الإلهي وعقيدة الخلق، وفي لبس نظرياتها بإنكار الوجود الإلهي وبالقبالاه والمعتقدات الباطنية، مع نماذج مفصــلة في الكتاب تفصــيلاً تاماً، في النظريات المتعلقة بشكل الكون وبدايته وعمره وبمركزية الشمس.

وحين شرعت في كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية**، ولأن الكتاب كله عن نظريات الفلك والفيزياء وآثار الحركات الســـرية والقبالاه والمعتقدات الباطنية فيها، لم يكن في نيتي أصـــــلاً أن أكتب عن نظرية التطور البيولوجي، ولكن لأن الله عز وجل أراد أمراً آخر، فقد ظهرت أمامي فيديوهات وكنت قد وصـــــلت في الكتاب إلى منتصـــفه تقريباً، وفيها بعض الكائنات الطفيلية اللزجة التي تســـتوطن اليوتيوب ووســائل التواصــل الاجتماعي في الإنترنت وتثرثر في كل شــيء، ويبحثون

عن التفاهات والغرائب والمثيرات لكي يجتذبوا بها المشـــاهدين ويزيدوا من أرباحهم، ويتكلمون في حقائق الوجود والحياة والعلوم والمعتقدات ويخطئون الأئمة والعلماء بثقة شديدة، دون أن يكون عندهم علم بأي شيء.

وهذه الكائنات الطفيلية نموذج على ظاهرة تعرف في علم النفس باسم: مفارقة دَننج كروجر The Dunning-Kruger Paradox، وخلاصـــتها في عبارة مشـــهورة للفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل Bertrand Russell، جاءت في مقالة كتبها سنة ١٩٣٣م، عن أوضـــاع العالم، وكان عنوانها: انتصـــار الغباء The Triumph Of Stupidity، ويقول فيها:

"مشـاكل العالم الحديث، مصـدرها الرئيسـي أن الأغبياء شـديدو الثقة بأنفسـهم The Stupid Are Cocksure، بينما تمتلئ نفوس الأذكياء بالشكوك".

وفي هذه الفيديوهات التي ظهرت أمامي تتكلم هذه الطفيليات عن نظرية التطور على أنها حقيقة علمية، ويســـتدلون على ذلك بأن أغلب العلماء في الغرب يقولون بصـــحتها، وبعضـــهم يقولون لماذا لا يكتب من يعترضـــون عليها دراســـات علمية في نقدها ويرسلونها إلى المجلات العلمية.

ولم أهتم كثيراً لما جاء في هذه الفيديوهات، لأني لا أشـغل نفسـي بما تثرثر به هذه الطفيليات ولا أتعامل معه، ولكن فجأة ظهرت أمامي فيديوهات عن نظرية التطور، يتكلم فيها أناس من طبقة أخرى، واكتشـــفت أن الكلام الذي تقوله الطفيليات اللزجة التي تستوطن اليوتيوب تنقله من كلام هذه الطبقة، ثم تشيعه في عبارات سهلة قريبة من كتل العوام، على أنه من نتاج رؤوسها، ورؤوسها أصلاً صحراء خاوية تصفر فيها الرياح.

وهذه الطبقة الأخرى هي المشــكلة الحقيقية، فبعضــهم يقدمون أنفســهم على أنهم مفكرون، وليس فقط، بل على أنهم مفكرون إسـلاميون، وبعضـهم يقولون إنهم أسـاتذة في العلوم الطبيعية، وفي بريق الألقاب والمناصــــب والشــــهادات يضـــــللون عموم المسلمين، ويضربون في أذهانهم ونفوسهم عقيدة الوجود الإلهي والخلق بعقيدة التطور.

ورغم أن هؤلاء المفكرين وأســـاتذة العلوم من بلدان مختلفة في بلاليص ســــتان، فجميعهم يقولون كلاماً واحداً متطابقاً، ليس فقط في أفكاره العامة، بل في كل شـــيء، في الأفكار التي يعرضـــونها، وفي الألفاظ والعبارات التي يســـتخدمونها، وفي الأمثلة والشواهد التي يضربونها، وكأنهم ينقلون من بعضهم، وكلامهم المتطابق يدور حول أن نظريـة التطور حقيقـة علميـة، وأن ٩٩,٩% من علمـاء الفيزيـاء والكيميـاء والبيولوجيا يعتقدون بصـــحتها، وأنه توجد ملايين بل مليارات الحفريات التي تثبت حقيقة التطور، وأن تشـــارلز دارون لم يكن ملحداً ولم يكن هدفه من نظريته إنكار وجود الإله الخالق، ثم يضـــيف هؤلاء الذين يتكلمون في الفيديوهات إلى هذا الهُراء (بالهاء ويمكنك أن تجعلها بالخاء) أنه يجب تأويل نصـــــوص القرآن التي تتكلم عن الخلق عموماً، وعن خلق آدم أو الإنســان خصــوصــاً، لتتوافق مع نظرية التطور، وأن من يقولون بأن الله خلق الإنســان خلقاً مســتقلاً إنما يفعلون ذلك من باب غرور البشــر واســتكبارهم على بقية المخلوقات، بينما الإنســان مخلوق كغيره من المخلوقات وجاء بنفس الطريقة التي جاؤوا بها.

ووجدتني أقول في نفسي: إذا كانت هذه البلاليص الضائعة، هي المفكرين وأساتذة الفيزياء والبيولوجيا في بلاليص ســـتان، فماذا يكون حال عوامها وعموم أهلها، وســـط طوفان الضلالات التي تتدفق في الإنترنت.

وليست هذه المقدمة موضـع أن نرد لك على هذا الهُراء (ومرة أخرى بالهاء ويمكنك أن تجعلها بالخاء)، وعلى الوســـاوس الإبليســـية التي قالها هؤلاء المفكرون وأســـاتذة

العلوم، وستجد الرد عليها مفصلاً بأدلته وبراهينه من القرآن ومن الدراسات العلمية الحقيقية داخل الكتاب، وتجده موجزاً مكثفاً ومضغوطاً في الفقرة الأولى من هذه المقدمة.

والذي سنتوقف بك عنده من بين هذه الوساوس الإبليسية ونكرر الرد عليه في هذه المقدمة، مسألة واحدة، لأهميتها، وهي أن القرآن هو بيان الإله النهائي إلى خلقه، وإلى البشرية كلها إلى يوم القيامة، وهو المصدر الأعلى والمطلق للمعرفة، وأي معرفة ينتجها أي مصدر آخر تتناقض معه، فهي باطلة وضلال، والتجديد في فهم القرآن وتفسيره وتجاوز تفسير الأئمة، يكون في النصوص التي تتعلق بالمعارف العلمية والتاريخية، وهو ما فعلناه نحن أنفسنا في كثير من كتبنا، مثل كتاب: **الوحي ونقيضه**، وكتاب: **شفرة سورة الإسراء**، وكتاب: **يعقوب وإسرائيل**، ولكنَّا فعلناه بمنهج منضبط وصارم، وبأدلة من اللغة والسنة ومن القرآن نفسه، وبمناقشة أدلة الأئمة والعلماء، وليس بالشطحات وإهدار نصوص القرآن الصريحة ولويها وإنطاقها بما يوافق الأهواء، ولا بالتهجم على الأئمة والإطاحة العشوائية والرعناء بما قاله العلماء.

أما نصوص القرآن التي تتعلق بالعقائد والعبادات، فلا مجال فيها للابتكارات ولا للهلوسة، أياً كان اسم البلاص الذي يهلوس بها، وأياً كانت ألقابه وشهاداته ومناصبه، وخَلْق الإنسان، وخِلقته، وأصله، ومن أين جاء، وكيف جاء، ولماذا، وما الذي يفعله على الأرض، وإلى أين هو ذاهب، جميعها مسائل عقائدية، وهي المسائل الأم التي أنزل الله عز وجل بيانه إلى البشرية من أجل بيانها وحفظها، وبيانه في هذه المسائل الأم واضح صريح قاطع ولا يحتمل اللبس ولا التأويل، إلا عند من في قلبه مرض.

والمسألة الأخرى المهمة، التي تعرضنا لها عدة مرات في ثنايا الكتاب بإيجاز، ونريد أن نعرِّفك بها في هذه المقدمة، لأنها المسألة العميقة والخفية في ما يتعلق بنظرية التطور، أن أفراد هذه الطبقة من المفكرين الذين يقولون إنهم إسلاميون ومن

أساتذة العلوم، لا ينقلون من بعضهم، كما يبدو ظاهراً، بل أفكارهم وعباراتهم وأمثلتهم متطابقة، لأنهم جميعاً رضعوا من نفس المصدر الإبليسي، والذي يجمع بينهم في الحقيقة، ويجعل كلامهم متطابقاً في كل شيء، رغم اختلاف بلدانهم وتخصصاتهم، أنهم جميعاً ذهبوا إلى بلدان الغرب مراهقين وبلاليص فارغة، فاحتضنتهم جامعاتها، ليس لأنها جمعيات خيرية ومن يقومون عليها من أهل البر والإحسان، بل لكي يعبئوهم بعقيدة التطور وهلاوسها، ممزوجة وسارية في العلوم التي ذهبوا ليتعلموها، ثم يعيدوهم إلى بلاليص ستان وقد امتلأوا بها وسرت في أذهانهم ونفوسهم وصاروا يرون كل شيء في الوجود والحياة ويحكمون عليه من خلالها، ليتمركزوا بالشهادات التي منحوها لهم في جامعات بلاليص ستان ووسائل إعلامها، ويكونوا امتداداً لهم ودعاة لعقيدتهم وهلاوسهم فيها، فيزعزعوا بها عقيدة الوجود الإلهي والخلق في وعي أهلها وأذهانهم ونفوسهم.

فالأمي الذي يقدم نفسه على أنه مفكر إسلامي، ويتكلم أحياناً من فوق منبر مسجد، ويقول بحماسة شديدة إن نظرية التطور حقيقة علمية، وأن ٩٩,٩٩% من علماء الفيزياء والبيولوجيا يقولون بصحتها، وأن تشارلز دارون كان مؤمناً ولا ينكر الوجود الإلهي، ونظريته لا تتعارض مع القرآن، هذا الأمي شهاداته في الدراسات الإسلامية منحتها له جامعة فيينا.

والأمي الذي يقدمونه على أنه أستاذ للفيزياء والفلك ويقول إنه توجد ملايين بل مليارات الحفريات التي تثبت أن التطور حقيقة علمية، وأنه يجب تأويل آيات الخلق في القرآن لتتوافق مع نظرية التطور، منحته شهاداته في الفيزياء جامعة كاليفورنيا، ثم أعادته ليتمركز في عدة جامعات في بلاليص ستان تمتد بين جزائرها في أقصى غربها وإماراتها في أقصى شرقها، ويخرب أذهان أبنائها ونفوسهم.

والأمي الذي يقدم نفســـه على أنه خبير في الفيزياء النظرية، ويقول إنه يؤمن بالتطور، وأن الكون تكون بالصدف، والإنسان انحدر من الكائنات الأدنى ولم يظهر فجأة، وأن القول بخلق الكون والمخلوقات من علامات فشـــل التعليم في بلاد العرب، بل وينكر الوجود الإلهي صـراحة ويتطاول على الذات الإلهية ويقول إنه لو كان الإله هو الذي أوجد الكون والمخلوقات فهو سمكري خردة وليس مهندساً بارعاً، هذا البلاص منحته شهاداته في الفيزياء النظرية جامعة لايبزج في ألمانيا Leipzig، ثم أعادته إلى بلاليص ستان، فتمركز في كُويتها، وينفث من خلال اليوتيوب ووسائل الإعلام سمومه في وعي بلاليص ستان وأهلها من المحيط الهائم إلى الخليج السائم.

والأمية التي يقدمونها على أنها أســـتاذة للبيولوجيا، وتقول إن نظرية التطور حقيقة علمية مثبتة بنسبة مائة بالمائة، ويعتنقها أغلب العلماء، وأن تشارلز دارون تمرد على الكنيســة فقط ولم ينكر في كتبه وجود الله، ولا قال إن الإنسـان أصـله قرد، وتنكر أن البشرية بدأت بإنسان واحد هو آدم، وتقول إنها ليست مقتنعة بتفسير الأئمة والعلماء للقرآن وأن لها تفسيراً آخر، وتطالب هي الأخرى بتأويل آيات القرآن في الخلق لتتوافق مع نظرية التطور، هذه الأمية شـــهادتها في البيولوجيا الجزيئية منحتها لها جامعة أيوا الأمريكية Iowa، ثم ردتها لتتمركز في إحدى جامعات الأردن، وتكون أداة نشـــر الهلاوس التي عبأوها بها.

وأحد هؤلاء الأميين الذين يهلوسـون في اليوتيوب، كنا نعرفه معرفة شـخصـية من سـنوات طويلة، وكان كغيره من عموم المسـلمين، يؤمن بأن الله عز وجل خلقه وخلق الكون والمخلوقات جميعها، ويصـــلي ويصـــوم، ثم ذهب إلى بريطانيا، وحصـــل على شـــهادة من إحدى جامعاتها، وأعادوه إلى بلاليص ســـتان وهو ملحد، يؤمن بعقيدة التطور ويقول إنها حقيقة بنسـبة مائة بالمائة، بينما وجود الله مســألة مشــكوك فيها، وتتعادل أدلة إثبات وجوده مع أدلة نفيه.

والذي نريد أن نصـــــل بك إليه، أن هؤلاء المفكرين وأســـــاتذة العلوم الذين تراهم يتكلمون في الفيديوهات عن نظرية التطور بحماسة شديدة ويقولون إنها حقيقة علمية، لا يعرفون شــيئاً عن نظرية التطور أصـــلاً، ولا أحد فيهم قرأ كتب تشـــارلز دارون، وليسوا هم في الحقيقة مَن يتكلمون، بل الذين يتكلمون على ألسنتهم هم الأبالسة الذين استوطنوا رؤوسهم وعبأوها بعقيدة التطور وهلاوسها في جامعات الحمار الغربي، وقد خلطوها بتخصـــصـــاتهم العلمية الفنية الضـــيقة والدقيقة التي ذهبوا ليحصـــلوا على الشهادات فيها، ولا علاقة لها بنظرية التطور ولا يدخل فيها قراءة كتب تشارلز دارون، لأن التطور، بديلاً للوجود الإلهي والخلق، هو عقيدة الجامعات والأوســـاط العلمية في الغرب، والفرضية العليا والحاكمة لجميع البحوث والدراسات، والجراثيم التي تسري في الأجواء ويتنفسها من يشتغلون بالعلوم الطبيعية، فجميع الفرضيات والنظريات لابد أن تُبنى عليها وتنبع منها، ونتائج البحوث والدراسات يتم لبسها بها وتفسيرها بما يتوافق معها ولا يخرج عنها.

وإذا ذهب أحد من مراهقي بلاليص ســتان إلى جامعة في الغرب، ليحصـــل على شـهادة في أي فرع من فروع العلوم، فسوف يتحتم عليه إذا أراد أن يحتضـنوه ويعلموه ويحصـــل على الشـــهادة التي يريدها أن يعتنق عقيدة التطور طوعاً أو كرهاً، وإذا أبى فسوف يركلونه بأقدامهم ويشحنونه على أول طائرة عائدة إلى بلاليص ستان، وجُل من يذهبون إلى جامعات الغرب مراهقين وبلاليص فارغة يتوافقون مع عقيدة التطور، ومع الوقت ودخولهم في أوســـاط العلوم وأســـاتذتها ودراســـاتها في الجامعات الغربية، واســـتنشـــاقهم لجراثيم التطور، ثم اعتيادهم عليها وإدمانهم لها، يعتنقون عقيدة التطور اعتناقاً حقيقياً، حتى لو كان اعتناقهم لها في البداية تظاهراً وتجنباً للمشاكل، وذلك:

أولاً: لأنها عقيدة الأوســـاط والأجواء التي يوجدون فيها، وعقيدة من يحتضـــنونهم ويعلمونهم ويُجرون دراســاتهم وبحوثهم تحت إشــرافهم وهم الذين يمنحونهم الشــهادات

التي ذهبوا ليحصـــلوا عليها، وحين يقلدونهم ويكررون كالببغاوات ما يســـمعونه منهم ويحشرون عبارات عن التطور في كل كلام يقولونه أو بحث يكتبونه، فسوف يرضون عنهم ويقربونهم ويفتحون لهم الأبواب.

وثانياً: لأن عقيدة التطور لا تقدم لهم كنظرية مستقلة لكي يدرسوها ويفحصوا أدلتها ثم يقبلوها أو يرفضـــوها، وجميع البلاليص الذين تراهم يتكلمون عن نظرية التطور بحماسة شديدة، كما أخبرناك، لم يقرأوا كتب تشارلز دارون، ولا يعرفون ما الذي فيها، فالأبالسة في جامعات الغرب يجعلونها مسلَّمة أُولى وفرضية عليا غير قابلة للمناقشة، وتســـري في جميع الفرضـــيات والنظريات، وتتلبس بمختلف الدراســـات والبحوث، وينحصر داخلها تفسير جميع النتائج، دون عرضها ولا مناقشتها هي نفسها، ومراهقو بلاليص ستان الذين ذهبوا إلى الغرب بلاليص فارغة لكي يحصلوا على الشهادات، يعتنقون جراثيم التطور التي تم لبسها بالفرضيات والنظريات والبحوث التجريبية، لأنهم أميون ولا يمتلكون المعيار والميزان الذي يُمكِّنهم من التمييز والفصـــل بين الدراســـات والبحوث العلمية المحض وبين المعتقدات والضلالات التي يتم لبسها بها.

وعقيدة التطور ليســـت مجرد نظرية علمية، ولا حتى نظرية عقائدية وفقط، بل هي جزء من مســـألة أكبر وأوســـع وأعمق، وهذه المســـألة فوق وعي هؤلاء البلاليص، ولا يمكن أن يصلوا إلى إدراكها بالبناء الأمي لأذهانهم ونفوسهم.

وهذه المسألة الأكبر والأوسع والأعمق، التي فوق وعي هؤلاء الأميين ولا يدركونها، أن عقيدة التطور بديلاً للوجود الإلهي والخلق، ركن من الهندســـة العامة للغرب، التي صنعها له اليهود والحركات السرية، منذ عصر النهضة وبداية سيطرتهم على مقاليده مع أسرة اليهود الأخفياء من آل دي مديتشي وحركة الروزيكروشان، ويتوارثون إقامتها والقوامة عليها وتطويرها عبر القرون، والغرض الحقيقي من هذه الهندســـة بجميع أركانها وعناصـــرها، الإطاحة بعقيدة الإله واجب الوجود من أذهان عموم البشـــر

ونفوســـــهم، من أجل إزاحة المعايير والموازين ومنظومة القيم والأخلاق والعلاقات الاجتماعية التي ترتبط به من المجتمعات، لكي يتمكنوا من السيطرة على وعي عموم البشر، وصناعة أذهانهم ونفوسهم، وإحلال المنظومة التي يريدونها محلها، من خلال الأغلال الناعمة غير المرئية في التعليم ووســائل الإعلام ووســائط اللهو والترفيه، ثم جعلهم يتحركون طواعية نحو ما يريدونه وهم يتوهمون أنهم هم الذين أرادوه.

وجامعات الغرب فتحت وتفتح أبوابها لمراهقي بلاليص ســتان وتحتضــنهم وتعلمهم وتمنحهم الشـــهادات، ليس لأنها جمعيات خيرية، بل لكي تفرغهم من عقيدة الوجود الإلهي والخلق، وتعيد تكوينهم بعقيدة التطور، ويروا كل شـــيء ويحكموا عليه من خلالها، ثم تعيدهم إلى بلاليص ســـتان، لكي يقوموا ببثها في المدارس والجامعات ووســـائل الإعلام، ويزعزعوا عقيدة الوجود الإلهي والخلق في نفوس أهلها، فيكونوا بذلك، وســـواءً أدركوا أو لم يدركوا، أداة إذابة المعايير والموازين ومنظومة القيم والأخلاق والعلاقات الإلهية، فتصبح بلاليص ستان صورة منسوخة من الهندسة التي أقامها هؤلاء الأبالسة في الغرب، ويقع أهلها تحت سيطرتهم الناعمة وسطوة وسائل الإعلام والخطاب العام ووســـائط اللهو والترفيه، ويدخلوا في منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي يريدون أن يكون البشر جميعاً عليها.

فهؤلاء المراهقون الذين ذهبوا إلى جامعات الغرب بلاليص فارغة، ثم عادوا إلى بلاليص ستان بعد تعبئتهم بعقيدة التطور وهلاوسها، وتمركزوا في جامعاتها ووسائل إعلامها، لن تجدهم يكلمونك في فيديوهاتهم وكتبهم عن البحوث العلمية الفنية والتقنية الضيقة والمحصورة في المعامل التي ذهبوا للحصول على شهادات فيها، بل ستجدهم يثرثرون عن الوجود والحياة والأخلاق والعلاقات الاجتماعية، ويتهجمون على الأئمة والعلماء، ويصفون منظومة القيم والأخلاق والعلاقات الإلهية صراحة أو ضمناً بأنها تخلف ورجعية، ويحلمون بتحويل بلاليص ســتان وأهلها إلى الصــورة التي عاشــوها

وأغوتهم في الغرب، ولا يوجد في نفوسـهم نفور من الزنى والعلاقات الجنسـية المفتوحة ولا من الشـــذوذ، وينكرون ســـنة النبي، ويطالبون بتحريف القرآن لكي يتوافق مع الهلاوس التي تم تعبئتهم بها، والبلاصات منهم يصفن الدين بأنه اختراع ذكوري ابتكره الرجال للسيطرة على النساء.

ولكي تدرك هذه الأبعاد العميقة والخبيئة لعقيدة التطور، ولكي لا يدلس عليك المدلسون بنظرية المؤامرة والتفسير التآمري، التي يقرطسون بها الأميين(•)، فكل تفسير يغوص تحت سطح الأحداث والأفكار والأشخاص والأشياء وينفذ إلى أعماقها ويكشف أغوارها يصـفونه بأنه نظرية مؤامرة، لكي يغلقوا عقولهم ونفوسـهم أمامه ويصـرفوهم عنه، لكي تدرك الأبعاد العميقة والخبيئة لعقيدة التطور، ينبغي أن تعلم أن الماسـوني تشارلز دارون ليس هو الذي ابتكر عقيدة التطور في تفسير وجود الكون والمخلوقات، فهي، كما سـتعرف من الباب الأول من الكتاب، عقيدة الحركات السـرية في جميع العصور، والذي ابتكره الماسوني تشارلز دارون فكرة الانتخاب الطبيعي، التي سنعرفك بحقيقتها داخل الكتاب.

وحتى فكرة الانتخاب الطبيعي ليس تشارلز دارون هو الذي ابتكرها في الحقيقة، بل هو الذي طورها ونقحها وابتكر لها اسـم الانتخاب الطبيعي، والمبتكر الحقيقي لفكرة تطور المخلوقات من أصل واحد بالتكيف وتحسن الصفات وتوارثها، كما ستعلم من

•) الأميون هنا وفي الكتاب كله، بمعناها الذي تجده في جميع كتبنا، وهم الذين خلت أذهانهم ونفوسـهم من ميزان الوحي ومعياره، ومن قضـاياه ومنهجه، ويتعاملون مع سـطوح الأحداث والأشـخاص، ولا يرون أعماقها وما حُجب خلفهاُ، وأدمغتهم مفككة، ولذا يرون الأحداث والأفكار مبعثرة ولا يدركون الروابط بينها.

الباب الثاني، هو جده الماسوني والأستاذ الأعظم لمحفل: كانونجيت كيلْوينِنج رقم: ٢ Lodge Of Canongate Kilwinning, No. 2، في اسكتلندا، إرازموس دارون.

والإضافة التي أضافها الماسوني إرازموس دارون وحفيده الماسوني تشارلز دارون، إلى عقيدة التطور، هو أنه تحقق على أيديهم الإنجاز الذي كانت تكافح جميع الحركات السرية عبر التاريخ من أجل الوصول إليه، وتحاول تحقيقه في كل زمان بما توافر لها فيه من معارف، ألا وهو لبسها بالشواهد العلمية، وتحويلها في وعي البشر من نظرية اعتقادية إلى نظرية علمية، وابتكار فكرة الانتخاب الطبيعي لتكون دِعامتها العقلية، وتفسيراً لوجود المخلوقات ليس فيه موضع ولا حاجة للإله، ويمكن به الاستغناء عن الإله في تفس٧خير الوجود وتسهيل إزاحته من وعي البشر، فيجلس الآباء والأمهات مع أبنائهم وبدلاً من أن يعلموهم أن الله خلقنا ويجب أن نؤمن به ونعبده، يبولون في رؤوسهم، هم ومناهج التعليم ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات، أننا تطورنا تلقائياً من القرود، والقرود من الذين قبلهم، وهكذا إلى أن يصلوا إلى البكتيريا، والبكتيريا مادة جامدة دبت فيها الحياة ببعض الصدف السعيدة، فتكون النتيجة النهائية هي اختفاء الإله من وعي البشر، وسقوط المنظومة الإلهية للقيم والأخلاق والعلاقات، وهو الغرض الحقيقي لنظرية التطور ومن يقومون عليها.

وإذا ذهبت إلى الفيديوهات التي تتكلم فيها البلاليص الأمية عن نظرية التطور، ستجد بعضهم يقولون إن تشارلز دارون كان مؤمناً، ونظريته في التطور والانتخاب الطبيعي لا تتعارض مع الإيمان بالله عز وجل ولا مع القرآن، بينما الماسوني تشارلز دارون نفسه نص نصاً في عدة مواضع من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي على أن الوجود الإلهي يتناقض مع انتخابه الطبيعي، وأن هدفه من نظريته إسقاط عقيدة الخلق.

والذين يعتنقون نظرية التطور والانتخاب الطبيعي في الغرب وجامعاته عن وعي لأنها عقيدتهم ونتاج تاريخهم، يعرفون ما تعنيه، وأن تشارلز داروين وضع بها الأسس والأسانيد العقلية والبيولوجية لإنكار الوجود الإلهي والاستغناء عنه، ولفلسفة الإلحاد وتزيينه، وستجد في الكتاب نماذج عديدة على ذلك، وإليك هنا واحداً منها.

يقول أستاذ العلوم في جامعة أكسفورد، وأحد أشهر خلفاء تشارلز داروين على عقيدة التطور وهلاوسها، ريتشارد دوكنز Richard Dawkins، في كتابه: صانع الساعات الأعمى The Blind Watchmaker:

"قبل داروين كان بإمكان الملحد أن يقول مثل ديفيد هيوم Hume: "ليس لديّ تفسير للتصميم البيولوجي المعقد، وكل ما أعرفه هو أن الإله ليس تفسيراً جيداً، لذا علينا الانتظار على أمل أن يأتي أحد بتفسير أفضل"، وعلى الرغم من أن الإلحاد ربما كان مقبولًا منطقياً قبل داروين، إلا أن داروين جعل من الممكن أن يكون المرء ملحداً مكتملاً فكرياً Darwin Made It Possible To Be An Intellectually Fulfilled Atheist"[1].

وما قاله ريتشارد دوكنز، هو الموقع الحقيقي لتشارلز داروين وكتبه وانتخابه الطبيعي من عقيدة الحركات السرية، والتطوير الذي ابتكره فيها، وقرَّبها به من غايتها التاريخية، ووضْعِ وعي عموم البشر بين أنيابها ومخالبها الناعمة غير المرئية.

ومما يجعلك تزداد يقيناً بما أخبرناك به عن هذه البلاليص الأمية وكيف تم تكوينها وتعبئتها بعقيدة التطور وهلاوسها، ويزيدك فهماً وإدراكاً للمسألة كلها، أن ترجع إلى كتابنا: **التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص**، وستجد فيه صورة طبق الأصل من

---

1) Richard Dawkins: The Blind Watchmaker, P27, W. W. Norton & Company, Inc., New York, London, 1996.

هؤلاء البلاليص وما قالوه، ولكنها أكثر وضـــوحاً وتفصـــيلاً، في مؤلف القرن، الذي شـــرَّحناه ذهنياً ونفســـياً في الكتاب، وعرَّفناك بالأدلة من كتبه كيف أعادوا تكوينه وصياغته في الإمبريال كولدج Imperial College أو الكلية الإمبراطورية في لندن، وأزاحوا من بنائه الذهني والنفســـي عقيدة الوجود الإلهي والخلق وأســـقطوا المنظومة الإلهية للقيم والأخلاق والعلاقات، بعقيدة التطور وهلاوسها.

فمؤلف القرن الذي تجد تشريحه الذهني والنفسي في كتاب: **التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص**، هو نفســه وبالضــبط هؤلاء المفكرون وأســاتذة العلوم الذين تجدهم يتكلمون في اليوتيوب عن نظرية التطور، وكل ما تراهم يقولونه هو نفســـه ما يقوله، غير أنه قاله مفصـــلاً ومكتوباً في كتب، وفي ثناياه ســـيرته في بريطانيا والإمبريال كولدج، فقدم لنا وثيقة دامغة تثبت كيف يتم صـناعة هذا الطراز من البلاليص وتعبئته في بلدان الحمار الغربي الذي يركبه اليهود والحركات السرية.

ومؤلف القرن وهؤلاء المفكرون وأساتذة العلوم، ليسوا سوى قنوات لتسريب معتقدات وأفكار ودعوات ليســوا هم أصــحابها ولا من أنتجوها، ولا يدركون منها ســوى أغلفتها البراقة المزركشـــة التي تُلف فيها، ولا يعرفون حقيقة من ابتكرها واصـــطادهم ليكونوا محاضـن يستنبتها فيهم، ثم أدوات لبثها ونشـرها، فهم جميعاً مجرد تروس صـغيرة في آلة هائلة لتوليد الضـــلالات، وفلســفتها، وصـــناعة الأغلفة لها، وترويجها ونقلها بين الأمم والشعوب، وهم أنفسهم ليسوا على وعي ولا إحاطة بها، ولا يدركون موقعهم منها، ولا موقعها هي من التاريخ والعالم كله وآثارها فيه.

وهذه الآلة ومن يقومون عليها هي الطائفة من بني إسرائيل التي حجبت الوحي عن البشـر وتكتمه عندها، وتتوارث كتمه وبث تحريفه وبث الضــلالات في البشـر، ولكي تعرف تفصيلاً كيف تسيطر هذه الطائفة على وعي البشر، وبأي وسائل، وكيف تُسيِّر البشـــر جميعاً نحو ما تريده دون أن يروها أو يرصـــدوها، عليك ان ترجع إلى كتبنا

السابقة، خصوصاً كتاب: **الوحي ونقيضه**، وكتاب: **شفرة سورة الإسراء**، وكتاب: **اليهود والحركات السرية في عصر النهضة**، وكتاب: **اليهود والماسون في الثورات والدساتير**.

وما ينبغي أن تعلمه، أنَّا لم نكتب هذه الكتاب لمناقشة هذه البلاليص الأمية من المفكرين وأساتذة العلوم، ولا لإقناعهم، بل من أجل عموم المسلمين الذين ما زالوا على الفطرة ويؤمنون ويعلمون أبناءهم أن الله خالق كل شيء، فثمة نوع من الفيروسات إذا دخلت إلى وعي الإنسان وتكوينه، فلا سبيل لإخراجها منه، سوى بإسقاط السيستم كله، وإعادة بنائه من جديد، وعقيدة التطور وهلاوسها أحد هذه الفيروسات، والطريقة الوحيدة لإخراج هذه الفيروسات التي تم حقنها في وعي هؤلاء الأميين هي أن يعودوا إلى الكتاتيب، ويتعلموا أن الله عز وجل خلقهم وخلق الكون والمخلوقات جميعها، فإن هم أجابوك، فعلِّمهم أن الله عز وجل أرسل رسلاً وأنزل كتباً وبياناً لهداية البشر وتعريفهم بخالقهم، وبالمسائل التي لا يمكن لهم أن يصلوا إلى حقيقتها بوسائل معرفتهم الذاتية، فإن هم أجابوك، فعرِّفهم أن الله عز وجل افترض على من آمن به الصلاة والصيام والزكاة والحج، فإن هم أجابوك، فأخبرهم أن الله عز وجل وضع في بيانه إلى البشرية ميزاناً ومعياراً للقيم والأخلاق والعلاقات، فإن هم أجابوك، فلن تجد أحداً منهم يكلمك بعد ذلك عن عقيدة التطور وهلاوسها.

وإلى أن يحدث ذلك، فقد طلبنا منك في ثنايا كتابنا الذي تقرأه الآن أكثر من مرة، أن تسدي إلينا معروفاً، ونعلم أنك حين تصل إلى نهايته، سوف تجد نفسك تسدي إلينا هذا المعروف تلقائياً ودون أن نطلبه منك، وهو أن تدخل إلى الفيديوهات التي ترى الأميين فيها يتكلمون بحماسة شديدة عن نظرية التطور وأنها حقيقة علمية ولا تتعارض مع القرآن، وتقلب هؤلاء البلاليص على رؤوسهم، لكي تسكب هلاوس التطور التي تملأها وتنظفهم منها.

ولكيلا تضــللك الوســاوس التي وســوســها الأبالســة في جامعات الغرب في أذهان هؤلاء الأميين، ويوســـوســـون هم بها في الفيديوهات، عن حرية العلوم، وأنه لا يجب تقييد فرضياتها ونظرياتها ونتائجها بالعقائد والديانات، فينبغي أن تعلم:

أولاً: أن نظرية التطور والانتخاب الطبيعي هي نفســـها عقيدة يعتنقونها، ولا دليل عليها من العلوم والدراسـات العلمية، بل ونتائج جميع البحوث التجريبية التي يُجرونها، وكذلك القوانين العليا في تركيب الكون ونظامه، كما سـترى في الكتاب، تتناقض معها تناقضــاً صــريحاً وتنقضــها، ولكن لأنها عقيدتهم وفرضــيتهم العليا والأم، ولا بديل لها سـوى عقيدة الوجود الإلهي والخلق الذي ينكرونه، فهم يلوون نتائج الدراسـات والبحوث التجريبية ويعصــرونها باللف والدوران ومختلف الحيل، لكي يكون تفسـيرها متوافقاً مع عقيدة التطور ولا يخرج عنها.

وثانياً: أن الله عز وجل هو الذي أرشـــد البشـــرية في بيانه إليها ودعاها إلى استكشـاف الكون والطبيعة والمخلوقات والعلم بها، وأطلق طاقاتها في ذلك، ولم يقيدها في وضـع الفرضـيات والنظريات وإجراء البحوث والتجارب ولا في النتائج التي تنتجها، حتى لو أخطـأت هذه النتـائج، وأيـاً كـانـت درجـة خطئهـا وابتعـادهـا عن حقيقـة الكون والطبيعة والمخلوقات، ما عدا مســـألة واحدة، هي الفيصـــل بين البيان الإلهي وبين معتقدات الحركات السرية التي سربتها في العلوم وصبغتها بها، وهذه المسألة الفيصل هي وجود الله عز وجل وأنه خالق كل شـيء، فهذه هي المسلمة العليا والأم في البيان الإلهي للعلوم الطبيعية وغير الطبيعية، بينما الفرضـــية العليا والأم التي صـــبغت بها الحركات الســـرية العلوم الطبيعية وغير الطبيعية وجعلتها حاكمة لها ولمن يشـــتغلون بها، هي إنكار الوجود الإلهي والخلق، وهذه عقيدة وتلك عقيدة.

فالمســـألة الحقيقية ليســـت في البحوث العلمية والتجريبية الفنية والتقنية المحض، سواءًا كان ذلك في الفيزياء والكيمياء أو البيولوجيا، بل في تفسيرها ولبسها بالمعتقدات، وإجبار فرضياتها ونظرياتها ونتائجها أن تكون داخل هذه المعتقدات ولا تخرج عنها.

وثمة سؤال نعلم أنه يحلق في عقلك، ويبحث عن طريقة للهبوط على لسانك، وهو: هل يعني ذلك أن نترك الذهاب إلى جامعات الغرب، وكيف نفعل ذلك وهي مراكز العلوم والبحوث، ونتائجها ترتبط بالصناعة والتكنولوجيا وتيسير حياة البشر، ونحن نقلد الغرب ونسير خلفه في كل شيء؟

ونقول لك: سؤالك يفتح مسألة أخرى، هي بلاليص ستان الفاشلة، بدولها وحكوماتها وساستها ونخبها وجامعاتها، من الخليج السائم إلى المحيط الهائم، وهي مسألة أكبر وأوســـع من بيانها في هذه المقدمة، وتجد وجوهاً عديدة منها في كتبنا الســـابقة، وما يمكننا أن نرد به عليك هنا ويتصـــل بســـؤالك مباشـــرة، هو أنه إذا كان الذهاب إلى جامعات الغرب وتلقي العلوم الطبيعية فيها والحصـــول على شـــهادات منها ضـــرورة، فينبغي أن يكون ذلك في حدود الضـــــرورة وبقدرها، وكما أن الذي يذهب إلى بلد أو منطقة موبوءة بالأمراض، يأخذ تطعيمات وتحصـينات ضـد هذه الأمراض، فكذلك من يذهب إلى جامعات الغرب ومراكز علومه، يجب تحصـــينه قبل ان يذهب إليها بعقائد الإسلام ومنظومة قيمه وأخلاقه، وأن يكون ذهابه ضـمن خطة واستراتيجية عامة لبلده لكي يدرس ما تحتاجه وما يناســـب ظروفها وما تريد أن تحققه، وأن يكون على وعي أنه ذاهب لإجراء بحوث تجريبية وتحصيل العلوم التي ينفع بها نفسه وبلده ويسهم بها في تنمية الزراعة والصناعة والتكنولوجيا والطب والهندسة، ولكي يعمل على نقل العلوم والبحوث وتوطينها، لا أنه ذاهب ليرضـــعوه الضـــلالات ثم يعود ليتقيأها على بلاليص ستان وأهلها.

وكما يوجد أســـاتذة علوم يُهلوســـون عن تشـــارلز دارون ونظرية التطور وانتخابه الطبيعي، ويريدون تحريف القرآن ليتوافق معها، فهناك من ذهبوا إلى جامعات الغرب وحصلوا على أعلى الشهادات في العلوم، بل وصاروا أساتذة فيها، ولكنهم فصلوا بين العلوم وبين الضـــلالات التي يلبســونها بها، فلم يهتز إيمانهم بالوجود الإلهي والخلق، ولم تضللهم عقيدة التطور ويعتنقوا هلاوسها.

وقد تقول: ولكن ذلك عسير، فلا توجد في بلاليص ستان دول وحكومات على هذا القدر من الوعي والفطنة، ولا أحد فيها ينظر أبعد من طرف أنفه، فضلاً عن أن يضع خططاً واستراتيجيات بخصـوص العلوم الطبيعية، والذين يذهبون إلى جامعات الغرب لن يســـتمعوا ولن يقتنعوا بهذا الكلام الذي يبدو وكأنه آت من عالم آخر ولا علاقة له بالعالم الحقيقي؟

ونقول لك: أما دول بلاليص ستان وحكوماتها فتلك مشكلتها، والطراز من المفكرين وأساتذة العلوم الذي يذهب إلى جامعات الغرب ويعود على الصـفة والمواصـفات التي عرَّفناك بها، لا يهدد عقائد الإسلام ومنظومة قيمه فقط، بل وينخر أيضـاً في الأسـس الفكرية والأنســجة الاجتماعية لهذه الدول نفســها، ويدفع بها نحو اصــطدام مكوناتها وانهيارها.

وأما أن من يذهبون إلى جامعات الغرب لن يقتنعوا بهذا الكلام ولن يمنحوه آذانهم ويسمعوه أصلاً، فتلك أيضاً مشكلتهم، وهم كالمريض الذي يخبره الطبيب ويشدد عليه أن أول خطوة في علاجه أن يمتنع عن تدخين السجائر، فيخرج من عنده، وهو يبحث عن سيجارة في جيبه ليشعلها.

وفي صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

"كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها".

ونعود بك إلى قصــة هذا الكتاب، فحين رأيت الفيديوهات التي يتكلم فيها المفكرون وأســاتذة العلوم عن نظرية التطور، قررت إضــافة باب عنوانه: **هلاوس التطور البيولوجي** إلى كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات الســرية**، ليكون آخر أبوابه، ثم زاد حجم الباب ففصلته في كتاب مستقل، وأصبح كتاباً كبيراً.

وترتب على ذلك مشــكلة، وهي أن الأبواب الأولى من كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية**، هي الأساس في فهم كيف وصلت العلوم الطبيعية في الغرب إلى الصورة التي تراها عليها، وموقعها من استراتيجيات الحركات السرية، وكيف ولدت ونشــأت بين أحضــانها، ولوثتها وهي في مهدها بالإلحاد وبالقبالاه والمعتقدات الباطنية، ووظفتها ووظفت عقيدة الكنيسة وأخطاءها في توجيه الضربات، ليس للكنيسة الغربية ولا للمسيحية فقط، بل لأصل مسألة الألوهية المشترك بين جميع الديانات الكتابية، وهو الوجود الإلهي والخلق، لكي تتمكن من إزاحة المسيحية والكنيسة والحلول محلها في وعي الغرب، ثم إزاحة جميع الديانات الكتابية ومنظومتها في القيم والأخلاق والعلاقات والحلول محلها في وعي جميع البشر في الخطوات التالية.

ورغم أن هذه الأبواب ليس لها علاقة مباشــرة بنظرية التطور البيولوجي، إلا أنها تضــيء المســائل الغامضــة والخفية التي ترتبط بها، وتدرك منها الطريق والخطوات الســابقة لها التي مهدت لظهورها وظهور تشــارلز دارون وكتبه، وتعرف منها موقع عقيدة التطور من مسار الغرب، ومن صراع الحركات السرية مع الكنيسة ومع مسألة الألوهية، ولماذا يعتنقها علماء الطبيعة بديلاً للوجود الإلهي والخلق، وكيف صــارت عندهم الفرضــية العليا والأم الحاكمة لجميع بحوثهم ودراســاتهم، وكيف تكونت أول جمعية للعلوم الطبيعية وعلمائها في الغرب، وصــلتها وصــلتهم بحركة الروزيكروشــان والماســونية، وهي الجمعية الملكية البريطانية، ولذا ينبغي أن تعود إلى هذه الأبواب

الأولى من كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السـرية**، خصـوصـاً الباب الأول وعنوانه: **الحركات السرية والعلوم الطبيعية.**

وكتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السـرية**، هو الجزء الأول من كتاب: **هلاوس التطور البيولوجي**، وأشـد إثارة منه، ونظريات علم الفلك والفيزياء تحوي غرائب أكبر من التي في هلاوس التطور البيولوجي، ولكنها أشـد خفاءًا وأبعد غوراً، فقد تم لبسـها عبر القرون بمعتقدات الحركات السـرية القبالية والباطنية، ثم صـارت هذه المعتقدات، مع الإلحاح والاعتياد عليها عبر الزمان، من البديهيات في العلوم الطبيعية، وفي وعي عموم البشـر، ومن العسـير على من يشـتغلون بالعلوم الطبيعة، بل وعلى المؤمنين بالوجود الإلهي والخلق، أن يصدقوا أنها أباطيل تم لبسها بالنظريات ولا علاقة لها بالبحوث التجريبية ولا بالرصـد والحسـابات والمعادلات التي أنتجت هذه النظريات ويستدلون بها على صحتها.

ورغم أن كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السـرية**، هو الجزء الأول وأشـد إثارة من كتاب: **هلاوس التطور البيولوجي**، ورغم أن الأبواب الأولى منه لازمة لفهم مسألة العلوم الطبيعية في الغرب، وكيف ولماذا صار إنكار الوجود الإلهي والخلق الفرضـية العليا والحاكمة لجميع فرضـياتها ونظرياتها ونتائجها، ومن الذي كان خلف ذلك، إلا أنني قررت إتمام كتاب: **هلاوس التطور البيولوجي** وكتابة مقدمته، وإتاحته لعموم الناس، قبل أن أتم كتاب: **المحفل والمعمل** وأكتب مقدمته، لأهمية موضـوع التطور البيولوجي، وما يمتلئ به من ضـلالات تمس عموم الناس مباشـرة، وتتناقض تناقضـاً صـريحاً مع عقيدة الوجود الإلهي والخلق، وكذلك بسـبب الهلاوس التي يهلوسـها المفكرون وأسـاتذة العلوم الأميون في اليوتيوب ووسـائل التواصـل الاجتماعي، عن نظرية التطور وتشـارلز دارون، والوسـاوس والشـكوك التي يبثونها

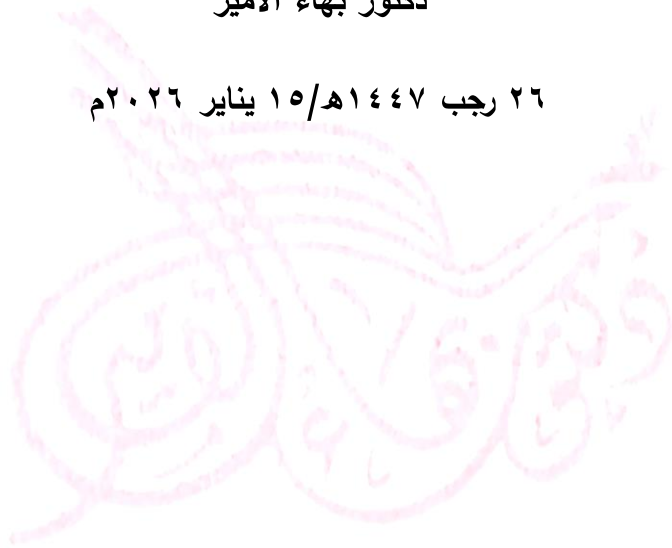
مغلفة في بريق ألقابهم وشهاداتهم ويضللون بها عموم المسلمين، الذين لا يدركون أن الذين منحوهم هذه الشهادات منحوها لهم مروية ومشبعة بالأباطيل والضلالات.

والآن جاء أوان أن نتركك ترتحل مع عقيدة التطور البيولوجي وما تحفل به من هلاوس وأكاذيب وتزوير وتدليس.

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الأمير

٢٦ رجب ١٤٤٧هـ/١٥ يناير ٢٠٢٦م





عقيدة الحركات السرية

علمتَ في أول باب من الكتاب الذي بين يديك، باب: **الحركات الســـرية والعلوم الطبيعية**(•)، أن الغاية الأساسية والأم للحركات السرية عبر العصور، وفي مختلف الأمم والشـــعوب، هي الإطاحة بعقيدة الإله واجب الوجود الخالق للكون وجميع المخلوقات بالأمر والإرادة وذاته منفصلة عن ذاتها، وهي العقيدة الأم والمشتركة بين جميع الديانات الكتابية، والخلاف بينها تحت هذه المسألة الأم، لأن إسقاط عقيدة الإله واجب الوجود وخالق الكون والمخلوقات، يتبعه تلقائياً إســـقاط منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي ترتبط بهذه العقيدة، فيمكن للحركات الســـرية حينئذ أن تُحل محلها منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي تريد البشـر أن يكونوا عليها، وتجعلهم طائعين لها، عبر وسـائط التربية والتكوين ووسـائل الإعلام والخطاب العام التي تسـعى طوال التاريخ لتطويرها والسيطرة عليها.

فالإطاحة بالعقيدة الإلهية، مصـــدر المعيار والميزان، يتبعها تلقائياً سـقوط الأســرة كوحدة للمجتمع وإحلال الفرد محلها، وحلول الانحلال والعلاقات الجنســـية الحرة محل الزواج، وفقدان سلطة الآباء والأمهات على الأبناء، ونسبية جميع القيم والأخلاق، وأن يصبح المال والترف واللهو والاستمتاع غاية عليا للبشر، وإطلاق نفس كل إنسان عليه واتباعه لأهوائه وسـيره خلف رغباته وشـهواته، فيكونوا قد وقعوا بذلك في قبضـــة من يكنزون الأموال ويسيطرون على وسائل الإعلام ووسائط اللهو والترفيه، وصاروا دمية في أيديهم، يحركونهم كما يشـاؤون، وهم يهتفون بالحرية ويغنون لها، ومن يسـيطرون

•) الحركات الســـرية والعلوم الطبيعية، هو أول باب في كتاب: المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية، وهذا الكتاب كان باباً منه ثم فصلناه عنه في كتاب مستقل.

على وســائل الإعلام واللهو والترفيه في جميع العصــور هم نواة الحركات الســرية والطبقات الداخلية التي تدور من حولهم.

والحركات السرية كانت توظف الأحداث والصراعات والآداب والفنون وجميع مناحي النشاط الإنساني من أجل إزاحة الوجود الإلهي والخلق من بناء أذهان البشر ونفوسهم، وإطلاق أنفســهم عليهم، وتوظف العلوم الطبيعية تحديداً في إحلال الكون المرئي والطبيعة المنظورة في وعي البشر محل الإله، ووضْعِ قِدم الكون وأزلية الحياة ووجودها الذاتي مكان الخلق، وتفســير الكون انطلاقاً من أنه لم يوجد بل من أنه كان دائماً موجوداً، ومزج النظريات التي تفسر وجود الكون والمخلوقات ونظامها بالقبالاه والعقائد الباطنية والتأملات الخيالية التي تجعل الكون متوحداً بالإله، أو هو نفســه الإله، وليس له بداية ولا نهاية، لتكون بديل الوجود والخلق الإلهي ووســيلة إزاحته من التفســير، وإنتاج نظريات ونماذج للكون ليس فيها موضــع للإله، أو لا حاجة إليه في تفســير وجود الكون والحياة.

وإزاحة الوجود الإلهي وعقيدة الخلق والإله الخالق، يترتب عليها تلقائياً هوة سحيقة في وعي البشر، وفجوة هائلة في عقولهم، وصدع عميق في تكوينهم، وقلق واضطراب عنيف في نفوســهم، ولا يمكن التخفيف من وطأة هذه الهوة والفجوة والصــدع ولا من آثار هذا القلق والاضــطراب، إلا بوجود بديل لمســألة الألوهية والخلق الإلهي، يفســر للإنســان من أين جاء، وكيف وجد على الأرض ولماذا، وكيف ولماذا هو مختلف عن بقية الكائنات.

والتفســير أو العقيدة بديل الوجود الإلهي التي ابتكرتها الحركات الســرية، أو النواة البني إسرائيلية التي في قلبها، وتوارثت عبر القرون تنقيحها وتجويدها وابتكار الشواهد الفلســفية والعلمية لها، من أجل تفســير وجود الكون والحياة دون حاجة للإله والخلق، هي نظرية التطور!

ولكي تفهم ما تعنيه نظرية التطور حقاً، ينبغي أن تعلم أن أمامك طريقان، وكل طريق له توابعه ولوازمه، وله علاماته وإرشاداته.

فالطريق الأولى، هي طريق وحدة المصـــدر وأن الإله موجود، وهو الذي خلق، والخلق بالقدرة الإلهية لا يحتاج إلى افتراض خروج مخلوق من مخلوق، وتشـــابه المخلوقات في تكوينها ووحداتها الأساسية مع تنوعها لأن خالقها واحد.

وأما الطريق الثانية، فهي طريق أن الإله غير موجود، ومن ثَم فلا خلق، وهاهنا تصبح وحدة المخلوقات وخروجها جميعاً من أصل واحد، وتطور بعضها من بعض، ضرورة لا محيص عنها للتفسير، ومع نفي القدرة الإلهية والخلق الإلهي يتحول الزمان إلى الفاعل الحقيقي في تفسير ظهور المخلوقات، مع تقديره ببلايين السنين ليستوعب الانتقال بالمصادفات وتراكمها من طور إلى آخر ومن مرحلة إلى التي تليها.

والتطور نظرية عقائدية وليست نظرية علمية، ومصدرها أذهان من يعتنقونها وليس العلم والبراهين، وهدفها تقديم تفسير للوجود بديلاً عن الخلق ولا موضع فيه للإله، وهي عقيدة الحركات الســرية عبر التاريخ، وتشــارلز دارون ليس هو الذي ابتكرها ولا هو الذي وضــع فرضــياتها وأركانها الأســاســية، كما يتوهمون في كتب العلوم والبيولوجيا ويوهمونك، بل هو الذي لبس عقيدة التطور بالشـــواهد العلمية، وحولها من عقيدة محض إلى نظرية بيولوجية علمية، بالضـــبط كما لبس كوبرنيكوس مركزية الشـــمس بهيئة الأفلاك الموحدة التي سرقها من ابن الشاطر الدمشقي، وحولها إلى نظرية فلكية فيزيائية، فنُســـبت له، وهي في الأصـــل عقيدة هرمس والقبالاه والخيمياء، والحركات السرية تتوارث بثها منذ فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد على الأقل.

ولأن مركزية الشمس مسألة اعتقادية، فالذين حولوها إلى نظرية فلكية فيزيائية، كما رأيت في أبواب كوبرنيكوس ونيوتن وكبلر، بنوا نماذجهم للكون على مركزية الشـــمس

ودوران الأرض من حولها، وفســروا هذه النماذج بها، دون أن يكون عندهم أي براهين على دوران الأرض ومركزية الشــمس، لا فيزيائية ولا حســابية، وهي المســألة الأم والفرضية الأولى في نماذجهم(•).

وكذلك عقيدة التطور، فلأنها مســألة اعتقادية، وبديل عقيدة الوجود الإلهي والخلق، فمن يعتنقونها يفســرون من خلالها للأميين وجود الكون وظهور الحياة، دون أن يكون لديهم دليل عليها هي نفســها، ويزعمون أنها نظرية علمية، وفي الوقت نفســه يســيرون خلف فرضـــياتهم وتخميناتهم التي يريدون إثباتها بها ولا دليل عليها، ويســـقطون ما يتناقض معها وينقضها من الأدلة والبراهين التي تقع داخل العلم الطبيعي فعلاً!

وهو ما يخبرك به أســتاذ البيولوجيا، الماســوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جوليان هكسلي Julian Huxley، أحد أفراد أسرة هكسلي المؤمنة بالداروينية والحارسة لها، وجده توماس هكســلي Thomas Huxley، أحد أشــهر الملاحدة ودعاة الإلحاد في القرن التاسع عشر، وكان صديق تشارلز دارون، وهو الذي تولى الدعاية لكتابه: عن أصــل الأنواع بواســطة الانتخاب الطبيعي On The Origin Of Species By Natural Selection بعد صـــدوره، بنشــر المقالات، وإلقاء المحاضـــرات، وعقد المناظرات لمواجهة نقاد نظرية التطور، ثم قام بتقديمها للجمعية الملكية البريطانية، وكان عضواً فيها.

يقول جوليان هكسلي، في باب: الداروينية اليوم Darwinism Today من كتابه: الإنسان في العالم الحديث Man in the Modern World:

•) أي مســألة في الكتاب الذي بين يديك تتعلق بالنظريات الفيزيائية والفلكية، يجب أن تعود إلى تفصيلها وبراهينها في كتاب: المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.

"الداروينية الأصـيلة نظرية تأملية بحت تتخذ الانتخاب الطبيعي وسـيلة لتفسـير أي شـيء وكل شـيء من غير حاجة إلى أدلة، ومن غير أن تقوم بتفسـير الطريقة التي أتت بها النتائج"[١]!!

Orthodox Darwinism Was Tending To Become Purely Speculative, Invoking Natural Selection To Explain Anything And Everything Without Requiring Proof And Without Providing Any Explanation Of The Machinery By Which The Results Could Be Brought About.

فلا تؤاخذنا إن لم نجد وصـفاً يليق بالأميين الذين يسـيرون خلف من يقدمون لهم برسيم التطور وهذا هو كل دليلهم عليه، سوى أنهم بقر!

وإذا رجعت إلى كتابنا: **الحركات السـرية في الشـرق والتطور البيولوجي**، سـتعلم تفصـيلاً أن الماسونية والروزيكروشـان وجميع الحركات السرية التي تكونت في الغرب منذ الحروب الصـليبية ثم ازدهرت فيه وأشـعلت ثوراته وسـيطرت على وعيه ومقاليده ومنحته سماته وصنعت عصره الحديث، ثم قفزت به على بلاد الإسلام وصنعت من خلاله بلاليص سـتان، جميع الحركات السـرية أصـولها في الشـرق، ثم انتقل تمركزها ونشاطها الرئيسي إلى الغرب عبر ثلاث بوابات رئيسية، هي الحروب الصليبية، ويهود القبالاه في الأندلس، وأسرة دي مديتشي في إيطاليا.

وهو ما تتفق عليها وثائق الحركات السـرية المختلفة، وما كتبه المؤرخون من أعضـائها عن أصـولها ونشـأتها ومؤسـسـيها، وإن اختلفت هذه الروايات بعد ذلك في بعض التفاصيل، أو وضعتها في صورة حكاية رمزية، وقد رأيت نموذجاً على ذلك في

---

1) Julian Huxley: Man in the Modern World, P190, Chatto & Windus, London, 1947.

باب: **أخوية الروزيكروشان**(•)، التي نصت وثيقة إشهارها التي طبعت سنة ١٦١٤م، على أن مؤسسها جاء بأصولها ومكوناتها من الشرق، وتلقى تعليمه وتدريبه على يد يهود القبالاه في دمشق ومصر وفارس.

ولأن أصول الحركات السرية تقع في الشرق، فجميع المعتقدات القبالية والأفكار الباطنية والعلمانية التي مزجتها الماسونية والروزيكروشان والإليوميناتي وغيرها من الحركات السرية في محافلها ومعاملها بالطب والعلوم الطبيعية، وأزاحت بها الكنيسة ومسألة الألوهية من الغرب، وكونت بها وعي نخبه في مختلف المجالات، فازدهرت بهم وتحولت إلى نظريات ومناهج ومدارس وجامعات، وصنعت بها ثوراته وكونت دوله الحديثة ومجتمعاته، جميع هذه المعتقدات والأفكار تكونت في الشرق أولاً، وستجد فيه بذورها وجذورها، ثم انتقلت إلى الغرب مع حركة اليهود والحركات السرية ونقل تمركزها ومجال نشاطها الرئيسي من الشرق إلى الغرب.

والفرق بين الشرق المسلم وبين الغرب، أن المعتقدات القبالية والباطنية والأفكار العلمانية واستراتيجيات إزاحة مسألة الألوهية من وعي البشر، في الشرق المسلم، كانت تبثها الحركات السرية والطوائف التي تكونت حولها، مثل الإسماعيلية والقرامطة والحشاشين، ضمن معتقداتها، في رؤوس أعضائها وأهالي المناطق التي يسيطرون عليها، ويتم تسريبها في الفلسفة والكلام عن العلوم الطبيعية، ويموهها الباطنيون في كتبهم، التي هي قبالاه معربة، في معتقدات الإسلام وآيات القرآن، وبعض هذه الأفكار والمعتقدات تسربت إلى مؤلفات الأدباء والمؤرخين، بل وتسربت في صورة مخففة وباهتة إلى بعض من ينسبون للعلوم الإسلامية المحض من أهل التفسير والفقه وعلوم اللغة، وتجدها مبثوثة في صورة عبارات مقتضبة بين صفحات كتبهم وسطورها، ولكن

•) أيضاً أي مسألة في الكتاب الذي بين يديك تتعلق بحركة الروزيكروشان، يجب أن تعود فيها إلى كتاب: المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.

ظلت هذه المعتقدات القبالية والأفكار العلمانية بذوراً خافتة وخفية ومموهة وغير صــريحة، ولم تنمو وتزدهر في الشــرق، ولا تحولت إلى معتقدات عامة يعتنقها عموم المسـلمين، ولا إلى مناهج ونظريات متكاملة وأنظمة تعليمية، ولم تسـيطر على الوعي العام للمجتمعات، لأن أمامها حصن حصين وسد منيع يصدها ويعرقل حركتها ويوقف تمددها، ألا وهو الوحي ومركزية مسألة الألوهية والخلق فيه، وهو المكون الأساسي في وعي الشــرق وبناء أذهان أهله ونفوســهم، والدول والحكام يحكمون باســمه وشــريعته، وشرعيتهم مستمدة من الحكم به، ومن خلافة النبي المرسل به، ومن القوامة على أمته والتاريخ الذي تكون به وبدأ منه.

أما الغرب، فقد ازدهرت فيه الحركات الســـرية ونمت وترعرعت معتقداتها القبالية وأفكارها الوثنية والباطنية، وتحولت الى مناهج ونظريات وفلســـفات، وإلى مدارس وجامعات، وامتزجت بما أنتجه من علوم وآداب وفنون، بسبب خلاء الغرب من الوحي ومعياره وميزانه وبرهان مصــدره الإلهي، وبســبب إطاحة الحركات الســرية بالكنيســة والمســيحية من الغرب وحلولها محلها، مصــدراً لوعي الغرب وموجهاً لمســاره وحاكماً لمسيرته وصانعاً لمعتقداته وأفكاره الكبرى.

فإليك نموذجاً من الشــرق، على عقيدة التطور بجميع أركانها وفرضــياتها وطريقتها في البرهان، قبل أن تنتقل للغرب مع الحركات السرية، وقبل أن يلبسها تشارلز دارون بالشواهد والمصطلحات العلمية ويحولها إلى نظرية علمية بيولوجية بألف سنة.

إذا كنت قد رجعت إلى كتابنا: **الحركات الســرية في الشــرق والتطور البيولوجي،** فلابد أنك تعلم الآن أن جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا، التي ظهرت في البصرة وما حولها أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، هي فرقة من الشيعة الإسماعيلية، وإحدى فروع التنظيم الســري الذي أنشــأه عبد الله بن ميمون بن دَيصـــان القداح في فارس، أواخر القرن الثالث الهجري، وهو من اليهود الأخفياء، ونســـب نفســـه وأبناءه

لمحمد بن إسـماعيل بن جعفر الصــادق، وصــيَّرهم بهذا النسـب أئمة، وصــنعوا بهذا النسب الدولة العبيدية الفاطمية.

وتنظيم إخوان الصفا كان يتكون من أربع درجات أو مراتب، وينقسم إلى مجالس أو مجموعات ســـرية، فأما الدرجات أو المراتب الأربعة، **فالأولى**، هي مرتبة الإخوان الأبرار الرحماء، وهي للأعضـاء المبتدئين من سن الخامسة عشرة إلى الثلاثين، وهي التي يتم حشد عموم البشر فيها بالشعارات الجذابة وإغواؤهم بالأفكار الخلابة عن ترقية النفس وتهذيب السلوك، ومزج العقائد والشرائع بالفلسفة والعلوم الطبيعية، والعمل على تآخي البشـــر جميعاً من خلال مزج الأديان كلها في دين واحد، وهذه الدرجة تقابل درجة الصــــبي أو المبتدئ في الماســـونية Apprentice، **والمرتبة الثانية**، مرتبة الإخوان الأخيار الفضـــلاء، وهم رؤســـاء المرتبة الأولى، ممن بلغوا ســـن الثلاثين، **والمرتبة الثالثة**، هم الإخوان الفضـــلاء الكرام، الذين بلغوا أربعين ســـنة، وهم الذين يعرفون نـاموس التنظيم معرفـة كـاملـة مطـابقـة لـدرجتهم، وهم أربـاب الأمر والنهي والفصـــل بين الأعضـــاء في التنظيم، والمســؤولون عن نشــر التنظيم وأفكاره، وتجنيد أعضـــائه، ومواجهة خصـــومه، وهي تقابل درجة الأســـتاذ في الماســـونية Master، **والمرتبة الرابعة**، هم من بلغوا ســـن الخمســين من الأعضـــاء، فيصـــيرون في مرتبة الملائكة ويشـــاهدون الحق عِياناً، وهي بمواصـــفاتها هذه تقابل الدرجة الســـامية في الطقس الاســكتلندي من الماســونية Sublime، وهي الدرجة الثالثة والثلاثون، درجة القائد والمفتش الأعظم Grand Inspector Inquisitor Commander.

وأما مجالس تنظيم إخوان الصــفا،، فلم تكن ســوى خلايا ومحافل ســرية نموذجية، لتجنيد الأعضــاء وإعادة تكوينهم بمعتقدات إخوان الصــفا وأفكارهم، فكانت المجموعات تلتقي في الخفاء، وكل مجموعة تتكون من أعضـــاءٍ ولها رئيس، يعرفهم ولا يعرفونه ولا يعرفون عنه ســـوى أنه الداعي، ويطيعونه طاعة مطلقة، وبخلاف هذا الرئيس الداعي فكل مجموعة لا علم لها بالخلايا أو المجالس والمجموعات الأخرى، ومهمة الداعي أن

يعيد تكوين أعضـاء المجموعة وتربيتهم على عقائد إخوان الصـفا وغاياتهم، من خلال تلقينهم رسـائل إخوان الصـفا وشـرحها لهم، ويجب على الرئيس أن يعقد مجلسـه أو مجموعته كل اثني عشر يوماً.

ورسـائل إخوان الصـفا، التي كان يتم تلقينها لأعضـاء التنظيم، فصـلاً بعد فصـل، ورسالة بعد رسالة، ولا ينتقل الداعي إلى فصل ولا رسالة إلا بعد أن يتشبع أفراد الخلية بالتي قبلها، رسـائل إخوان الصـفا تحوي عقيدة التطور كاملة، بجميع أركانها وفرضـياتها، بل وبالشـواهد من الطبيعة التي كانت متاحة للتنظيم في زمانه، غير أنها كانت تُسرب في عقول أعضـاء التنظيم مموهة في آيات القرآن، ومفرقة داخل الرسائل وليست مجموعة في موضع واحد.

فإليك الخطوة الأولى نحو تسريب عقيدة التطور البيولوجي في أعضاء إخوان الصفا ومن تخاطبهم الرسائل، في فصل: رسالة النبات، من الرسالة الحادية والعشرين:

"اعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروحٍ منه، أنه لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية، وبينَّا طرفاً من كيفية تكوينها، وكمية أجناسـها، وفنون أنواعها، وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا، وبينَّا فيها أن آخر مرتبة الجواهر المعدنية متصـلة بأول مرتبة الجواهر النباتية، فنريد أن نتبعها برسـالة النبات ونبين فيها أيضاً طرفاً من كيفية سريان القوى الثابتة فيها، والغرض منها تعليل أجناس النبات وكيفية تكوينها ونشـوئها، وأسـباب اختلاف أنواعها من الأشـكال والألوان والطعوم والروائح، وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبذورها ونموها، وعروقها وقضـبانها وأصـولها من المنافع، فإن أول مرتبة النبات متصـلة بأول مرتبة الحيوانية، وآخر مرتبة

الحيوانية متصلة بأول مرتبة الإنسانية، وآخر مرتبة الإنسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السموات وقاطنو الأفلاك"[1].

ورسالة النبات، كما ترى، في بيان ترتيب الوجود، من الأدنى إلى الأرقى، من الجواهر المعدنية الجامدة، إلى النبات، إلى الحيوان، إلى الإنسان، إلى الملائكة، فغلاف الرسالة الظاهر أنها في تصنيف الأنواع أو ترتيب المخلوقات، ولكن داخل هذا الغلاف ستجد أن الرسالة وصلت كل مرتبة بالتي تليها وجعلت آخر إحداهما أولاً للأخرى، وهو ما يعني ضمناً أن أفراد كل مرتبة متصلون هم أيضاً، وأن كل نوع في مرتبة متصل بسابقه ولاحقه، فكأن الوجود والمخلوقات كلها حلقات متصلة في سلسلة واحدة، أو درجات في سلم واحد، وكل درجة تصعد للتي فوقها، وليست أنواعاً منفصلة ومستقلة عن بعضها.

فغرض الرسالة الحقيقي ليس مجرد ترتيب المخلوقات، بل جعل هذا الترتيب وسيلة لتسريب عقيدة اتصال المخلوقات وخروجها من بعضها.

ثم هاك الخطوة الثانية، في فصل: في أن النبات متقدم الكون والوجود، من الرسالة الثانية والعشرين، رسالة: كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها:

"ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان، لأنه مادة لها كلها، وهَيولي لصورها، وغذاءٌ لأجسادها، وهو كالوالدة للحيوان، أعني النبات، وذلك أنه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الأرض بعروقه إلى أصوله،

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٢٨، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها: مصطفى محمد، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

ثم يحيُلها إلى ذاته، ويجعل من فضـــائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضـــيجاً، ويتناول الحيوان غذاءًا صافياً هنيئاً مريئاً"[١].

فهنا، كما ترى، لم تعد المسألة ترتيب المخلوقات، ولا حتى اتصال أفراد كل مرتبة، واتصال آخر كل مرتبة بأول التي تليها، فالرسالة تخبرك أن النبات متقدم الوجود زماناً على الحيوانات، ليس فقط لأنه غذاء لأجســـامها، بل وقبل ذلك لأن النبات هيولي لصور الحيوان، أي أن الحيوانات قبل أن تتشكل أجسامها المادية في المرحلة الأخيرة من الفيض، كان جوهرها وصـــورتها موجودين داخل النبات في مرحلة الهيولي، أو بعبارة أبسط وأوضح، الحيوانات تشكلت أجسامها وخرجت من صورتها التي كانت كامنة في النبات، وكذلك علاقة الإنســـان بالنبات، وعلاقة النبات نفســـه بالتراب والجوامد، فجميعها كانت صوراً يحتويها أصل واحد، وخرجت منه.

والهيولي تعريب لكلمة هِيّو الإغريقية **Yλo**، والمعاجم العربية تضـبطها بفتح الهاء وضم الياء مخففة ومشددة، هَيُولي وهَيُّولي، ومعناها مادة أولية ليس لها جسم ولا شكل ولا صورة وتقبل التشكيل، فإذا تشكلت أنتجت صور الأشياء وأجسامها.

يقول الشـــريف زين الدين علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى ســـنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، في كتابه: التعريفات، وهو معجم في تعريف مصـــطلحات العلوم والفلسفة والنحو وعلم الكلام المستخدمة حتى القرن الثامن الهجري:

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٥٤.

"الهيولي: لفظ يوناني، بمعنى الأصـــل والمادة، وفي الاصـــطلاح هي جوهر في الجســم قابل لما يعرض لذلك الجســم من الاتصــال والانفصــال، محل للصــورتين الجسمية والنوعية"[1].

ويقول المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة:

"الهَيولي، بضم الياء مخففة أو مشددة: مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسـي، والحديد للمسـمار، والقطن للملابس القطنية، وعند القدماء مادة ليس لها شكل ولا صـورة معينة قابلة للتشكيل والتصـوير في شـتى الصـور ... والمادة كلها معربة"[2].

وهاك الرسالة الخامسة عشرة، وعنوانها: في بيان الهيولي والصورة والحركة والزمان والمكان، تعرفك بالهيولي عند إخوان الصفا:

"ثم اعلم أن الأجســــام كلَّها جنس واحد من جوهر واحد وهيولي واحدة، وإنما اختلافها بحسب اختلاف صورِها، ومن أجلها صار بعضها أصفى من بعض وأشرف ... وذلك أن الياقوت أصـفى من البِلَّور وأشـرف منـه، وأن البِلّور أصـفى من الزجاج وأشـرف منه، والزجاج أصـفى من الخزف وأشـرف منه، وكذلك الذَّهب أشـرف من الفضة وأصفى منها، والفضُة أصفى من النحاس وأشرف منه، والنحاس أصفى من الحديد وأشـــرف منه، وكلها أحجار معدنية أصُـــلها كلها الزئبق والكِبريت، والزئبق والكِبريت أصُـــلهما التراب والماء والهواء والنار، فهيولاها واحد، وصـــورها مختلفة،

---

١) الشـــريف علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني: التعريفات، ص١١٣، المطبعة الخيرية، بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

٢) مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوســـيط، ص١٠٠٤، الطبعة الرابعة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

وكذلك حكم الحيوان والنبات، فإنهما بالهيولي واحد، وإن اختلافها وشـرف بعضِـها على بعض بحسبِ اختلاف صورِها"[1].

فالنبات والحيوان والإنسـان، وهو أرقى الحيوانات، كما تصـفه الرسـائل، جميعها خرجت من هيولي أو أصـل واحد، كما خرجت المعادن كلها من هيولي وأصـل واحد، وثمة هيولي سابق على هذا وذاك يجمعهما معاً، وهو أصـل جميع الموجودات، جماداً ونباتاً وحيواناً.

ثم ها هي الخطوة الثالثة والركن المحوري في عقيدة التطور والأصـل الواحد للمخلوقات، في الرسالة الخامسة والعشرين، رسالة: مسقط النطفة:

"واعلم يا أخي بأن الكائنات التي تحت فلك القمر تبتدئ من أنقص الحالات وأدونها مترقية إلى أتمها وأفضـلها، ويكون ذلك في مر الزمان والأوقات، لأن طبيعتها لا تقبل فيض أشـخاص فلكية دفعة واحدة، ولكن شـيئاً بعد شـيء على التدريج"[2].

وفي فصـل في أن النبات متقدم الكون والوجود، من الرسـالة الثانية والعشـرين، رسالة: كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها، أنه:

"ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصـة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان في بدء الخلق، وذلك أنها تتكون في زمان قصـير، والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها"[3].

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٦.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص٣٦١-٣٦٢.

٣) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٢، ص١٥٤.

والركن المحوري في عقيدة التطور البيولوجية، كما ترى في رسائل إخوان الصفا، هو انتقال الكائنات ذاتياً وبالتدريج من طور إلى طور، وإدخال الزمان فاعلاً في هذا الانتقال وظهور المخلوقات محل الخلق والإرادة الإلهية، لإزاحتها والاستغناء عنها في التفسير.

وهذه هي آخر مرتبة الجمادات وأول مرتبة النبات، وحلقة الوصل بينهما، في فصل: نظام الوجود والبقاء، من الرسالة الرابعة والثلاثين، وعنوانها: في معنى قول الحكماء إن الإنسان عالم صغير:

"وأما النبات، فأقول إن هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعدن كما بينَّا في رسالة المعادن، وآخره بالحيوان أيضاً، بيان ذلك أن أول مرتبة النباتية وأدونها مما يلي التراب، وهو خضراء الدمن، ليس بشيء سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجار، ثم يصيبه بلل الأمطار وندى الليل، فتصبح بالغدوات خضراء كأنها نبت زرع وحشائش، فإذا أصابها حر الشمس نصف النهار رجعت، ثم تصبح من غد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم، ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن إلا في أيام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما، لأن هذا معدِنه نباتي، وذلك نبات معدِني"[1].

وهاك كيف تدرج النبات وصار حيواناً، وحلقة الوصل بينهما، في فصل: أن أول مرتبة من الحيوانية متصلة بآخر النبات، من الرسالة الرابعة والثلاثين:

"وأما النخل فهو آخر مرتبة النباتية مما يلي الحيوانية، وذلك أن النخل نبات حيواني، لأن بعض أفعاله وأحواله مباين لأحوال النبات، وإن كان جسمه نباتاً، بيان ذلك أن القوة الفاعلة فيه منفصلة من القوة المنفعلة، والدليل على ذلك أن أشخاص

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٢.

الفحولة منه مباينة لأشـخاص الإناث، وللفحولة من أشـخاصـه لقاح في إناثها كما يكون ذلك في الحيوان، وأما سائر النبات فإن القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشـخص، بل بالفعل، وأيضـاً، فإن النخل إذا قطعت رؤوسـها جفت وبطل نموها ونشـــوؤها وماتت، وكذلك موجود في الحيوان، فهذا الاعتبار يبين أن النخل نبات بالجسم، حيوان بالنفس، إذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية، وشكل جسمه شكل نباتي"[١].

وهذه هي مراتب الحيوانات، من أقلها مرتبة، وهو ما يلي النبات مباشـــرة، إلى أرقاها، وهو حلقة الوصل بين الحيوان والإنسان:

"فأدون الحيوان وأنقصـه هو الذي ليس له إلا حاسـة واحدة فقط، وهو الحلزون، وهي دودة في جوف أنبوبة، تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة، وتنبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يتغذى بها جسمها، فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليه، فإن أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الأنبوبة، وليس لها سـمع ولا بصـر ولا شـم ولا ذوق إلا اللمس فحسـب، فهذا حيوان نباتي، لأنه ينبت جســـمه كما ينبت بعض النبات ويقوم على ســـاقه قائماً، وهو من أجل أنه يحركه حركة اختيارية حيواني، ومن أجل أنه ليســـت له إلا حاســـة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة في الحيوانية ... فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي الإنسـانية ليسـت من وجه واحد ولكن من عدة وجوه، وذلك أن رتبة الإنسـانية لما كانت معدن الفضـائل وينبوع المناقب لم يسـتوعبها نوع واحد من الحيوان، ولكن عدة أنواع، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورة جسده مثل القرد، ومنها بالأخلاق النفســـانية كالفرس في كثير من أخلاقه، ومثل الفيل في ذكائه، وكالببغاء والهزار

---

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٣.

ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصــوات والألحان والنغمات، ومثل ذلك النحل اللطيف الصــــنائع ... وهذه الحيوانات في أخر مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الإنســـان لِما يظهر منها من الفضـــائل الإنســـانية، وأما باقي أنواع الحيوانات ففيما بين هاتين المرتبتين"[1].

والإنسان حيوان، وإن كان أرقى الحيوانات، كما تخبرك الرسالة السابعة والأربعون، في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والإلهيين:

" وأن أتم الحيوانات هيئة، وأكملها صورة، وأشرفها تركيباً هو الإنسان"[2].

ومعتقدات إخوان الصـفا ورسـائلهم، كما ترى، هي نفسـها الداروينية ونظرية التطور البيولوجية، وتحويها بجميع أركانها وعناصـــرها، كما ظهرت بعد أن طورتها الحركات السـرية في الغرب، وبعد أن اكتملت في الداروينية ولبسـها الماسـوني تشـارلز دارون بالشـواهد وزخرفها المصـطلحات العلمية، وهذه الأركان والعناصـر هي اشـتراك جميع الكائنات والموجودات في أصـــل واحد، خرجت جميعها منه، وخروج الأرقى ذاتياً من الأدنى، ووجود حلقات وصـــل وانتقال بين الجماد والنبات والحيوان والإنســان، وإدخال الزمان فاعلاً في هذا الانتقال وظهور المخلوقات محل الخلق والإرادة الإلهية.

وهنا ننبهك إلى مســألة في رســائل إخوان الصــفا، ينبغي أن تكون على وعي بها، وأن تصـــــحبها معك وتظل واعياً بها، وأنت تنتقل معنا إلى الداروينية وعقيدة التطور البيولوجية في الغرب الذي صنعته وركبته الحركات السرية.

١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٣، ص٢٢٤-٢٢٥.

٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج٤، ص١٧٨.

وهذه المسألة، هي أن ثمة فكرتين تبدوان متشابهتين أو كأنهما مسألة واحدة، ولكن بينهما مع هذا التقارب فارق واختلاف، وعموم الأميين شـرقاً وغرباً، حتى من العلماء، يخلطون بينهما، ومن يقبل مسـألة منهما أو يرفضـها يُلحق بها الأخرى تلقائياً، فيقبلها أو يرفضـها معها، بينما الصـواب والعلم الحقيقي هو التمييز بين المسـألتين والفصـل بينهما، وأن يكون لكل واحدة منهما حكم غير الأخرى.

فالفكرة الأولى، هي ترتيب الكائنات أو المخلوقات في درجات، أو في سُـــلم، من الأدنى إلى الأعلى، حســـب درجة البســـاطة والتركيب في تكوينها وعدد أعضـــائها ووظائفها، وحسـب وسـائلها وقدرتها على الإدراك، وأن الموجودات جميعها في مراتب، وكل مخلوق يوجد مخلوق أدنى منه في التركيب والوظائف والخصـــائص، وآخر أرقى منه، فهذه المسألة تدخل في العلم المجرد، ومن وسائل معرفة الوجود والمخلوقات وفهم خصـائصـها ووظائفها ومنافعها وتوظيفها أو تسـخيرها، ولا تعارض بينها وبين مسـألة الألوهية وعقيدة الخلق الإلهي، وبتعديل مصـطلحات دارون والدارونيين، يمكن تسـمية هذه المسألة: **تصنيف الأنواع** أو المخلوقات.

والفكرة الأخرى التي تلتبس بمســـألة ترتيب المخلوقات وتصـــنيف الأنواع، ويخلط الأميون بينهما، هي **أصل الأنواع،** وأن كل مخلوق في هذا الترتيب أو التصنيف خرج من الأدنى، وهو أصل للأرقى، وأنها جميعاً خرجت من أدنى مخلوق في السلم تلقائياً، وبتراكم الصدف وفعل الزمن، دون إرادة ولا خلق إلهي.

والقباليون والحركات السـرية شـرقاً وغرباً، وفي كل العصـور، إحدى اسـتراتيجياتهم الرئيسـية لإضـلال البشـر، لبس الحق بالباطل في كل فرع من فروع المعرفة، وتمرير معتقداتهم في النظريات العلمية، ومن ذلك، كما رأيت في رسـائل إخوان الصـفا، أنهم كانوا يتعمدون الخلط والدمج بين مسـألة تصـنيف الأنواع وترتيب المخلوقات ومسـألة أصل الأنواع وخروج المخلوقات من بعضها وخروجها جميعاً من أصل واحد، من أجل

تسريب عقيدة التطور في بطن مسألة تصنيف الأنواع ، لكي تكون من أدواتهم في بث عقيدة أزلية الكون والمخلوقات، وزعزعة مســـألة الألوهية وعقيدة الخلق الإلهي، وتقديم تفسير للوجود يمكن الاستغناء فيه عن الإله والخلق.

ولذا تلقفت الحركات السرية والجمعيات القبالية نظرية الماسوني تشارلز دارون عن التطور والانتخاب الطبيعي، وجعلتها من صلب معتقداتها وتعاليمها وما تربي عليه أعضاءها ومن يقعون في حبائلها.

فإليك نموذجاً من القبالية الإنجليزية اليهودية أليس بيلي Alice Baily، الأم الروحية لحركة العهد الجديد New Age Movement، والتلميذة النجيبة للقبالية الأوكرانية هيلينا بلافاتسكي Helena Blavatsky، مؤسسة جمعية الثيوسوفي أو الحكمة الإلهية Theosophical Society.

في كتابها: الإنسان والمعرفة والنظام الشمسي Human, Initiation, And Solar، الذي أصدرته من دار النشر التي أسستها وتملكها، دار نشر لوسيفر Lucifer Publishing Co.، ولوسيفر هو الشيطان، تقول أليس بيلي:

"عندما وصلت مملكة الحيوان إلى مستوى نسبي من التطور، كان الإنسان الحيوان Animal Man موجوداً على الأرض بالفعل، وكان كائناً ذا جسد قوي، ومشاعر بدائية، وفيه بذرة عقل ضامر Rudimentary Germ Of Mind، تصلح لأن تكون نواة لعقل كامل، وفي النهاية خرج الإنسان الحيوان من مملكة الحيوان إلى مملكة الإنسان وقد امتلك العقل والوعي بذاته، ولكن كيف حدث ذلك، هذا ما يمكن إثباته وجمع الأدلة عليه بدراسة قبائل البوشمن/الأحراش Bushmen في إفريقيا"[1].

---

1) Alice Baily: Initiation, Human And Solar, P31, Lucifer Publishing Co., 135 Broadway, New York, 1922.

ونحسب أنك قد انتبهت أن عقيدة التطور ليست فقط لُب ما قالته القبالية أليس بيلي، بل ومن أدلتها عليها، أن جعلت الإنسان في إفريقيا حلقة وسيطة بين الحيوان وبين الإنسان الأوروبي الأبيض، وسوف تعرف في باب: **الإنسان،** وهو آخر أبواب الكتاب، أن الماسوني تشارلز دارون حوَّل أجناس البشر وشعوبهم إلى أنواع فرعية مختلفة داخل نوع الإنسان، الذي هو عنده حيوان من ذوات الأربع ومن سلالة القردة، وهو الذي قال إن الإنسان نشأ من القرد في إفريقيا، وأن الإنسان الإفريقي الأسود نوع فرعي وسيط بين القرد وبين النوع الفرعي الأوروبي الأبيض.

ولولا أننا لا نريد أن نخرج بك من العلوم، لأتيناك بنماذج لا حصر لها على كيف تحولت نظرية الماسوني تشارلز دارون عن الانتخاب الطبيعي والبقاء للأقوى أو الأصلح، إلى فلسفة وذريعة لغزو الإمبراطوريات الماسونية الأوروبية لبلدان آسيا وإفريقيا ونهبها واستعباد شعوبها!



الماسوني ابن الماسوني ابن الماسوني تشارلز دارون

والآن ننتقل بك من أصــل عقيدة التطور في الشــرق، إلى الغرب، وقد أخبرناك في بعض كتبنا أنه من الشائع في تاريخ البشر، أن تتدفق الضلالات وتشيع عبر الأزمان وتسير شرقاً وغرباً وتسري في أدمغة الأميين في مختلف الأمم، ومنهم من يفلسفها، أو يطورها ويبني عليها، أو يلفق لها الشــواهد ويزخرفها بالمصــطلحات العلمية، ثم تندلع المعارك عند مصـباتها بين من يناصـرونها ومن يعارضـونها، ونقض هذه الضــلالات ليس في نقدها ومناقشة أدلتها وتفنيدها، ولا بالدخول في معارك حول نواتجها وإفرازاتها، بل في كشف أصولها ومنابعها التي تدفقت منها، وبيان حقيقة من أنتجوها ودوافع من قاموا ببثها.

ولذا، قبل أن تعرف حقيقة نظرية التطور، وما تحفل به من فرضـــيات مســـتحيلة وتخمينات لا دليل عليها، ومن تلفيق وتزوير، ومن تناقض مع بديهيات العقل، ومع حقائق العلوم الطبيعية نفســـها، وأهم من ذلك كله، يجب أن تعرف أولاً البيئة والأجواء التي أنتجت تشـــارلز دارون وصـــنعت بناءه الذهني والنفســـي، وغرســـت فيه عقيدة التطور، ودفعته لجمع الشـــواهد والعمل على إثباتها وتحويلها إلى فرضـــية بيولوجية علمية.

ولكي تعرف تشـــارلز دارون يجب أن تعرف المبتكر الحقيقي لنظرية التطور في الغرب، والذي وضع جميع فرضياتها وأركانها، وأول من زعم أنها نظرية علمية لتفسير وجود المخلوقات، ثم جاء تشارلز دارون، فكان عمله أنه جمع لها الشواهد وزينها بها، وليس أنه ابتكرها أو اكتشـفها أو حتى اسـتلهمها من هذه الشـواهد، كما يوهمونك في كتب العلوم، لأنها كانت موجودة فعلاً وقائمة بجميع عناصرها من قبله.

والمبتكر الحقيقي لنظرية التطور البيولوجية في الغرب، هو إرازموس دارون، جد تشارلز دارون، وقد وضع كتاباً من جزئين في بيان النظرية وأدلتها، عنوانه: مملكة الحيوان أو قوانين الحياة العضوية Zoonomia Or The Laws Of Organic Life، ونشره في ثلاثة أجزاء بين عام ١٧٩٤م وعام ١٧٩٦م، قبل أن يولد حفيده تشارلز دارون سنة ١٨٠٩م بثلاثة عشر عاماً، وقبل أن يضع كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection سنة ١٨٥٩م بثلاثة وستين عاماً.

وإرازموس دارون Erasmus Darwin ولد سنة ١٧٣١م، ودرس الطب في إدنبره Edinburgh في اسكتلندا، دون أن يحصل على شهادة عليا فيه، وكان يهوى كتابة الشعر، وله مؤلفات في الفلسفة الطبيعية، وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على العلوم الطبيعية، وفي سنة ١٧٦٥م اشترك مع مجموعة من أصدقائه في تأسيس جمعية القمر Lunar Society، في برمنجهام.

وأصدقاء إرازموس دارون الذين اشتركوا معه في تأسيس الجمعية هم رجل الصناعة ماتيو بولتون Matthew Boulton، وصانع الساعات والجيولوجي اليهودي جون وايتهيرست John Whitehurst، وجمعية القمر كانت تضم صفوة من علماء الطبيعة والأطباء في إنجلترا، وأشهرهم الكيميائي جوزيف بريستليJoseph Priestley، ومخترع المحرك البخاري جيمس وات James Watt، وإرازموس دارون نفسه، وكانوا يجتمعون مرة كل شهر عند اكتمال القمر بدراً، من أجل توثيق الصلات بينهم، وتبادل الآراء في المسائل العلمية والفلسفية، وكان تأسيس الجمعية تحت إشراف صديق إرازموس دارون الحميم، الأمريكي بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin، وتحظى برعايته، وهو مخترع مانعة الصواعق وأحد آباء الولايات المتحدة الأمريكية والموقعين على وثيقة استقلالها وعلى دستورها.

وفي سـنة ١٧٨٤م أسـس إرازموس دارون الجمعية الفلسـفية في إنجلترا Philosophical Society، وهي الجمعية التي وضع دارون الجد فيها بذور نظرية التطور ورواها، ليستكمل العناية بها وإخراج ثمرتها كاملة دارون الحفيد، ثم كانت هي التي تولت نشر النظرية والدعاية لها.

ونظَم إرازموس دارون عدة قصائد عن فكرة تطور النباتات والحيوانات من أصل واحد، وكان آخر هذه القصائد وأكثرها نضوجاً بفكرة الأصل الواحد الذي خرجت منه المخلوقات جميعها ثم تطور كل منها من الآخر، قصيدته: هيكل الطبيعة The Temple Of Nature، التي نظمها سنة ١٨٠٣م، ووضع فيها خلاصة نظريته عن التطور، وكان قد شرح قبلها النظرية في باب: التناسل Generation من كتابه: مملكة الحيوان أو قوانين الحياة العضوية الذي نشره، كما أخبرناك، في ثلاثة أجزاء بين عامي ١٧٩٤م و١٧٩٦م.

وفي كتابه وقصيدته وضع إرازموس دارون أصول نظرية التطور وأسسها وفرضياتها كاملة، وهو الذي صاغ جميع مصطلحاتها التي أخذها تشارلز دارون وكررها في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، ونسبت له، وهي خروج الكائنات من أصل واحد، ثم تطورها باكتساب الصفات وتوريثها، وإدخال الزمان الطويل وتراكم الصدف فاعلاً في ظهور الأنواع محل الخلق الإلهي.

فإليك أولاً أول فقرة في الباب الأول من قصيدة إرازموس دارون، وفي القصيدة كلها، وعنوان الباب: إنتاج الحياة Production Of life:

"بقوانين ثابتة خالدة، فرضها على الطبيعة السبب الأول العظيم، أعني ميوز Great First Cause, Say Muse، نشأت الأشكال العضوية من تفاعل العناصر

واشتعلت فيها شرارة الحياة Rose From Elemental Strife Organic Forms, And Kindled Into Life"[١].

وكما ترى، الأشكال العضوية في الأرض نشأت عند إرازموس دارون من تفاعل العناصر، واشتعلت فيها شرارة الحياة تلقائياً.

أما السبب العظيم فهو التعبير الذي كان يستخدمه الطبيعيون أو أصحاب المذهب الطبيعي Naturalists بديلاً عن الإله الخالق، وهم من يؤمنون بوجود موجود أعلى ولكن دون وحي ولا إرشاد، ودون أن يكون له علاقة بالكون والطبيعة، فهي التي خلقت نفسها وتدير نفسها، وهو عقيدة إرازموس دارون وأسرته وعلماء إنجلترا قاطبة في عصره.

ولكيلا تتوهم أن السبب العظيم الذي يعنيه إرازموس دارون هو الإله الخالق واجب الوجود في الديانات الكتابية، فقد نبهك هو نفسه إلى أنه الميوز، وهو اسم كل ربة من ربات الفنون التسع في الأساطير الإغريقية، وقصيدته تمتلئ بأسماء الآلهة في هذه الأساطير، وبأسماء بعض ربات الفنون التسع، خصوصاً ربة علم الفلك والتنجيم أورانيا، التي وضع صورة تمثالها على غلاف القصيدة، وذكرها بصفتها واسمها: ميوز أورانيا Muse Urania، في ثماني مواضع من قصيدته.

وفي الفقرة الخامسة، من الباب الأول نفسه، يقول إرازموس دارون:

"الحياة العضوية وُلدت تحت الأمواج التي لا شطآن لها Shoreless Waves، واحتضنتها كهوف المحيط اللؤلؤية Ocean Pearly Caves، وأول الكائنات الدقيقة التي لا يمكن رؤيتها بالعدسات الزجاجية تتحرك على الطين، وتخترق الكتلة المائية، ومع تعاقب الأجيال وازدهارها اكتسبت قوى جديدة وأطرافاً أكبر، فنشأت مجموعات لا حصر لها من النباتات، وكائنات تتنفس من ذوات الزعانف والأقدام والأجنحة

---

1)Erasmus Darwin: The Temple Of Nature, A Poem, With Philosophical Notes, P3, Printed For J. Johnson, In ST. Paul's Church-Yard, By T. Bensley, London, 1803.

Breathing Realms Of Fin, And Feet, And Wing، وكذلك شجرة البلوط عملاق الغابة، والحوت، الوحش الذي لا يمكن قياسه، والأسد المهيب ملك السهول، والنسر المُحلق في عوالم الهواء، الذي يحدق في الشمس ولا يبهر وهجُها عينيه، والإنسان المتسلط الذي يحكم هذا الحشد من الوحوش، ويفخر باللغة والعقل، ويرفع حاجبه متكبراً، ويصور نفسه على أنه صورة من إلهه، نشأ من الكائنات البدائية في شكلها وحواسها، النقطة الجنينية أو الكائنات الميكروسكوبية Arose From Rudiments Of Form And Sense, An Embryon Point, Or Microscopic Ens"[١].

وكما ترى، أنت أمام مقطوعة شعرية تحوي نظرية التطور كاملة، ظهور الحياة والكائنات الحية الدقيقة تلقائياً من الجماد أو تفاعل العناصر المادية، ثم ازدهارها أو تحسنها مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، واكتسابها صفات جديدة، وتكيف أعضائها، ونشوء أنواع جديدة بهذا التكيف، وخروج المخلوقات جميعها، على اختلافها وتنوعها، من أصل واحد، هو العناصر المادية والكائنات الحية الدقيقة، من أول النبات والشجر، مروراً بذوات الزعانف والأجنحة والحيوانات، وصولاً إلى الإنسان العاقل الناطق، الذي خشي إرازموس دارون أن يتوهم من يقرؤون قصيدته أنه خارج أوهام التطور التي يعتنقها فأفرده بعبارة وحده، ونص فيها نصاً على أنه نشأ من الكائنات الميكروسكوبية الدقيقة والبدائية التي ظهرت فيها الحياة من الطين في كهوف المحيط وتحت أمواجه العميقة.

وقد تقول: هذه قصيدة من الشعر، وثمة فجوة واسعة بين خيال الشعراء وتعبيراتهم الفضفاضة وبين النظريات العلمية ومصطلحاتها وأدلتها وبراهينها؟

فإليك فقرات من باب: التناسل، في كتاب إرازموس دارون العلمي: مملكة الحيوان أو قوانين الحياة العضوية:

1) The Temple Of Nature, A Poem, With Philosophical Notes, P26-27.

"عندما نتأمل في التشابه الكبير في التركيب بين جميع الحيوانات ذوات الدم الحار، وفي رباعيات الأقدام والطيور والحيوانات البرمائية، وكذلك في البشر، من الفأر والخفاش إلى الفيل والحوت، نستنتج أنها جميعاً قد نشأت من شُعيرة حية واحدة One Living Filament، وفي السائل المنوي اكتسبت هذه الشعيرة مع تطورها نحو النضج أيادٍ وأصابع ذات حاسة لمس دقيقة، كما هو الحال لدى البشر، وفي غيرهم اكتسبت مخالب، كما هو الحال لدى النمور والنسور، وفي البعض الآخر اكتسبت أصابع القدم أغشية، كما في الفُقمات والإوز، أو حوافر مشقوقة، كما في الأبقار والخنازير، أو حوافر كاملة، كما في الحصان. بينما في نوع الطيور أنتجت هذه الشعيرة الحية الأصلية أجنحة بدلاً من الأذرع والأرجل، وريشاً بدلاً من الشعر، وفي بعضها برزت قرون على الجبهة بدلاً من الأسنان في الجزء الأمامي من الفك العلوي، وفي آخرين تكونت عظام بدلاً من القرون، أو مناقير بدلاً من أي منهما، ثم استمرت هذه التغيرات في كل نوع من الأنواع وانتقلت إلى أنسالهم وأجيالهم اللاحقة Continued To Their Posterity"[١].

فهذا العقل المختل والبناء الذهني والنفسي المشوه، رأى التشابه بين تركيب الحيوانات والمخلوقات وأعضائها، فاستنبط من ذلك أنها من أصل واحد، وخرج بعضها من بعض، بدلاً من البديهة الواضحة والمعنى المستقيم، وهو أنها متشابهة لأن مصدرها وخالقها واحد، وهو بالضبط مثل أن ترى أجهزة ذات أحجام مختلفة وتؤدي وظائف ومهاماً متعددة، مثل الخلاط والثلاجة والغسالة والبوتاجاز والمكواة، وتتشابه في بعض مكوناتها والعلامات والأختام التي وضعت عليها، فتضع نظرية في أنها تطورت وحدها من ترس

---

1) Erasmus Darwin: Zoonomia, Or The Laws Of Organic Life, Vol. 1, P502-503, Printed For R J. Johnson, In ST. Paul's Church-Yard, London, 1794.

واحد، وخرج بعضها من بعض تلقائياً، بدلاً من البديهة السليمة، وهي أنها خرجت من نفس المصنع وصانعها واحد.

وبالإضافة إلى ذلك، فما قاله إرازموس دارون، وحفيده تشارلز من بعده، كلام ساذج وعبيط، ولا علاقة له أصلاً بالعلم الطبيعي والبيولوجيا الحقيقية، لأن ظهور الأعضاء المختلفة في كل مخلوق وما تؤديه من وظائف وتكاملها معاً في أدائها، يحكمها برنامج وشفرة من المعلومات ونظام شديد الدقة والتعقيد داخل الخلايا والجينات، وليست مجرد استجابة ظاهرية عشوائية من الأعضاء للمؤثرات والبيئة الخارجية، ولا يمكن أن يظهر عضو في مخلوق أو تتغير وظيفته، إلا إذا تغير البرنامج وشفرة المعلومات أولاً، وكان هذا التغيير مقصوداً به ظهور هذا العضو ومنضبطاً على القدر الذي يظهر به ويؤدي وظيفته.

وإرازموس دارون وحفيده تشارلز لم يكن عندهم علم بتركيب الخلية الحية ومكوناتها وتعقيدها الهائل، ولا بالجينات والأحماض النووية وشفرة المعلومات التي تحويها، والنظام فائق الدقة الذي تتحول من خلاله شفرة المعلومات إلى بروتينات حيوية وخلايا وأعضاء وتحدد لكل خلية وعضو وظيفته وتنسق بينها جميعاً، ومن جاؤوا بعدهم واكتشفوا ذلك تابعوهم، فقط لأن التطور عقيدتهم التي يؤمنون بها، وفرع من عقيدتهم الأصلية والمسلَّمة الأولى في تكوينهم، وهي إنكار الوجود الإلهي، وفصله عن الكون والطبيعة والمخلوقات، ولأن تخليهم عن هذه العقيدة يجبرهم على الاقرار بعقيدة الوجود الإلهي والخلق، ويصرف عنهم البقر من البشر الذين يصدقون تخميناتهم ويسيرون خلفهم.

وهو ما يخبرك به صريحاً واضحاً، أستاذ العلوم والفيزياء التطبيقية في جامعة ستانفورد الأمريكية Stanford، روبرت لافلين Robert Laughlin، وهو حاصل على جائزة نوبل للفيزياء سنة ١٩٩٨م، في كتابه: كون مختلف A Different Universe:

"كثير من المعرفة البيولوجية المعاصرة عقائدية أيديولوجية Ideological، ومن أهم أعراض التفكير الأيديولوجي التفسير الذي لا يحمل أي دلالات ولا يمكن إخضاعه للتجربة، وهذه الطرق المنطقية المسدودة أسميها نقيض النظرية Antitheories، لأن لها تأثيراً معاكساً للنظريات الحقيقية، فهي تُوقف التفكير بدلاً من تحفيزه، والتطور بالانتخاب الطبيعي نموذج على ذلك، فقد صاغه تشارلز دارون في البداية كنظرية عظيمة، ثم أصبح نظرية مضادة، وتستخدم للتغطية على عيوب تجريبية مُحرجة Embarrassing Experimental Shortcomings، وإضفاء الشرعية على نتائج مُشكوك فيها في أحسن الأحوال، ولا يمكن وصفها حتى بأنها خاطئة في أسوأها، إذا سألت: هل يتحدى بروتينك قوانين الفعل الجماعي؟ قالوا: التطور فعلها، هل تتحول فوضى تفاعلاتك الكيميائية المعقدة إلى دجاجة؟ قالوا: التطور، كيف يعمل المخ البشري على قواعد منطقية لا يُمكن لأي كمبيوتر أن يحاكيها Logical Principles No Computer Can Emulate، قالوا: التطور هو السبب!"[١].

وهاك الفقرة في نهاية باب: التناسل، من كتاب: مملكة الحيوان أو قوانين الحياة العضوية، التي لخص فيها إرازموس دارون النتائج التي وصل إليها:

"بناءًا على التشابه في تكوين أعضاء الحيوانات من ذوات الدم الحار، هل يكون تجاوزاً أن نتخيل To imagine أنه عبر الزمان الطويل الذي مر على الأرض منذ وجدت، والذي ربما يقدر بملايين السنين قبل بدء تاريخ الإنسان، هل يكون تجاوزاً أن نتخيل أن كل ذوات الدم الحار من الحيوانات All Warm Blooded Animals قد نشأت من شُعيرة حية واحدة، وهبها السبب الأول العظيم الحيوانية Animality، والقدرة على اكتساب أجزاء جديدة لأعضائها، ويواكب ظهورها نزعات وصفات جديدة، ويتحكم في ظهورها ونوعها ما تتعرض له من تهييج وإثارة ومن أحداث ومواجهات،

1) Robert Laughlin: A Different Universe, P168-169, Basic Books, New York, 2005.

ومن اجتماع وتعاون، وهكذا تمتلك القدرة على الاستمرار في تحسين هذه الصفات، ثم تنقلها عبر التناسل إلى أجيالها التالية، عالم بلا نهاية"[١].

وكما ترى، الأسس التي قامت عليها نظرية التطور ليست سوى تأملات إرازموس دارون في الحفريات التي تخيلها وهو جالس في شرفة بيته يشرب الشاي الإنجليزي في ساعة العصاري!

وخلاصة إرازموس دارون لنظرية التطور، هي خلاصتها فعلاً، فهي كما قال هو نفسه، مجموعة من التخمينات والفرضيات التخيلية التي تم التنسيق والربط بينها ذهنياً، من غير أدلة ولا براهين علمية، ثم جاء تشارلز دارون فاختلق فرضيات وتخمينات إضافية ليثبت بها معتقدات جده وتخيلاته، وليست المسألة أنه درس الطبيعة وقام ببحوث تجريبية وجمع الشواهد من تركيب المخلوقات، ومن الحفريات، فاستنبط منها نظرية علمية، كما يوهمون الأميين في كتب العلوم.

والآن بعد أن علمت كيف تخيل إرازموس دارون نظرية التطور ووضع جميع فرضياتها من تأملاته وتخميناته، إليك المعامل التي تم فيها صناعة رأسه وتعليبها، والمحاضن التي تكونت فيها نفسه وغرست فيها البذور التي أنتج منها تخميناته وتخيلاته، ومعها الوجه الآخر لكل ما قرأته، والوسط والأجواء التي ولدت فيه تخيلات التطور واحتضنتها.

فأما إرازموس دارون، فهاك سيرته، هو وأسرته، والمعامل التي لوثت تكوينهم بجرثومة التطور، ثم روتها، لتتفاعل وتثمر ثمارها وتوابعها في عقولهم ونفوسهم، نأتيك بها من كتاب: عشرة آلاف من مشاهير الماسون لوليم دنسلو William Denslow، وهو الكتاب الذي كتب تقديماً له الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين هاري ترومان Harry Truman، الذي هو نفسه الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة الماسونية، ووقَّع

---

1) Zoonomia, Or The Laws Of Organic Life, Vol. 1, P505.

على التقديم الذي كتبه باسمه وصفته: الأستاذ الأعظم لمحفل ميسوري، وكذلك من سيرة إرازموس داروين وأبنائه في الماسونية، التي جمعها محفل كولومبيا البريطانية الأعظم Grand Lodge of British Columbia، من وثائق المحافل البريطانية، ضمن دراساته عن مشاهير الماسون عبر التاريخ:

"انتسب دكتور إرازموس داروين للماسونية، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وتم تكريسه في محفل: سانت دافيد رقم: ٣٦ St. David's Lodge No. 36، في إدنبره Edinburgh، سنة ١٧٥٤م، ثم ترقى في الماسونية إلى أن تم تنصيبه أستاذاً في أحد أشهر المحافل في زمنه، وهو محفل: كانونجيت كيلْوينِنج رقم: ٢ Lodge of Canongate Kilwinning No. 2، في اسكتلندا، وكان ابنه السير فرانسيس داروين Francis Darwin، عضواً في محفل تيريان رقم: ٢٥٣ Tyrian Lodge No. 253، وكان دخوله في الماسونية سنة ١٨٠٧م، وكذلك ابنه ريجينالد Reginald، وابنه روبرت Robert، وهو أبو عالم البيولوجيا الشهير تشارلز داروين، وتشارلز نفسه كان عضواً في محفل تيريان مثلهم"[١],[٢].

وأما جمعية القمر، فهي إحدى فروع حركة الروزيكروشيان Rosicrucian أو الصليب الوردي في إنجلترا، وجميع أعضائها كانوا من الروزيكروشان، ومن الطبيعيين الذين يؤمنون بموجود أعلى لا علاقة له بالطبيعة والكون ولا بحياة البشر، ولأنه لا بديل للخلق الإلهي سوى فعل الزمن، فقد كانوا جميعاً من المؤمنين بتخيلات إرازموس داروين عن تطور الكائنات.

---

1) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Vol. I, P285, Missouri Lodge Of Research Independence, Missouri, Published By: Macoy Publishing & Macoy Supply Co., Inc. Richmond, Virginia, 1957.
2) Grand Lodge Of British Columbia And Yukon: Erasmus Darwin, Http://Freemasonry.Bcy.Ca/Biography/Darwin _E/Darwin_E.Html.

واليهودي والجيولوجي وصانع الساعات، جون وايتهيرست، ألف هو نفسه كتاباً سنة ١٧٧٨م، يفسر فيه نشأة الأرض بالتطور، وهو نظير تفسير صديقه إرازموس دارون لنشوء الإنسان بالتطور، واسم كتاب هيرست: بحث حول حالة الأرض الأصلية وكيف تكونت، حقائق الطبيعة وقوانينها Inquiry Into The Original State And Formation Of The Earth, Facts And The Laws Of Nature[1].

وأشهر أعضاء جمعية القمر على الإطلاق، جوزيف بريستلي، مكتشف الأكسجين، وهو أيضاً ماسوني، وكان عضواً في محفل وُرينجتون، في أكاديمية ورينجتون Warrington Academy، وكان يعمل مدرساً بها.

وجوزيف بريستلي مثل جميع أعضاء جمعية القمر كان من المؤمنين بعقيدة التطور وأن الإنسان حيوان تطور من أسلاف سابقة له، وفي دراستها: مشاعر الحيوان في القرن السابق لدارون Animal Feeling In The Century Before Darwin، ضمن كتاب: الحيوانات والعواطف والعقل بعد دارون After Darwin, Animals, Emotions, And The Mind، وهو مجموعة دراسات أكاديمية لعدد من الباحثين، ونشرته مكتبة بريل الأكاديمية Brill Academic Publishers في لايدن Leiden في هولندا، ضمن دراستها، تقول جين سبنسر Jane Spencer، وهي محاضرة في جامعة إكِستر البريطانية Exeter:

"كان بريستلي يرى أن الوظائف العقلية تنشأ من عمليات مادية Material Processes، وأن عقول الحيوانات مثل عقل الإنسان، وتمتلك نفس قدراته، والاختلاف بينهما في الدرجة Degree وليس في النوع Kind، وهذا الاختلاف في القدرات والسلوك مصدره التفاوت في تركيب المخ Variations In Brain Structure، وليس غياب الروح أو العقل Rather Than To The

1) John Whitehurst: Inquiry Into The Original State And Formation Of The Earth, Facts And The Laws Of Nature, Printed For The Author By J. Cooper, London, MDCCLXXVIII/1778.

وفي كتابه: مقالات بخصوص المادة والروح Absence Of Soul Or Reason، Disquisitions Relating To Matter And Spirit، الذي نشـــره ســـنة ١٧٧٧م، انتقد بريســـتلي ديكارت ورالف كودوُورث Ralph Cudworth، لأنهما أنكرا قدرة الحيوان على الإدراك، وأصـر على أن عقول البشـر والحيوانات تعمل طبقاً لقوانين فيزيائية مشـتركة، وهذه النظرة الفيزيائية أسـهمت في تطوير أفكار تشـارلز داروين عن مشاعر الحيوان"[١].

وبقي الراعي الرسمي والأب الروحي لجمعية القمر، بنجامين فرانكلين، وقد عرَّفناك به من قبل، وهو أحد مؤسسي الولايات المتحدة الماسونية والموقعين على وثيقة استقلالها ودستورها، وكان عضواً في جميع الحركات السرية في عصره، وهمزة الوصل بأسفاره وتنقلاته بينها، فهو ماسوني وكان عضواً مع صديقه فولتير في محفل الأخوات التسع في باريس Loge des Neuf Soeurs، وعضواً في حركة الروزيكروشان الإنجليزية، وفي منظمة الإليوميناتي الألمانية Illuminati.

---

1) Jane Spencer: Animal Feeling In The Century Before Darwin, In: After Darwin, Animals, Emotions, and the Mind, P28-50, Brill, Amsterdam, 2013.

لبس الحق بالباطل

لأن التطور عقيدة بديلة عند من يعتنقونها لعقيدة الخلق، ويتم تفسير كل شيء بها دون أن يوجد براهين عليها هي نفسها، كما اخبرك الماسوني جوليان هكسلي في القرن التاسع عشر، وكما أخبرك أستاذ العلوم والفيزياء التطبيقية في جامعة ستانفورد روبرت لافلين في القرن الحادي والعشرين، يتم استخدام مصطلح التطور بطريقة فضفاضة من أجل لبس ما هو معرفة طبيعية حقيقية عليها شواهد وأدلة بما هو معتقدات تخيلية، من أجل تمرير هذه في أذهان البشر ونفوسهم مع تلك، وهو شأن العلوم الطبيعية في الغرب ومن يقومون عليها، في مختلف فروعها، منذ نشأتها بين أحضان الحركات السرية، والجراثيم التي لوثتها بها عند منابعها، ثم سارت وما زالت سارية فيها وتطبع جميع نواتجها وإفرازاتها.

ولكي تكون على بينة، ولا تضلك المصطلحات وتلتبس عليك مسائل مختلفة ويجعلونك تبتلعها على أنها مسألة واحدة، يجب أن تفرق بين نوعين من المسائل يتم اللبس بينهما.

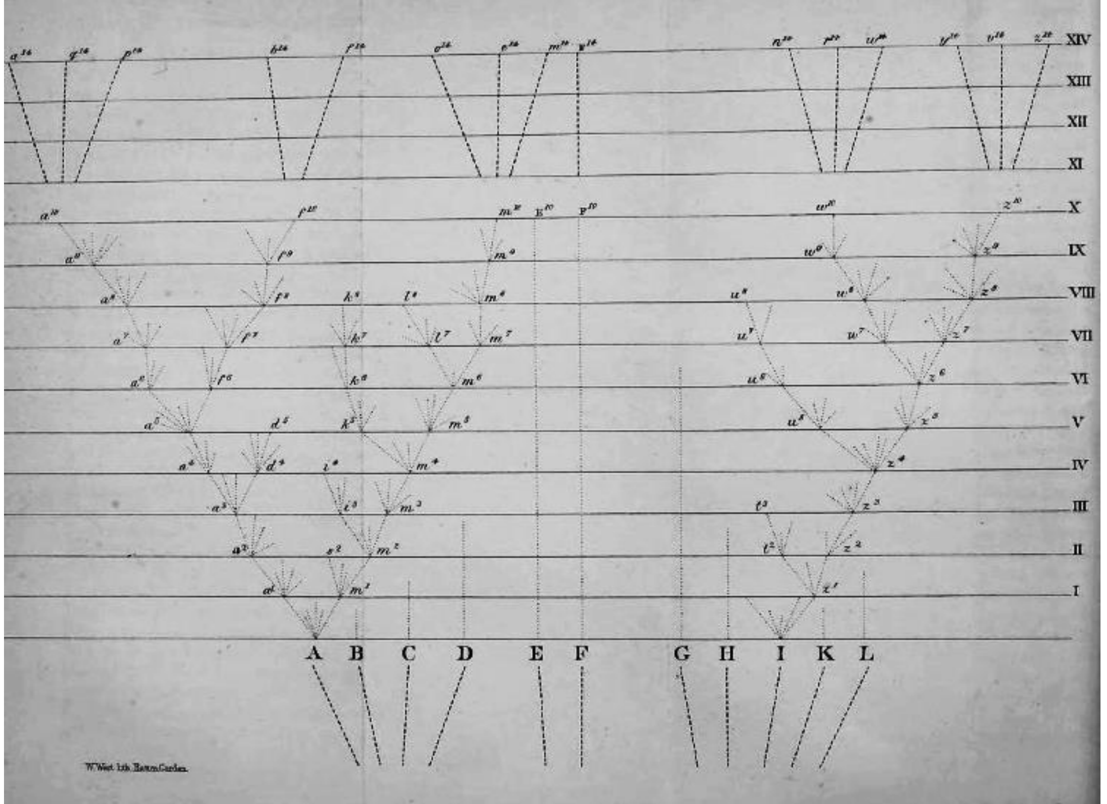
فالنوع الأول، نبهناك إليه من قبل، وهو لبس مسألة تصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات حسب تركيبها وعدد أعضائها ووظائفها ودرجة رقيها، بمسألة أصل الأنواع، وزعم أن هذا التصنيف والترتيب يعني أن كل مخلوق أرقى خرج من الذي هو أدنى منه تلقائياً وبفعل الزمن، وأنها جميعاً خرجت من أصل واحد، فتصنيف الأنواع وترتيب المخلوقات مسألة معرفية ولها شواهدها وأدلتها في الطبيعة، أما أنها من أصل واحد وخرج بعضها من بعض، فمسألة اعتقادية لا دليل عليها سوى أنهم يتخيلونها هكذا ويتخيلون معها شواهدها، ولا يتورعون عن التلفيق واختلاق أدلة لها لا وجود لها، كما ستعلم.

وقد عرَّفناك في الباب الأول من هذا الكتاب، باب: **الحركات الســـرية والعلوم الطبيعية**، لماذا خلق الله عز وجل كل شــــيء في الكون والحياة والمخلوقات وأوجده على نظام وترتيب محدد وتحكمه قوانين دقيقة، من أجل أن يكون مناســـباً لقدرات الإنســـان على اســـتكشـــافه ومعرفته والعلم به والانتفاع منه، فدون هذا النظام وهذه القوانين لما استطاع الإنسان التعامل مع الطبيعة والمخلوقات والانتفاع بها، ولما كان في مقدوره معرفتها، وهي غاية إلهية من خلق الإنسان، كما أخبرك عز وجل في بيانه إلى خلقه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠
يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي
سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ ﴾ **(النحل: ١٠-١٤)**.

واللبس بين تصـــنيف الأنواع وترتيب المخلوقات وبين أصـــل الأنواع وخروجها من بعضـها، استراتيجية عريقة في الحركات السرية، ولم يبتكرها تشارلز دارون، بل ورثها وتوسـع فيها، واختلق لها شـواهد تخيلها في ذهنه دون أن يكون لها وجود حقيقي، وقد رأيتها صـريحة في رسـائل تنظيم إخوان الصـفا قبل تشـارلز دارون بألف سـنة، وفي قصيدة جده الماسوني إرازموس دارون: هيكل الطبيعة وكتابه: مملكة الحيوان، قبل أن يضع تشارلز دارون كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي بثلاث وستين سنة.

وهذا هو الرسم الذي وضعه تشارلز دارون في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، يصور فيه شجرة الحياة، وكيف خرجت المخلوقات من بعضها.



رسم وضعه تشارلز دارون بين ص١١٦ وص١١٧، من الطبعة الأولى من كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، ويصور شجرة الحياة وترتيب المخلوقات.

وفي صفحات طويلة، شرح تشارلز دارون هذا الرسم وما يعنيه شرحاً مفصلاً، وسوف نأتيك بفقرات منه في موضعها، ثم لخصه في عبارة واحدة، يقول فيها:

"وهكذا، يوضح الرسم البياني الخطوات التي تتزايد من خلالها الاختلافات الصغيرة التي تميز الأصناف، وتصبح اختلافات أكبر تميز الأنواع Distinguishing

Varieties Are Increased Into The Larger Differences Distinguishing Species."[١].

ومعنى الرســم وكلامه، أن الاختلافات تحدث في نســل الصــنف بفعل الانتخاب الطبيعي، ثم تتراكم عبر ألاف الأجيال، وعلى فترات زمنية طويلة، كما نص هو، فتتحول هذه الاختلافات الصــغيرة إلى فروق كبيرة، ويتغير معها الصــنف إلى نوع أو كائن جديد لم يكن له وجود من قبل، ومختلف عن الأصــــل الذي انحدر منه بتراكم الاختلافات، ثم تتكرر الاختلافات الصــــغيرة في هذا النوع الجديد مرة أخرى، وتتراكم على مدى ألاف الأجيال، فينتج نوع جديد آخر، وهكذا.

فإذا فحصــت الرســم ســتجد أن تنوع المخلوقات وترتيبهم من الأدنى إلى الأرقى، وتصـنيفهم في مجموعات حسـب درجة التشـابه في الشـكل أو الوظيفة، مسـألة معرفية صـحيحة، أما كل ما ركَّبه في شـرحه الطويل على هذه المسـألة، من أول أن التغيرات تحدث في الأعضـاء استجابة للبيئة والمؤثرات الخارجية، ثم تتراكم عبر آلاف الأجيال وملايين السنين، بتوريث كل جيل من النوع الواحد هذه التغيرات للجيل الذي يليه، إلى أن يتحول بهذا التراكم والتوريث إلى نوع بيولوجي جديد، جميعها تخمينات أتى بها من ذهنه وربط بينها بتخيلاته، وليس لها شــواهد ولا أدلة في الطبيعة على الإطلاق، وهو نفسـه نص في أكثر من موضـع في شـرحه الطويل على أن البناء التطوري الذي بناه على ترتيب المخلوقات بجميع عناصره تخمينات من عنده، فهاك إحدى عباراته:

"الاختلافات الأكثر تباعداً بين الصــنفين، ســوف يتم الحفاظ عليها عموماً خلال الألف جيل القادمة، وبعد هذه الفترة يُفترض في الرســـم البياني Supposed In The Diagram أن يكون الصِــنف a^1 قد أنتج الصــنف a^2، والذي ســيختلف،

---

1) **Charles Darwin: On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P129, John Murray, London, 1859.**

حسب مبدأ التباعد، عن الأصل A أكثر من اختلاف الصنف a^1، ويُفترض أن يكون الصـــنف m^1 قد أنتج صـــنفين، هما m^2 و s^2، ويختلف كل منهما عن الآخر، ويختلفان بشـكل أكبر عن أصـلهما المشـترك A، ويمكننا مواصـلة العملية بخطوات مماثلة لأي فترة زمنية، وبعض الأصناف، بعد كل ألف جيل، سوف تُنتج صنفاً واحداً فقط، ولكن في ظروف ملائمة أكثر وأكثر يمكن أن يُنتج بعضـــها صـــنفين أو ثلاثة أصناف"(١).

وكما ترى، أنت أمام هلاوس، سـار فيها تشـارلز دارون خلف تخيلات جده، ورسـم رسـماً رتب فيه المخلوقات الموجودة فعلاً في الطبيعة، ثم افترض أن رسـمه يحكم هذه المخلوقات وظهورها، وأنها تتطور وتخرج من بعضـــها بناءًا على ما رســـمه، وخمن فترات زمنية وآلافاً من الأجيال الافتراضـية الوسـيطة يتطور من خلالها كل نوع خطوة خطوة إلى آخر، وواصـــــل العملية، كما قال، في دورات متتابعة، وأخرج المخلوقات جميعها من بعضـها، في ذهنه فقط، ودون أدلة أو شواهد حقيقية من الطبيعة على أي من الأزمنة والأنواع الوسيطة والدورات المتتابعة التي تخيلها في رسمه وشرحه.

والنوع الثاني من المسائل، الذي يتم توظيفه في تمرير عقيدة الأصل الواحد لجميع المخلوقات وخروجها من بعضـــــها، هو التغير الظاهري أو الجيني الذي يحدث في المخلوق الواحد، فالإنسـان يمر وهو في بطن أمه بمراحل وينتقل من شـكل إلى شـكل آخر، وبعد أن يولد يتغير هيكله وحجم عظامه وأعضـــــائه وقدرتها على أداء وظائفها من مرحلة في عمره لأخرى، ويكون بعد مولده ساكناً في موضعه، ثم يحبو على أربع، ثم ينتصـب قائماً، ثم ينحني، ثم يسـير على ثلاث أو أربع مرة أخرى، ثم يعود سـاكناً في موضعه.

---

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P118.

والله عز وجل يقول في بيانه إلى خلقه، على لسان نوح عليه السلام مخاطباً قومه:

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ (نوح: ١٣-١٤).

وقد يحدث تغير أو خلل أو طفرة في بعض جينات الإنسان أو كروموسوماته وأحماضه النووية، فيصاب بمرض، وربما يورثه لأبنائه أو بعضهم، مثل متلازمة داون Down syndrome، والأنيميا المنجلية Sickle Cell، والهيموفيليا أو نزف الدم Hemophilia.

ولكن في جميع هذه الأمثلة الطبيعية والمرضية، وأمثالها في المخلوقات الأخرى، بكتيريا كانت أو نباتات أو حيوانات، لا يتحول كائن إلى كائن آخر يختلف عنه في خصائص الأعضاء ووظائفها وقدراتها البيولوجية، ولا في شفرة المعلومات والتركيب الجيني العام، ولا في العلاقة بين خلاياه وأعضائه، مهما طال الزمن، ولا يوجد أي دليل على ذلك سوى هلاوس من يؤمنون به وما يتخيلونه من شواهد وما يلفقونه منها، ثم بث ما يعتقدونه بسيطرتهم على وسائل التعليم والإعلام، وسطوتهم بها على وعي البشر.

وكثير من علماء الطبيعة في الغرب في مختلف الفروع، ومنها البيولوجيا، لا يعتنقون نظرية التطور ويعرفون أنه لا دليل عليها، ويكتبون ذلك في كتبهم، ولكن ليس مسموحاً لهم ان يشيروا إلى ذلك في بحوثهم العلمية، وإذا أشاروا إليه فلن ينشر القائمون على المجلات العلمية بحوثهم، ومجلة نيتشر Nature، وهي أشهر المجلات العلمية، تمنع رسمياً منذ سنة ٢٠٠٦م، نشر أي بحث ينتقد أصول نظرية التطور وأركانها، خصوصاً إذا كان في البحث إشارات إلى الوجود والخلق الإلهي، وتصنفه على أنه يدخل في العلم الزائف Pseudoscience، وتبرر ذلك بأنها تحافظ على المعايير العلمية.

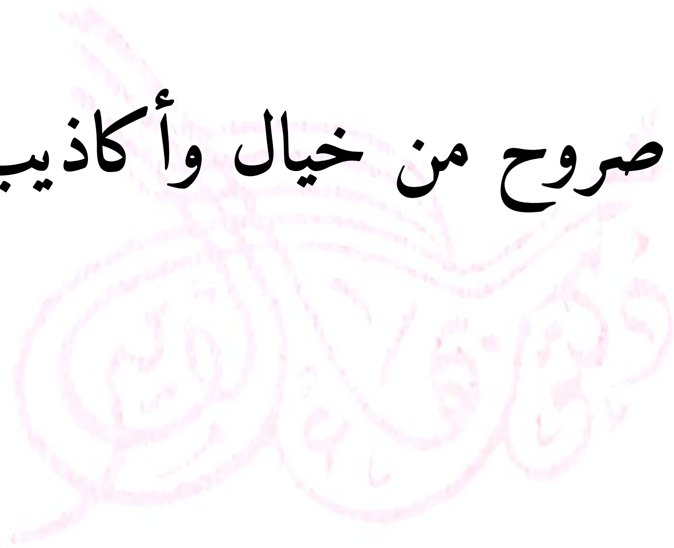
وإذا ذهبت إلى موسوعة ويكيبيديا، وهي القِبلة الأولى للباحثين في عصر الإنترنت، ويكتفي الكسالى منهم بها، فسوف تجدها، خصوصاً في النسخة الإنجليزية منها، تحشر هي الأخرى عبارة بين قوسين في كل مقالة أو دراسة تعرض فيها رأياً لأحد من علماء الطبيعة، ينتقد نظرية التطور أو يقول إنها تعارض الوجود الإلهي والخلق، وهذه العبارة هي أن هذا النقد ينتمي إلى العلم الزائف، وإذا ذهبت إلى أفلام هوليوود إمبراطورية اليهود، وإلى أفلام الكرتون الموجهة للأطفال، ستجدها جميعاً مبنية على نظرية التطور، وعقيدة التطور في تفسير الوجود والحياة هي عقيدة الغرب الرسمية والتفسير الوحيد المسموح به في مناهج العلوم في المدارس التي تُكوِّن وعي التلاميذ في بلدانه الأمية.

فمن تمام انقلاب الموازين وعلامات الإفساد في الأرض كلها، أن أصبحت الهلاوس والتخيلات علماً وآداباً وفنوناً، وأصبح نقدها وكشف أنه لا دليل عليها من الطبيعة والقول بالخلق الإلهي علماً زائفاً.

أما العلو في الأرض الكبير، فهو أن تنتقل عقيدة الحركات السرية وهلاوس التطور إلى بلاليص ستان، وتنازع الوجود الإلهي والوحي والخلق، وتتسرب إلى إعلامها ومناهج تعليمها وكتب العلوم في مدارسها وجامعاتها، من خلال مراهقيها الذين يذهبون إلى جامعات الحمار الغربي بلاليص فارغة، فيملؤونهم بهذه الهلاوس ويقومون بفيرسة أدمغتهم بها وقد لبسوها بما ذهبوا ليتعلموه من العلوم والآداب والفنون، ثم يردونهم إلى بلاليص ستان، ليعيدوا بثها مغلفة في بريق شهادتهم وألقابهم في الإعلام والجامعات ومناهج التعليم.



صروح من خيال وأكاذيب



والآن إليك ما تحفل به عقيدة التطور البيولوجية من فرضـيات مسـتحيلة وتخمينات لا دليل عليها، ومن تلفيق وتزوير، ومن تناقض مع بديهيات العقل، ومع حقائق العلوم الطبيعية والتجريبية نفسها.

وصروح عقيدة التطور البيولوجية، هي **الزمان الطويل** الذي تحدث فيه التغيرات في النوع أو المخلوق الواحد وتتراكم تدريجياً وببطء شـــديد، إلى أن يتحول بعد آلاف الأجيال وملايين السـنين إلى نوع أو مخلوق آخر، **ووجود أصـناف وحلقات وسـيطة** عديدة بين النوعين، ويظهر في كل منها قدر من التغير وتحمل من صفات هذا وذاك، **والانتخاب الطبيعي** الذي يحدد الصـفة أو الصـفات، وكذلك الفرد او الأفراد من النوع التي سـتبقى وتتحول إلى نوع جديد، **والطفرات الجينية** التي أدخلها خلفاء تشـارلز دارون على عقيدة التطور البيولوجية بعد اكتشاف الجينات والأحماض النووية والشفرة الوراثية، وأن شـكل الأعضـاء ووظائفها في كل كائن حي، من أول الكائنات الدقيقة والبكتيريا وحيدة الخلية حتى الإنسـان، يحكمها ويتحكم فيها برنامج وشـفرة معلوماتية، ولا يمكن أن يحدث في أي كائن ما يفترضـونه من تغير وتكيف بيولوجي، فضـلاً عن خروج نوع آخر منه، بتغير البيئة والمؤثرات الخارجية مهما طال الزمن، إلا إذا حدث تعديل في هذا البرنامج وشـفرة المعلومات أولاً، **ثم الصـدف**، وهي القانون العام الذي يحكم كل شـيء في عقيدة التطور، لأن الفرد الذي سـيصـيبه الانتخاب الطبيعي أو الطفرة الجينية، والصـفات التي سـوف يكتسـبها، جميعها صـدف عشـوائية سـعيدة، وتراكمها معاً لإنتاج النوع الجديد هو أيضاً من محاسن الصدف.

الزمان والحفريات والحلقات الوسيطة

هلاوس الحلقات الوسيطة:

أول تخيلات عقيــدة التطور البيولوجيــة، أن خروج نوع من نوع أو مخلوق من مخلوق، يحدث بفعل الزمان الطويل، الذي يســمح طوله وامتداده بتطور النوع إلى نوع آخر بالتدريج، من خلال انتقال كل صفة أو مجموعة صفات مكتسبة من أصل النوع إلى الصـنف أو الجيل الذي يليه، ثم تضـاف صـفة أو صـفات أخرى مكتسبة إلى هذا الصـنف والجيل، فينتج جيل ثالث، وكل صـنف وجيل ينتج يكون أبعد في صـفاته عن الأصــل، ومع تراكم الصــفات المكتســبة عبر آلاف الأجيال يحدث التحول في الجيل الأخير وينتج النوع أو المخلوق الجديد.

يقول تشــارلز دارون، ضــمن شــرحه لرســمه البياني، في كتابه: عن أصــل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي:

"بعد عشــــرة آلاف جيل، يُفترض أن النوع A قد أنتج ثلاثة أشــــكال، a^{10} وf^{10} وm^{10}، والتي بسـبب تباعد صـفاتها خلال الأجيال المتعاقبة، سـتختلف اختلافاً كبيراً عن بعضــها البعض وعن أصــلها المشــترك، ولكن ربما ليس بدرجات متســاويــة ... وبعد أربعة عشــر ألف جيل، من المفترض أن يكون قد تم إنتاج ســتة أنواع جديدة، مميزة في الرسم بالأحرف من n^{14} إلى z^{14}"(١).

وطبقاً لتخيلات تشارلز دارون، التي من المفترض أن تفترض أنها علمية، يجب أن يكون بين ظهور كل نوع أو مخلوق وآخر ملايين الســـنين، وأن توجد بين كل نوع والنوع الذي خرج منه حلقات وأصـناف وسـيطة عديدة تثبت اكتسـاب الصـفات الجديدة

---

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P10-121.

صــفة صــفة أو مجموعة مجموعة، ويكون بها البرهان على التحول التدريجي من هذا النوع إلى ذاك.

وبعد وصـولك إلى هذا الموضـع، لابد أنك تدرك أن جميع هذه العناصـر التي تقوم عليها عقيدة التطور تخمينات لا يوجد دليل على أي منها، بل تنقضـــــها البيولوجيا وتاريخ علم الأحياء الحقيقي.

فـأمـا الزمـان، فـإليك نموذجـاً على الطول الـذي يجـب أن يكون عليـه لكي تظهر الأنواع من بعضها.

حســب تخيلات عقيدة التطور، وتخيلات تشــارلز دارون نفســه، في كتابه: نشــوء الإنســـان والانتخاب الجنســـي The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex، فإن الإنســــان كان له ســــلف مشـــترك مع الشـــمبانزي Chimpanzee-Human Last Common Ancestor، أو CHLCA، ثم تطور هذا الســـلف وانفصـــل إلى نوعين وانقرض بعدها ولم يعد له وجود، والنوعان اللذان تطورا منه، الأول بان Pan، وهو بداية خط القردة وسلف الشمبانزي، والثاني هومينينز Hominins، وهو ســلف الإنســان العاقل/هومو ســيبيانز Homo Sapiens، وهذا السلف المشترك بين الإنسان والقردة، كان يعيش منذ زمن تم تقديره في سنة ١٩٩٨م بأنه يقع بين ١٠ ملايين و١٣ مليون سنة، وتم تعديله عدة مرات، وآخر تعديل له كان في سنة ٢٠٢٥م، ضـمن مشروع دراسـة جينوم القردة، الذي اشترك فيه عدد كبير من الأساتذة والباحثين في معهد بحوث الجينوم البشري National Human Genome Research Institute وجامعة واشــنطن، في الولايات المتحدة، ونُشــرت نتائجه في عدد شهر مايو ٢٠٢٥م من مجلة نيتشر Nature، وحسب نتائج المشروع، فالسلف

المشـــترك للإنســـان والقرد كان يعيش وانقرض منذ فترة تتراوح بين ٥,٥ مليون ســـنة و٦,٣ مليون سنة[١].

فإذا علمت أنهم يقدرون أن الإنســـان العاقل/هومو ســـيبيانز Homo Sapiens، ظهر منذ ٣٠٠ ألف سـنة، تكون قد علمت أن الإنســان الحالي حســب عقيدة التطور البيولوجي تطور من ســـلفه المشـــترك مع القرد، على مدى فترة تتراوح بين ٥ ملايين سنة و٦ ملايين سنة.

فالآن نريدك أن تتقمص دور تشـــــارلز داروين وخلفائه، وتفترض أو تخمن كم عدد الملايين من الســـنين التي ســـيحتاجها تطور البكتيريا وحيدة الخلية إلى الفطريات، والملايين الأخرى التي سـيحتاجها تطور الفطريات إلى النباتات، والملايين الثالثة التي يسـتغرقها تطور النباتات إلى الحيوانات، والملايين الرابعة والخامســة والعاشـرة والمائة والألف التي يســـتغرقها تطور كل شـــعبة أو فصـــيلة داخل مملكة النباتات ومملكة الحيوانات إلى التي تليها في التصــنيف، والتي يسـتغرقها تطور كل مخلوق داخل كل شعبة إلى الذي يليه، مع كثرتها وتنوعها الشديد.

فـإذا لم تجـد كمبيوتر يمكنـه أن يُعرِّفك كم يكون عـدد هـذه الملايين أو البلايين الخرافية من الســنين التي يحتاجها ظهور المخلوقات من بعضـــها في عقيدة التطور، فارجع إلينا وتماسـك لكيلا تفقد وعيك وأنت ترتطم بالمفاجأة، فجميع المخلوقات متعددة الخلايا وذات التركيب المعقد وشعب الحيوانات، ظهرت معاً بصورة انفجارية في حقبة

1) Oo, Dongahn, Rhie, Arang; Hebbar, Prajna; Antonacci, Francesca, Logsdon, Glennis A., Solar, Steven J., Antipov, Dmitry, Pickett, Brandon D., Safonova, Yana, Montinaro, Francesco, Luo, Yanting, Malukiewicz, Joanna, Storer, Jessica M., Lin, Jiadong, Sequeira, Abigail N.: Complete Sequencing Of Ape Genomes, Nature, Vol. 641, Issue 8062, May 2025, P401–418.

زمنية واحدة، هي العصـر الكامبري، دون فواصـل زمنية، ودون وجود أدلة ولا شـواهد على أن أياً منها كان له سلف سابق.

والعصـر الكامبري The Cambrian Age، عصـر جيولوجي سـحيق مر على الأرض واسـتغرق ٥١,٩ مليون سـنة، وبدأ قبل ٥٣٨,٨ مليون سـنة، وانتهى قبل ٤٨٦,٨ مليون سنة، والذي سماه بهذا الاسم في القرن التاسع عشر عالم الجيولوجيا البريطاني آدم سِـجويك Adam Sedgwick، نسـبة إلى صـخور ترجع إلى هذا العصـر، عثر عليها في كامبريا Cambria، وهو الاسـم القديم لويلز البريطانية Wales.

وداخـل العصـر الكـامبري، فترة تعرف بـالانفجـار الكـامبري Cambrian Explosion، واستغرقت فترة يقدرها علماء الجيولوجيا والحفريات بأنها بين ١٣ مليون و٢٥ مليون سـنة، والكائنات التي تم رصـدها في سـجل الحفريات قبل الانفجار الكامبري كانت بسـيطة ووحيدة الخلايا، مثل البكتيريا، وخلال فترة الانفجار، حدث تشـعب وتنوع مفاجئ للكائنات الحية، وظهرت الكائنات معقدة التركيب، وكذلك ظهرت أغلب الشعب والفصائل الرئيسية في الحيوانات وتميزت عن بعضها، كما يعرفك أستاذ الجيولوجيـا وعلم الحفريـات في جـامعـة هـارفـارد، ورئيس الجمعيـة الأمريكيـة لعلم الحفريـات Paleontological Society، سـتيفن جـاي جولـد Stephen Jay Gould، في كتابه: الحياة الرائعة، صـخور بورجِس وطبيعة التاريخ Wonderful Life, The Burgess Shale And The Nature Of History:

"جميع الأدلة تشـير إلى أن جميع المجموعات الرئيسـية من الحيوانات الحديثة تقريباً Virtually All Major Groups Of Modern Animals، ظهرت

إبان الانفجار الكامبري، وخلال بضعة ملايين قليلة من السنين A Few Million Years، وهي فترة زمنية ضئيلة من الناحية الجيولوجية"[1].

وعلماء البيولوجيا من طراز دارون وخلفائه ليس عندهم أي تفســـير لهذا الظهور الانفجاري لجميع الكائنات متعددة الخلايا وشــعب الحيوانات في فترة زمنية واحدة إبان العصر الكامبري، ودون أسلاف سابقة، على نقيض ما تراءى لهم في هلاوس التطور وتخيلاته.

فإليك نموذجاً.

في عدد النصــف الأول من ســنة ٢٠٠٧م، نشـرت مجلة علم الحفريات البريطانية Paleontology، دراســة لأســتاذ علوم الأرض في جامعة كمبردج، نيكولاس بترفيلد Nicholas Butterfield، عنوانهـا: التطور الكبير وعلم البيئـة الكليـة عبر الزمن العميق Macroevolution And Macroecology Through Deep Time، وفيها يقارن بين سرعة التطور في العصـور الجيولوجية المختلفة، بناءًا على الحفريات التي تم اكتشافها في كل عصر، ويقول بترفيلد في دراسته:

"الزيــادة الكبرى في التنوع المورفولوجي المبكر Early Morphological Diversity، حـدثـت بلا شـــــك في الانفجـار الكـامبري للحيوانـات والطلائعيـات Cambrian Explosion Of Animals And Protists، والســؤال الحقيقي هو ما الذي حرك التطور المورفولوجي وجعله يتحول بهذه السـرعة وعلى هذا النمط الانفجاري"[2].

---

1) Stephen Jay Gould: Wonderful Life, The Burgess Shale And The Nature Of History, P14, W.W. Norton & Company, New York, 1989.
2) Nicholas Butterfield: Macroevolution And Macroecology Through Deep Time, Paleontology, Vol. 50, Part 1, January 2007, P41–55.

وإليك مفاجأة أخرى، فاكتشاف العصر الكامبري وظهور أغلب شعب الحيوانات فيه معاً دون فواصل زمنية، كان في القرن التاسع عشر، وأول دراسة علمية عن العصر الكامبري كتبها آدم سِـــجويك، وكان عنوانها: عن النظام الســـيلوري والكامبري وبيان تعاقب الطبقات الرســـوبية القديمة في إنجلترا وويلز On The Silurian And Cambrian Systems, Exhibiting The Order In Which The Older Sedimentary Strata Succeed Each Other In England And Wales ونُشــرت ضـــمن التقرير الخامس للرابطة البريطانية لتقدم العلوم Report Of The British Association For The Advancement Of Science، ســـنـــة ١٨٣٦م[1].

وأول دراسة عن الانفجار الكامبري للمخلوقات المعقدة التركيب وفصائل الحيوانات، هي كتاب: علم البيئة وعلم المعادن في ضـــوء اللاهوت الطبيعي Geology And Mineralogy Considered With Reference To Natural Theology، لعالم الجيولوجيا والحفريات الإنجليزي وليم بَكلاند William Buckland، وقد نشره أيضاً سنة ١٨٣٦م[2].

وليست هذه هي المفاجأة، بل أن تشارلز دارون كان على علم باكتشافات العصر الكامبري وسِـــجل حفريات الكائنات معقدة التركيب وشـــعب الحيوانات الخاصـــة به، ويعرف أنها تنقض تخيلاته عن التطور، ولم يتوقف ليراجع نظريته ولم يتراجع عنها، لأنها في حقيقتها، كما علمتَ، نظرية عقائدية وليســـت نظرية علمية، والعقائد لا

---

1) Adam Sedgwick: On The Silurian And Cambrian Systems, Exhibiting The Order In Which The Older Sedimentary Strata Succeed Each Other In England And Wales, In: Report Of The British Association For The Advancement Of Science (5th), Transactions Of The Sections (Geology), P59-61, 1836.

2 William Buckland: Geology And Mineralogy Considered With Reference To Natural Theology, William Pickering, London, 1836.

تنقضـها إلا العقائد، ولذا فالوسـيلة الوحيدة لنقضـها هي عقيدة الوجود الإلهي والخلق، وليس الأدلة من الطبيعة والشواهد من الحفريات.

في الباب التاسع من كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، وعنوانه: حول عـدم اكتمـال السـجـل الجيولوجي On The Imperfection Of The Geological Record، يقول تشارلز دارون:

"بعض علماء الحفريات قالوا إن الظهور لمجموعات كاملة من الأنواع في طبقات معينة بصـورة مفاجئة، يعد ضـربة قاتلة للاعتقاد في تحول الأنواع Belief In The Transmutation Of Species، ومن هؤلاء العلماء أجاسـيز Agassiz وبيكتيت Pictet، والبروفسـور سِـجويك، الذي انتقدها بقوة، وقالوا إذا كانت أنواع عديدة، تنتمي إلى الأجناس أو الفصـائل نفسـها، قد ظهرت للحياة دفعة واحدة، فإن هذه الحقيقة قاتلة لنظرية التناسـل مع التكيف البطيء من خلال الانتخاب الطبيعي The Fact Would Be Fatal To The Theory Of Descent With Slow Modification Through Natural Selection"[1].

ولأن تخيلات تشـارلز دارون اعتقاد Belief، كما وصـفها هو نفسـه، كان هذا هو رده على الاعتراضات القاتلة لعلماء الجيولوجيا والحفريات على تخيلاته:

"نحن ننسـى دائماً كم هو العالم متسـع عند مقارنته بالمنطقة التي قمنا بفحص تشكيلاتها الجيولوجية بعناية، وننسى أن مجموعات من الأنواع ربما كانت موجودة منذ فترة طويلة في أماكن أخرى وتكاثرت ببطء قبل أن تغزو الأرخبيلات القديمة في أوروبـا والـولايـات الـمـتـحـدة Before They Invaded The Ancient Archipelagoes Of Europe And Of The United States ... وإذا كانت

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P302.

نظريتي صـــحيحة، فمن غير الممكن أن ننكر أنه قبل ترســـب الطبقة الســـيلورية السـفلى، مرت فترات طويـلة طويـلة، وربما أطول بكثير من الفترة الممتدة من العصـر السيلوري إلى يومنا هذا، وخلال هذه الفترات الزمنية الشاسعة، ولكن غير المعروفة تماماً، كان العالم مليئاً بالكائنات الحية، أما بالنسـبة للسـؤال لماذا لا نجد سـجلات لهذه الفترات البدائية الشـاسـعة، فليس عندي إجابة مرضـية I Can Give No Satisfactory Answer"[١].

وكما ترى، الاعتراضـــــات العلمية القائمة على الحفريات والشـــواهد الجيولوجية الحقيقية، على تخيلات تشـارلز دارون، كان رده عليها سـلسـلة أخرى من الهلاوس، تخيل فيها أنه توجد حفريات في قارات أخرى خارج أوروبا وأمريكا لأسـلاف الحيوانات التي تم اكتشـــاف حفرياتها في القارتين، وأنه توجد تحت الطبقة الجيولوجية الخاصـــة بالعصـر السيلوري والكامبري، طبقات أعمق تنتمي لعصـور جيولوجية سـابقة وشـديدة الطول في الزمن، ويوجد فيها هي الأخرى حفريات لأســـلاف الكائنات الحية التي تم اكتشاف حفرياتها في الطبقة السيلورية الكامبرية، وأنه سوف يأتي يوم يتم فيه اكتشاف هذه الحفريات التي تخيلها تحت الطبقة الســـيلورية الكامبرية، وتلك التي تخيلها في قارات العالم التي لم يتم اســـتكشـــافها، لتكون دليلاً على صـــحة تخيلاته عن عقيدة التطور التي يعتنقها، ثم ختم رده بأنه لا يوجد عنده إجابة مقنعة سوى هذا!!

فهـل أتـاك نبـأ أننـا لم نتجن على الأميين الـذين يســـيرون خلف هـذه التخيلات والهلاوس وأصحابها وهذه هي كل أدلتهم عليها، حين وصفناهم بأنهم بقر؟!

وظل تشـارلز دارون يعيش طوال عمره، يحلم باليوم الذي سـوف يتم فيه اكتشـاف طبقات جيولوجية قديمة وحفريات فيها، تثبت وجود أسـلاف لحفريات شـعب الحيوانات التي ظهرت معـاً فجـأة في الانفجـار الكـامبري، وينتظر معهـا اكتشـــــاف حفريـات

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P302, 307.

للأصناف والحلقات الوسيطة بين كل نوع وآخر، لكي تثبت تخيلاته عن تطور الأنواع المختلفة من خلال اكتساب صفات جديدة وتوريثها بالتدريج وعبر أزمان طويلة، كما يخبرك هو نفسه، في باب: معضلات في مواجهة النظرية Difficulties On Theory، من كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي:

"بالنظر إلى جميع العصور، إذا كانت نظريتي صحيحة، فلا بد من وجود أنواع وسيطة لا تُحصى Numberless Intermediate Varieties، تربط جميع أنواع المجموعة الواحدة بشكل وثيق، والدليل على وجودهم يمكن العثور عليه فقط بين بقايا الحفريات المحفوظة Only Amongst Fossil Remains Which Are Preserved"[1].

فهل تنبهت إلى أهم ما في عبارات تشارلز دارون، وهو أنه بنى نظريته من تخيلاته دون أدلة، وينتظر اليوم الذي سوف يتم فيه العثور عليها لتثبت تخيلاته؟!

فسل نفسك: في العلوم الطبيعية، أو في أي مجال من مجالات المعرفة، هل تُبنى النظرية على الشواهد والأدلة، أم توضع النظرية أولاً وتطرح للبشرية، ثم يحلم من وضعها بمن يجد له الأدلة على صحتها؟!

وحلم تشارلز دارون في العثور على حفريات في الطبقات الجيولوجية للأرض تثبت تخيلاته، لم يتحقق طوال حياته، فهاك هو نفسه يخبرك بذلك في باب: حول عدم اكتمال السجل الجيولوجي:

"والسؤال: إذا كان عدد الأنواع الوسيطة التي وُجدت سابقاً على الأرض هائلاً حقاً، فلماذا إذاً لا يمتلئ كل تكوين وطبقة جيولوجية بمثل هذه الحلقات الوسيطة

---

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P179.

Intermediate Links؟ ومن المؤكد أن الجيولوجيا لا تكشـف عن أي سـلسـلة عضـوية متدرجة كهذه، وهذا هو أوضـح الاعتراضـات وأخطرها على نظريتي The Most Obvious And Gravest Objection"(١).

وبعد مرور أكثر من قرن ونصف قرن على تخيلات تشارلز دارون، ما زال الموقف كما هو، كما يخبرك أسـتاذ الجيولوجيا والحفريات ورئيس قسـم الجيولوجيا في متحف فيلد للتاريخ الطبيعي في شـيكاغو، ديفيد روب David Raup، في دراسـته: الصـراع بين دارون وعلم الحفريات Conflicts Between Darwin And Paleontology، التي نشـرها في عدد شـهر يناير سـنة ١٩٧٩م، من الدورية التي يصـدرها المتحف Field Museum Of Natural History Bulletin:

"يوجد حوالي ٢٥٠ ألف نوع من حفريات النباتات والحيوانات المعروفة، ومتحف فيلد للتاريخ الطبيعي يحوي ٢٠% من هذه الحفريات، ونظرية دارون في الانتخاب الطبيعي ترتبط ارتبـاطاً وثيقاً بـالأدلـة المسـتمـدة من الحفريـات، ومعظم النـاس يفترضـون أن الحفريات تُشـكل ركناً رئيسـياً في التفسـيرات الداروينية لتاريخ الحياة، ولكن للأسـف هذا ليس صـحيحاً، ويجب أن نميز بين حقيقة التطور، التي يتم تعريفها على أنها التغير الذي يحدث في الكائنات الحية بمرور الوقت، وبين تفسـير هذا التغير، وإسهام دارون من خلال نظريته في الانتخاب الطبيعي، أنه اقترح كيفية حدوث هذا التغير التطوري، ولكن الأدلة التي نجدها في السجل الجيولوجي لا تتوافق مع الانتخاب الطبيعي الداروينى، كما كنا نتمنى ... والحقيقة هي أنه قد مر علينا ١٢٠ عاماً بعد دارون، ومعرفتنا بسـجل الحفريات توسـعت بشـكل كبير، ولدينا ربع مليون حفرية للأنواع المختلفة، ولكن الموقف لم يتغير كثيراً، وما كان يبدو تطوراً تدريجيا بسيطاً ولطيفاً عندما كانت المعلومات المتاحة قليلة، أصبح الآن أكثر تعقيداً

---

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P280.

What Seemed Like A Simple And Gentle Gradual وأقل تدرجاً Evolution When Information Was Scarce Has Now Become More Complex And Less Gradual"[١].

ولأنه وعبر أكثر من قرن ونصـــــف قرن، لا يوجد أدلة من الحفريات والجيولوجيا على الأصـــــنـاف والحلقات الوســـيطـة التي تخيلها دارون بين كل نوع ونوع من المخلوقات، لكي تثبت تطور المخلوقات من بعضـــها بفعل الزمن، ســـد بعض خلفائه على الهلاوس هذا الصدع بابتكار صور لحلقات وسيطة لا وجود لها إلا في خيالهم، وتقديمها دون الإشـــارة إلى أنها صـــور افتراضـــية، بل دلس بعضـــهم في البحوث والدراســـات العلمية واختلقوا الحفريات نفســـها وزوروا في أعمارها، أو زعموا أن هذه الحفرية أو تلك لحلقة وسيطة وانتقالية بين نوع ونوع وهي في حقيقتها تنتمي لهذا النوع أو ذاك، أو لمخلوق آخر لا علاقة له بهذا ولا ذاك.

فإليك أولاً نموذجاً على الصـــور التي رســـموها للحلقات الوســـيطة، بناءًا على الحفريات التي لا وجود لها إلا في تخيلاتهم، وعموم البشـــر يرونها فيتوهمون أنها حقيقية.

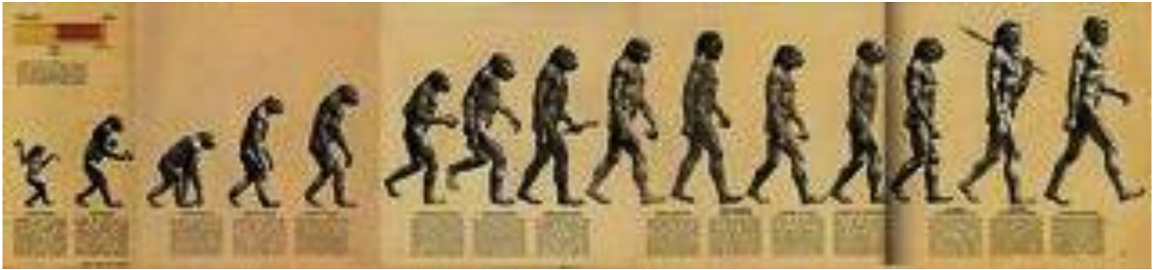
إذا ذهبت إلى دراســـة النســـخة الإنجليزية من موســـوعة ويكيبيديا اليهودية، التي عنوانها: مسيرة التقدم March Of Progress، ستجد فيها صورة تقول الموسوعة إنها تمثل مراحل تطور الإنسان المختلفة، وقد أتت بهذه الصورة من كتاب: الإنسان المبكر Early Man، الذي نشـر سـنة ١٩٦٥م، ومؤلفه فرانسـيس كلارك هَويل Francis

---

1) David Raup: Conflicts Between Darwin And Paleontology, Field Museum Of Natural History Bulletin, January 1979, P22, 25.

Clark Howell، كـان رئيس قســـم الأنثروبولوجيا أو علم الأجنـاس في جـامعـة شيكاغو[١].

فإذا ذهبت إلى كتاب: الإنسان المبكر، ستجد الصورة التي وضعها فرانسيس كلارك هويل على مدى أربع صفحات من الكتاب، تصور تطور الإنسان من سلفه القديم درَيوبيثيكوس Dryopithecus، حتى الإنسان المنتصب العاقل الحديث/هومو سابيانز، مع جميع الحلقات الوسيطة بينهما، وعددها ثلاث عشرة حلقة، فهاك هي[٢].



الصفحات من ٤٢-٤٥ من كتاب: الإنسان المبكر، وفيها رسم يصور مراحل تطور الإنسان من سلفه القديم حتى الإنسان المنتصب العاقل.

ولا يوجد في كتاب: الإنسان المبكر، لفرانسيس كلارك هويل، ولا في موسوعة ويكيبيديا، أي إشارة إلى أن جميع الحلقات الوسيطة في الصورة هي حلقات افتراضية، ولا وجود لها في الحفريات، ولا إلى أن الصورة نفسها رسم تخيلي، وليست صورة فوتوغرافية ولا تجميعاً لصور فوتوغرافية تمثل الحلقات الوسيطة للإنسان، كما يتوهم من يراها.

---

1) Wikipedia, The Free Encyclopedia: March Of Progress, Https://En.Wikipedia.Org/Wiki/March_Of_Progress.
2) Francis Clark Howell: Early Man, P42-45, Time-Life Books, New York, 1965.

فإذا ذهبت إلى الموسوعة البريطانية Britannica، ولأنها أكثر حصافة وتعرف أن من ينقبون فيها أرقى درجة من عموم البشر وكُسالى الباحثين الذين تجذبهم موسوعة ويكيبيديا بسهولة الوصول إليها وترجمة مقالاتها إلى لغاتهم المختلفة، إذا ذهبت إلى الموسوعة البريطانية، ستجد دراسة لأستاذ الأنثروبولوجيا والتطور الحيوي في جامعة شيكاغو، رسل تَتل Russell Tuttle، عنوانها: التطور البشري Human Evolution، وستجد معها صورة شبيهة بالصورة التي في كتاب فرانسيس كلارك هَويل وموسوعة ويكيبيديا، وتحت الصورة هذه العبارة:

"تصوير فني لخمسة أنواع من سلالة البشر"[١]!

An Artist's Depiction Of Five Species Of The Human Lineage

وجميع الصور التي يقدمونها على أنها من أسلاف الإنسان أو حلقات انتقالية وسيطة بينه وبين سلفه القديم، هي رسوم فنية تخيلية، ولا وجود لها إلا في أذهانهم، وبعض هذه الصور تخيلوها من عظمة واحدة، مثل جانب من جمجمة، أو جزء من فك، أو ضرس، ثم يستكملون الباقي بخيالهم الواسع، فيقيمون الهيكل العظمي كله ويحنونه أو ينصبونه ويكسونه بالعضلات ويمنحونه الملامح والقسمات، ثم يصفونه للرسامين المحترفين، وبعد ذلك يقدمون ما رسموه على أنه دليل قاطع على عقيدتهم في تطور الإنسان، فيتوهم من يراها أنهم وجدوها هكذا بعظمها ولحمها وشحمها، ثم يتلقف البقر في الصحف والمجلات والإنترنت في بلدان الحمار الأمي وفي بلاليص ستان هذه الصور ويشيعونها بين عموم الناس على أنها حقيقية وتثبت أن هلاوس التطور حقائق.

---

1) Russell Howard Tuttle: Human Evolution, Https://Www.Britannica.Com/Science/Human-Evolution.

سلف للإنسان بلحمه وشحمه من ضرس خنزير بري:

فتأهب بكوب من الشاي بالنعناع وطبق لب وفول سوداني، لكي يكتمل استمتاعك وأنت ترى هذا الفيلم الكوميدي الذي صنعته هلاوس التطور.

في سنة ١٩١٧م، عثر هارولد كوك Harold Cook ضمن بعثة للتنقيب عن الحفائر، على ضرس متحجر في غرب ولاية نبراسكا الأمريكية، وفي شهر فبراير سنة ١٩٢٢م وصل الضرس إلى أستاذ الجيولوجيا ورئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، هنري أوسبورن Henry Osborn، فقام بعرضه على ثلاثة من أصدقائه أساتذة الجيولوجيا وعلم الحفريات، واشتركوا معاً في فحص الضرس وإجراء بحوث عليه، ووصلوا إلى أنه ضرس لأحد أسلاف الإنسان من العصر البليوسيني، وأطلقوا عليه اسماً لاتينياً معقداً من الأسماء التي يقرطسون بها الأميين ويوهمونهم بها أن تخيلاتهم علوم عميقة، وليس لأحد أن يراجعهم طالما أنه انبهر بالاسم المعقد الذي ابتكروه ولا يعرف كيف ينطقه، وهو هسبيروبيثيكوس هارولدكوكياي Hesperopithecus Haroldcookii.

وفي يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٢م، قدم هنري أوسبورن دراسة عن اكتشافهم لأحد أسلاف الإنسان، أمام الأكاديمية الأمريكية للعلوم، ووصف فيها سلف الإنسان الذي تخيلوه بناءًا على الضرس الذي اكتشفوه، وكان عنوانها: هسبيروبيثيكوس، أول الرئيسيات الشبيهة بالإنسان التي يتم اكتشافها في أمريكا Hesperopithecus, The First Anthropoid Primate Found In America، فأقرتها الأكاديمية، ثم نُشرت الدراسة في عدد شهر مايو سنة ١٩٢٢م، من مجلة ساينس Science، التي تصدرها الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم American Association For The Advancement Of Science، ومما جاء فيها:

"والضرس يشـبه فعلاً النوع البشري أكثر من أي نوع معروف من القردة الشبيهة بـالإنســـان The Tooth Actually Resembles The Human Type More Closely Than It Does Any Known Anthropoid Ape Type، ومن ثم ســيكون من المضـــل الحديث عن هســـبيروبيثيكوس على أنه نوع جديد ومستقل من الرئيسيات"[١].

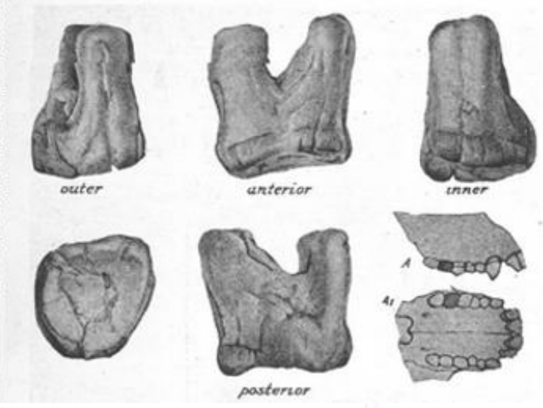
وبعد نشر الدراسة في مجلة ساينس، تلقفتها الصحف والمجلات العامة في الولايات المتحدة وأوروبا، ونشـــرت نبذة عنها، وأطلقت على الحفرية التي قال أوســـبورن إنهم اكتشـفوها اسـماً شـعبياً، هو إنسـان نبراسـكا Nebraska Man، ثم كلفت مجلة لندن نيوز London News، أستاذ الحفريات جرافتون سميث Grafton Smith، والرسام الفرنســي المتخصـص في رسـوم عصـور ما قبل التاريخ أميدي فورسـتي Amédée Forestier، بتصميم رسم لإنسان نبراسكا حسب وصف أوسبورن في مجلة ساينس، ثم نشرته، وهو يصـور اثنين من إنسان نبراسكا في غابة وأحدهما منتصـب القامة مع انحناء خفيف وإبهامه مضـمومة مثل الإنسـان على طوبة في يمينه، وعلى عصـا في يساره، والآخر جالس على الأرض، وصارت هذه هي صورة سلف الإنسان التي تثبت تطوره في أذهان عموم البقر.

فهاك الضـرس الذي اكتشـفوه في نبراسـكا، مع الصـورة التي رسـمها فورسـتي أميدي لسلف الإنسان الذي تخيله هنري أوسبورن وأصدقاؤه بناءًا على الضرس معاً.

---

1) Henry Osborn: Hesperopithecus, The First Anthropoid Primate Found In America, Science, Vol. 55, Issue 1427, P463–465, May 1922.





ضرس نبراسكا، وسلف الإنسان الذي تخيلوه من الضرس

وفي سنة ١٩٢٥م، أعادت بعثة للحفريات استكشاف مناطق غرب نبراسكا، وعثرت على هيكل عظمي، واشتبهت أنه الهيكل الذي ينتمي إليه الضرس الذي اكتشفوه سنة ١٩٢٢م، فقام أستاذ البيولوجيا وعلوم الحيوان في جامعة كولومبيا، ورئيس القسم الخاص بها في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وليم كينج جريجوري William King Gregory، بفحص الهيكل العظمي والضرس، ووصل فعلاً إلى أن الضرس والهيكل لحيوان واحد، وكتب دراسة في عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧م، من مجلة ساينس، عن نتيجة فحصه، وكان عنوانها:

"يبدو أن هسبيروبيثيكوس ليس قرداً ولا إنساناً Hesperopithecus Apparently Not An Ape Nor A Man"[١].

---

1) William King Gregory: Hesperopithecus Apparently Not An Ape Nor A Man, Science, Vol. 66, Issue 1720, P579-581, December, 1927.

فإذا تســاءلت: إذا لم يكن إنســان نبراســكا الذي قالوا إنه ســلف للإنســان قرداً ولا إنساناً، فماذا يكون؟

فهاك ذروة الكوميديا من العبارة التي ختم بها وليم جريجوري دراسته:

"وعلى ذلك، وفي ضـوء الاكتشــافات الأخيرة، من الواضــح أن الضــرس الذي تم تحديده من قبلُ على أنه ينتمي إلى هسبيروبيثيكوس، ينتمي فعلاً إلى بروستينوبس Prosthennops"(١).

وبروســتينوبس، وتماســك لكيلا تقع على ظهرك من الضـــحك، نوع من الخنازير البرية Peccary، كان يعيش في أمريكا الشمالية، في العصـر الميوسـيني، وليس في العصر البليوسيني!

والآن ننتقل بك من فبركة الصــور التي تخاطب عموم البشــر، من أجل دق عقيدة التطور في رؤوســهم، إلى التدليس في الدراســات والبحوث العلمية، باختلاق حفريات للحلقات الوســيطة والانتقالية بين أنواع المخلوقات، التي وضــع تشــارلز دارون كتابه وهو يحلم أنه ســوف يأتي يوم ويتم اكتشــافها لكي تثبت صــحة تخيلاته، فلما لم يعثر عليها خلفاؤه زوروها.

في ســبعينيات القرن التاســع عشـر، قام أســتاذ علم الحفريات أوثنيل تشــارلز مارش Othniel Charles Marsh، بعمليات تنقيب واستكشاف في شمال أمريكا الشمالية، وقـال إنـه عثر على حفريـات تثبـت تطور الحصــــان من ســــلفـه القديم إيوهبَس Eohippus، إلى الحصـــان الحديث إيكواس Equus، وما إن بلغت أنباء اكتشـــافه توماس هكســـلي، حتى ســـارع للتواصـــل معه، وقام بترتيب معرض في لندن لعرض

---

1) **Hesperopithecus Apparently Not An Ape Nor A Man, Science, Vol. 66, Issue 1720, P579-581, December 1927.**

الحفريات، وألقى توماس هكسـلي عدة محاضـرات في الجمعية الملكية البريطانية، للتعريف بالاكتشـاف وإثباته لصـحة نظرية التطور، وقال إنها حفريات كاملة لجميع الحلقات الوسيطة بين الحصان الحديث وسلفه القديم.

وفي عددها الصادر في شهر مايو سنة ١٨٧٦م، نشرت مجلة نيتشر Nature، تقريراً عرضـت فيه محاضـرات توماس هكسـلي وأوردت نصـوصـاً منها، وكان عنوان التقرير: محاضـرات البروفسور هكسـلي حول الأدلة المتعلقة بأصـل الحيوانات الفقارية Prof. Huxley's Lectures On The Evidence As To The Origin Of Existing Vertebrate Animals.

فإليك فقرات من محاضرات توماس هكسلي، كما جاءت في تقرير مجلة نيتشر:

"في العصـر البليوسـيني والعصـر الميوسـيني الأقدم منه In The Pliocene And Older Miocene، في أوروبـا وأمريكـا، عُثر على عـدد من الحيوانـات الشـبيهة بالخيول، وهي تُشـبه الحصـان الحالي في عدد أسـنانه وشـكلها ونمطها ومحاجر أعينها، وتختلف عنه في تفاصـيل أخرى، وخاصـة في بنية أطرافه، وهذه الحيوانـات تنتمي إلى أجنـاس بروتوهيبس وهيبـاريون Protohippus And Hipparion، وهي السـلف المباشـر للخيول الرباعية Quaternary Horses، وهذا الدليل قاطع على حقيقة التطور، فإذا كان من الممكن إثبات أن حيوانًا معقداً مثل الحصـان نشـأ من خلال التعديل التدريجي لشكل أدنى وأقل تخصـصـاً، فلا يوجد بالتأكيد سبب للاعتقاد بأن الحيوانات الأخرى نشأت بطريقة مختلفة"[١].

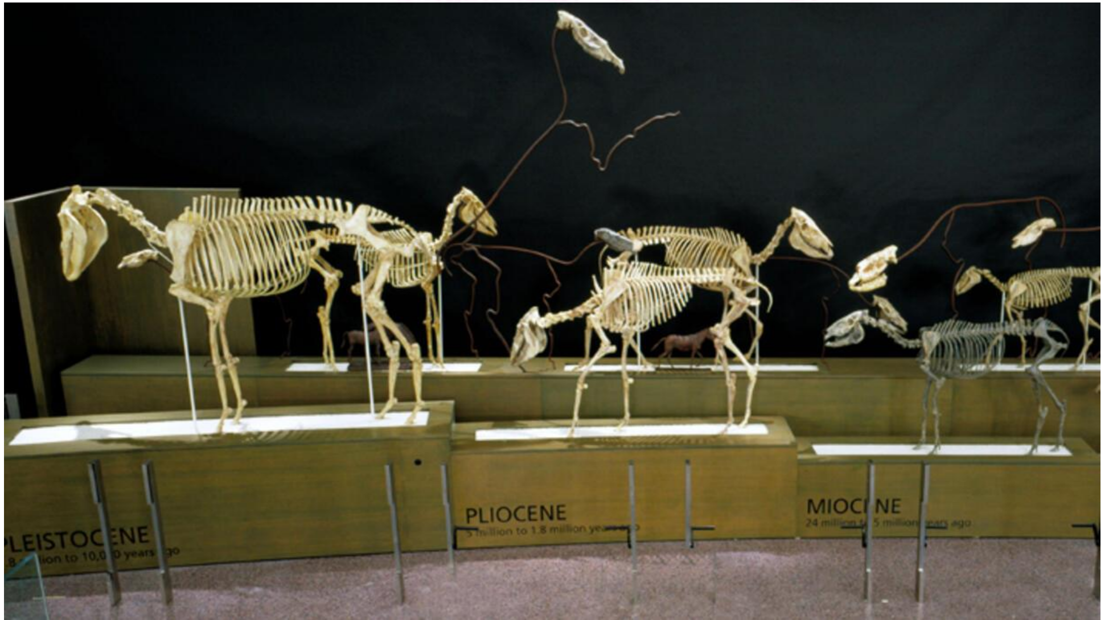
وقد عرفناك بتوماس هكسـلي من قبل، وهو أحد أشـهر الملاحدة في القرن التاسـع عشر، وقد تلقف كتاب: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي لتشارلز دارون،

---

1) Nature: Prof. Huxley's Lectures On The Evidence As To The Origin Of Existing Vertebrate Animals, Nature, Vol. XIV, P 33-34, 1876.

بحماسة شديدة، وهو الذي قدمه للجمعية الملكية البريطانية، وتولى التعريف بتشارلز داروِن وكتابه في محاضرات عامة عديدة، ولذا كانوا يسمونه كلب حراسة داروِن Darwin's Bulldog.

ونسينا أن نخبرك أن الحفريات الكاملة التي قال أوثنيل مارش وتوماس هكسلي، إنها حفريات كاملة لسلف الحصان القديم وجميع الحلقات الوسيطة بينه وبين الحصان الحديث، محفوظة في مجموعتين، إحداهما في متحف التاريخ الطبيعي في لندن Natural History Museum، والأخرى في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي American Museum Of Natural History، وظلت عشرات السنين تقدم لرواد المتاحف وجماهيرها على أنها نموذج ودليل قاطع على صحة نظرية التطور، فهاك صورتها:



حفريات أسلاف الحصان الحديث وحلقاته الوسيطة في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي

ومرة أخرى إليك المفاجأة، وربما توقعتها ولن تكون مفاجأة، فالحفريات التي جمعها أوثنيل مارش وقدمها توماس هكسلي في محاضراته والمعرض الذي نظمه لها، ليست لأسلاف الحصان، بل هي عظام وجماجم وأسنان لحيوانات من أنواع مختلفة، وكانت موجودة وتعيش معاً في نفس العصر الجيولوجي، وبعضها هياكل قام مارش وهكسلي بتجميعها من عظام حيوانات مختلفة ولفقوها مع بعضها على أنها هيكل كامل لواحد من أسلاف الحصان.

وفي شهر أكتوبر سنة ١٩٨٠م، ألقى رئيس تحرير مجلة ساينس Science، التي تصدرها الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم، رويس رينزبرجر Royce Rensberger، ألقى محاضرة في جامعة شيكاغو، عن المعضلات التي تواجه نظرية التطور، وكان عنوانها: الأفكار عن التطور تواجه ثورة بين العلماء Ideas On Evolution Going Through A Revolution Among Scientists، ونشرت المحاضرة يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٨٠م، في مجلة حوليات هيوستون Houston Chronicle، وفيها يقول عن حفريات الحصان التي لفقها مارش وهكسلي:

"من المعروف منذ زمن طويل خطأ المثال الشائع عن تطور الخيول، والذي يفترض سلسلة من التغيرات التدريجية التي حدثت لكائنات رباعية الأصابع بحجم الثعلب، عاشت قبل نحو ٥٠ مليون سنة، وأنتجت حصان اليوم الأكبر حجماً ذا الإصبع الواحد، فبدلاً من التغير التدريجي المفترض، تبدو حفريات كل نوع وسيط متميزة تماماً عن الأخرى، وتظل ثابتة بلا تغيير، ثم تنقرض، والأشكال الانتقالية غير معروفة Fossils Of Each Intermediate Species Appear Fully Distinct, Persist Unchanged"[١].

---

1) **Boyce Rensberger: Ideas On Evolution Going Through A Revolution Among Scientists, Houston Chronicle, 5 November 1980, Sec. 4, P15.**

وفي كتابه: التطور علم أم أيديولوجيا Evolution Science Or Ideology، ينقل أستاذ البيولوجيا وعلوم الحيوان في جامعة ٩ أيلول التركية Dokuz Eylü، عرفان يلماز İrfan Yılmaz، عن محاضرة لمدير متحف التاريخ الطبيعي في لندن، كولن باترسون Colin Patterson، أنه:

"يوجد عدد كبير من الحكايات عن تاريخ الحياة، وبعضها أكثر خيالاً من غيرها More Imaginative، وأشهر الأمثلة على ذلك مازال معروضاً في الطابق الأسفل من المتحف، وهو معرض تطور الحصان، الذي يتم تقديمه في الكتب المدرسية على أنه حقيقة مجردة، ومما يدعو للأسف أن من يشيعون هذه الحكايات يعرفون أن ما فيها مجرد تخمينات"(١).

فيلم لوسي:

وإليك مثالاً آخر على التلفيق والتزوير في الحفريات التي يقولون إنها لأسلاف الإنسان، في سنة ١٩٧٤م، قام فريق دولي من علماء الجيولوجيا والحفريات، يقوده أستاذ الجيولوجيا والحفريات، في المركز الأوروبي لعلوم الأرض والبيئة Centre Européen De Recherche Et d'Enseignement De Géosciences De L'environnement، موريس طيب Maurice Taieb، وهو فرنسي من أصل تونسي، باستكشافات واسعة للحفريات في إثيوبيا، وعثر أحد أعضاء الفريق وأستاذ الأنثروبولوجيا ومؤسس معهد أصول الإنسان في كاليفورنيا Institute Of Human Origins، دونالد جوهانسون Donald Johanson، على عظام متناثرة في منطقة عَفَر، وبعد فحصها، قالوا إنها تُكوّن ٤٠% من الهيكل العظمي لامرأة عمرها ١٥ سنة، وكانت تعيش منذ ٣,٢ مليون سنة.

---

1) İrfan Yılmaz: Evolution Science Or Ideology, P168-169, Paramus Publishing, New Jersey, 2009.

فإذا كانوا قد تخيلوا سـلفاً كاملاً للإنسـان بلحمه وشـحمه من ضـرس خنزير بري، يمكنك أن تتوقع مقدار الهلاوس التي هلوسوها من حفرية بها ٤٠% من هيكل عظمي لحيوان يقولون إنه منتصب القامة.

يقول دونالد جوهانسـون، إن الحفرية التي عثر عليها جمجمتها صـغيرة وتنتمي إلى جماجم القرود، بينما عظام حوضـها وسـاقيها تدل على أنها كانت منتصـبة وتمشـي على ساقين مثل الإنسان، ولذا فهي سلف للإنسان وحلقة انتقالية بينه وبين القرد، ومن أقدم أسلاف الإنسان التي تم اكتشافها، وأطلقوا عليها اسماً لاتينياً، هو أوسترالوبيثيكوس أفارنيزيز Australopithecus Afarensis، نسـبة إلى إقليم أفر أو عفر الإثيوبي، وأطلقوا عليها اسماً شعبياً قدموه للصحف والمجلات العامة، هو لوسي.

وفي كتابه: لوسي بداية البشرية Lucy, The Beginnings Of Humankind، وصـف دونالد جوهانسـون بعثة الاسـتكشـاف في إثيوبيا، وكيف تم اكتشـاف لوسـي، والفحوص التي أجريت لهيكلها العظمي، ثم يقول في وصف لوسي:

"وهذا الاكتشاف، وهو أول نوع من أسلاف البشر يتم تسميته منذ خمسة عشر عاماً، يوجه ضـربة قوية للاعتقاد القديم الذي ما زال سـائداً على نطاق واسـع، بأن انتصاب القامة Erect Posture، الذي من شأنه أن يحرر اليدين لصنع الأدوات، تطور بالتزامن مع كبر حجم المخ، والنظرة الجديدة هي أن العظام ليست فقط تشبه عظام القردة في الفكين والأسـنان والجمجمة إلى حد يجعلها بعيدة أن تخص هومو/الإنسـان Homo، بل وأنها أيضـاً أكثر بدائية من البقايا المعروفة سـابقاً لسلالة أخرى تشبه الإنسان تسمى أوسترالوبيثيكوس Australopithecus"[١].

---

1) **Donald Johanson: Lucy, The Beginnings Of Humankind, P295, Simon And Schuster, New York, 1981.**

وهذه هي صورة هيكل لوسي العظمي الذي جمعه دونالد جوهانسون، مع صورتها التي تخيلها الرسامون ويتم عرضها على أنها أقدم سلف للإنسان يمشي منتصباً، والحلقة الوسيطة بينه وبين القرد.




هيكل لوسي العظمي الذي جمعه دونالد جوهانسون، **مع صورتها التي تخيلها الرسامون ويتم عرضها على أنها أقدم سلف للإنسان يمشي منتصباً، والحلقة الوسيطة بينه وبين القرود.**

وتنبه وأن ترى هيكل لوسي وشكلها الذي تخيلوه، أن دليلهم في جميع النماذج التي يقدمونها عن أسلاف الإنسان، هو انتصاب القامة وشكل العظام وحجم الجمجمة، بينما الفرق الأساسي بين الإنسان وجميع المخلوقات الأخرى، والذي يتعمدون قرطسة الأميين بإسقاطه والتعامي عنه، هو العقل والوعي والإدراك والقدرة على تصور المعاني والتعبير عنها، وليس شكل العظام والجمجمة ولا حجم المخ، والعقل والوعي غير مادي ولا يخضع للقياسات وقوانين الزمان والمكان الفيزيائية، وإلى يومك هذا لا يعرف علماء

البيولوجيا والأعصـــاب حقيقته ومصـــدره وكيف يتكون ويعمل، ومن أين تأتي الأفكار والوعي غير المادي.

وإليك المفاجأة التي لم تعد مفاجأة، في عدد شهر أبريل سنة ٢٠٠٧م، نشرت مجلة الأكـاديميـة الأمريكيـة للعلوم، بِنـاس The Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS)، دراسة عنوانها: تشريح فكي أوسترالوبيثيكوس الشـــبيه بالغوريلا يشـــير إلى رابطة بين أوســـترالوبيثيكوس أفارنيزيز وأوســـترالوبيثوس روبَســـــت Gorilla-Like Anatomy On Australopithecus Afarensis Mandibles Suggests Australopithecus Afarensis Link To Robust Australopiths، وتقول الدراسة:

"لأن البشـر المعاصـرين، والشـمبانزي، وإنســان الغاب، والعديد من الرئيســيات الأخرى، يشـــتركون في مورفولوجيا/خصـــائص شـــكلية تختلف عن مورفولوجيا الغوريلا، فإن تشريح الغوريلا لا بد أن يمثل حالة فريدة، وظهوره في حفريات أشباه البشر، يمثل مورفولوجيا/خصائص شكلية مشتقة بشكل مستقل عن البشر، وهذه المورفولوجيـا تظهر تحـديـداً في أوســـترالوبيثيكوس روبَســـتوس، ووجود هـذه المورفولوجيا في أوسترالوبيثيكوس روبَستوس وأوسترالوبيثيكوس أفارنيزيز، وغيابها في البشـر المعاصـرين، يلقي بظلال من الشــك على فرضـية أن أوســترالوبيثيكوس أفارنيزيز سلف للإنسان الحديث Doubt On The Role Of Au. Afarensis As A Modern Human Ancestor"[١].

1) **Yoel Rak, Avishag Ginzburg, Eli Geffen: Gorilla-Like Anatomy On Australopithecus Afarensis Mandibles Suggests Australopithecus Afarensis Link To Robust Australopiths, The Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), Vol. 104, Issue 16, April, 2007.**

وفي سـنة ٢٠٢٠م، قام فريق من تسـعة من الأسـاتذة في عدة جامعات في ألمانيا والولايات المتحدة، في تخصـصـات مختلفة، تشـمل علم الحفريات والجيولوجيا وعلم الأجناس والأطباء، برئاسـة أستاذ الأنثروبولوجيا في معهد ماكس بلانك للأنثروبولوجيا التطورية Max Planck Institute For Evolutionary Anthropology، في جامعة لايبزج Leipzig، فيليب جَنز Philipp Gunz، بدارسة عظام لوسي بالأشعة المقطعية، والأشعة تحت الحمراء، ونشروا دراستهم في عدد شهر أبريل سنة ٢٠٢٠م، من مجلة سـاينس أدفانس أو تقدم العلوم Science Advances، وكان عنوانها: قحاف جمجمة أوسـترالوبيثيكوس تشـير إلى أن مخها شـبيه بتنظيم مخ القردة Australopithecus Afarensis Endocasts Suggest Ape-Like Brain Organization And Prolonged Brain Growth، وهذه هي خلاصة دراستهم:

"على عكس الادعاءات السـابقة، تكشـف آثار تجاويف المخ وبروزاته في الجمجمة Sulcal Imprints إلى بنية للمخ شـبيهة بتلك الموجودة لدى القردة، ولا توجد أي سـمات منها لدى البشـر No Features Derived Toward Humans"[1].

وفي سنة ٢٠١٦م، قام فريق من تسعة علماء أيضاً من جامعة تكساس، برئاسة أسـتاذ الأنثروبولوجيا في الجامعة جون كابِلمان John Kappelman، بإعادة فحص هيكل لوسـي العظمي، ونشروا نتائج فحصـهم في عدد شـهر أغسطس سنة ٢٠١٦م، من مجلة نيتشر Nature، وكان عنون الدراسـة: الكسور في عظام لوسـي ترجح أنها

1) Philipp Gunz, Simon Neubauer, Dean Falk, Paul Tafforeau, Adeline Le Cabec, Tanya Smith, William Kimbel, Fred Spoor, Zeresenay Alemseged: Australopithecus Afarensis Endocasts Suggest Ape-Like Brain Organization And Prolonged Brain Growth, Science Advances, Vol 6, Issue 14, Apr 2020.

ماتت بسبب سقوطها من أعلى شجرة طويلة Perimortem Fractures In Lucy Suggest Mortality From Fall Out Of Tall Tree.

وفي الدراسة يقول فريق جامعة تكساس:

"توجد كسور متعددة في عظام لوسي، والإصابات ومواضعها ودرجتها تشير إلى أنها سقطت من أعلى شجرة طويلة، ومن المرجح أنها اصطدمت بسطح صلب Lucy Fell Out Of A Tall Tree And It Is Likely That The Impact Occurred On A Hard Surface، فانتقل تأثير الصدمة بسرعة من الأرجل إلى الحوض ثم إلى الأذرع والصدر، ثم إلى الرأس"[١].

وعلى ذلك، فلوسي التي زعموا أنها سلف للإنسان منتصب القامة، كانت تعيش في أعالي الأشجار وليس على الأرض.

ثم إليك المفاجأة الأكبر، في عدد شهر أغسطس سنة ٢٠١٥م، نشرت مجلة التطور البشري Journal Of Human Evolution، دراسة لفريق من أساتذة الحفريات والأنثروبولوجيا، يرأسه أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة مدينة نيويورك، مارك ماير Marc Mayer، وكان عنوانها: ظهر لوسي، إعادة تقييم الحفرية Lucy's Back Reassessment Of Fossils، وفي الدراسة يقولون إنهم بعد أن فحصوا العمود الفقري لهيكل لوسي، وصلوا إلى أن فقرتين من فقرات الظهر التي فحصوها أقل في الحجم وتختلف في الشكل عن بقية الفقرات، وأنها لا تخص لوسي!

---

1) John Kappelman, Richard Ketcham, Stephen Pearce, Lawrence Todd, Wiley Akins, Matthew Colbert Mulugeta Feseha, Jessica Maisano & Adrienne Witze: Perimortem Fractures In Lucy Suggest Mortality From Fall Out Of Tall Tree, Nature, 22 September, P503-507, 2016.

فإذا تســاءلت: فمن تخص إذاً هذه الفقرات، فإليك مارك ماير ورفاقه في الدراســة يخبرونك بإجابة السؤال؟

"بمقارنة هذه الفقرات مع الفقرات الأخرى، فإن حجم الفقرة A.L. 288-1am أقل بكثير من الحجم المتوقع ضمن عمودها الفقري، وبالإضافة إلى ذلك اتضح أن هذه الفقرة تُظهر خصــائص غير مترية غائبة في أشــباه البشــر Non-Metric Characters Absent In Hominoids، ولكنها شائعة في جِنَس ثيروبيثيكوس Genus Theropithecus، والممثل الوحيد له اليوم فصيلة جلادا في قرد البابون Gelada Baboon، وعملنا لا ينكر الأعمال السابقة حول لوسي وأهميتها للتطور البشري، لكنه يُسلط الضوء على أهمية دراسة الحفريات الأصلية، والالتزام بالمنهج العلمي"[١].

وهكذا، وبعد هذا الماراثون الطويل من البحوث والفحوص والأســماء اللاتينية المعقدة، انتهى فيلم لوســي، على أن الجزء الذي عثروا عليه من هيكلها العظمي، والذي تم تصــويره على أنه أول سـلف منتصـب للإنسـان يتم العثور عليه، هو عظام القرْدة لوســي وعظام أحد قرَدة البابون، وقد اختلطت معاً في الحفريات التي جمعها دونالد جوهانســون، أو خلط بينها هو عمداً، وقرروا إخراجها فعلاً من تصــنيف الهيمونينز أو أسلاف البشر!

حفرية عمرها ٢٧ ألف سنة لشخص مات من ٢٥٠ سنة:

وننتقل بك من اختلاق الحفريات إلى التزوير في أعمارها، منذ منتصـف سـبعينيات القرن العشــرين، وعلى مدى ثلاثين عاماً، قام أســتاذ الأنثروبولوجي في جامعة

---

1) Marc Meyer, Scott Williams, Michael Smith, Gary Sawyer: Lucy's Back Reassessment Of Fossils, Journal of Human Evolution, Volume 85, August 2015, P174-180.

فرانكفورت راينر بروتش فون تسيتن Reiner Protsch Von Zieten، بعمل دراسات في معامل الجامعة لتحديد أعمار بعض الحفريات باســتخدام الكربون المشــع، وكانت نتائج عمله مبهرة وبنيت عليها دراســـــات عديدة في جامعات أوروبية مختلفة، لأنها كشفت عن وجود أسلاف للإنسان في أوروبا منذ عشرات الآلاف من السنين، ومن ذلك أنه قدر عمر حفرية إنســـــان هانْهُوفِرســــانت Hahnhöfersand Man، أنه ٣٦,٣٠٠ ســــنة، وهو ما جعله عند علماء الحفريات أقدم الماني معروف في التاريخ، ودليلاً على وجود نياندرتال Neandertal في شــــمال أوروبا، وهو كما كانوا يعتقدون أحد أسلاف الإنسان، وقدر فون تسيتن أيضاً عمر حفرية بنسهوف شباير Binshof-Speyer، وهي جمجمة لامرأة وتحوي أضــراســاً، بأنه ٢١,٣٠٠ ســنة، وعمر حفرية إنسان بادبورن زَنده Paderborn-Sande، بأنه ٢٧,٤٠٠ سنة.

وفي ســــنة ٢٠٠٤م، طلب أســـتاذ الحفريات في جامعة جريفزفالد الألمانية Greifswald، توماس تيربرجر Thomas Terberger، من جامعة فرانكفورت أن يقوم بفحص الحفريات وتحديد عمرها في معامل جامعة أكســـفورد الحديثة، فوافقت الجامعة، وقام فعلاً بفحص الحفريات، بالاشتراك مع مارتن ستريت Martin Street، الأســـتاذ في معهد أبحاث العصــــر الحجري في بريطانيا Stone Age Institute، ونشــروا نتيجة فحصـــهم، فإليك هذه النتيجة، كما نشــرتها مجلة المعهد الأمريكي لعلم الآثار Archaeology، في عدد شهر مايو سنة ٢٠٠٥م:

"إنســـان هانْهُوفِرســـانت، الذي تم تقدير عمره أنه ٣٦,٣٠٠ ســـنة، يبلغ عمره ٧,٥٠٠ سنة فقط، وجمجمة بنسهوف شباير، والمعروفة بأسنانها المحفوظة جيداً، عمرها ٣,٠٩٠ سنة، وليس ٢١,٣٠٠ سنة، وإنسان بادبورن زَنده الذي قال بروتش

إن عمره ٢٧,٤٠٠ ســـــنة، مات في القرن الثامن عشـــر، ولا يتجاوز عمره ٢٥٠ سنة"[١]!

وفي يوم ١٩ فبراير ٢٠٠٥م، نشـــرت صـــحيفة الجارديان البريطانية، تقريراً أعده محررها لوك هاردنج Luke Harding، عن تزوير فون تسيتن في أعمار الحفريات، وضمن التقرير حوار مع توماس تيربرجر الذي اكتشف التزوير، وفيه يقول:

"علم الأنثروبولوجيا مضطر إلى إجراء مراجعة شاملة لمعرفته بالإنسان الحديث في الفترة التي تقع بين ٤٠ ألف سنة و١٠ آلاف سنة مضت، فأعمال البروفسور بروتش أثبتت أن الإنسان الحديث ونياندرتال قد تعايشوا معاً، وربما تزاوجوا وأنجبوا أطفالًا معاً، ولكن يبدو الآن أن هذا محض هراء/زبالة This Now Appears To Be Rubbish"[٢]!

والآن إلى المســـألة الحقيقية والعميقة، وليســـت هي ما رأيته من تلفيق وتزوير وتدليس، من أســـاتذة وخبراء في البيولوجيا وعلم الحفريات والجيولوجيا وعلم الأجناس، بل المســـألة الحقيقية والعميقة لماذا هذا التلفيق والتزوير، وما الذي يكســـبونه منه أو يضطرهم إليه؟

والإجابة، هي ما أخبرناك به من قبل، **فأولاً**، التطور ليس نظرية علمية، كما نكرر ونلح عليك، بل هو عقيدتهم وهم يدافعون عنها ويلفقون لها الشـواهد والأدلة، كما يفعل أصـــحاب كل عقيدة باطلة، وإذا غاب الوجود الإلهي والآخرة والحســـاب من وعيهم ونفوســـهم، فكل شـــيء لإثبات العقيدة التي نشـــأوا عليها ويعتنقونها مباح، طالما أن

1) Archaeology Journal: Look Before You Date, Volume 58, Number 3, May/June 2005.
2) Luke Harding: History Of Modern Man Unravels As German Scholar Is Exposed As Fraud, The Guardian, Saturday 19 Feb 2005.

الشـــخص أو المجموعة يملكون من القدرات العقلية والذهنية ما يُمكِّنهم من فعل ذلك دون أن يكتشـــف أحد ما فعلوه، وما يفعلونه ليس فقط لتضـــليل من حولهم، بل لكي يُســـبغ على عقيدة التطور ما يبررها في أنفســـهم هم، ويطمس ما فيها من ضـــلال، وأيضاً كما يفعل أصحاب كل عقيدة باطلة.

وثانياً، لأن التطور هو العقيدة العامة للغرب، ومن يســـيطرون حقاً على وعيه ومقاليده العامة يوظفونها، ضـــمن ما يوظفونه، في الإطاحة بعقيدة الإله واجب الوجود والخلق، لأن ذلك، كما علمتَ في باب: **الحركات الســـرية والعلوم الطبيعية،** هو ما يُمكِّنهم من السيطرة على وعي البشر وإخضاعهم بوسائل ناعمة غير مرئية، ليس منذ القرن التاسع عشر وكتب تشارلز دارون، بل منذ عصر النهضة وانتقال تمركز اليهود والحركات السرية ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب في أعقاب الحروب الصليبية، وتشارلز دارون حوَّل عقيدة التطور إلى نظرية بيولوجية وتوسع فيها وبلورها ولبسها بالشواهد من الطبيعة، ولكن ليس هو الذي ابتكر أساساتها وأركانها.

والذين يلفقون ويزورون الشـــواهد والأدلة لإثبات نظرية التطور، يعلمون أنها نقيض الوجود الإلهي والخلق، وأن ما يقدمونه لإثباتها يرضـي عنهم من يسيطرون على وعي الغرب ويسيِّرونه ويصـنعون معتقداته وأفكاره الكبرى، فتنفتح لهم بذلك أبواب الجامعات والأكاديميات، ويصـنفونهم على أنهم علماء، ويفتح لهم من يصـدرون المجلات العلمية صفحاتها، ويمنحونهم الجوائز، ويصبحون من نجوم المجتمع.

وإذا راجعت جميع الأمثلة على تلفيق الأدلة والشـواهد لإثبات عقيدة التطور، سـتجد أن ثمة من اكتشـــفوا هذا التلفيق والتزوير، وانتقدوا من قاموا به، ولكنهم في الحقيقة مثلهم، وجميعهم أســـرى عقيدة التطور وعلى أعينهم غشـــاوة تجعلهم يدورون داخل سـاقيتها ولا يرون خارج دائرتها، وانتقدوا عقيدة التطور وهم يدافعون عنها ويتحسـسـون مواضــع كلماتهم، لكيلا توحي بنقد أصـلها، ليس لأنها نظرية علمية، فكل ما يكتشـفه

العلم ويظهر من الشواهد العلمية الحقيقية مع الزمن ينقضها، بل لأنها عقيدتهم وعقيدة الأوساط التي تحيط بهم وغرستها فيهم، ولأنهم يدركون ما سيحيق بهم إذا زلت كلماتهم وأوحت لمن يقومون عليها ويحرسونها ويسيطرون على الجامعات والمجلات العلمية أنهم خارجون عليها، فحينئذ سيُخرجونهم من تصنيف العلماء، ويضعون بحوثهم ودراساتهم في خانة العلم الزائف، وتغلق أمامهم الأبواب، ويصيرون من المنبوذين.

وإذا ذهب أحد من مراهقي بلاليص ستان إلى جامعة في الغرب، لكي يتلقى العلم، فعليه أن يتواءم مع عقيدة التطور ويقبلها طوعاً أو كرهاً، ويدور خلفهم داخل دائرتها، وإذا اعترض عليها، أو بدت منه بوادر إنكارها والخروج عليها، فسوف يركلونه بأقدامهم ويشحنونه على أول طائرة عائدة إلى بلاليص ستان، ولن يحصل على الشهادة التي ذهب إليهم وهو يحلم أن يعود بها لكي ينفخ صدره ويختال بها وتنفتح له أبواب جامعات بلاليص ستان ووسائل إعلامها.



الانتخاب الطبيعي أو السيكو سيكو

والآن ننتقل بك من الزمان الطويل إلى الفاعل في عقيدة التطور الذي ينتج المخلوقات على تنوعها وكثرتها داخل هذا الزمان عند تشارلز دارون وخلفائه على هلاوسه.

وأول هؤلاء الفاعلين في هلاوس التطور، هو الانتخاب الطبيعي، ومعناه أن أنواع المخلوقات تتكيف في مواجهة الظروف البيئية القاسية، أو مع الدخول في تنافس وصراعات مع الأنواع الأخرى، ويحدث تغير في أعضائها يمكِّنها من التغلب على هذه الظروف والخروج من الصراعات، والفرد من النوع الذي يكون أكثر قدرة على التكيف وتتغير أعضاؤه بصورة أكبر وتمكنه من مواجهة البيئة والنجاة من الصراعات، هو الذي سيبقى ويورث الصفات التي اكتسبتها أعضاؤه لنسله، ثم تتراكم هذه التغيرات مع الزمن وعبر آلاف الأجيال، إلى أن ينتج نوع جديد منفصل عن الأصل الأول الذي بدأ التكيف وتغير الأعضاء من عنده، بينما ستنقرض جميع أفراد النوع الأخرى التي لم تتمكن من التكيف بالقدر المناسب لمواجهة البيئة والصراعات.

والانتخاب الطبيعي هو الفاعل الذي ابتكره الماسوني تشارلز دارون، ليكون بديل الخلق الإلهي في تفسير تنوع المخلوقات، فهاك هو نفسه يخبرك بمعناه وطريقة عمله في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي:

"الانتخاب الطبيعي سوف يؤثر على الكائنات العضوية ويقوم بإحداث تعديل فيها، من خلال تراكم التغيرات المفيدة، ويُفترض أن تكون التغيرات في النوع طفيفة جداً، ولكنها ذات طبيعة متنوعة للغاية، ولا يُفترض أن تظهر جميعها في وقت واحد، ولكن غالباً بعد فترات زمنية طويلة، والتغيرات المفيدة بطريقة ما هي فقط التي سيتم

الحفاظ عليها أو اختيارها بشكل طبيعي Those Variations Which Are In Some Way Profitable Will Be Preserved Or Naturally Selected، وخلال عملية التعديل والتحور سيلعب مبدأ آخر من مبادئنا، وهو مبدأ الانقراض، دوراً هاماً، فالانتخاب الطبيعي بالضـــرورة يعمل من خلال منح الشـــكل الذي تم انتخابه فرصـــة أفضـــل في صـــراع الحياة والبقاء على الأشـــكال الأخرى، وســـيكون هناك ميل دائم لدى الســـلالات المُحسّـــنة في كل نوع إلى إزاحة أســـلافها وأصـــولها والقضـــاء عليها في كل مرحلة من مراحل التناســـل، ومن ثم فإن جميع الأشـــكال الوســـيطة بين الأنواع المبكرة والأنواع المتأخرة، أي بين النوع الأقل تكيفاً وتحســـناً والنوع الأكثر تحســـناً، وكذلك النوع الأصـــلي نفســـه، ســـتميل عموماً إلى الانقراض Will Generally Tend To Become Extinct"[١].

فأولاً: ما زالت ســـلاســـل الفرضـــيات والتخمينات متوالية، وتتوالد كل فرضـــية من أخرى، فكما ترى، كلام تشـــارلز دارون كله يدور حول: **يُفترض** أن تكون التغيرات طفيفة، **ومن غير المفترض** أن تظهر جميعها في وقت واحد، **ومن المفترض** أن التغيرات المفيدة هي التي سيتم الحفاظ عليها، دون أي أدلة أو براهين حقيقية على أي تخمين من هذه التخمينات، سوى تخيلها ثم تنسيقها والربط بينها ذهنياً فقط.

وثانياً: إذا افترضت أنت أيضاً أن ما يقوله تشارلز دارون صحيح، وأن الأعضاء تتغير وتكتسب صفات جديدة تُمكِّنها من مواجهة البيئة والنجاة من الصراعات، فهل هذا يعني أن المخلوق الذي حدث في عضـــوه هذا التغير والتكيف قد صـــار مخلوقاً آخر، فإذا كان الدب القطبي ســـميك الفراء وفراؤه أبيض ويتكون من طبقتين لمواجهة الجليد والبرودة، بينما فراء الدببة البنية التي تعيش في مناطق أقل برودة بني وأقل ســـمكاً ويتكون من طبقة واحدة، فهل يعني هذا أن أحدهما دباً والآخر ليس كذلك،

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P117, 121.

والإنسان الذي يعيش في إفريقيا الاستوائية الحارة وبشرته سوداء هل هو نوع وكائن آخر غير الإنسان الذي يعيش في شمال أوروبا البارد وبشرته بيضاء؟

وبالعكس إذا وجد مخلوقان أحدهما ضعيف والآخر قوى في بيئة واحدة، فهل يعني ذلك أنهما مخلوق واحد وتطور أحدهما من الآخر، فهل المخاطر التي تواجهها الأسماك الصغيرة وتجعلها طعاماً للمخلوقات البحرية الأكبر منها حولتها بالانتخاب الطبيعي إلى حيتان، والصراعات التي تخوضها الزواحف اللاصقة بالأرض هل هي التي أنبتت لها أجنحة وجعلتها تترك الأرض وتطير في الهواء، وإذا افترضت ذلك فأين الدليل عليه، ولماذا توجد هذه الأنواع كلها معاً في زمن واحد، ولماذا لم ينقرض السمك والزواحف وهي الأصل الضعيف، كما قال دارون في هلاوسه؟

فما قاله تشارلز دارون عن الانتخاب الطبيعي أقصى ما يمكنك أن تفسره به، تحسن وظائف العضو وملاءمتها للبيئة وحفظها لبقاء المخلوق داخل النوع الواحد، وليس تحولها من نوع إلى آخر وخروجها من بعضها، فهذه مسألة وتلك مسألة أخرى، ولكن هذا الطراز من الضالين، كما عرفت من النماذج العديدة التي رأيتها في كتاب: **المحفل والمعمل**، يتعمد الخلط بين المسائل المعرفية وبين معتقداته ولبسها ببعضها، لكي يمرر هذه في تلك.

وثالثاً: إذا حدث تغير في عضو واكتسب صفة جديدة في مواجهة أحد ظروف البيئة أو أحد منافسيه على البقاء في زمن ما، فما الذي يجعل الصفة التي سوف يكتسبها في مواجهة الظرف أو المنافس التالي في الزمان، تضاف إلى الصفة السابقة وتتناسق معها وتحسن من وظيفة العضو، وطالما أن المسألة عشوائية وتخضع للصدف، فلماذا لا يحدث العكس، وتتناقض الصفة التالية مع سابقتها، وتتناقض جميع الصفات المكتسبة معاً، فتلغي بعضها، أو تنتج عضواً مشوهاً متضارب الصفات ولا يمكنه أداء وظيفة محددة؟

والسؤال هو: ما الذي يجعل الصفات المكتسبة تتراكم بالصدف تراكماً مفيداً ويحسن وظائف العضـــو وقدرته على التعامل مع البيئة ويحدد وظيفته داخل الكائن وينســـق بينها وبين وظائف أعضـــائه الأخرى لكي تؤدي معاً الوظيفة الشـــاملة التي يبقى بها الكائن ويمارس نشاطه البيولوجي، ولماذا لا يحدث العكس؟

وإذا راجعت عبارة تشـــارلز دارون ودققت فيها، فســـوف تجده يصـــف الانتخاب الطبيعي بأنه يختار العضــو الذي ســيحدث فيه التغيير لمواجهة البيئة والصــراعات، ويحدد الصــفة التي ســوف تتغير في العضــو، ويرســم وظيفة وغاية للعضــو ســوف يؤديها، ثم يراكم الصفات المكتسبة صفة صفة وينسق بينها لتقوم بأداء الوظيفة والغاية المحددة من قبل، لكي ينجو النوع ويبقى، فهو يقول في ظـاهر كلامـه إن الانتخـاب الطبيعي عملية عشــوائية تحدث تلقائياً بالصـــدفة وبلا تخطيط، ولكن وصـــفه الفعلي للانتخاب الطبيعي وطريقة عمله يجعله عقلاً قادراً على تحديد الوظيفة ورسم الغاية ثم الاختيار والتخطيط والتنظيم والفعل من أجل الوصول إليها.

وما فعله تشارلز دارون في الحقيقة هو أنه نقل الإرادة والفعل إلى اسم هلامي ليس له معنى، هو الانتخاب الطبيعي، ليكون وسيلة حجب الإله الخالق ونقل صفاته وفعله إليه، ويمكنك أن تزيل عبارة الانتخاب الطبيعي من كل موضــع وضــعها فيه، وتضــع مكانها أي عبارة أو لفظ ليس له معنى، كأن تقول: "**الســيكو ســيكو ســوف يؤثر على الكائنات العضوية ويقوم بإحداث تعديل فيها**"، و"**السيكو سيكو بالضرورة يعمل من خلال منح الشكل الذي تم انتخابه فرصة أفضل في صراع الحياة والبقاء**"، ولن يتغير شيء على الإطلاق لا فيما قاله تشارلز دارون، ولا فيما تفهمه أنت منه.

تشارلز دارون ابتكر الانتخاب الطبيعي ليكون بديل الوجود الإلهي والخلق:

فإليك ما تعرف منه أن الماسوني تشارلز دارون فعل ذلك عامداً، وهو يدرك أن عقيدته في التطور وانتخابه الطبيعي بديل للوجود الإلهي والخلق، وأنهما لا يجتمعان معاً.

بينما كان تشارلز دارون يعمل في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي في إنجلترا، كان المستكشف وعالم البيولوجيا ألفريد والاس Alfred Wallace، وهو أصغر من تشارلز دارون بخمسة عشر عاماً، يقوم بجولات استكشافية في أرخبيل الملايو، وصاغ هو أيضاً نظرية عن التطور بواسطة الانتخاب الطبيعي، وكتب دراسة عنها وأرسلها إلى تشارلز دارون في شهر فبراير سنة ١٨٥٨م، ثم دارت بينهما مراسلات عن النظرية، وتم تقديم دراسة مشتركة باسمهما معاً عن التطور بواسطة الانتخاب الطبيعي، يوم ١ يوليو سنة ١٨٥٨م، أمام جمعية لينيان للبحوث الخاصة بالتاريخ الطبيعي في لندن Linnean Society، وبعدها اختلفا حول حدود التطور وعمل الانتخاب الطبيعي، خصوصاً فيما يتعلق بتطور الإنسان، وسار كل منهما في طريق غير الآخر، وإن ظلت المراسلات متصلة بينهما.

وألَّف ألفريد والاس بضعة كتب ودراسات في التطور والانتخاب الطبيعي، منها دراسة عنوانها: حدود الانتخاب الطبيعي عند تطبيقه على الإنسان The Limits Of Natural Selection As Applied To Man، ونُشرت أجزاء منها في عدد شهر مارس سنة ١٨٦٩م، من مجلة كوارترلي ريفيو The Quarterly Review، ثم أعاد نشرها كاملة سنة ١٨٧٠م، ضمن كتابه: إسهامات في نظرية الانتخاب الطبيعي Contributions To The Theory Of Natural Selection، وفي دراسته يقول ألفريد والاس إن افتقاد الإنسان للشعر على جسمه أدى إلى تطور قدرته على الاختراع

لحماية نفسه من الحر والبرد، وإلى ظهور قيمه الأخلاقية، وكذلك رقي أحباله الصوتية واكتمال حنجرته مكنه من القدرة على الكلام والتفكير، ثم يقول:

"لذا، فإن هذه القدرات التي تُمكِّننا من تجاوز الزمان والمكان، وإدراك مفاهيم الرياضيات والفلسفة الرائعة، وتمنحنا شوقاً شديداً للحقيقة المجردة، ضرورية للغاية لكي يكتمل تطور الإنسان ككائن روحي، ولكن من غير المعقول إطلاقاً أن تكون هذه القدرات قد نتجت من خلال قانون لا يتعامل ولا يمكنه أن يتعامل إلا مع التطور المادي المباشر للفرد أو الجنس البشري، وما أستخلصه من هذه الفئة من الظواهر، هو أن ذكاءًا فائقاً هو الذي قاد تطور الإنسان في اتجاه محدد، ولغرض خاص That A Superior Intelligence Has Guided The Development Of Man In A Definite Direction, And For A Special Purpose، بالضبط كما يقود الإنسان تطور العديد من أشكال الحيوانات والنباتات، وسواءًا سميناه الإله أو الروح، فبالتأكيد قد لعب دوراً مهماً في تطور الإنسان Whether We Call It God, Or Spirit, It Surely Played An Important Role In Human Evolution"[1].

وحين صدر عدد مجلة كوارترلي ريفيو، الذي يحوي دراسة ألفريد والاس، أرسل إلى تشارلز دارون رسالة يُعرِّفه فيها بصدوره وخلاصة الدراسة ورأيه في تطبيق الانتخاب الطبيعي على الإنسان لكي يطلع عليها، ويقول ألفريد والاس في الباب الذي خصصه لخلافاته مع تشارلز دارون، من مذكراته وسيرته الشخصية، التي عنوانها: حياتي، سجل الأحداث والآراء My Life A Record Of Events And Opinions:

---

1) Alfred Wallace: The Limits Of Natural Selection As Applied To Man, In: Contributions To The Theory Of Natural Selection A Series Of Essays, P358-359, Macmillan And Co, London, New York, 1870.

"أثارت آرائي عن تطور الإنســان الكثير من الضـيق في عقل داروين Caused Much Distress Of Mind To Darwin، وإن كانت، كما أظهرت، لا تؤثر بـأي حـال من الأحوال على العقيـدة العـامـة للانتخـاب الطبيعي General Doctrine Of Natural Selection"[١].

وتنبه من عبارة ألفريد والاس، أنه يُقر أن الانتخاب الطبيعي عقيدة في التفسـير وليس حقيقة ولا حتى نظرية علمية، وهو اختلاف آخر بينه وبين الدجال تشـارلز داروين الذي زعم أن الانتخاب الطبيعي حقيقة بيولوجية بينما هو العقيدة التي رباه عليها جده الماسوني إرازموس داروين.

والآن إليك بيت القصيد، وما جئناك بالخلاف بين ألفريد والاس وتشارلز داروين من أجله.

في يوم ٢٧ مارس ســنة ١٨٦٩م، رد تشـارلز داروين على رسـالة ألفريد والاس برسـالة، والرسـالة محفوظة في المكتبة الوطنية البريطانية The British Library، ومنشـورة في برنامج مشـروع جامعة كمبردج لتوثيق مراسـلات تشـارلز داروين، وفي الرسالة يقول تشارلز داروين لألفريد والاس:

"أتطلع لقراءة دراسـتك في كوارترلي ريفيو بشـغف بالغ، وأتمنى ألا تكون قد قتلت طفلي وطفلـك بـالكـامـل I Hope You Have Not Murdered Too Completely Your Own & My Child"[٢]!

---

1) Alfred Wallace: My Life A Record Of Events And Opinions, Vol. II, P16-17, Dodd, Mead & Company, New York, 1905.
2) Darwin Project: Charles Darwin To A. R. Wallace, 27 March, https://www.darwinproject.ac.uk/letter?docId=letters/DCP-LETT-6684.xml

وفي كتابه الثاني: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي The Descent Of Man And Selection In Relation To Sex، الذي نشره سنة ١٨٧١م، وكان كتاب: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي قد صدرت منه خمس طبعات، وفي ثنايا كلامه عن تصنيفه للإنسان على أنه من ذوات الأربع، وينتمي إلى عائلة القردة العليا، كما ستعلم تفصيلاً في باب: **الإنسان**، تطرق تشارلز دارون إلى الانتقادات التي وجهت لكتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، وضمن رده يقول:

"كنت أضع نصب عيني هدفين متميزين، أَولهما إثبات أن الأنواع لم تُخلق بشكل منفصل That Species Had Not Been Separately Created، وثانيهما أن الانتخاب الطبيعي كان العامل الرئيسي للتغيير وظهور الأنواع"[١].

وفي الباب السابع من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، وعنوانه: عن أجناس الإنسان On The Races Of Man، عرض تشارلز دارون آراء علماء البيولوجيا أو التاريخ الطبيعي، كما كانت تسمى في زمنه، بشأن هل أجناس الإنسان والأقوام والشعوب أنواع منفصلة أم نوع واحد، وكان هذا رأيه في المسألة وموقع عقيدة الخلق منها:

"من الأفضل استخدام مصطلح الأنواع الفرعية Sub-Species، ولكن بحكم العادة، سيظل مصطلح الجنس والعرق Race هو الأكثر استخداماً على الأرجح ... وسوف يظل الخلاف قائماً إلى أن يتم الاتفاق على تعريف محدد لمصطلح الأنواع

---

1) Charles Darwin: The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P152, John Murray, London, 1871.

بشكل عام، ويجب ألا يتضمن التعريف عنصراً لا يمكن التحقق منه، مثل فعل الخلق "Such As An Act Of Creation"[١].

وكما ترى، تشـارلز دارون نفسـه يخبرك أنه وضـع نظريته في التطور والانتخاب الطبيعي ورُكن فيها الإطاحة بعقيدة الإله الخالق، وكان على وعي أن الإيمان بالوجود الإلهي يقتل نظريته، وأنهما نقيضـان لا يجتمعان، ولن تكتسـب عقيدته في التطور والانتخاب الطبيعي حُجيتها ويمكن دقها في أذهان البقر من البشـر إلا بإنكار الوجود الإلهي والخلق.

ونحسـب أنك تدرك وحدك، لماذا اشـتُهر تشـارلز دارون وصـار هو ونظريته وكتبه من المقدسـات وركائز العلم الطبيعي في بلدان الحمار الغربي، وعند ذيولهم من البقر في بلاليص سـتان على الجانب الشـرقي، وتتدلع بسـببه وحوله المعارك في كل مكان من العالم بين من يؤمنون بالإله ومن ينكرونه، بينما غاب ألفريد والاس واختفى من تاريخ البشـرية في صـمت ولم يعد يسـمع عنه أحد، لأنهم يريدون تغييب عقيدة الوجود الإلهي والخلق تغييباً مطلقاً، لكيلا تشـوش على عقيـدتهم في التطور والانتخـاب الطبيعي.

والذين يعتنقون عقيدة التطور في الغرب عن وعي، وجعلوها من المقدسـات وركائز العلم الطبيعي، يعرفون أنها بديل الوجود والخلق الإلهي، وهو السـبب الحقيقي في اعتناقهم لها واسـتماتتهم في الدفاع عنها وتزوير الأدلة والشـواهد من أجلها، وليس أنها مجرد نظرية علمية، كما يتوهم من يسـيرون خلفهم من بقر بلاليص سـتان، كما

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P27-28.

أخبرناك من قبل، وكما يخبرك أستاذ العلوم في جامعة أوكسفورد وأحد أشهر المدافعين عنها أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، ريتشارد دوكنز.

يقول ريتشـارد دوكنز، في دراسـة نشـرها، في عدد شـهر أبريل سـنة ١٩٨٢م، من مجلة نيو ســاينتيســت New Scientist، وكان عنوانها: ضــرورة الداروينية The Necessity Of Darwinism:

"لقد أظهر تشـــــارلز داروين كيف يمكن للقوى الفيزيائية العمياء أن تحاكي فعل التصـــــميم الواعي It Is Possible For Blind Physical Forces To Mimic The Effects Of Conscious Design، ومن خلال العمل كضـــابط ومرشـــح تراكمي للتغيرات العشــوائية، فإنها تؤدي في النهاية إلى تعقيد منظم وقادر على التكيف، من البعوضة والماموث إلى البشر، ومن ثَم، وبشكل غير مباشر، إلى الكتب والكمبيوتر"(١).

فإذا تســاءلت: ولماذا يعتنقونها وهم يعرفون أنها بديل الوجود الإلهي والخلق، فإليك ريتشارد دوكنز نفسه يخبرك بالإجابة على سؤالك في صراحة تامة، في كتابه: صانع الساعات الأعمى The Blind Watchmaker:

"قبل داروين كان بإمكان الملحد أن يقول مثل ديفيد هيوم Hume: "ليس لديّ تفسير للتصميم البيولوجي المعقد، وكل ما أعرفه هو أن الإله ليس تفسيراً جيداً، لذا علينا الانتظار على أمل أن يأتي أحد بتفسـير أفضـل"، وعلى الرغم من أن الإلحاد ربما كان مقبولًا منطقياً قبل داروين، إلا أن داروين جعل من الممكن أن يكون المرء

---

1) Richard Dawkins: The Necessity Of Darwinism, New Scientist, 12 April 1982, Vol. 94, P130.

ملحداً مكتملاً فكرياً Darwin Made It Possible To Be An Intellectually Fulfilled Atheist"[١].

وكما ترى، التطور والانتخاب الطبيعي نظرية عقائدية، وريتشارد دوكنز وأمثاله في بلدان الحمار الأمي يعتنقونها لأنهم ملحدون، والنظرية عندهم برهان صحة إلحادهم، لأنها تقدم لهم تفسيراً للوجود والحياة بديلاً عن الإله والخلق، ولا حاجة فيه للإله والخلق.

وعبارة ريتشارد دوكنز، تؤكد لك ما أخبرناك به في كتابنا: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية**، فالعلوم الطبيعية نشاط بشري، ولا ينفصل ما يوضع فيها من فرضيات وما يصاغ من نظريات وما تنتجه من آثار ونتائج وما توظف فيه عن تكوين الإنسان وبنائه الذهني النفسي وما فيه من معتقدات ومنظومة قيم وأخلاق وعلاقات، وما يفعله علماء الطبيعة في الغرب في مختلف مجالاتها، ومنذ عصر النهضة، هو إنتاج نظريات يَلبسون فيها فرضياتهم العلمية بمعتقداتهم، ثم تقديمها لعموم البشر بعد تغليفها في مسوح العلم والموضوعية.

ومرة أخرى لا تغفل عن المسألة العميقة وغير المرئية للأميين، لأنهم لا يدركون إلا سطوح الأشياء وما يقع تحت طائلة الحواس، فريتشارد دوكنز وأمثاله في بلدان الحمار الأمي ملحدون ويعتنقون نظرية التطور التي تفلسف لهم إلحادهم وتفسر لهم الوجود والحياة دون الحاجة إلى الخلق والخالق، لأن ذلك يحررهم من منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي تلازم عقيدة الإله واجب الوجود الخالق، ويمنحهم الذرائع والغطاء للانطلاق خلف غرائزهم ورغباتهم واكتساب الأموال وإنفاقها في اللهو والترف، والذين يسيطرون على وعي الغرب منذ عصر النهضة حولوا التطور إلى عقيدة عامة له،

---

1) Richard Dawkins: The Blind Watchmaker, P27, W. W. Norton & Company, Inc., New York, London, 1996.

وجعلوها علماً مقدســــاً، ويطيحون بكل ما يتعارض معها ومن يعترض عليها، لأنهم يريدون عموم البشـــر هكذا، وهم يريدونهم هكذا لأن ذلك يُمكِّنهم من الســـيطرة على وعيهم وإخضـاعهم وتحريكهم في الاتجاه الذي يريدونه طواعية وبالوسائل الناعمة، من خلال المدارس والجامعات والإعلام ووســـائط اللهو والترفيه، من أول الصـــحف والمجلات والقصص والروايات، وصولاً إلى هوليوود إمبراطورية اليهود.

فعقيدة التطور ليســـت مجرد نظرية علمية، ولا حتى نظرية عقائدية وفقط، بل هي عبر توظيفها في إزاحة الوجود الإلهي والخلق، ركن رئيسي من الهندسة التي هندسها اليهود والحركات السـرية للغرب وبلدانه ومجتمعاته، وتجعل زمامها الناعم غير المرئي في قبضـتهم، وما ينفقونه من أموال طائلة على البحوث والدراسـات التي ترسـخ عقيدة التطور في وعي عموم الناس وتجعل المعارك والاختلافات العلمية محصـــورة داخلها، ليس عبثاً ولا هباءًا، بل هو قصـــد مقصـــود، فإذا اختلت عقيدة التطور أو أي ركن آخر في هذه الهندسة، سوف يفيق عموم الناس، وإذا أفاقوا سيفقدون سطوتهم وتسلطهم على وعي بلدان الغرب بالاقتصاد والوسائل الناعمة، وتخرج مقاليده من أيديهم.

ونذكرك أيضـــاً أن كتبنا كلها كتاب واحد، ولن تفهم أحدها إلا إذا اطلعت عليها كلها، ولكي تفهم ما الذي تعنيه العبارات الموجزة التي قرأتها الآن، وكيف وصـــلت بلدان الحمار الغربي إلى هذه الصـورة، ولكي تعرف من هم بالضـبط الذين يسيطرون على مقاليدها الناعمة، وما الذي يريدونه ويسعون إليه من خلال هذه السيطرة، وصلة ذلك بالمشـروع اليهودي عبر التاريخ، فعليك أن تعود إلى كتبنا السـابقة، خصـوصـاً كتاب: **الوحي ونقيضـه**، وكتاب: **اليهود والماسـون في الثورات والدسـاتير**، وكتاب: **اليهود والحركات السـرية في عصـر النهضـة**، وكتاب: **اليهود والحركات السـرية في الكشـــوف الجغرافية**، أو على الأقل أن ترجع إلى باب: **الحركات الســـرية والعلوم**

الطبيعية، من كتابنا: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السـرية**، وراجعه وأنت تقرأ هذه الفقرات.

ورابعاً: ما قاله تشارلز دارون عن تكيف العضو في المخلوق واكتسابه لصفات جديدة للتغلب على ظروف البيئة ومواجهة الصراعات التي تهدد بقاءه، ثم ارتقاء العضو وتحسن وظائفه مع تراكم الصفات المكتسبة، كلام ساذج وعبيط، ولا علاقة له بالبيولوجيا، كما أخبرناك عند الكلام عن جده الماسوني إرازموس دارون، وهو المبتكر الأصلي لفكرة الانتخاب الطبيعي، وهو كلام ساذج وعبيط لسببين.

فأما السبب الأول، فهو أن تشارلز دارون بنى وصفه هذا على صفات سطحية في أعضاء ظاهرة وتبدو بسيطة، وهي الأعضاء الخارجية في المخلوق التي تحتك بالبيئة مباشرة ويتعامل من خلالها مع ظروفها ويواجه بها أعداءه أو يتخفى منهم، مثل حجم الأطراف والأصابع وشكلها، وطول الرقبة، وانحناء العمود الفقري أو استقامته، وأشكال مناقير الطيور وأحجامها، وألوان أجنحة الفراشات، وسمك الفرو والجلود، ورغم أن ما قاله لا يفسر في الحقيقة تنوع الصفات الواسع في تلك الأعضاء واختلافها في هذا العدد الهائل من المخلوقات، إلا أن من يعتنقون عقيدة التطور يغضون الطرف عن ذلك ويُمكِنهم أن يمرروه في أذهان الأميين، لأنه يوافق أهواءهم ويبرر لهم إنكار الألوهية والخلق.

أما المعضلة التي لا يمكِنهم تمريرها بهذا التفسير، والذي يقبل ما يقولونه فيها يكون قد نزل تحت مرتبة الأمية في الإنسان ودخل في تصنيف البهائم، فهو كيف تتغير أو تتحسن صفات كل عضو، وتُمكِّنه من أداء وظيفته، وفي الوقت نفسه تتجانس جميع الأعضاء وصفاتها التي تكتسبها معاً، وتتكون بها منظومة حيوية راقية ومترابطة ومتكاملة، تُمكِّن المخلوق من أداء وظيفته العامة وأنشطته البيولوجية التي تشترك جميع هذه الأعضاء في أدائها معاً؟

وأيضاً، إذا مر تفسير تشارلز دارون في الأعضاء الظاهرة التي تبدو لعموم البشر بسيطة، وهي في الحقيقة ليست كذلك، كالأطراف وهيكل الجسم الخارجي والألوان والمناقير والأجنحة، فلا يمكن تمريره في عضو واحد من الأعضاء المعقدة التركيب، التي تتكون من أجزاء ومكونات عديدة، تترابط معاً في منظومة شديدة الدقة والتجانس والحساسية، لكي تؤدي وظيفتها داخل المخلوق بالتناسق مع بقية أعضائه الظاهرة وغير الظاهرة، وأي خلل في مكون واحد من مكوناتها يفضي إلى فقدان وظيفتها كلها، مثل العين.

فالعين تتكون من القرنية وهي غلاف شفاف ينكسر شعاع الضوء عند مروره منها، إلى القزحية، وهي غشاء عضلي ملون ينقبض أو ينبسط ليتحكم في كمية الضوء التي تمر من الحدقة أو البؤبؤ، الذي يضيق ويتسع حسب هذه الكمية، التي تقع على العدسة فتقوم عضلاتها بتغيير شكلها ودرجة تحدبها بواسطة الجسم الهدبي، لكي تركز الضوء ويقع على الشبكية، فيتحول إلى نبضات عصبية ينقلها عصب البصر من الشبكية إلى مركز الإبصار في قشرة المخ، فيحولها إلى صورة واضحة ثلاثية الأبعاد، وأضف إلى ذلك الجسم الزجاجي الذي يعطي العين شكلها الدائري، والملتحمة التي ترطب العين وتوفر العناصر الغذائية لها، ومحجر العين الذي يحتضنها، والعضلات التي حوله وتتحرك من خلالها العين في مختلف الاتجاهات، والجفون التي تغطيها وتحميها، وغدد الدموع، وقنوات تصريفها، ثم أعصاب وشرايين وأوردة وسوائل وأنسجة وسيطة، وخلايا مجهزة لاستقبال الضوء ومركبات كيميائية تتفاعل معه وتحوله إلى صور.

ولو افترضت أن ما قاله تشارلز دارون عن اكتساب الأعضاء للصفات وتراكمها وتحسنها بالصدف العشوائية عبر زمان طويل، لو افترضت أن ما قاله صحيح، فعضو مثل العين لكي يكتسب كل جزء فيها صفاته وتتكامل هذه الأجزاء والصفات

معاً وتؤدي وظيفة الإبصـــار بالانتخاب الطبيعي وتراكم الصـــدف العشـــوائية، تحتاج بقانون الاحتمالات والحسابات الرياضية إلى زمان يتجاوز عمر الكون كله!!

في شــهر أبريل ســنة ١٩٦٦م، عقد معهد ويســتار للتشـريح والبيولوجيا Wistar Institute Of Anatomy And Biology، في فيلادلفيا الأمريكية، ســـيمبوزيوم، وكان عنوانه ومحوره: التحديات الرياضـــية للتفســـير الداروينى الجديد للتطور Mathematical Challenges To The Neo Darwinian Interpretation Of Evolution، ثم نشر المعهد أعمال السيمبوزيوم في كتاب بنفس الاسم، وضمن ورقته في السيمبوزيوم، قال أستاذ الرياضيات الحيوية وعلوم الكمبيوتر في جامعة كولورادو، البولندي الأمريكي، ســتانيســلوف أولام Stanisław Ulam، وهو أحد أعضــاء فريق مشروع منهاتن الذي اشترك في إنتاج القنبلة الذرية الأمريكية، قال أولام:

"بناءًا على حساباتي الرياضية، فإنه من غير المحتمل للغاية أن تكون العين قد تطورت من خلال تراكم تغيرات عديدة وصــغيرة، ببســاطة لأن الوقت المطلوب لذلك ليس متاحاً It Was Highly Improbable That The Eye Could Have Evolved By Numerous Small Mutational Changes Since The Available Time Was Simply Not Available"[١]!

وكان هذا هو رد أستاذ البيولوجيا وعلوم الحيوان في جامعة هارفارد ورئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، إرنســت ماير Ernst Mayer، على حســابات أســتاذ الرياضيات الحيوية وعلوم الكمبيوتر ستانيسلوف أولام، التي أجراها ببرنامج للإحصاء والحسابات صممه بنفسه:

---

1) Paul Moorhead And Martin Kaplan, Editors: Mathematical Challenges To The Neo Darwinian Interpretation Of Evolution, P30, Westar Institute Symposium, Monograph No. 5, Westar Institute Press, Philadelphia, 1967.

"إن لدينا تنوعاً ومتغيرات كثيرة، وبطريقة أو بأخرى يمكننا تعديل الأرقام حتى تخرج على الوجه الذي نريده، فنحن نشـــعر بالارتياح لمعرفتنا بأن التطور قد حدث
By Adjusting These Figures We Will Come Out All Right, We Are Comforted By Knowing That Evolution Has Occurred"[١]!

فهل يذكرك الحل الذي ابتكره إرنســـت ماير لتجاوز ما أســـفرت عنه الحســـابات والمعادلات والأرقام بشيء؟

نعم، ونهنئك على ذاكرتك، بالمســـافات بين المجرات في معادلة هابل، التي وجد إخوة مـاير من الفيزيـائيين، أنهـا لا تتوافق مع معتقداتهم في أن المجرات تكونت قبل الأرض، بعد أن أثبتت بحوث تحديد عمر الأرض عكس مـا يعتقدونـه، فقرروا حل المشكلة بكل بساطة عبر ضرب أرقام المسافات بين المجرات في ١٠ ليرفعوا عمرها فوق عمر الأرض[•]!

وهنا يجب أن نصـارحك ان ثمة شعوراً جارفاً ينتابنا حين نشاهد فيديو لأحد أساتذة الفيزياء أو البيولوجيا في بلاليص ستان، ممن ذهبوا إلى بلدان الحمار الغربي مراهقين وبلاليص فارغة، ثم عادوا منها وقد تم تعبئتهم بهلاوس التطور وفيرســـة أدمغتهم بها، ونحن نراه يتكلم بحماسـة شـديدة عن نظرية التطور، ويصـفها بأنها نظرية علمية قائمة على الأدلة والبراهين العلمية، ثم يشـــمخ بأنفه وهو يصـــف من يعارضـــونها بالتخلف العلمي، وهذا الشـعور الجارف هو أننا نريد أن ندخل إلى الفيديو ونقلب البلاص الذي فيه رأساً على عقب، لكي تنسكب منه الهلاوس التي عبأوه بها.

---

1) Mathematical Challenges To The Neo Darwinian Interpretation Of Evolution, P35.

•) ارجع إلى بـاب: عمر الأرض وموقعهـا من الكون في البيـان الإلهي، من كتـاب: المحفـل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.

ثم إليك إحدى مفاجآت الماسوني تشارلز دارون، فهو نفسه كان يعرف أن تفسيره لاكتساب الأعضاء للصفات وتراكمها بالصدف العشوائية عبر الانتخاب الطبيعي، يمكن أن يفسر به تغير شكل الأعضاء الظاهرة وتبدو بسيطة وتَحسُن وظائفها، ولكنه كان يدرك أن اكتساب الصفات وتراكمها عشوائياً بالانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يفسر تكوين الأعضاء الراقية المعقدة التركيب وتتكون من أجزاء عديدة في منظومة مترابطة ومتجانسة، كل منها له وظيفة صغرى، وتؤدي بترابطها معاً والتجانس بين هذه الوظائف الصغرى وظيفة العضو الكبرى، ولا يمكن أن تؤديها إذا اختل أي جزء من هذه الأجزاء وفقد وظيفته الصغرى، أو انقطع الترابط والتجانس والتنسيق بينها.

وفي كتاب: حياة تشارلز دارون ورسائله Life And Letters Of Charles Darwin، الذي كتبه ابنه الماسوني فرانسيس دارون وجمع فيه رسائله، فيه رسالة أرسلها إلى تشارلز دارون صديقُه أستاذ علوم الحيوان والتاريخ الطبيعي في جامعة هارفارد، آسا جراي Asa Gray، يوم ٢ يناير سنة ١٨٦٠م، وفيها يخبره بنقاط القوة ونقاط الضعف في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، ويقول له:

"يبدو لي أن أضعف نقطة في كتابك، هي محاولة تفسير تكوِّن بعض الأعضاء مثل العين بواسطة الانتخاب الطبيعي The Attempt To Account For The Formation Organs As Eyes By Natural Selection"[١].

وفي يوم ٩ فبراير رد تشارلز دارون على آسا جراي برسالة يقول فيها:

"بخصوص نقاط الضعف في الكتاب، فأنا أتفق معك، وإلى اليوم لا تزال العين تصيبني بقشعريرة باردة About The Weak Points I Agree. The Eye

---

1) Francis Darwin: Life And Letters Of Charles Darwin, Vol.2, P272, John Murray, London, 1887.

To This Day Gives Me A Cold Shudder، ولكن عندما أفكر في تراكم التدرجات الصغيرة يخبرني عقلي أنه يجب على أن أتغلب على هذه القشعريرة"[1].



1) **Life And Letters Of Charles Darwin, Vol.2, P273.**



الطفرات الجينية



شفرة المعلومات

وننتقل بك الآن إلى السبب الثاني في أن ما قاله تشارلز دارون عن تكيف العضو في المخلوق واكتسابه لصفات جديدة للتغلب على ظروف البيئة ومواجهة الصراعات التي تهدد بقاءه، ثم ارتقاء العضو وتحسن وظائفه مع تراكم الصفات المكتسبة، كلام ساذج وعبيط ولا علاقة له بالبيولوجيا والعلم أصلاً، وقد أخبرناك به من قبل، وهو البرنامج وشفرة المعلومات داخل الخلايا.

فتشارلز دارون تعامل في تفسيره مع أعضاء المخلوقات الظاهرة التي تحتك بالبيئة ويواجه بها الصراعات، على أنها مثل قطع الأحجار والصخور وقوالب الطوب وتم رصها بجوار بعضها، واحتكاكها مع ظروف البيئة والصراعات مع المنافسين سوف يغير صفاتها كما تغير عوامل التعرية الأحجار والصخور، بينما أعضاء كل مخلوق وما تؤديه من وظائف وتكاملها معاً في أدائها، يحكمها برنامج وشفرة معلوماتية ونظام شديد الدقة والتعقيد داخل الخلايا والجينات، وليست مجرد استجابة ظاهرية عشوائية من الأعضاء للمؤثرات والبيئة الخارجية، ولا يمكن أن يكتسب عضو في مخلوق صفة جديدة أو يتغير شكله أو وظيفته إلا إذا تغير البرنامج وشفرة المعلومات أولاً، وكان هذا التغيير مقصوداً به اكتساب الصفة أو تغير الشكل والوظيفة، ومنضبطاً على القدر المناسب لهذا الاكتساب والتغير.

وليس هذا فقط، بل وإذا حدث تغير فعلاً في أي عضو بفعل العوامل الخارجية، مثل أن يُفقد جزء منه أو يزيد أو يتغير شكله، فلن ينتقل هذا التغير إلى نسل الكائن الحي، طالما أن نظام المعلومات داخل الخلايا ثابت ولم يتغير، وهو ما أثبته أستاذ التشريح وعلوم الحيوان في جامعة فرايبورج الألمانية Freiburg، أوجست وايزمان

August Weismann، منذ ســـنة ١٨٨٣م، حين قام بتجربة قطع فيها ذيول الفئران جراحياً، ووجد أن ذلك لم يؤثر على نسلها، ولم يمنع تكوَّن ذيولها.

وهاهنا يجب أن تتعرف على البرنامج وشـــفرة المعلومات شـــديدة التعقيد والدقة والتجانس داخل الخلايا، وكيف تتحكم في الأعضـــاء وصـــفاتها، لكي تدرك مقدار الســـذاجة في تفســـير تشـــارلز دارون، وأن الكائن الحي ليس مجموعة من الأحجار المرصوصة بجوار بعضها وتتغير باستجابتها للظروف الخارجية، كما كان يتوهم.

مات تشـــارلز دارون في ســـنة ١٨٨٢م، دون أن يكون على علم بمكونات الخلية الحية وتركيبها الدقيق وطريقة عملها، ولا بالجينات والأحماض النووية، وكيف تنتقل الصفات وراثياً بين الأصل ونسله.

وكل خلية حية في أي كائن يوجد داخل نواتها عدد محدد من الكروموســـومات، فالإنســـان مثلاً يوجد داخل نواة كل خلية من خلاياه ٢٣ زوجاً من الكروموســـومات أو الخيوط الصبغية، والكروموسومات تتكون بصفة أساسية من الدي إن إيه DNA، أو الحمض النووي منزوع الأكســـجين Deoxyribonucleic Acid، والجينـــات أو المورثات هي وحدات تتكون من الدي إن إيه، ووظيفتها نقل الصـــفات الوراثية، ويوجد في كل خلية في الإنسان حوالي ٢٠ ألف جين.

وفي ســـنة ١٩٥٣م، وفي معامل كافنديش Cavendish في جامعة كمبردج، اكتشـــف أســـتاذ الجزيئات الحيوية وعلم الوراثة، الأمريكي جيمس واتســـون James Watson، بالاشـــتراك مع أســـتاذ الفيزياء الحيوية، الإنجليزي فرانســـيس كريك Francis Crick، تركيب الدي إن إيه، وكتبا دراسة في اكتشافهما ووصْف الدي إن إيه، ونشـــرت في عدد ٢٥ أبريل ســـنة ١٩٥٣م، من مجلة نيتشـــر Nature، وكان عنوانها: التركيب الجزيئي للأحماض النووية، تركيب حمض الريبوز النووي منزوع

الأكسـجين Molecular Structure of Nucleic Acids, A Structure For Deoxyribose Nucleic Acid.

وفي الدراسـة رسـم جيمس واتسـون وفرانسـيس كريك شـكل الدي إن إيه لأول مرة، فهاك هو كما رسماه.



This figure is purely diagrammatic. The two ribbons symbolize the two phosphate—sugar chains, and the horizontal rods the pairs of bases holding the chains together. The vertical line marks the fibre axis

شكل الحمض النووي دي إن إيه، كما رسمه واتسون وكريك، في مجلة نيتشر سنة ١٩٥٣م.

وهذا هو وصـــف واتســـون وكريك لتركيب الدي إن إيه في دراســـتهما، في مجلة نيتشر:

"يتركب دي إن إيـه من ســـلســـلتين حلزونيتين Two Helical Chains، ملفوفتين حول محور واحد، وكل ســلســـلة تتكون من مجموعات فوســـفات ثنائية الإســـتر Phosphate Diester Groups، ترتبط ببقايا ســـكر ريبوز منزوع الأكســـجين D-Deoxy-Ribofuranose Residues، من خلال ثلاث روابط أو خمســـة، والســـلســـلتان الحلزونيتان تتجهان يميناً Right-Handed Helices، وتربط بينهما أزواج من القواعد (النيتروجينية) Bases، فكل قاعدة في ســـلســـلة ترتبط بقاعدة تقابلها في السلسلة الأخرى، بروابط هيدروجينية، والقواعد تتعامد على محور السلسلتين، ولكي يحدث الترابط لابد أن تكون إحدى القاعدتين من البيورين Purine، والأخرى من البِريميدين Pyrimidine، وتوجد أزواج محددة من القواعد هي فقط التي يمكنها أن ترتبط معاً، فأدنين (A) Adenine، يرتبط فقط مع ثَيمين (T) Thymine، وهما متســـاويان في العدد والكمية، وجوانين (G) Guanine، يرتبط مع سَيتوزين (C) Cytosine، وهما أيضـاً متسـاويان، أو بعبارة أخرى، إذا كان أدنين هو أحد القاعدتين، فلابد أن تكون الأخرى ثَيمين، والعكس، وكذلك إذا كانت إحدى القاعدتين جوانين، فلابد أن تكون الأخرى سَـــيتوزين، والعكس، ويبدو أنه من المســـتحيل بناء هذا التركيب من ســـكر الريبوز الأكســـجيني بدلاً من ســـكر الريبوز منزوع الأكسجين، لأنه سينهار مع ذرة الأكسجين الزائدة"[١].

وقبل أن يكتشـــف جيمس واتســـون وفرانســـيس كريك الشـــكل الكامل للدي إن إيه، والسلسلتين الحلزونيتين، كان الروسي الأمريكي فيبس ليفين Phoebus Levene، قد

---

1) James Watson And Francis Crick: Molecular Structure Of Nucleic Acids: A Structure For Deoxyribose Nucleic Acid, Nature, 25 April 1953, Vol. 171, P737–738.

اكتشــف من بحوثه على فطريات الخميرة، أن الدي إن إيه يتكون من جزيئات حيوية، وكل جزئ يتركب من قاعدة نيتروجينية ومجموعة فوســفات وجزئ ســكر خماســي الكربون ومنزوع الأكســجين، وســمى فيبس ليفين هـذه الجزيـئات نيوكليوتيـدات Nucleotides، ونشـر اكتشـافه سـنة ١٩٠٩م، في مجلة الجمعية الأمريكية للكيمياء الـحـيـويــة Proceedings Of The American Society Of Biological Chemists، وكان عنوان دراســته: عن الأحماض النووية On Nucleic Acids، ولكنه أخطأ في وصـف ترتيب القواعد النيتروجينية والعلاقة بينها، وفي افتراض أن كل جزئ من الدي إن إيه يتكون من أربع نيوكليوتيدات ترتبط معاً[١]، ثم صــحح المجري الأمريكي إرفين شـارجاف Erwin Chargaff أخطاء فيبس ليفين واكتشـف أن جزئ الدي إن إيه يتكون من نيوكليوتيدات منفصـلة، ونشـر اكتشـافه في دراسـة نشـرها سـنة ١٩٥٠م، في عدد شـهر يونيو من مجلة إكسـبرينشـيا للعلوم الطبيعية Experientia، وكان عنوانها: الخصــائص الكيميائية للأحماض النووية وميكانزيم تحللها الإنزيمي Chemical Specificity Of Nucleic Acids And Mechanism Of Their Enzymatic Degradation[٢].

ويوجد في الجينوم البشري ٣,٥ مليار زوج من النيوكليوتيدات والقواعد النيتروجينية، التي تربط بين سـلسـلتي الحمض النووي الدي إن إيه، والدي إن إيه يكون مضــغوطاً وملفوفاً على نفســه حول بروتين الهســتون Histone في نواة الخلية، وحجمها في المتوسط ٥٠ ميكروميتر، والميكروميتر هو جزء من مليون جزء من المتر، وإذا تم فرد الدي إن إيه في خلية الإنسان، فسوف يصل طوله إلى مترين، ومتوسط عدد الخلايا

---

1) Phoebus Levene: On Nucleic Acids, Proceedings Of The American Society Of Biological Chemists, Vol. 6, Pxxxvi–Xxxvii, 1909.

2) Erwin Chargaff: Chemical Specificity Of Nucleic Acids And Mechanism Of Their Enzymatic Degradation, Experientia, June 1950, Vol. IV, P201-209.

في جســم الإنســان ١٠ تريليون خلية، وعلى ذلك إذا تم فرد الدي إن إيه الموجود في جسم الإنسان كله، فسوف يصل طوله إلى ٢٠ تريليون متر، أو ٢٠ مليار كيلومتر.

والجينات أو مورثات الصــفات تتكون من أجزاء من الدي إن إيه، تتراوح بين ٢% و٣% منه فقط، وكل جين يحمل المعلومات الخاصة بنوع من البروتينات، والبروتينات تتكون من أحماض أمينية، يتم تصــنيعها في وحدة بناء البروتينات في الســيتوبلازم، وهي الريبوسوم Ribosome، الذي يتكون من بروتينات والحمض النووي الريبوسومي، ريبوسـموال آر إن إيه Ribosomal RNA، وشـفرة المعلومات التي يحملها الدي إن إيه في جينات الإنســان، إذا فُرِّغت وكتبت في صــفحات، فســوف تملأ حوالي مليون صفحة من القطع الكبير، الذي كتبت به الموسوعة البريطانية.

والمعروف من الأحماض الأمينية في الطبيعة حولي ٥٠٠ حمض، وبعضــها يتجه يميناً وبعضــها يســاراً، وما كان معروفاً أنه يوجد منها في الخلية الحية ٢٠ حمضــاً أمينياً فقط، منها تسعة أساسية، ولكن حسب دراسة منشورة في موقع المركز القومي الأمريكية للتكنولوجيا الحيوية National Center For Biotechnology، في شهر أبريل سـنة ٢٠٢٤م، وعنوانها: الأحماض الأمينية الأسـاسـية Essential Amino Acids، فإنه تم اكتشاف حمضين أمينيين في الخلية، لم يكونا معروفين من قبل، هما ســيلينوســيســتايين Selenocysteine، وبِيرولَيســين Pyrrolysine، فأصــبح عدد الأحماض الأمينية في الخلية الحية ٢٢ حمضـاً، وجميعها توجد في سيتوبلازم الخلية، وتتجه يســــاراً، عكس اتجاه الدي إن إيه، وكل حمض أميني يتكون من ذرة كربون

ترتبط بذرة هيدروجين، ومجموعة أماين Amine، ومجموعة حمض كربوكسيل Carboxylic Acid[1].

وبترابط هذه الأحماض الأمينية الاثنين وعشرين في سلاسل طويلة، ومن خلال التبادل بين أنواعها وتغيير أعدادها ومواضعها وترتيبها والعلاقات بينها في كل سلسلة، تتكون منها آلاف البروتينات، التي يتكون منها أعضاء الجسم وأجهزته وجميع مكوناته، وهي التي تحدد في كل عضو أو جهاز أو نسيج شكلَه وخصائصه ووظيفته، فهذه الأحماض الأمينية مثل الحروف، عددها محدود ولكن تغيير أنواعها وأعدادها وترتيبها ومواضعها والعلاقات بينها ينتج أعداداً لا حصر لها من الكلمات والجُمل.

والحمض النووي دي إن إيه الذي يوجد في نواة الخلية، هو الذي يتحكم في تكوين البروتينات من الأحماض الأمينية الاثنين وعشرين التي توجد في السيتوبلازم خارج النواة، من خلال عملية شديدة التعقيد والدقة والإحكام، يتم فيها نسخ شفرة المعلومات الخاصة بالبروتين المطلوب والموجودة في الدي إن إيه، ثم إرسالها إلى الريبوسوم في السيتوبلازم، ليقوم بتنفيذها وصناعة البروتين المطلوب، حسب العضو الذي توجد فيه الخلية ووظيفته والوظيفة التي ينبغي أن يؤديها هذا البروتين، فهذه الشفرة تنتج في خلايا البنكرياس الإنسولين، وفي البشرة والعظام الكولاجين، وفي الخصيتين هرمون الذكورة التستوستيرون، وفي المبايض هرمونات الأنوثة، وهكذا، وهذه الشفرات المعلوماتية في خلايا كل عضو أو جهاز تحوي شكل العضو ووظائفه وقدراته التي تختلف من مخلوق لآخر، وبينها جميعاً تكامل وتناسق وتجانس، لكي تُنتج الشكل العام للمخلوق وتمكِّنه من أداء وظيفته وأنشطته الحيوية التي تناسب تكوينه ومهمته في الطبيعة، ولا يمكن أن يحدث تغير في شكل أي عضو أو وظيفته في أي مخلوق

---

1) Michael Lopez, Shamim Mohiuddin: Biochemistry, Essential Amino Acids, the National Library of Medicine, National Institutes Of Health. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK557845

إلا إذا تغيرت أولاً شــفرة المعلومات الخاصـــة بهذا العضـــو ووظيفته في الدي إن إيه والجينات.

فإليك نبذة عن كيف تم اكتشــــاف هذه العملية المعقدة الدقيقة المحكمة، وكيف تحدث في الخلية.

في سنة ١٩٦١م، اكتشف فريق من أساتذة الكيمياء والجزيئات الحيوية في جامعة كمبردج، برئاســـة فرانســـيس كريك، أن كل ثلاثة من القواعد النيتروجينية الأربعة في الـدي إن إيـه، ترتبط معـاً في ترتيـب محـدد، ويتكون منهـا كود جيني أو كودون Codon، وكل كودون هو شـــفرة لأحد الأحماض الأمينية، والتبادل بين هذه القواعد النيتروجينية يتكون منه ٦٤ كودون أو شـفرة ثلاثية، ونشـروا نتائج اكتشـافهم في عدد شـــهر ديســـمبر ســـنة ١٩٦١م، من مجلة نيتشــر Nature، وكان عنوان دراســـتهم: الطبيعـة العـامـة للشـــفرة الوراثيـة للبروتينـات The General Nature Of The Genetic Code For Proteins [1].

وفي ســنة ١٩٥٦م، ألقى فرانســيس كريك محاضــرة، عنوانها: أفكار عن صــناعة البروتينـات Ideas On Protein Synthesis، وطرح فيهـا لأول أن صــــنـاعـة البروتينات في الخلية تتم من خلال نظام للمعلومات تتدفق فيه المعلومات الخاصــــة بالبروتين من الدي إن إيه في النواة، إلى وحدة صناعتها في الريبوسوم في السيتوبلازم، ثم واصل بحوثه إلى أن نشر دراسته المكتملة عن هذا النظام، في عدد شهر أغسطس سنة ١٩٧٠م، من مجلة نيتشر Nature، وكان عنوانها: الفكرة المركزية في البيولوجيا الجزيئية Central Dogma Of Molecular Biology.

---

1) Francis Crick, Sydney Brenner, Leslie Barnett, Watts-Tobin: The General Nature Of The Genetic Code For Proteins, Nature, December, 30, 1961, Vol. 4809, P127-132.

وفي دراسته رسم فرانسيس كريك عدة صور لاتجاه نقل المعلومات من الدي إن إيه في النواة إلى الآر إن إيه، ومنه إلى وحدة صناعة البروتينات، فهاك إحداها.

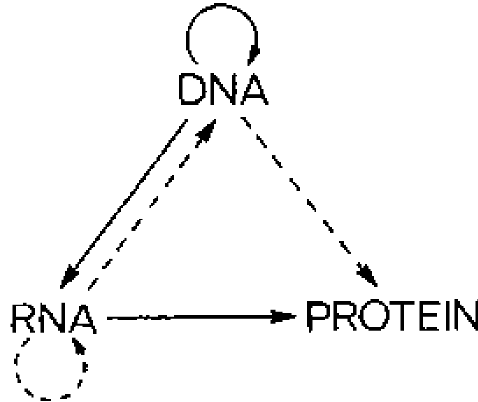


Fig. 3. A tentative classification for the present day. Solid arrows show general transfers; dotted arrows show special transfers. Again, the absent arrows are the undetected transfers specified by the central dogma.

نظام نقل المعلومات في الخلية كما رسمه فرانسيس كريك في مجلة نيتشر سنة ١٩٧٠م.

وفي شرح الرسم ونظام نقل المعلومات داخل الخلية، يقول فرانسيس كريك:

"يوجد في الخلية الحية، وغالباً في جميع الأحياء، ســـلاســـل من المعلومات وأبجديات محددة، والأســهم في الرســم لا تمثل بالطبع نقل المادة، بل توضــح اتجاه تدفق ســلاســل المعلومات المفصــلة، ويمكن تقســيم عملية نقل المعلومات إلى ثلاث مجموعات، والمجموعة الأولى الموضحة بالأسهم الصلبة (غير المتقطعة)، هي فقط التي يوجد عليها أدلة مباشرة وغير مباشرة، وتشمل أربع صور، ١-النقل من الدي إن إيه إلى الدي إن إيه، ٢-من الدي إن إيه إلى الآر إن إيه، ٣-من الآر إن إيه إلى البروتين، ٤-من الآر إن إيه إلى الآر إن إيه، والصـــورتان الأخيرتان يُفترض حدوثهما بســـبب وجود فيروســـات الآر إن إيه RNA Viruses في عملية النقل،

التي ندرك الآن أنها تحدث من خلال نظام شـــديد التعقيد Very Complex Machinery"[١].

وإليك توضيح ما قاله فرانسيس كريك، من كتاب البصمة في الخلية Signature In The Cell، لمؤســـس معهد العلوم والثقافة في الولايات المتحدة، ســـتيفن ماير Stephen Meyer، ورغم أنه حاصـــل على دكتوراه في العلوم من جامعة كمبردج، فلأنه مسيحي مؤمن بالوجود الإلهي والخلق وآثاره في الطبيعة، ويسعى إلى إثبات ذلك في كتبه العلمية، إذا ذهبت إلى موســوعة ويكيبيديا اليهودية ســتجدها قد حشــرت في التعريف به وبأعماله هذه العبارة:

"وهو من دعاة التصـــميم الذكي، وهو حجة علمية زائفة عند المؤمنين بالخلق على وجود الإله"[٢].

He Is An Advocate Of Intelligent Design, A Pseudoscientific Creationist Argument For The Existence Of God.

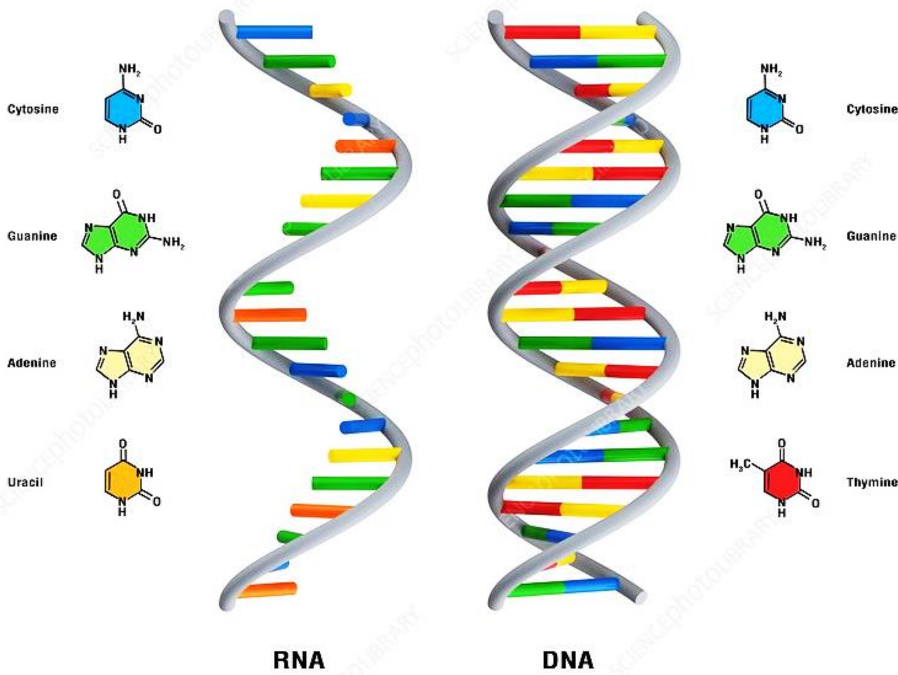
ونعود بك إلى تشـــفير المعلومات في الخلية وطريقة نقلها، يوجد ســـتة أنواع من الحمض النووي الأكسجيني أو الآر إن إيه، وهي التي قال عنها كريك في دراسته إنها فيروســات الآر إن إيه، ويدخل منها في صــناعة البروتينات ثلاثة، وهي الآر إن إيه الريبوسـومي Ribosomal RNA (rRNA)، والآر إن إيه المرسـال Messenger RNA (mRNA)، والآر إن إيه الناقل Transfer RNA (tRNA)، وتركيب الآر إن إيه يشـــبه تركيب الدي إن إيه، مع بعض الفروق، وهي أنه يتكون من ســلســـلة حلزونية واحدة، وليس اثنتين، وهذه السلسلة تتكون من مجموعات فوسفات ترتبط ببقايا

---

1) Francis Crick: Central Dogma Of Molecular Biology, Nature, August 1970, Vol. 8, P561-563.
2) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Stephen Meyer, https://en.wikipedia.org/wiki/Stephen_C._Meyer

ســـكر ريبوز أكســـجيني، وليس منزوع الأكســـجين، وقاعدة نيتروجينية، والقواعد النيتروجينية في الآر إن إيه هي نفســـها التي في الدي إن إيه، ما عدا قاعدة الثَّيمين في الدي إن إيه، التي يوجد مكانها قاعدة يوراســـيل Uracil في الآر إن إيه، وكل مجموعة فوسفات بروابطها مع قاعدة نيتروجينية تكوِّن نيوكليوتيدة.

وإليك صورة تعرفك بالفرق بين تركيب الدي إن إيه والآر إن إيه.

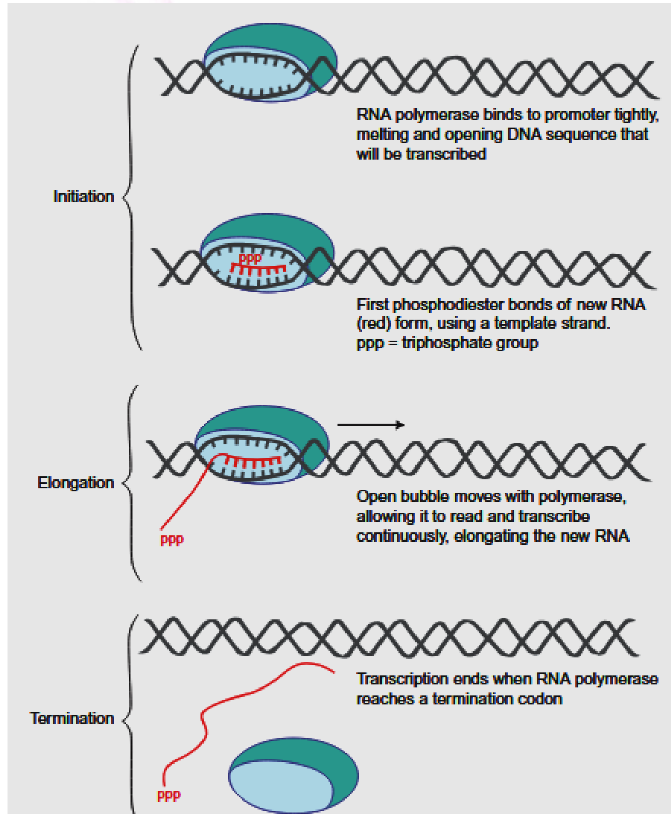


تركيب الدي إن إيه والآر إن إيه.

وعملية نقل شـفرة المعلومات الخاصـة بالأحماض الأمينية التي يتكون منها بروتين معين، تبدأ بأن يقوم إنزيم بلمرة الآر إن إيه RNA Polymerase، بالارتباط بالدي إن إيه في المنطقة من الجين التي تحوي الكودون أو الشـــفرة الخاصـــة بالحمض الأميني، ثم يفصـل السـلسـلتين أو الشـريطين اللذين يتكون منهما عبر كسـر الرابطة الهيدروجينية بين القواعد النيتروجينية التي تربط الشـريطين، ثم يسـتطيل الإنزيم وينفرد

على أحد شـــــريطي الدي إن إيه، أو يركب عليه، وهو الشــــريط الذي توجد عليه الكودونات أو الشـــفرة الجينية الخاصـــة بالحمض الأميني، فينســـخها ثم يربط بينها ويصنع منها شريط آر إن إيه مرسال، هو نسخة من شريط الدي إن إيه الذي يركبه، وبعد انتهاء النســـخ تقوم إنزيمات بإزالة الأجزاء التي تم نســـخها وليس لها دور في الشفرة.

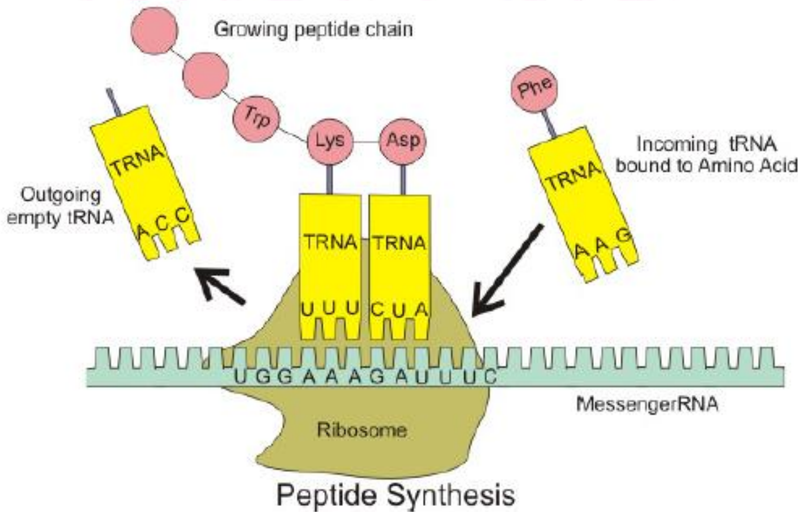
وإليك رسـماً يوضـح كيف يفصـل إنزيم بلمرة الآر إن إيه شـريطي الدي إن إيه ثم يركب على أحدهما وينسـخ الكودون أو شـفرة المعلومات في الجين الخاص بالحمض الأميني المطلوب.



رسـم يوضـح إنزيم بلمرة الآر إن إيه يفصـل شـريطي الدي إن إيه ثم يركب على أحدهما ويصـنع نسخة من شفرة المعلومات الخاصة بالحمض الأميني المطلوب لصناعة بروتين معين.

وبعد ذلك يخرج الآر إن إيه المرســـال من جدار النواة، إلى الريبوســـوم، وحدة صناعة البروتينات في السيتوبلازم، حيث يرتبط به الآر إن إيه الناقل، فيقرأ الكودونات أو شـــفرة المعلومات، ويترجم كل كودون إلى الحمض الأميني الذي يرمز له بتركيبه الكيميائي وخصـائصــه، وكل جزئ من الآر إن إيه الناقل مسـؤول عن قراءة الكودون والشـفرة الخاصــة بحمض أميني واحد وترجمتها، ثم يقوم بجلب الحمض الأميني الذي قرأه وترجمه إلى داخل الريبوسـوم، فيضـعه في موضـعه المناسـب من بقية الأحماض الذي يحدده الكودون أو شـفرة المعلومات الخاصــة به، فتنتج سـلسـلة من الأحماض الأمينية مرتبة كما هي في الشـــفرة التي في الجين والدي إن إيه، ثم تقوم كودونات أو شـفرات معينة بإيقاف العملية وإنهائها بعد وضـع آخر حمض أميني في موضـعه من السلسلة.

وإليك رسـماً آخر يوضـح ارتباط الآر إن إيه الناقل بالآر إن إيه المرسـال، وقراءته لشفرة المعلومات، ثم جلب الأحماض الأمينية إلى الريبوسـوم ووضـعها في مكانها من سلسلة البروتين المطلوب.



رسـم يوضـح ارتباط الآر إن إيه الناقل بالآر إن إيه المرسـال، وقراءته لشـفرة المعلومات، ثم جلب الأحماض الأمينية إلى الريبوسوم ووضعها في مكانها من سلسلة البروتين المطلوب.

وتدخل في كل مرحلة من عملية نســـخ الشـــفرة ونقلها وقراءتها وجلب الأحماض الأمينية والربط بينها إنزيمات عديدة، لتســهيلها، ولمنع حدوث خطأ في النســخ أو في القراءة والترجمة أو في جلب الأحماض الأمينية المطلوبة، وعدد الإنزيمات والمركبات البروتينية اللازمة من أجل نسـخ الشـفرة الجينية وقراءتها وصـناعة الأحماض الأمينية وتكوين ســلاســل البروتينات حوالي ١٠٠ إنزيم ومركب، ويجب أن تعمل جميعها معاً وفي تناسق ودون تضارب بين وظيفة كل منها[١].

وهكذا يكون شريط البروتين قد تكون، ثم يتكور على نفسـه ويصـبح ثلاثي الأبعاد، ويتجه إلى المكان المناسب في الخلية ليؤدي وظيفته الملائمة للعضـو الذي توجد فيه، وهذه هي الطريقة التي تتكون بها آلاف البروتينات في الجسم وتحكم شكل الأعضـاء ووظـائفها ومـا تفرزه، وتحكم جميع الخصـــائص البيولوجيـة لكـل مخلوق، والنتيجـة الحقيقية لاكتشـــافها، هي أن الكائنات الحية نظام من المعلومات المشـــفرة، وجميع أعضائها وأجهزتها ترجمة لهذا النظام، وليست مجرد مادة ولا حتى طاقة.

1) **Stephen Meyer: Signature In The Cell, P122-133, HarperOne, New York, 2009.**

الطفرات الجينية

والآن جاء أوان أن ننتقل بك من العلم الطبيعي الحقيقي والبحوث التجريبية إلى الدجل ولبس المعتقدات بها، ولوي الحقائق والالتفاف حولها من أجل هذه المعتقدات، فإذا تأمل أي إنسان عنده أدنى قدر من العقل والتمييز هذا النظام الدقيق المعقد المشفر بالمعلومات الذي تشترك فيه عناصر عديدة في تجانس وإحكام لصناعة البروتينات، وهي مادة الحياة والتي تمنح الكائن الحي خصائصه ووظائفه وتميز مخلوقاً عن آخر، هل يمكن أن يفهم هذا الإنسان بأي طريقة أن هذا النظام وُجد وحده وبتراكم الصدف العشوائية، وأن هذه الصدف العشوائية في هذا النظام المحكم هي التي أنتجت كل مخلوق من سابقه، إلا إذا كان مختلاً عقلياً ونفسياً، أو يعاند الحقائق ويقلبها عن عمد من أجل معتقداته وضلالاته؟

وقد تقول إن العلماء الذين أفنوا أعمارهم في هذه البحوث واكتشفوا هذا العلم، لو كانوا يؤمنون بالوجود الإلهي والخلق، ما سعوا إلى العلم والبحث ولما اكتشفوا ما اكتشفوه.

ونقول لك: هذا ما يوهمون به الأميين في الغرب والشرق، لكي يزيحوا العوائق من أمام معتقداتهم، فإذا راجعت جميع الدراسات والبحوث العلمية الحقيقية التي مرت بك في هذا الباب الذي بين يديك، وما أنتجته من معلومات مجردة، سواءًا ما تعلق منها بالجيولوجيا والحفريات، أو بالشفرة الجينية ومنظومة صناعة البروتينات ودورها في تحديد الخصائص البيولوجية لكل مخلوق، فسوف تجد أن البدء فيها من الوجود الإلهي والخلق، أو عدم التعنت والإصرار على نفيه، لن يغير من نتائج هذه البحوث والمعلومات شيئاً على الإطلاق، والذي سيتغير في الحقيقة هو عقيدتهم وفرضيتهم

العليا في إنكار الوجود الإلهي التي يتعمدون تفسـير المعلومات من خلالها، ويلبسـون حقائق العلم بها، منذ عصر النهضة وحتى يومك هذا.

والبساطة والوضوح في تفسير ظواهر الطبيعة والحياة، كما علمت في باب: **فيزياء حديثة وقبالاه**[•]، هي علامة موافقته للحقيقة، والتعقيد والالتواء سـمة التلفيق والابتعاد عنها، وآثار الوجود الإلهي ماثلة في الكون والحياة، ولا سـبيل لتجاهلها إلا بالتعسـف واللف والدوران ووضـع فرضـيات ملتوية وخيالية، ولذا إذا كنت منتبهاً وأنت تراجع الدراسـات والبحوث العلمية الحقيقية ونتائجها، فسـوف تدرك أن الوجود الإلهي والخلق ليس فقط لن يغير من المعلومات التي ينتجونها، بل وأيضـاً يفسـر تلقائياً جُل ما اكتشفوه وما توصلوا إليه من معلومات بصورة سهلة وبسيطة ودون تعقيد ولا التواءات، وأن إصرارهم على نفي الوجود الإلهي وتعمدهم الالتفاف حوله وتحاشي أي فرضية أو تفسـير يتجه بهم نحوه، يشـوه نظرياتهم ونتائج بحوثهم، ويخلق فيها المعضـلات والتناقضـات، ويضـطرهم في كثير من الأحيان إلى التلفيق والتدليس، بل وإلى العبث والتزوير في الأرقام والحسـابات، كما رأيت في بحوث الحفريات، وكما رأيت من قبل في تزوير المسافات بين المجرات في معادلة هابل.

فهاك نموذجاً على الالتواء والفرضيات الخيالية التي لا علاقة لها بالعلم ولا بالعقل، والتي افترضـوها بعد أن كشـفت نتائج البحوث العلمية الحقيقية في الكيمياء والجزيئات الحيوية، واكتشـاف الأحماض النووية والجينات وشفرة المعلومات التي تحويها، سذاجة تفسـير تشـارلز دارون لتنوع المخلوقات بأنها تطورت من بعضـها بالانتخاب الطبيعي، من خلال اسـتجابة أعضـائها الظاهرة للظروف الطبيعية والصـراعات التي تخوضـها

•) في كتاب: المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.

بتغير صـفاتها ووظائفها، ثم توريث الفرد أو النوع الصـفات الجديدة لنسـله، وانقراض الأفراد التي لم تتغير أعضاؤها.

والإله الخالق والخلق، كما رأيت، هو التفسير الوحيد الواضح والمستقيم ولا التواءات فيه لنظام المعلومات المشـــفر في الجينات والدي إن إيه، وللمنظومة المعقدة والدقيقة لنسـخها ونقلها من النواة إلى الريبوسـوم، ثم تحويلها إلى بروتينات مختلفة، وكل خلية تنتج البروتين المناســـب للعضـــو أو الجهاز الذي توجد فيه ويمنحه مواصـــفاته وخصـائصـه ويمكِّنه من أداء وظيفته، والفرضـية الخيالية التي ابتكرها خلفاء تشـارلز دارون على الهلاوس والتخيلات، من أجل تجنب الإقرار بالإله والخلق، هي الطفرات الجينية التي تحدث وحدها، واحدة تلو الأخرى، ثم تتراكم بالصـــدف العشـوائية، ومن خلال الانتخاب الطبيعي أيضـاً، فيؤدي تراكمها العشـوائي إلى تغير شـكل العضـو أو وظائفه، وكل جيل من النوع تحدث فيه طفرة يورثها لنســله، إلى أن ينتج مع تراكمها نوع جديد، وهكذا تخرج جميع الأنواع أو الكائنات من بعضها.

والطفرة الجينية معناها حدوث تغيير دائم في تركيب الدي إن إيه، الذي يتكون منه الجين، مثل فقدان إحدى القواعد النيتروجينية التي تكون الكودون أو الشفرة الجينية، أو زيادة قاعدة، أو تغير ترتيبها، أو تغير ترتيب الكودونات، بسـبب عوامل إشـعاعية أو كيميائية أو فيروسـات أو بكتيريا، فيؤدي ذلك إلى تغيير الحمض الأميني الذي يحمل الكودون والشـفرة خواصـه ومواصـفاته، ومن ثم ينتج بروتين مختلف، فتتغير صـفة العضـو، ثم تتراكم التغيرات الجينية والصـفات الناتجة عنها فيتغير العضـو بأكمله ويتغير شكله ووظيفته.

فإليك أحد خلفاء تشـــارلز دارون على الهلاوس يعرفك بالطفرة الجينية وكيف تنتج الأنواع أو المخلوقات من بعضـها في عقيدة التطور، يقول ريتشـارد دوكنز في كتابه: صانع الساعات الأعمى:

"التطور يحدث بصفة أساسية من تكرار التكاثر بلا نهاية، وفي كل جيل يأخذ النسل الجينات التي وصلت إليه من الجيل السابق، ويسلمها إلى الجيل التالي، ولكن مع أخطاء عشوائية طفيفة، أي طفرات Minor Random Errors, Mutations، والطفرة تحدث ببساطة بزيادة واحدة أو نقص واحد 1- or 1+، في الجين الذي تم اختياره عشوائياً، ومع مرور الأجيال يمكن أن يصبح الاختلاف الجيني عن السلف الأصلي كبيراً جداً، من خلال تراكم الخطوات الصغيرة، وعلى الرغم من أن الطفرات عشوائية، فإن التغيير الذي يحدث بالتراكم مع مر الأجيال ليس عشوائياً، والنسل في كل جيل يكون مختلفاً عن والديه في اتجاهات عشوائية، ولكن النسل الذي يتم اختياره لإنتاج الجيل التالي ليس عشوائياً The Progeny In Any One Generation Are Different From Their Parent In Random Directions. But Which Of Those Progeny Is Selected To Go Forward Into The Next Generation Is Not Random، وهنا يأتي دور الانتخاب الطبيعي الدارويني، فمعيار الانتخاب ليس الجينات نفسها، ولكن الأجسام التي تؤثر الجينات على شكلها من خلال التطور"[١]!

وكما ترى، أنت أمام عقيدة لا تغيرها ولن تغيرها البحوث والعلوم وما يكتشفونه وينقضها من حقائق، لأن العقائد، كما أخبرناك من قبل، لا يغيرها ولا يزيلها من الأذهان والنفوس التي تكونت بها سوى العقائد، بالضبط كما أنك مهما فعلت لن تتمكن من جعل الهندوس يتركون عبادة البقر والسجود لها بمجرد أن تكشف لهم أنها مجرد حيوان مذلل للإنسان ويمكن لطفل صغير أن يركبه ويسير به إلى حيث يشاء، إلا إذا غيرت عقيدتهم الأصلية التي أنتجت تقديس البقر وعبادتها.

وقد وضعنا لك فقرة كاملة من كلام ريتشارد دوكنز بالإنجليزية، لكي تتيقن أن الهذيان الذي قرأته من عنده وليس من ترجمتنا له، فأستاذ العلوم في أوكسفورد يخبرك

---

1) The Blind Watchmaker, P56.

أن الطفرات تحدث عشوائياً، طفرة طفرة، ولكن تراكم هذه الطفرات العشوائية بالصدف ليس عشـــوائياً، وينتج كائناً حياً جديداً بتركيبه الجيني الدقيق وخصـــائصــه وأجهزته البيولوجية المنظمة والمتجانســة، ويخبرك أن النسـل الذي ينتج من أصـل النوع يكون عشـــوائياً وفي اتجاهات مختلفة، أي أن أفراد هذا النســـل يحملون صـــفات مختلفة ومتضــــاربة، ثم يخبرك أن اختيار الفرد الذي ســيبقى من بينهم ليس عشــوائياً، لأن الانتخاب الطبيعي سيدعوهم إلى إنترفيو ويقارن بينهم ويختار أحدهم للبقاء!

وقد أخبرناك في باب: **الحركات السرية والعلوم الطبيعية**، أن ريتشارد دوكنز طراز من علمـاء الطبيعـة، إذا خرج من المعمـل ونتـائج البحوث التجريبيـة المحض، إلى المعتقدات وتفســـير الوجود والحياة، فلا فرق بينه وبين الســـريح بعربية بطاطا على كورنيش نهر التيمس في لندن، فإليك البرهان وما هو أغرب من هذا الهذيان.

في كتابه: الجين الأناني The Selfish Gene، وضــمن تفســيره لنشــأة الأفكار والمعتقدات وكيف تنتشر في الثقافات المختلفة، يقول ريتشارد دوكنز:

"خذ فكرة الإله كمثال، فنحن لا نعرف كيف نشـــأت هذه الفكرة، وفي الغالب أنها نشـــأت مرات عديدة من خلال طفرة مســـتقلة By Independent Mutation، وفي جميع الأحوال هي فكرة شـــديدة القدم، ولها جاذبية نفســـية كبيرة Great Psychological Appeal، وهذه الجاذبية النفســية معناها انجذاب المخ، والمخ تشـــكل بواســـطـة الانتخـاب الطبيعي للجينـات Brains Are Shaped By Natural Selection Of Genes"[1].

1) **Richard Dawkins: The Selfish Gene, P192-193, Oxford University Press, 1989.**

وقد جئناك بهذه الفقرة من كتاب ريتشـــارد دوكنز: الجين الأناني، من أجل شـــيء واحد فقط، هو أن تتيقن أنه بعد أن يرفع عينيه من على الميكروســـكوب ويخرج من باب المعمل، فلا فرق بينه وبين الســـريح بعربية بطاطا على كورنيش نهر التيمس، فريتشـــارد دوكنز ملحد وينكر الوجود الإلهي والخلق والحياة بعد الموت إنكاراً تاماً، ويصـرح بذلك في جميع كتبه، وله كتاب عنوانه: وهم الإله God Delusion، ثم هو يخبرك في عبارته أن الاعتقاد في وجود الإله تطور حدث في الإنسـان بسـبب طفرات في الجينـات التي تشـــكل مخـه وحفظهـا الانتخـاب الطبيعي، وهو مـا يعني أنـه هو شـخصـياً لم تصــبه هذه الطفرات ولم يتطور مخه، وأنه ما زال في طور الحيوان ولم يدخل في طور الإنسان!

وهو فعلاً ما يفسر لك الهذيان الذي قاله عن الطفرات العشوائية التي تتراكم بصدف غير عشوائية، وتنتج بذلك أنواع المخلوقات من بعضها.

فأولاً: إذا تأملت الهذيان والكلام المتضـــارب الذي يقوله ريتشـــارد دوكنز وأمثاله، ستجد أن ما فعلوه في الحقيقة هو أنهم نقلوا الانتخاب الطبيعي من المستوى الكبير في المادة، وهو الأعضـاء الخارجية، إلى المسـتوى الصـغير، وهو الجينات والدي إن إيه، ومثل تشـــارلز دارون بالضــــبط تعاملوا معها على أنها قطع صـــــغيرة من الحجارة مرصوصة إلى جوار بعضها، وسوف تتغير وتغير أعضاء الكائن الحي بفعل الظروف الخارجية، ولكيلا تنهار عقيدة التطور التي يعتنقونها فقد تعمدوا تجاهل المســـتويات العميقة غير المادية التي كشفها تركيب الجينات وشفرة المعلومات التي تحويها وطريقة نســـخها وقراءتها وترجمتها إلى بروتينات مختلفة، هي التي تحدد شـــكل الأعضـــاء ووظائفها.

فالمســتوى العميق الأول الذي تعمدوا تجاهله في تفســيرهم، هو المنظومة شــديدة التعقيد والدقة التي يشـترك فيها عناصـر عديدة وفي أماكن مختلفة من الخلية، فيجب

أن تنتبـه إلى أن الجينـات والكودونـات والـدي إن إيـه وأنواع الآر إن إيـه المختلفـة والريبوســـــوم وإنزيم بلمرة الآر إن إيه وغيره من الإنزيمات، جميعها مادة تتكون من مركبات كيميائية حيوية، مثل الفوســـفات والســـكر والبروتينات، وإذا تغاضـــيت عن الهذيان وافترضت أن الظروف الخارجية يمكنها أن تغير في مادة هذه العناصر تغييراً مفيداً وتنتج صــفات جديدة تواجه هذه الظروف، فالمعضــلة الأولى هي النظام الدقيق الذي يربط بين هذه العناصــر وينســق بين وظائفها لكي تنتج البروتينات، فجميع هذه العناصـــــر مادية، ولكن المنظومة المعقدة التي تربط بينها وتديرها بإحكام فوق المادة وأعلى منها، فهل يمكن لتراكم الصـدف العشـوائية أن ينتج نظاماً دقيقاً مركباً مثل هذا، مهما طال الزمان وكثر عددها، وإذا حدثت صـدفة عشـوائية غير مقصـودة ولا مرتب لها في أي نظام قائم فعلاً، فهل سـتكون نتيجتها ارتقاءه وتحسـنه أم خللاً في الروابط والتجانس بين عناصره وعرقلة عملها؟

وهؤلاء الـدجـالون يتجـاهلون حقـائق العلم ونتـائج البحوث التجريبيـة الحقيقيـة، ويســيرون من أجل هلاوســـهم في الاتجاه النقيض لما يكتشـــفونه، فالطفرات الجينية المؤثرة ترتبط في أغلبيتها الســــاحقة بالخلل في الخلية الحية وبالأمراض في الكائن الحي واضطراب وظائف أعضائه أو تشوهها، وليس تحسنها.

وفي عدد شهر أبريل سنة ٢٠٢٢م، من مجلة نيتشر Nature، نُشرت دراسة لفريق من جامعة ميتشــجان، برئاســة أســتاذ التطور الحيوي في الجامعة Evolutionary Biology، جيـانجي جـانج Jianzhi Zhang، وكـان عنوان الـدراســــة: الطفرات المترادفة في جينات الخميرة في غالبيتها العظمى ليســـت حميدة Synonymous Mutations In Representative Yeast Genes Are Mostly Strongly Non-Neutral، والطفرات المترادفة هي الطفرات التي كان يُعتقد أنها ســـاكنة أو صامتة ولا تحدث تغييراً في سلاسل الأحماض الأمينية التي تكون البروتينات.

وفي الدراســة قام فريق جامعة ميتشــجان بإجراء تجارب عديدة لإحداث طفرات في خلايا فطر الخميرة، وكانت هذه هي النتائج التي توصلوا إليها:

"منذ اكتشاف الشفرة الجينية في الستينيات، كان يُفترض أن الغالبية العظمى من الطفرات المترادفة حميدة، على عكس الطفرات غير المترادفة، التي تُغير ســلاســل البروتين وتؤثر بشــكل كبير على عمل الخلية، وفي دراســتنا وُجد أن ٧٥,٩% من الطفرات المترادفة ضارة بشكل كبير Significantly Deleterious، و١,٣% فقط مفيدة، وأن الطفرات المترادفة تقريباً في أهمية الطفرات غير المترادفة كأســباب للأمراض Synonymous Mutations Are Nearly As Important As Nonsynonymous Mutations In Causing Disease، وبما أن كثيراً من البحوث البيولوجية كانت تقوم على افتراض أن الطفرات المترادفة حميدة، فإن إثبات عكس ذلك سيكون له آثار كبيرة على فهم الأمراض وطريقة علاجها"[١].

وما تخبرك به دراسة فريق التطور الحيوي في جامعة ميتشـجان، أنه منذ اكتشـاف الجينات والشــفرة الوراثية ووضـــع الخرائط الجينية، من المتفق عليه في بحوث علماء البيولوجيا والجزيئات الحيوية أن الطفرات غير المترادفة التي تُحدث تغييراً في تسلسل الأحماض الأمينية في البروتينات، هي طفرات ضارة للخلايا ومسببة للأمراض، وكانوا يعتقدون أن الطفرات غير المترادفة التي لا تؤثر في ســـلاســـل الأحماض الأمينية حميدة، وما كشفته دراستهم أنه حتى هذه الطفرات التي لا تؤثر في سلاسل البروتينات ضارة ومسببة للأمراض، على عكس الهذيان الذي أتحفك به ريتشارد دوكنز.

---

1) Xukang Shen, Siliang Song, Chuan Li & Jianzhi Zhang: Synonymous Mutations In Representative Yeast Genes Are Mostly Strongly Non-Neutral, Nature, Vol. 606, June, 23, 2022, P726-731.

وأضـــف إلى ذلك، أنه إذا افترضـــت أن الطفرات مفيدة، وتراكمها التدريجي خطوة خطوة، ومن خلال الانتخاب الطبيعي، كما قال ريتشـــارد دوكنز، ســـوف يؤدي إلى تغيير إلى الأفضـل في سلسـلة الأحماض الأمينية والبروتينات وفي شـكل الأعضـاء ووظائفها، فعدد الطفرات اللازم لخروج الأنواع من بعضـــها، والزمن الذي تحتاجه، يتعدى بالحسابات وقانون الاحتمالات عمر الكون كله!

وفي عدد شـــهر نوفمبر ســـنة ٢٠٠٨م، نشـــرت مجلة جينيتكس أو الجينات Genetics، التي تصـــدرها الجمعية الأمريكية للجينات، دراســـة لريك دوريت Rick Durrett، أســـتاذ الرياضـــيات الحيوية في جامعة كورنيل Cornell، ودينا شـــميت Deena Schmidt، أســـتاذة الإحصـــاء في جامعة نيفادا Nivada، وكان عنوان الـدراســـة: في انتظـار طفرتين مع تطبيقـات على التســـلســـل التنظيمي في الـــتـــطـــور Waiting For Two Mutations With Applications To Regulatory Sequence Evolution، وفي الدراســـة قام دوريت وشـــميت بإجراء حسـابات على احتمالات حدوث طفرتين متتاليتين مسـتقرتين ونافعتين ومتكاملتين في الدورســـوفيلا أو ذبابة الفاكهة Drosophila، وكم تســـتغرق من الزمن، لكي تصـــبح مقاومة لعقار الكلوروكين Chloroquine، ثم قاموا بوضـــع نموذج رياضـــي إحصـائي لحســـاب الزمن الذي يمكن فيه حدوث مثل هاتين الطفرتين المســـتقرتين النافعتين في الثدييات وفي الإنســـان، مع الأخذ في الاعتبار الفرق بين أعداد ذبابة الفاكهة ومعدل تكاثرها وعدد أجيالها في فترة محددة، وبين ذلك كله في الثدييات والإنســـان، وكانت هذه هي النتائج:

"في النموذج الأول، إذا كـانـت الطفرة A، في الـدورســـوفيلا، حميـدة/محـايـدة Neutral، والطفرة B مفيدة للغاية Strongly Advantageous، فسوف تكون فترة الانتظار بين الطفرتين، ٥,٧ مليون سـنـة، وفي النموذج الثاني، ومع الافتراض

المحافظ Conservative Assumption، أن الطفرة B حميدة فقط، سـوف يزيد الزمن فترة تتراوح بين ٢٢٠ ألف سـنة و٩ مليون سـنة، وفي النموذج الثالث، إذا كنت الطفرة B مفيدة بدرجة قليلة، فسـوف يزيد الزمن بين الطفرتين فترة تتراوح بين ١٠٠ ألف سـنة و٤٠٠ ألف سـنة ... ويوجد حالياً ٥٠٠٠ نوع من الثدييات الحديثة، وحسـب النموذج الأول، فإن فترة الانتظار بين زوج من الطفرات في أحد هذه الأنواع هو ٣١,٦ مليون جيل، وحدوث هاتين الطفرتين في الإنسان يحتاج إلى ٨,٦ X ١٠^٦ جيل، وبحسـاب أن الجيل ٢٥ سـنة، يكون الزمن المطلوب لحدوث طفرتين متتاليتين ومستقرتين في الإنسان هو ٢١٦ مليون سنة"[1].

وتنبه أن دراسة ريك دوريت ودينا شميت، عن الزمن الذي يستغرقه حدوث طفرتين فقط، وليس عن تغير في شكل الأعضاء ووظائفها، ولا خروج أنواع من أنواع، ولا عن أي عنصـر من العملية شـديدة التعقيد وفائقة الدقة التي يتم من خلالها نسـخ الشـفرة الوراثية ونقلها وترجمتها وصناعة الأحماض الأمينية والبروتينات في الخلية الحية.

فإذا رجعت إلى باب: **الزمان والحفريات والحلقات الوسـيطة**، وراجعت الفقرات الخاصـة بدور الزمان الطويل والتدرج في عقيدة التطور، سـتجدهم يخبرونك ضـمن مشروع دراسة جينوم القردة، الذي نشرت نتائجه في عدد شهر مايو سنة ٢٠٢٥م من مجلة نيتشر، أن الإنسـان الحديث المنتصـب العاقل كان له سلف مشـترك مع القرد، وانفصل عنه منذ فترة تتراوح بين ٥,٥ مليون و٦,٣ مليون سنة، أي أن الإنسان تطور من سـلفه المشـترك مع القرد خلال هذه الفترة، فلا تعرف كيف تمر هذه الأرقام المتضـاربة وينقض بعضـها بعضـاً في أدمغة بقر الغرب وبلاليص الشـرق الذين يصـدقون هلاوس التطور، إذ كيف يمكن أن يتطور الإنسـان من القرد في بضـعة

---

1)Schmidt Rick Durrett: Waiting For Two Mutations With Applications To Regulatory Sequence Evolution, Genetics, 2008, November, Vol. 180, P1501–1509.

ملايين من السنين، وهو ما يحتاج إلى آلاف الطفرات، تشمل شكل الجسم والأطراف ووظائف الأعضاء وتركيب المخ وتكون العقل، بينما حدوث طفرتين نافعتين ومتكاملتين في الإنسان يحتاج إلى ٢١٦ مليون سنة، وتحول إنزيم واحد فقط في أي كائن حي إلى إنزيم آخر يؤدي وظيفة مفيدة يحتاج إلى سبع طفرات على الأقل، وإلى زمان يتخطى عمر الأرض؟!

في عدد شهر أبريل سنة ٢٠١١م، نُشرت دراسة تجريبية في مجلة المعهد البيولوجي في الولايات المتحدة The Biologic Institute، لاثنين من الباحثين في المعهد، هما آن كوجر Ann Gauger، ودوجلاس آكس Douglas Axe، وكان عنوانها: إمكانية الوصول بالتطور إلى وظائف جديدة للإنزيمات The Evolutionary Accessibility Of New Enzyme Functions، وهذه هي النتيجة التي وصلوا إليها:

"الإنزيمات مركبات من البروتينات، والتي تنتمي منها إلى نفس العائلة تُعد متجانسة، ولكن بالرغم من التشابه بينها في التركيب إلا أنها تؤدي وظائف مختلفة ومتنوعة بدرجة كبيرة، وقد قمنا بفحص إنزيمات إحدى العائلات الكبيرة، وهي النواقل المعتمدة على بَيْريدوكسال الفوسفات PLP-Dependent Transferases، لتحويل أحدهما إلى آخر شديد الشبه به في التركيب، ويمكنه أن يؤدي وظيفته الحيوية، وقمنا بعمل تجارب على ٢٩ حمض أميني في الإنزيم المطلوب تحويله، ووُجد أن حدوث تحول ناجح وأن يؤدي الإنزيم الجديد وظيفته، يتطلب تبديل ترتيب النيوكليوتيدات بسبع طفرات على الأقل، وحسب آلية التطور فحدوث مثل هذه الطفرات المتعددة يحتاج إلى نطاق زمني أطول بكثير من عمر الأرض Much Longer Than The Age Of Life On Earth، وهذه النتائج تثير سؤالاً

غالباً ما يتم إغفاله في الدراسـات السـابقة، وهو كيف يمكن أن تؤدي تغيرات عديدة إلى تحول في البروتينات وإنتاج وظائف جديدة طبقاً للآلية الداروينية"[١].

ومرة أخرى، وثـالثـة، وإلى مـا لا نـهـايـة، تنبـه أن نتـائج بحوثهم التجريبيـة والعلميـة الحقيقية تتناقض مع فرضياتهم النظرية وتنقضها، ولكنهم يصرون على مواصلة السير بعدها داخل عقيدة التطور التي أنتج هذه الفرضــيات، وينتقدون الجزئيات والتفاصــيل التي تفرضـــها عليهم، دون أن يجرؤ أحد منهم على التصـــريح بأن الخطأ في عقيدة التطور نفســها، لأنهم يعلمون الخانة التي ســيتم تصــنيفهم فيها وما ســيحيق بهم إذا تجرؤوا وصرَّحوا.

1) Ann Gauger And Douglas Axe: The Evolutionary Accessibility Of New Enzyme Functions, BIO-Complexity, April 11, 2011, P1-17.

الخردة في الدي إن إيه أم في رؤوسهم

وإليك نموذجاً آخر على الهلاوس التي تتراءى لهم، فيتعلقون بها وهم يتوهمون أنهم قد وصلوا إلى شيء حقيقي يسترون به عورات عقيدتهم في التطور، ثم تنقضها نتائج البحوث التجريبية التي يجرونها هم أنفسهم، ثم يواصلون السير بعدها في الاتجاه نفسه، وكأنهم لم يعرفوا بها، فلأنها عقيدة وليست علماً كما يتوهم الأميون من البشر شرقاً وغرباً، ومصدرها أذهانهم وأنفسهم وليس الطبيعة والمخلوقات، فلن يتخلوا عنها بنتائج البحوث العلمية والتجريبية المجردة، إلا إذا تخلى الوثنيون عن عبادة الأصنام وتخلى الهندوس عن عبادة البقر.

علمتَ أن الجينات التي تحمل الشفرة الوراثية، وتتحكم في تكوين الأحماض الأمينية والبروتينات والخصائص البيولوجية للكائن الحي، تتكون من أجزاء من الدي إن إيه، تتراوح بين ٢% و٣% منه فقط، ولأن خلفاء تشارلز دارون على هلاوس التطور نقلوا أثر الظروف الخارجية والصراعات التي يخوضها الكائن الحي، من المستوى الكبير للمادة وهو الأعضاء، إلى المستوى الصغير وهو الجينات، ولأن هلاوسهم، كما أخبرك ريتشارد دوكنز، تقوم على أن استجابة الكائن الحي للمؤثرات الخارجية تكون من خلال طفرات عشوائية متعددة في الجينات، ثم يتولى الانتخاب الطبيعي اختيار الجينات التي حدثت فيها الطفرات لتبقى وتنتقل إلى الأجيال التالية، وتختفي أو تُهمل الجينات التي رفضها، فقد تراءى لهم بناءًا على ذلك أن أجزاء الدي إن إيه التي لا تدخل في تكوين الجينات ولا تحمل شفرة وراثية، وهي من ٩٧% إلى ٩٨% من الدي إن إيه، تراءى لهم أنها مخلفات الانتخاب الطبيعي، أو كما يسمونها دي إن إيه نفاية أو خُردة Junk DNA، وليس لها وظيفة ولا فائدة، واعتبروا ذلك دليلاً على صحة عقيدة التطور والانتخاب الطبيعي.

وأول من طرح أن أغلب الدي إن إيه في الخلايا الحية مخلفات للتطور والانتخاب الطبيعي، وســـماها نفايات أو خردة، أســـتاذ التطور والجزيئات الحيوية في جامعة كاليفورنيا، الياباني الأمريكي، سوسومو أوهنو Susumu Ohno، في دراسة نشرها سنة ١٩٧٢م، في أحد سلسلة أعمال سيمبوزيوم بروكهافن للبيولوجيا Brookhaven Symposia In Biology، وكان عنوانها: كثير من نفايات الدي إن إيه في الجينوم الخاص بنا So Much Junk DNA In Our Genome، وقال فيها:

"نسبة كبيرة من الجينوم، ربما تصل إلى ٩٠%، لا تدخل في شفرة البروتينات، ويمكن أن نعتبرها دي إن إيه خردة Junk DNA، لأنه ليس لها وظيفة واضــحة، وربما وظيفتها أن تكون عازلاً بين الجينات Buffer، لمنع انتشـــار الطفرات بينها"[١].

وبعدها تلقف خلفاء تشارلز دارون على هلاوس التطور، فرضية سوسومو أوهنو، عن الدي إن إيه الخردة، وتوسعوا فيها، وصـــارت عندهم من أركانها وأقوى براهينها، ويستدلون بها على نفي الخلق والقصد والتصميم الإلهي، بل وكانت المجلات العلمية تمنع أي دراسة تشكك فيها وتقول إنه من غير المعقول أن يكون أكثر من ٩٠% من الدي إن إيه في خلية الكائن الحي نفاية وبلا وظيفة ولا فائدة.

فإليك نموذجاً على الهلاوس التي هلوسوها بعد فرضية سوسومو أوهنو، من أشهر خلفاء تشارلز دارون، يقول ريتشارد دوكنز في كتاب: الجين الأناني، الذي طبع لأول مرة سنة ١٩٧٦، بعد دراسة سوسومو أوهنو بأربع سنوات، وما زال يطبع إلى الآن:

---

1) Susumu Ohno: So Much Junk DNA In Our Genome, Brookhaven Symposia In Biology, Vol.23, P366-370, 1972.

"يبدو أن كمية الدي إن إيه في الكائنات الحية تفوق ما هو ضـــروري لبناء نفســـها، فجزء كبير من الدي إن إيه لا يُترجَم أبداً إلى بروتينات، ومن وجهة نظر الفرد من الكائنات الحية، يبدو هذا متناقضــاً Paradoxical، فإذا كان الغرض من الدي إن إيه هو الإشراف على بناء الأجسام، فمن المدهش العثور على كمية كبيرة منه لا تؤدي هذا الغرض، وعلماء البيولوجيا يرهقون عقولهم وهم يحاولون التفكير في الغرض المفيد الـذي يؤديـه هـذا الحمض النووي الفـائض، ولكن لا مفـارقـة، فالغرض الحقيقي من الدي إن إيه هو البقاء، لا أكثر ولا أقل، وأبسط طريقة لتفسير فائض الدي إن إيه هي افتراض أنه طفيلي Parasite، أو في أحسن الأحوال راكب غير ضـار ولكنه عديم الفائدة، ويركب في آلات البقاء التي أنشـأها الحمض النووي الآخر"[١].

ويمكنك أن تتوقع الصـدمة التي تلقاها ريتشـارد دوكنز وخلفاء تشـارلز دارون على هلاوس التطور، بعد إعلان نتائج مشـروع خريطة الجينوم البشـري وموسـوعة عناصـر الدي إن إيه البشري ENCODE، سنة ٢٠٠٣م، وقد اشتركت فيه عشرات الجامعات ومراكز البحوث في الولايات المتحدة وأوروبا، وقد كشفت نتائج المشروع أن ٨٠% من الدي إن إيه الذي لا يدخل في تكوين الشـــفرة الجينية وصـــناعة البروتينات، وكانوا يعتقدون أنه خردة ومن مخلفات الانتخاب الطبيعي، له عشـــرات الوظائف الحيوية، التي لا يمكن أن تعمل الجينات ويتم نســـخ الشـــفرة الوراثية وصـــناعة البروتينات من غيرها[٢].

---

1) The Selfish Gene, P44-45.
2) Dunham I, Kundaje A, Aldred SF, Collins PJ, Davis CA, Doyle F, Et Al: The ENCODE Project Consortium, September 2012, Nature, 6 September, Vol. 489, P57-74, 2012.

وبعد إعلان خريطة الجينوم البشري توالت البحوث والدراسات، التي كشفت أن الدي إن إيه الذي لا يدخل في تكوين الجينات، ليس من العمال في نسخ شفرة الأحماض الأمينية ونقلها وترجمتها وصناعة البروتينات بها، ولكنه المايسترو الذي يدير العملية كلها وينسق بين مكوناتها، وأهم وظائفه أنه يتحكم في الجينات ويحدد أيها الذي له دور في نسخ حمض أميني معين ونقله وترجمته، فيُنشِّطه ويسمح له بالعمل، وأيها لا علاقة له بهذا الحمض ولن يكون له دور، فيجعله خاملاً ويخرجه من عملية نسخه ونقله.

وفي كتابه: البصمة في الخلية، جمع مؤلفه ستيفن ماير مؤسس معهد العلوم والثقافة في الولايات المتحدة، عدداً من وظائف الدي إن إيه الذي لا يدخل في تركيب الشفرة الوراثية، والتي كشفتها الدراسات اللاحقة لمشروع الجينوم البشري، مع مصادر هذه الدراسات، فهاك نماذج من هذه الوظائف:

"١-تنظيم إنتاج الدي إن إيه DNA Replication، ٢-المحافظة على وضع الطي الصحيح للكروموسومات وصيانتها Proper Folding And Maintenance Of Chromosomes، ٣-التحكم في التفاعل بين الكروموسومات وغشاء النواة، ٤-تنظيم عملية نسخ الدي إن إيه Regulate Transcription، ٥-تحديد مواقع المادة الوراثية المطلوب نسخها، ٦-تنظيم معالجة الآر إن إيه ونسخه من الدي إن إيه، ٧-تنظيم ترجمة الآر إن إيه إلى الحمض الأميني، ٨-إصلاح الخلل في الدي إن إيه Repair DNA، ٩-رفع مستوى المناعة Immunodefense، ١٠-تنظيم نمو الجنين"[١].

وفي عدد شهر سبتمبر سنة ٢٠١٢م من مجلة ساينس Science، نشرت رئيسة قسم البيولوجيا والجينات في المجلة، إليزابيث بنيسي Elizabeth Pennisi، ورقة لها

---

1) Signature In The Cell, P407.

عن نتائج مشروع الجينوم البشري، عنوانها: مشروع الجينوم وموسوعة تركيب الدي إن إيه البشـــري يكتبون شـــهادة وفاة الدي إن إيه الخردة Genomics ENCODE Project Writes Eulogy For Junk DNA، وفيها تقول:

"شـهد هذا الأسبوع ٣٠ ورقة بحثية، منها ٦ في مجلة نيتشر Nature وحدها، دقت ناقوس الموت Sound The Death Knell لفكرة أن أغلب أجزاء حمضـــنا النووي الدي إن إيه خردة ونفايات ليس لها فائدة"[١].

وقد تسأل في براءة منقطعة النظير: وهل غيَّر ريتشارد دوكنز وخلفاء تشارلز دارون على هلاوس التطور موقفهم وتركوا هلاوســـهم بعد هذه النتائج التي قتلت آخر أمل كانوا يتعلقون به لإثبات عقيدتهم في التطور والانتخاب الطبيعي؟

وإجابتنا على سؤالك هي: وهل ترك الهندوس عبادة البقر والتبرك ببولها؟!

---

1) Elizabeth Pennisi: Genomics ENCODE Project Writes Eulogy For Junk DN, Science, September 7, 2012, Vol. 337, P1159-1161.



السوفت وير البيولوجي

والآن ننتقل بك إلى **المستوى العميق الثاني** الذي تعمدوا تجاهله وهم يفسرون تطور الأنواع وخروجها من بعضها بالطفرات في الجينات والدي إن إيه، ثم تركمها تراكماً مفيداً من خلال الانتخاب الطبيعي على مستوى الجينات، وهو شفرة المعلومات التي توجد في الجينات والدي إن إيه، والتي تحمل خصائص الأحماض الأمينية والبروتينات، وتحدد شكل الأعضاء والأجهزة ووظائفها، فكل كائن حي ليس في الحقيقة سوى برنامج من المعلومات المشفرة، وخصائصه البيولوجية هي ترجمة هذا البرنامج أو تنفيذه، ومن غيره لن يكون ولن تكون خصائصه ولن يمارس أنشطته البيولوجية.

فمرة أخرى تنبه، إلى أن الجينات والكودونات والدي إن إيه وأنواع الآر إن إيه المختلفة والريبوسوم وإنزيم بلمرة الآر إن إيه وغيره من الإنزيمات، جميعها مواد تتكون من مركبات كيميائية حيوية، مثل الفوسفات والسكر والبروتينات، ولكن الشفرة التي تنسخها هذه المواد وتنقلها وتقرأها وتترجمها إلى أحماض أمينية وبروتينات، ليست مادة، بل معلومات، ولكي نقرب لك المسألة، الجينات والدي إن إيه والآر إن إيه هارد وير يمكنك أن تراه بالميكروسكوب الذري، كما ترى مكونات جهاز الكمبيوتر الصلبة وتتعامل معها بالمفاتيح والمفكات، كبر حجمها أو صغر، أما الشفرة التي تتناقلها هذه العناصر وتتداولها فيما بينها من أجل صناعة البروتينات وتحديد خصائص الكائن الحي فهي سوف وير غير مرئي، ولا مجال للتعامل معه بالمفتاح والمفك والشاكوش، فإذا افترضت أن الظروف الخارجية والصراعات يمكنها أن تغير في الهارد وير ثم تتراكم التغيرات وتُنتج صفات جديدة في هذا الهارد وير، فهل يمكن أن تغير ظروف البيئة الخارجية والصراعات التي يواجهها الكائن الحي من السوفت وير وبرنامج المعلومات الذي يوجد مشفراً في مكونات خلاياه المادية؟

والسؤال السابق على هذا، هو من أي أتى هذا السوفت وير وبرنامج المعلومات المشفر أصلاً، ومن الذي شفَّره، وهل مطروح أن يتكون مثل هذا السوفت وير المعقد ثم يتطور إلى الأحسن بالصدف وتراكمها والاستجابة العشوائية للظروف الخارجية، وإذا افترضت حدوث تغيير أو طفرة عشوائية في هذا السوفت وير وبرنامج المعلومات الدقيق المشفر، فهل سيُنتج معلومات جديدة منظمة أم خللاً وفوضى، وسيكون مثل دخول فيروس إلى برامج الكمبيوتر، وإذا حدثت هذه الطفرة العشوائية، فهل يمكن لطفرة عشوائية أخرى أن تعالج الخلل الذي أنتجته الطفرة الأولى وتستعيد نظام المعلومات ثم تطوره وتجعله أرقى؟

فما يقوله ريتشارد دوكنز وخلفاء تشارلز دارون على الهلاوس، عن التطور بالطفرات والانتخاب الطبيعي على مستوى الجينات، هو أنهم يريدون إيهامك أنك إذا قذفت جهاز الكمبيوتر بطوبة، فسوف تتغير البرامج التي قمت بتحميلها عليه، والمصممة بدقة، وتُنتج النسخة الأحدث منها!

والسوفت وير وبرنامج المعلومات المشفر داخل هارد وير الدي إن إيه المادي، يحوي جميع عناصر التكنولوجيا الرقمية، فإذا رجعت إلى عملية صناعة البروتين داخل الخلية، ستجد أنه يوجد في الدي إن إيه ٦٤ كودون أو كوداً جينياً، وكل كودون هو شفرة من ثلاثة من القواعد النيتروجينية الأربعة التي ترتبط كل اثنتين منها معاً وتربط بين سلسلتي الدي إن إيه، ويوجد في الجينوم البشري ٣,٥ مليار زوج من النيوكليوتيدات وهذه القواعد، أي ٧ مليار قاعدة، وكل كودون يحمل المعلومات الخاصة بأحد الأحماض الأمينية، ثم يقوم إنزيم بلمرة الآر إن إيه بالركوب على الكودونات المطلوبة، وينسخ هذه الشفرة إلى الآر إن إيه المرسال، الذي ينقلها إلى الريبوسوم، حيث يرتبط به الآر إن إيه الناقل، ويقرأ الكودونات أو شفرة المعلومات، ويترجم كل كودون إلى الحمض الأميني الذي يرمز له بتركيبه الكيميائي وخصائصه،

ثم يقوم بجلب الحمض الأميني الذي قرأه وترجمه إلى داخل الريبوسوم، الذي يضعه في موضعه المناسب من بقية الأحماض الذي يحدده الكودون أو شفرة المعلومات الخاصة به، فينتج البروتين وسلسلة الأحماض الأمينية فيه مرتبة كما هي في الشفرة التي في الجين والدي إن إيه.

ثم بعد ذلك يتجه كل بروتين إلى الموقع المخصص له ويمكنه فيه أداء وظيفته، وهي معضلة معلومات أخرى فوق معضلة البرنامج المشفر وأصعب منها، فكيف وما هي الطريقة التي يعرف بها كل بروتين وظيفته المحددة له ويتجه إلى المكان الملائم الذي ينبغي أن يوجد فيه ليتمكن من أداء هذه الوظيفة، ولا يمكنه أداءها إلا فيه؟

وهذه العملية الدقيقة المركبة، تحوي الأركان الرئيسية للتكنولوجيا الرقمية وأنظمة المعلومات والكمبيوتر، وهي: **أولاً**: سوفت وير أو برنامج لتخزين المعلومات عن الأحماض الأمينية في صورة مشفرة في الجينات داخل الدي إن إيه، **وثانياً**: هارد وير أو جهاز مادي من أجزاء متعددة، هي إنزيم بلمرة الآر إن إيه وأنواع الآر إن إيه المختلفة والريبوسوم والإنزيمات المساعدة، لمعالجة المعلومات ونسخها ونقلها وترجمتها من أجل إنتاج هذه الأحماض الأمينية والبروتينات، **وثالثاً**: شبكة تواصل وبرنامج أعلى لإدارة العملية كلها والربط والتنسيق بين عناصرها، وهو بقية الدي إن إيه الذي كانوا يتوهمون أنه خردة ونفايات، ولا يمكن أن ينتج البروتين وتتكون الخصائص البيولوجية للكائن الحي إذا اختل أي ركن في هذه الأركان، أو فُقد الترابط والتنسيق بينها.

وهذه العملية الحيوية الدقيقة تشبه التكنولوجيا الرقمية، أو في الحقيقة التكنولوجيا الرقمية هي التي تشبهها، ولكنها تشبهها ظاهرياً فقط، فهذه التكنولوجيا الحيوية أشد منها تعقيداً وأكثر رقياً بمراحل، ولا يمكن للبشر محاكاتها فيما ينتجونه من التكنولوجيا الرقمية وأنظمة المعلومات والكمبيوتر، كما يخبرك بيل جيتس Bill Gates، مؤسس

شركة مايكروسوفت Microsoft، وهي أكبر شركة لتصميم البرامج وأنظمة المعلومات في العالم، في كتابه: الطريق أمامنا The Road Ahead:

"كنت مقتنعاً في شـــبابي أن الكيمياء أهم كثيراً من البيولوجيا، إلى أن قرأت كتاب دكتور جيمس واتســـون الرائع: البيولوجيا الجزيئية Molecular Biology، الذي جعلني أدرك خطأي، فالبيولوجيا وفهم الحياة أهم كثيراً جداً من الكيمياء، والمعلومات البيولوجيـة هي أهم معلومـات يمكن أن نكتشـــفها، وفي العقود القـادمـة هي التي سـتؤدي إلى تقدم الطب واكتشـاف علاجات لأغلب الأمراض، والدي إن إيه البشـري مثل برامج الكمبيوتر، ولكنه أكثر تقدماً وبدرجة كبيرة جداً عن أي ســـوفت وير قمنا بتصـميمه وصـناعته على الإطلاق Human DNA Is Like A Computer Program But Far, Far More Advanced Than Any Software We've Ever Created"[١].

وخلفاء تشـــارلز دارون على عقيدة التطور وهلاوســـها يعرفون ما أخبرك به بيل جيتس تمام المعرفة، ولكنهم كما أخبرناك، يســـيرون من أجل البقرة التي يعبدونها في الاتجاه النقيض لما يعرفونه وما يكتشــفونه، فإليك أدق وصـــف لتكنولوجيا المعلومات الرقمية البيولوجية الدقيقة التي يتم من خلالها صـــناعة الأحماض الأمينية والبروتينات في الخلية، وتحدد شــكل أعضـــاء الكائن الحي ووظائفها، وتمنحه جميع خصـــائصـــه البيولوجية وتميز كائناً عن كائن:

"ما يكمن في قلب كل كائن حي ليس ناراً، ولا نفســـاً دافئاً، ولا شـــرارة حياة، بل معلومات وكلمات وتعليمات، فلا تفكر في النيران والشـــرر والأنفاس، بل فكِّر في مليـار حرف رقمي منفصـــــل محفور على ألواح من الكريســــتـال A Billion Discrete Digital Characters، وإذا أردتَ فهم الحياة، فلا تفكر في الهلاميات

---

1) Bill Gates: The Road Ahead, P228, Penguin Books, USA, 1996.

والرواســـب النابضـــة بالحياة، بل فكِّر في تكنولوجيا المعلومات، التي ذكرتها في الفصـــل الســـابق، عندما أشـــرتُ إلى ملكة النمل على أنها بنك مركزي للبيانات Central Data Bank، والشـرط الأسـاسـي لتكنولوجيا المعلومات المتقدمة هو وسـائط تخزين ذات عدد كبير من مواقع الذاكرة Storage Medium With A Large Number Of Memory Locations، ويجب أن يكون كل موقع قادراً على التواجد في حالة واحدة من عدة حالات متمايزة، وهذا ينطبق على تكنولوجيا المعلومات الرقمية التي تهيمن الآن على عالمنا المتطور، فالمعلومات على قرص الليزر الحديث، الذي يسـمى بالقرص المضـغوط Compact Disc، هي معلومات رقمية ومخزنة في سـلسـلة من الحفر الصـغيرة Tiny Pits، كل منها إما موجود بالتأكيد أو غير موجود بالتأكيد، ولا يوجد وضـع وسـيط بينهما، هذه هي سـمات النظام الرقمي، وتكنولوجيا المعلومات الخاصـــة بالجينات تكنولوجيا رقمية The Information Technology Of The Genes Is Digital"[١].

وهذا الوصـــف الذي قرأته عن برنامج المعلومات وبنكها المركزي في الدي إن إيه، وتكنولوجيا المعلومات الرقمية في الجينات، التي تُصـــنع من خلالها البروتينات، ويكتسب الكائن الحي بها خصائصه ومواصفاته وتميزه عن غيره من الكائنات، الذي قاله هو أشهر خلفاء تشارلز دارون على هلاوس التطور في القرن الحادي والعشرين، ريتشارد دوكنز، في كتابه: صانع الساعات الأعمى، فإذا سألته: فهل يمكن أن توجد بنوك المعلومات المركزية في الخلايا الحية وهذه التكنولوجيا الرقمية بالصـــدف العشوائية، وهل يمكن أن يتغير برنامج المعلومات وبنكها في مخلوق إلى برنامج وبنك آخر وينتج مخلوقاً مختلفاً بالظروف الخارجية والطفرات العشوائية وتراكمها بالصدف، فسوف ينظر إلى البقرة في خشوع، ثم يجيبك: بكل تأكيد نعم!

---

1) The Blind Watchmaker, P112.

وتكنولوجيا المعلومات الرقمية في الدي إن إيه والجينات، كما أخبرك بيل جيتس، أشد تعقيداً ورُقياً من أي سوفت وير أنتجه الإنسان، لأن أنظمة الكمبيوتر والتكنولوجيا الرقمية التي أنتجها الإنســان تعتمد على كود أو شـفرة ثنائية Binary Code، تتكون من رقمين ثابتين هما صفر وواحد، وكل منهما بت Bit، وهي أصغر وحدة للمعلومات في التكنولوجيا الرقمية، ورقم واحد يمثل وضـــع التشــغيل أو الوجود، كما قال دوكنز، ورقم صفر يمثل وضـع الإيقاف وعدم الوجود، والتبادل بين الرقمين في سلاسل طويلة يمثل جميع الأعداد، وهذه الســـلاســـل من الرقمين هي التي تكوِّن لغة البرمجة والتكنولوجيــا الرقميــة، وتتحول في أجهزة الكمبيوتر إلى حروف وكلمــات وجمــل، وأصـــوات وصـــور، من خلال أنظمة للرموز، مثل آســـكي ASCII، ويونيكود UNICODE.

فمثلاً الكود الثنـائي لحرف A كـابيتـال الكبير في الإنجليزيـة، هو **01000001**، وكود حرف **a** ســـمول الصـــغير، هو **1100001**، وكود حرف **Z** كـابيتـال، هو **01011010**، وكود حرف **z** سمول، هو **01111010**.

وفي اللغة العربية، يتم تحويل الحروف إلى نظام الكود الثنائي من الصـفر والواحد، من خلال نظام للرموز يدعم اللغة العربية، ويُحول كل حرف عربي إلى رقم عشـــري، ثم إلى الكود الثنائي الذي يقابل هذا الرقم العشري.

وهذه صــورة توضــح نظام الكود الثنائي في الكمبيوتر والتكنولوجيا الرقمية والتبادل في لغته بين الواحد والصفر



نظام الكود الثنائي في الكمبيوتر والتكنولوجيا الرقمية والتبادل في لغته بين الواحد والصفر

والشفرة الحيوية في الجينات أشد تعقيداً وأكثر رُقياً من شفرة تكنولوجيا المعلومات، ولا يمكن للإنسان أن يحاكيها، لأنها شفرة ثلاثية وليست ثنائية، فإذا رجعت إلى تركيب الدي إن إيه في نواة الخلية الحية، ســـتجد أنه يوجد به أربع قواعد نيتروجينية، وكل واحدة منها على أحد شـــريطي الدي إن إيه ترتبط بأخرى تقابلها في الشـــريط الثاني بروابط هيدروجينية، فالأدنين يرتبط بالثَيمين والجوانين يرتبط بالسَـــيتوزين، وعددها في الجينوم البشـــر كله ٣,٥ مليار زوج، أو ٧ مليار قاعدة، وهذه القواعد تقابل الأرقام والرموز في التكنولوجيا الرقمية البشـــرية، فكل ثلاثة من هذه القواعد أو الرموز الأربعة على شريط الدي إن إيه يتكون منها كودون أو شفرة جينية تحمل المعلومات الخاصـة بحمض أميني من الأحماض الأمينية العشـــرين، أو الاثنين وعشـــرين بعد اكتشـــاف

الحمضـين اللذين كانا غير معروفين سـابقاً سـنة ٢٠٢٤م، وبعض الأحماض الأمينية لها أكثر من كودون، وعدد هذه الكودونـات الثلاثيـة في الخليـة الواحـدة ٦٤ كودون، ونسـخ هذه الكودونات وترجمتها في الريبوسـوم ينتج عشـرات الآلاف من البروتينات، التي تختلف من خلية لخلية حسـب موقعها من أعضـاء الكائن الحي والوظيفة التي تؤديها هذه الأعضاء، فهي تُنتج في البنكرياس الإنسولين، وفي البشرة الكولاجين، وفي الخصيتين هرمون الذكورة التستوستيرون، وهكذا.

فإليك نموذجاً على الكودونات أو الشـفرة الثلاثية والأحماض الأمينية المشـفرة فيها، الحمض الأميني أرجينين Arginine له خمسة كودونات أو شفرات ثلاثية، هي:

١-CGC، أي سَـيتوزين جوانين سـيتوزين، ٢-CGA، أي سَـيتوزين جوانين أدنين، ٣-CGG، أي سَـيتوزين جوانين جوانين، ٤-AGA، أي أدنين جوانين أدنين، ٥-AGG، أي أدنين جوانين جوانين.

ووصْـف هذه الشـفرة الحيوية الثلاثية وطريقة ترجمتها لا يكفي للتعبير عن مدى تعقيدها ودقتها، فإليك أسـتاذ الفيزياء الكونية في جامعة كمبردج البريطانية، وجامعة أريزونا الأمريكية، ومدير مركز المفاهيم الأسـاسـية في العلوم، بول ديفيز Paul Davis، يعرفك في كتابه: المعجزة الخامسـة البحث عن أصـل الحياة The Fifth Miracle, The Search For The Origin Of Life، بمدى هذا التعقيد وتجاوزه لأنظمة المعلومات والكمبيوتر البشرية، وبحيرته وحيرة علماء البيولوجيا في تفسيره ومن أين جاء:

"هذا النظام المعقد يثير أسـئلة عديدة، كيف نشـأ هذا النظام المعقد والمحدد للشفرة الوراثية لأول مرة، ولماذا اختارت الطبيعة هذه الشفرة تحديداً من بين $١٠^{٧٠}$ شـفرة محتملة يمكن تكوينها بهذه الأكواد الثلاثية، ولماذا اسـتخدمت الحياة ٢٠

حمضاً أمينياً و ٤ قواعد نيتروجينية، مع أنه كان من الأبسط بدرجة كبيرة استخدام ١٦ حمضـــاً أمينياً ونظاماً ثنائياً من هذه القواعد، فمن الأســـهل كثيراً اســـتخدام قاعدتين فقط في نظام تشـــفير ثنائي مثل الكمبيوتر، ولو تطور مثل هذا النظام الأبسـط وظهر، لما كان في مقدورنا أن ندرك كيف يمكن لهذا النظام الثلاثي المعقد في التشـــفير أن يوجد ويعمل How The More Complicated Triplet Code Would Ever Take Over، وقد وصـــف البيولوجي البريطاني جون مِينارد سميث John Maynard Smith أصل هذه الشفرة بأنه أكثر المعضلات إربــاكــاً وإثــارة للحيرة في البيولوجيــا التطوريــة The Most Perplexing Problem In Evolutionary Biology"[١].

والأسئلة التي سـألها بول ديفيز لنفســه وأثارت حيرته وحيرة علماء البيولوجيا، ليس لها إلا إجابة واحدة وواضــحة، وهو نفســه يعرفها، ولكن لأنه ملحد فهو يؤمن بهلاوس تشـــــارلز دارون، ولأن إيمانه بها من أدلة إلحاده، فقد تطلع هو الآخر إلى البقرة في خشوع، وكانت إجابته على أسئلته: إنه التطور!

1) Paul Davies: The Fifth Miracle, The Search For The Origin And Meaning Of Life, P109-110, Simon and Schuster, New York, 1999.



نظرية الصدف والهلاوس

إذا لم تكن من بقر الغرب ولا من بلاليص الشرق، وتأملت عقيدة التطور من أعلى، وجمعت جميع عناصـرها وشـواهدها معاً، ودون أن تذهلك العبارات التي يغلفونها بها ويموهونها فيها، والألقاب الفخمة لمن يعتنقونها من الضالين والأميين، فسوف تكتشف بسـهولة، أن الفاعل الحقيقي في هذه العقيدة والمحور الذي ترتكز عليه في تفسـير ظهور الكائنات الحية وخروجها من بعضها، هو الصدف فقط لا غير.

فإذا راجعت ما قاله تشـارلز دارون عن تكيف العضـو الظاهر في الكائن الحي واكتسابه لصفات جديدة في مواجهة الظروف البيئية، وكذلك إذا راجعت ما قاله خلفاؤه عن الطفرات الجينية في برنامج المعلومات المشفر داخل الخلايا، واكتساب العضو لهذه الصفات من خلالها، فسوف تجد أنه في الحالتين، لا يحدث التغير في العضو ولا الطفرات في الجينات مرة واحدة، فلأنهم ينفون الفعل والفاعل، أو الخلق والخالق، وظهور أنواع المخلوقات عندهم وخروجها من بعضـها عملية مادية وآلية محض، وحدثت وحدها وتلقائياً كاسـتجابة للظروف الخارجية، فالطريقة الوحيدة لتفسـير تنوع المخلوقات الشديد والتباين الواسع بين صفات أعضائها وقدراتها هي حدوث التغير أو الطفرات وتحسن صفات العضو ثم اكتسابه لصفات جديدة بالتدرج الشديد وعبر زمان طويل، فكل زمن يمر على النوع من الكائن الحي يشـهد تغيراً واحداً في العضـو أو طفرة واحدة في الجين، ثم في زمن تالٍ يحدث تغير أو طفرة واحدة أخرى، وكل تغير يضـاف إلى سـابقه وكل طفرة إلى التي قبلها، إلى أن تتغير وظيفة العضـو، ثم عبر أزمنة طويلة أخرى يتغير تكوين المخلوق بأكمله وشكل أعضائه ووظائفها كلها، فيخرج نوع جديد.

وهذا التراكم البطيء والمتواصل للتغيرات التدريجية في الأعضاء، أو للطفرات في الجينات، هو محور عقيدة التطور وهو أيضاً مقتلها، لأن حدوث تغير أو طفرة واحدة يمكن تمريره وقبوله، ولا يناقض بديهيات العقل، ولكن حدوث آلاف التغيرات أو الطفرات، ثم تراكمها وتراكم آثارها صفة فوق صفة وطفرة على طفرة، وكل تغير أو طفرة تضيف إلى سابقتها وفي اتجاه واحد، ثم تحسن العضو وارتقاء الكائن الحي بذلك، مسألة لا يمكن تفسيرها بالتدرج البطيء والزمان الطويل، لأن السؤال البديهي حينئذ هو ما الذي يجعل التغيرات والطفرات العديدة المتفرقة وفي أزمان متباعدة متجانسةً وتنتج آثارها في اتجاه واحد، وما الذي ينسق بين التغيرات العديدة في الأعضاء المختلفة ووظائفها ويجعلها منظومة متكاملة تمكِّن الكائن الحي من ممارسة أنشطته البيولوجية، وما الذي يمنع أن يناقض أي تغير أو طفرة منها أخرى وتنقض ما أنتجته، فتكون النتيجة النهائية تشوه الأعضاء وتدهور وظائفها وليس تحسنها، وتراجع الكائن الحي وليس ارتقاءه؟

والعامل الذي ابتكره تشارلز دارون، لكي يُجبر التغيرات البطيئة في الأعضاء واكتسابها التدريجي للصفات أن تكون متجانسة ومتراكمة بالإيجاب وليس بالسلب، ولكي تفضي إلى تحسن العضو وارتقاء الكائن الحي، هي الانتخاب الطبيعي، ثم نقله خلفاؤه من مستوى الأعضاء إلى مستوى الجينات.

وتشارلز دارون، وكذلك خلفاؤه على هلاوسه، بنوا عقيدة التطور ظاهرياً على عدم وجود قوة عاقلة فاعلة في تفسير تنوع الكائنات واكتسابها للصفات وخروج بعضها من بعض، ولكنهم في الحقيقة وفعلياً جعلوا الانتخاب الطبيعي قوة عاقلة، لأنه لا يمكن تفسير تراكم الصفات أو الطفرات العديدة وفي أزمنة مختلفة في اتجاه واحد وإضافة ما ينتجه كل منها إلى سابقه، إلا بافتراض وجود قوة عاقلة.

وكما أخبرناك من قبل، الانتخاب الطبيعي عبارة أو تعبير غامض في الحقيقة، وليس له معنى واضح ومحدد، واسمه يتناقض مع فحواه، ومن يعتنقون عقيدة التطور أو ينكرونها، يكررونه دون أن يتوقفوا عنده بسبب اعتيادهم عليه.

فالانتخاب الطبيعي كما يبدو من اسمه من فِعل الطبيعة، أي أنه عملية أو ميكانيزم غير عاقل، ولذا كان من الممكن أن تفهمه، سواءًا وافقت عليه أو رفضته، لو كان عملية آلية وميكانيكية منتظمة، ولو في ظاهره، كغيره من ظواهر الطبيعة، مثل حركة الكواكب الدائبة والتفاعلات الكيميائية التي لا تتغير، وليس فيها تراكم ولا اختيار ولا مفاضلة بين وضع ووضع ولا نتيجة ونتيجة، ولكن تشارلز دارون وخلفاؤه على هلاوسه قدموا الانتخاب الطبيعي على أنه آلية من فعل الطبيعة، وبديل القوة العاقلة في تفسير وجود المخلوقات وتنوعها، وفي الوقت نفسه نسبوا له فعلاً جميع مواصفات القوة العاقلة، فالانتخاب الطبيعي الذي من المفترض حسب عقيدتهم أنه ميكانيزم آلي من فِعل الطبيعة، له عقل يختار به الصفة في العضو أو الطفرة في الجين التي سوف تبقى من بين آلاف الصفات والطفرات التي تحدث في العضو والكائن الحي، وله مع العقل إرادة يضع بها غاية ووظيفة لهذا العضو والكائن ويرسم طريقاً محدداً يستغرق ملايين السنين لكي تتراكم التغيرات والطفرات التي اختارها داخله ولا تخرج عنه من أجل الوصول لهذه الغاية والوظيفة، وقام بالتنسيق بين التغيرات والطفرات التي اختارها في الأعضاء المختلفة، لكي يمنع التضارب بينها ويجعل منها منظومة متجانسة وتؤدي الوظيفة العامة للكائن الحي، ومع العقل والإرادة فالانتخاب الطبيعي له قدرة وقوة تجعله يجبر الصفات والطفرات التي اختارها على أن تتراكم في الاتجاه الذي أراده وإلى الغاية التي وضعها.

فإذا أردت أن تزيل التعارض بين اسم الانتخاب الطبيعي والغلاف الذي لفه فيه تشارلز دارون وخلفاؤه، ويوحي أنه عملية آلية من فعل الطبيعة، وبين صفات القوة

العاقلة التي ألحقوها به، وأسقطت هذه الصفات، فسوف تجد أن الفاعل الحقيقي في عقيدة التطور هو في الحقيقة الصدف العشوائية وتراكمها.

وتشارلز دارون نفسه، كان يدرك أن الصدف العشوائية وتراكمها هي الفاعل الحقيقي في عقيدته للتطور، وأنه لا يمكن لأي إنسان عنده أدنى قدر من العقل والتمييز، أن يقبل أن تكون هذه الصدف هي تفسير تنوع المخلوقات ومنظوماتها البيولوجية الدقيقة والمتجانسة معاً ومع أنشطتها الحيوية، ولذلك في الأبواب الأولى من كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، قال إن التغيرات في الأنواع تحدث بالصدفة، وما يبقى منها فهو أيضاً بالصدفة، وكرر ذلك في مواضع عديدة، وحين وصل إلى الباب الخامس من الكتاب، أدرك أن ما قاله لا يمكن أن يمر في عقل سليم ويقبله، فحاول أن يتدارك ما قاله، فزاد طينته بلة، أو جه يكحلها عماها!

يقول تشارلز دارون في الباب الخامس، وعنوانه: قوانين التنوع Laws Of Variation:

"لقد تكلمتُ حتى الآن كما لو أن التنوع الشائع والمتعدد الأشكال في الكائنات العضوية المُدجنة، وبدرجة أقل في الكائنات التي تعيش في حالة طبيعية، كان نتيجة للصدفة Had Been Due To Chance، وهذا بالطبع تعبير غير صحيح تماماً، ويشير بوضوح إلى جهلنا بسبب كل تنوع منها Our Ignorance Of The Cause Of Each Particular Variation"[1].

فتشارلز دارون كان يدرك أن ما قاله في كتابه عن تنوع الكائنات الحية وخروجها من بعضها بالتراكم التدريجي البطيء للتغيرات في الأعضاء عبر زمان طويل، ودون وجود قوة عاقلة قادرة، يترتب عليه تلقائياً أن هذا التنوع حدث بالصدف وتراكمها، فلما

1) On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, P131.

أراد سد الخرق في عقيدة التطور ونفْي هذه الصدف، فسر التنوع في الكائنات بأنه نتيجة أسباب أخرى، ولكنه يجهل هذه الأسباب ولا يعرف ما هي، فأكد أن الصدف هي الفاعل الحقيقي في عقيدته وكتابه وهو يتوهم أنه ينفيها!

وأكابر علماء الفلك والفيزياء والبيولوجيا في زمن تشارلز دارون، أدركوا أن الصدف هي الفاعل المحوري والحقيقي في نظريته، وليس العبارات الغامضة عن الانتخاب الطبيعي، فلم يمر ما قاله من عقولهم ولم يتقبلوا ما قاله، وهو لا يمر في زمانك هذا إلا بالاعتياد والإلحاح والهالة التي تحيطه بها الأوساط والمجلات التي تضع على أغلفتها أنها علمية، وبسطوتها، ولا يمر إلا في رؤوس البهائم من الأميين.

ومن أمثلة هؤلاء العلماء الذين أدركوا أن الصدفة هي الفاعل الحقيقي في نظرية التطور وكتب تشارلز دارون، ولم يتقبلوا ما قاله، ليس لأنهم يؤمنون بالإله والخلق، بل لأن تخيلات تشارلز دارون التي يسمونها نظرية التطور، تتناقض مع بديهيات العقل والمبادئ الأساسية للعلوم الطبيعية، من أمثلتهم أستاذ الفيزياء والرياضيات في جامعة جلاسجو، اللورد كلفن Lord Kelvin، وهو أحد الذين صاغوا قوانين الديناميكا الحرارية، وحدد قيمة الصفر المطلق، ووضع تدريج الحرارة المشهور باسمه، تدريج كلفن Kalvin Scale، وكذلك عالم الفلك والرياضيات ورئيس الجمعية الملكية البريطانية لعلوم الفلك، السير جون هيرشل John Herschel.

وفي سنة ١٨٦٠م، بعد صدور كتاب: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي بسنة واحدة، كتب جون هيرشل دراسة طويلة في الطبعة الثامنة من الموسوعة البريطانية، وانتقد فيها نظرية الانتخاب الطبيعي نقداً عنيفاً، وكان عنوان دراسته: الجغرافيا الفيزيائية Physical Geography، ثم أعاد طبعها سنة ١٨٦٢م، في كتاب بنفس العنوان، وفيه يقول:

"لا يمكننـا قبول مبـدأ التنوع العشـــوائي والتغير التلقـائي والانتخـاب الطبيعي، كتفسـير كافٍ للحياة العضـوية في الماضـي والحاضـر، كما لا يمكننا قبول طريقة لابوتا Laputan Method في تأليف الكتب، لتفسير مسرحيات شكسبير وكتاب المبادئ الرياضـــية لنيوتن، ففي الحالتين لابد من ذكاء له غاية محددة، ويعمل باســـتمرار على توجيه اتجاه التغيرات، لتنظيم كميتها والحد من انحرافها وضـــمان استمرارها واتصالها في اتجاه معين"[١].

وطريقة لابوتا التي ذكرها جون هيرشـل، نسـبة إلى جزيرة لابوتا الخيالية Laputa، ومعنـاها في لغة أهلها الجزيرة الطـافية، وهي إحدى الجزر التي نزل بها جليفر إبان رحلتـه الثـالثـة، في روايـة رحلات جليفر Gulliver's Travels، للروائي الإنجليزي جوناثان ســـويفت Jonathan Swift، وأهل الجزيرة في الرواية لهم شـــغف بالعلوم خصـوصـاً الفلك والتنجيم والهندسـة والموسـيقى، ولكن إذا توجه أحدهم لمسـألة علمية فإنه يســتغرق فيها بالتأمل، ويفرِّع منها نظرياً مســألة أخرى، ثم يبني على التي فرَّعها مسألة ثالثة، وهكذا، دون أن يوجد أي دليل واقعي أو علمي حقيقي على هذه التأملات والمســائل التي يفرعها من بعضـــها، ولذا أصـــبحت عبارة طريقة لابوتا أو الطريقة اللابوتية في العلم والفلسـفة، تعبيراً عن التأملات الذهنية الخيالية والفرضـيات النظرية العشوائية المتضاربة، والتي لا دليل عليها ولا علاقة لها بالواقع.

وإليك نموذجاً آخر على التناقض، من كتاب ريتشـــارد دوكنز: صـــانع الســـاعات الأعمى، ومِن عنوانه، الذي يجمع بين الانتخاب الطبيعي كآلية مادية جامدة عمياء وصـــماء وبين صـــفات القوة العاقلة القادرة التي ألحقوها به، والكتاب كله نموذج على التفسير بالصدف وعلى الخجل منها والعمل على نفيها في الوقت نفسه.

---

1) John Herschel: Physical Geography, P12, Adam & Charles Black, Edinburgh, 1862.

فعنوان الكتاب كما قال ريتشـارد دوكنز نفسـه، معناه أن الانتخاب الطبيعي أعمى، ولكنه مع عماه هو الذي صنع الساعات وأوجد المخلوقات وطورها من بعضها، وهذا الهذيان الذي يصنع فيه الأعمى الساعات يمكنك أن تتقبله في لوحة أو قصيدة سريالية، وتفهمه على أنه من هلاوس من وضعها وما يعانيه من اضطرابات نفسية، ولكن لا تفهم كيف يقبل بقر الغرب وبلاليص الشرق هذا الهذيان على أنه نظرية علمية.

ومثل تشارلز دارون بالضبط، كافح ريتشارد دوكنز في التمهيد الذي بدأ به كتابه: صانع الساعات الأعمى، من أجل نفي أن تكون عقيدة التطور وتنوع المخلوقات وخروجها من بعضها قائمة على الصدف العشوائية، ثم فسر في مواضع عديدة من الكتاب نفسه هذا التنوع بأنه من فعل الصدف!

يقول ريتشارد دوكنز في تمهيد الكتاب:

"يبدو الأمر كما لو أن الدماغ البشري مُصمم خصيصاً لإساءة فهم الداروينية، ولصعوبة تصديقها، وخذ على سبيل المثال مسألة الصدفة، التي غالباً ما تُصوَّر على أنها مجرد صدفة عمياء، فالغالبية العظمى من الذين يهاجمون الداروينية يندفعون بحماسة إلى الفكرة الخاطئة القائلة بأنه لا يوجد فيها سوى الصدفة العشوائية، وبما أن التعقيد في الكائنات الحية يتناقض تناقضاً تاماً مع الصدفة، فإذا كنت تعتقد أن الداروينية تعني الصدفة، فسيكون من السهل عليك دحضها، وإحدى مهامي هدم هذه الأسطورة التي يعتنقها البعض، وهي أن الداروينية هي نظرية الصدفة To Destroy This Eagerly Believed Myth That Darwinism Is A Theory Of Chance"[1].

1) **The Blind Watchmaker, Preface, P xv.**

فأنت بعد هذا التمهيد، قد تأهبت لأنه ســـوف يقدم الأدلة على أن عقيدة التطور ليست نظرية الصدفة، ويتحاشى ذكرها أو التفسير بها، فإليك نموذجاً على نقيض ما قاله في تمهيده، يقول في الباب التاسع عن تفسير تطور الحيوانات إلى أنواع مختلفة من السلف المشترك لها، وتكاثر كل منها بمعزل عن الآخر:

"هذه هي الصـــورة التي تولد بها الأنواع، وتتباعد عن ســـلفها المشـــترك، في الداروينية الجديدة، نبدأ بالنوع السلف، وهو مجموعة كبيرة من الحيوانات الأسلاف، التي تتزاوج فيما بينها وتنتشر في مساحة كبيرة من الأرض، وهذه المساحة تقسمها سلسلة من الجبال إلى قسمين، والبيئة فيها قاسية، ولا يمكن العبور من قسم إلى آخر، ولكن ليس من المســـتحيل أن يتمكن فرد أو اثنان من العبور إلى الجوانب المنخفضـــة من الجبال، حيث يتكاثرون ويُنشـــئون مجموعة من النوع معزولة عن المجموعة الأولى، ثم تتكاثر كل مجموعة وتمتزج جيناتها وحدها، ودون أن تختلط بجينات المجموعة الأخرى عبر ســـلســـلة الجبال، وأي تغير في التركيب الجيني لمجموعة منهما سوف ينتشر بالتكاثر فيها وحدها دون المجموعة الأخرى، وبعض هذه التغيرات قد يحدث بالانتخاب الطبيعي، الذي سيكون مختلفاً على جانبي الجبال، لاختلاف الظروف البيئية، وبعض هذه التغيرات قد يكون بســـبب الصـــدفة وحدها Some Of The Changes May Be Due To Chance Alone، وهكذا يفترق النوعان جينياً، ويصبح كل منهما نوعاً منفصلاً"[١].

وكما ترى، ريتشـــارد دوكنز لم يكتف بتفســـير ظهور الأنواع وخروج الكائنات من بعضها بالصدف، بعد أن قال إنه سيكافح للرد على من يتهمون عقيدة التطور بأنها نظرية الصـدفة وإثبات أن هذا الاتهام أسطورة، بل زاد على الصـدف التي فسر بها التغير في الأنواع وانفصالها عن سلفها المشترك، أنه رسم سيناريو تخيله ولا وجود له

---

1) The Blind Watchmaker, P238.

إلا في رأسه هو، ولا دليل على أي شيء فيه، فلا تعرف أين هي هذه الأرض وسلسلة الجبال التي تقسمها، ولا كيف عبر فرد أو اثنان من مجموعة الحيوانات سلسلة الجبال وحدهما، ولماذا تركا المجموعة التي يعيشـــان بينها وهربا معاً إلى الجانب الآخر من الجبال، ولماذا كان هذا الفردان ذكراً وأنثى تحديداً، وليس ذكرين أو أنثيين، وأين هو الدليل على أنهما تكاثرا وتكونت منهما مجموعة أخرى، ثم تغيرت صـــفاتها وجيناتها وورَّثت صفاتها الجديدة لنسلها.

فإذا كنت فطناً، وأنت تقرأ هذا الســـيناريو الذي تخيله ريتشـــارد دوكنز عن كيف خرجت الأنواع المختلفة من ســـلفها المشـــترك، فلن تكون بحاجة إلينا لتدرك أنك أمام فيلم غرامي ملتهب من أفلام هوليوود إمبراطوريـة اليهود، وأن الأنثى هي ابنـة ملـك مجموعة الحيوانات، وقد رفض أن يزوجها من الذكر لأنه ابن خادمته التي تطبخ له الملوخية، وتأتيه بعدها بطبق المهلبية، فهربا من المجموعة وعبرا سـلسـلة الجبال إلى الجهة الأخرى، وهناك عاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات، وتوتة توتة فرغت الحدوتة!

ولذا فعقيدة التطور ليســـت فقط نظرية الصــــدفة، كما يتهمها نقادها، بل هي في الحقيقة نظرية الصدف والهلاوس.

وتشـــارلز دارون كتب كتابه: عن أصـــل الأنواع بواســطة الانتخاب الطبيعي ســنة ١٨٥٩م، ومات قبل معرفة تركيب الخلية الحية، واكتشـاف قوانين الوراثة والدي إن إيه والجينات، وقبل وضـع علوم الإحصـاء والرياضـيات الحيوية، ولذلك كان يكتب ويتخيل على راحته، ثم جاءت هذه الاكتشـــافات في المجالات البيولوجية والرياضــــية العلمية الحقيقية، لتنقض تخيلاته، وتكشـف اسـتحالتها، فالصـدف وتراكمها في عقيدة التطور ليســت فقط تناقض العقل، ولا يمكن بها تفســير تنوع الكائنات الحية الشــديد وتركيب أعضـــائها وأجهزتها المعقد المتجانس، بل وأيضــــاً تتناقض معها وتنقضـــــها العلوم

البيولوجية الحقيقية القائمة على دراســـة الجينات والشـــفرة الوراثية، كما رأيت، وكذلك الإحصاء والرياضيات.

فإذا تغاضــيت عن أن الصــدف وتراكمها لا يمكن أن تفســر وجود نظام أو خروج نظام من نظام، فالإحصــاءات والحسـابات تقول إن تطور عضــو واحد معقد التركيب في الحيوان أو الإنسـان بالانتخاب الطبيعي وتراكم الصـدف يحتاج إلى زمان أكبر من عمر الأرض ومن عمر الكون كله.

فإليك ريتشـــارد دوكنز نفســـه يخبرك بذلك في كتابه: تســـلق جبل غير محتمل Climbing Mount Improbable:

"من الواضــح تماماً، وبشــكل صــادم، أنه لو كانت الداروينية نظرية قائمة على الصدفة، لما استطاعت العمل، فلستَ بحاجة لأن تكون عالم رياضيات أو فيزيائياً لتحســب أن العين أو جزيء الهيموجلوبين ســيســتغرق زماناً من هنا إلى اللانهاية لكي يتجمع ذاتياً بالحظ والصـدف العشـوائية Would Take From Here To Infinity To Self-Assemble By Sheer Higgledy-Piggledy Luck"[١].

فتنبه مرة أخرى، أنـه ينفي أن تكون عقيدة التطور قـائمـة على تراكم الصـــــدف العشـــوائية، لكنه حين ينهمك في تفســـير تنوع الكائنات الحية واختلاف درجة رقي أعضائها ووظائفها لا يجد ألفاظاً تعبر عما يعنيه سوى الصدفة.

ثم إذا ذهبت إلى كتابه: تســـلق جبل غير محتمل، وســـألته: إذا كانت العين أو جزيء واحـد من الهيموجلوبين يحتـاج كـل منهمـا إلى زمـان لا نهـائي لكي يتجمع

---

1) Richard Dawkins: Climbing Mount Improbable, P77, W. Norton & Company Lid., London, 1996.

ويتطور ويكتسب صفاته ذاتياً بالصدف العشوائية، فكيف تفسر ظهور كل منهما، فسوف تجد أن هذه هي إجابته:

"الداروينية تقوم بحل هذه المشكلة، فالتطور يحدث بالطفرات العشوائية زائد الانتخاب الطبيعي التراكمي غير العشوائي Random Mutation Plus Non-Random Cumulative Natural Selection، فالانتخاب الطبيعي لا يحدث في خطوة واحدة، بل ببطء وبالتراكم وخطوة واحدة في كل زمن One-Step-At-A-Time"[١].

فإذا تعجبت: وهل الانتخاب الطبيعي التراكمي البطيء وخطوة خطوة سيُقلِّص الزمن الذي يحتاجه تطور العين أو جزئ الهيموجلوبين من زمان لا نهائي إلى مليون سنة أو حتى مليار سنة، وإذا افترضنا ذلك، فكم هو الزمان الذي يستغرقه ظهور جميع الأعضاء والأجهزة في الكائن الحي، والزمان الذي يحتاجه تطور الأنواع وخروج جميع الكائنات الحية من بعضها بهذه الصدف العشوائية؟! ثم إن أستاذ الرياضيات الحيوية وعلوم الكمبيوتر في جامعة كولورادو، ستانيسلوف أولام، قام فعلاً بتصميم برنامج لحساب كم يستغرق تطور العين بالصدف العشوائية من خلال هذا الانتخاب الطبيعي التراكمي البطيء وخطوة خطوة، وكانت هذه هي نتيجة الحسابات:

"من غير المحتمل للغاية أن تكون العين قد تطورت من خلال تراكم تغيرات عديدة وصغيرة، ببساطة لأن الوقت المطلوب لذلك ليس متاحاً Since The Available Time Was Simply Not Available"[٢]!

---

1) Climbing Mount Improbable, P75, 79.
2) Paul Moorhead, And Martin Kaplan, Editors: Mathematical Challenges To The Neo Darwinian Interpretation Of Evolution, P30, Westar Institute Symposium Monograph No. 5, Westar Institute Press, Philadelphia, 1967.

وهاهنا سوف تجد ريتشارد دوكنز قد توجه إلى صورة تشارلز دارون وانحنى أمامها في خشوع، ثم يجيبك: إنها البقرة!

والآن إليك التفسـير الحقيقي للهلاوس التي تراءت لريتشـارد دوكنز، والفيلم الغرامي الملتهب الذي ألفه من تخيلاته، يقول في كتابه: تسلق جبل غير محتمل:

"الإله وحده هو القادر على القيام بهذه المهمة المستحيلة وتجاوز الهاوية بقفزة واحدة Only God Would Essay The Mad Task Of Leaping Up The Precipice In A Single Bound، ولو افترضنا أنه هو الذي صمم كوننا فسوف نبقى في نفس الموضع الذي بدأنا منه، فأي مصمم قادر على بناء هذا الكم المذهل من الكائنات الحية لابد أن يكون ذكياً ومعقداً بدرجة تفوق كل تصـــور، وإذا كان إلهك قادراً على تصميم العالم، فهو نفسه يحتاج إلى تفسير He Needs An Explanation In His Own Right"[١].

وكما ترى، الصدف العشوائية وتراكمها بالانتخاب الطبيعي البطيء، والهلاوس التي هلوسـها ريتشـارد دوكنز، والفيلم الذي غيب عقلك ووعيك في أحداثه الغرامية الملتهبة، هدفها الوحيد أن تكون بديلاً للوجود والخلق الإلهي، ثم يخبر المساطيل من بقر الغرب وبلاليص الشـرق الذي يصـدقون هذه الهلاوس، أنه لا يمكن تفسـير هذا الكم المذهل من الكائنات الحية وتنوعها بالوجود والخلق الإلهي، ولكن يمكن تفسيرها بالسيكو سيكو والصدف العشوائية!!

ومرة أخرى وعاشـرة وإلى ما لانهاية، تنبه أن مسـألة التطور البيولوجي كلها تتعلق بالمعتقدات وتدور حولها، ويحكم فرضـياتها وتفسـيراتها ونتائجها الموقف من مسـألة الألوهية والخلق، ثم يموهونها في العلوم، ويزركشـونها بمصـطلحات وشـواهد، بعضـها

---

1) Climbing Mount Improbable, P77.

يتخيلونه، وبعضـــها يزورونه، وبعضـــها لا علاقة لها بها، والبحوث التجريبية والعلمية المحض والحقيقية تتناقض معها وتنقضها وتكشف استحالتها.





التطور والإنتروبيا

وهنا نذكرك بما أخبرناك به في باب: **فيزياء حديثة وقبالاه**، من التناقض بين عقيدة التطور وتفسـير وجود الكون والمخلوقات بها وبين القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، المعروف بقانون الإنتروبيا Entropy، أو العشـوائية والتحلل، وينص على أن أي نظام أو منظومة مغلقة في الكون تسـتهلك مع الوقت وتلقائياً طاقتها وحرارتها وتتجه نحو العشوائية والفوضى والتحلل، وتزيد نسبة هذه الإنتروبيا أو العشـوائية في النظام أو المنظومة بمرور الزمن، وأن ذلك غير قابل للانعكاس، فلا يوجد شيء في الكون يتجه من تلقاء نفسه أو بفعل الزمن نحو النظام والارتقاء.

وقانون الديناميكا الحرارية الثاني، أو قانون الإنتروبيا والعشـوائية، قانون كوني أساسـي ويشمل كل شـيء في الوجود، كما يخبرك أستاذ الفيزياء الكونية في جامعة كمبردج البريطانية، وجامعة أريزونا الأمريكية، بول ديفيز، في كتابه: المعجزة الخامسة، بحثاً عن أصل الحياة ومعناها:

"القانون الثاني للديناميكا الحرارية لا يقتصـر على المجالات الهندسـية فقط، بل هو قانون أسـاسـي في الطبيعة Fundamental Low Of Nature، ولا مفر منه، وقد عده عالم الفلك البريطاني السير آرثر إدينجتون Arthur Eddington القانون الأعلى بين قوانين الطبيعة، وقال في كتابه: طبيعة العالم الفيزيائي The Nature Of The Physical World: "إذا تعارضت نظريتك مع القانون الثاني للديناميكا الحرارية، فليس لديك أمل، وحتماً سوف تنهار نظريتك ذليلة أمامه"[١].

---

1) Paul Davies: The Fifth Miracle, The Search For The Origin And Meaning Of Life, P51, Simon And Schuster, New York, 1999.

ويقول أستاذ الفيزياء والرياضيات في جامعة فيينا، ألفريد فِيَرل Alfred Wehrl، وهو أحد الرواد والخبراء في الإنتروبيا، يخبرك في دراسته: الخصائص العامة للإنتروبيا General Properties Of Entropy، والتي نشرها سنة ١٩٧٨م، في مجلة الفيزياء الحديثة Reviews Of Modern Physics، التي يصدرها معهد الفيزياء النظرية في جامعة فيينا Institute For Theoretical Physics، يقول فِيَرل إن قانون الإنتروبيا والعشوائية والتحلل يشمل كل شيء في الكون ويسري في جميع مجالات العلوم والمعارف:

"ومفهوم الإنتروبيا يشمل مجالات واسعة ومختلفة، وامتد مع تطبيقاته من الفيزياء والديناميكا الحرارية الكلاسيكية Classical Thermodynamics، إلى البيولوجيا والأنظمة الحيوية Biological Systems، وإلى الاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلوم البيئة والمناخ، وعلوم الاتصال"[١].

وقانون الديناميكا الحرارية الثاني يتناقض مع عقيدة التطور بكل فروعها، وخصوصاً مع جذرها في عقيدة التطور البيولوجية، لأن الفرضية المحورية في عقيدة التطور البيولوجي، أن جميع الكائنات الحية خرجت من أصل واحد، وبدأت بأدنى مرتبة في عدد الخلايا وتكوين الأعضاء وعددها ووظائفها وقدراتها، ثم تطور أو خرج من كل كائن أدنى آخرُ أرقى منه، في سلسلة متصلة، وصولاً إلى الإنسان، فالحياة بدأت بتحول الجماد إلى بروتينات وجزيئات عضوية، ثم دبت الحياة في هذه البروتينات والجزيئات العضوية فظهرت الخلية الحية الأولى، ثم تجمعت الخلايا الحية معاً فظهرت الكائنات الحية الدنيا، البكتيريا، ثم الطحالب والنباتات، فالحيوانات بمراتبها المختلفة، فالإنسان، كل ذلك تلقائياً بالانتخاب الطبيعي والتكيف والطفرات الجينية العشوائية، وتراكم نتائجها عبر الزمن، وهو ما ينقضه القانون الثاني للديناميكا

---

1) Alfred Wehrl: General Properties Of Entropy, Reviews Of Modern Physics, April 1978, Vol. 50, No. 2, P221-260.

الحرارية، لأن الحياة في عقيدة التطور البيولوجي ســارت تلقائياً من النظام الأدنى إلى الأرقى، وكل كائن حي تطور بفعل الزمن إلى الذي يليه وصـــارت أعضـــاؤه وأجهزة جســـمه أكثر عدداً وأعقد تركيباً وأكبر تناســـقاً في وظائفها، بينما قانون الديناميكا الحرارية يحتم زيادة الإنتروبيا والعشـــوائية مع الزمن، وأن يكون الاتجاه من المنظومة الأرقى إلى الأدنى، فطبقاً لقانون الديناميكا الحرارية، لو خرجت المخلوقات من بعضـــها، لكان كل كائن أرقى في منظومة أعضـــائه ووظائفها وُجد أولاً ثم تدهور إلى الأدنى منه، وليس العكس كما تقول عقيدة التطور.

وثمة معضـــلة أخرى، وهي أن كل كائن حي منظومة أو نظام بيولوجي مغلق، والقانون الثاني في الديناميكا الحرارية يشـــمل المنظومات البيولوجية كالفيزيائية، والإنتروبيا/العشـوائية في كل كائن حي شـديدة الانخفاض وثابتة، ولا تزيد مع الزمن، كما هو المتوقع حسب القانون، بل تنخفض الإنتروبيا/العشوائية في كل كائن حي مع نموه واكتمال أجهزته ونضج عملياته الحيوية.

فإليك أســـتاذ الفيزياء والكيمياء في جامعة بروكســـل في بلجيكا Université Libre de Bruxelles، وجامعة تكســـاس في الولايات المتحدة الأمريكية Texas، إليا بريجوجين Ilya Prigogine، وهو حاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٧٧م، لبحوثه في مجال الديناميكا الحرارية، يخبرك بمعضـــلة التناقض بين قانون الإنتروبيا ونظرية التطور البيولوجي.

في كتابه: النظام من الفوضـــى، حوار الإنســـان الجديد مع الطبيعة Order Out Of Chaos, Man's New Dialogue With Nature، يقول بريجوجين:

"وثمة ســـؤال يؤرقنا منذ أكثر من قرن، وهو: هل يمكن أن يكون لنظرية تطور الأحياء اعتبار في العالم الذي تصـفه الديناميكا الحرارية، عالمٍ تتزايد فيه مع الزمن

العشوائية والفوضى، ما هي العلاقة بين زمن الديناميكا الحرارية والزمن في التطور الذي يتجه بالأحياء نحو التركيب والتناسق .... والأنظمة البيولوجية أنظمة مغلقة، ولا يصعب القول إن البكتيريا واستجابتها الكيميائية للمؤثرات Bacterial Chemotaxis هي آلة جزيئية Molecular Machine، تتكون من المستقبلات وأنظمة الحس والتفاعل والمعالجة والاستجابة الحركية، ومعضلة المواجهة بين الديناميكا الحرارية والأنظمة البيولوجية تشمل النشاط على مستوى الجزيئات، وتركيب جزيئات الخلية ونظامها الفائق، وهي معضلة ما زال حلها بعيداً"[١].

وإذا كان عسيراً عليك الوصول إلى كتاب البروفسور بريجوجين وقراءتُه، فإليك مقالة وكالة الفضاء الأمريكية، ناسا Nasa، بالعربية، في موقعها الرسمي، عن الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية، تخبرك بوضوح وصراحة أن قانون الإنتروبيا، الحاكمَ لجميع أنظمة الكون ومنظوماته، ويقضي باتجاهها مع الزمن نحو العشوائية والتحلل، يتناقض مع عقيدة التطور البيولوجي، التي تقوم على اتجاه المخلوقات تلقائياً وبالصدف وفعل الزمن نحو تطور النظام وارتقاء الأعضاء ووظائفها:

"ينطبق القانونان الأساسيان للديناميكا الحرارية على الأنظمة المغلقة فقط، أي الأنظمة التي يحصل فيها تبادل للطاقة والمعلومات والمواد، ويمكن اعتبار الكون في مجموعه كنظام مغلق من هذا النوع، وهذا يسمح لنا بتطبيق القانونين على هذا النظام ... أثَّر كل من مفهوم الإنتروبيا ومفهوم عدم الانعكاس Irreversibility المشتقين من القانون الثاني بشكل كبير على فهمنا للكون، وكذلك في أنها يواجهها (يعارضها) التطور الحيوي الذي ينشئ النظام والترتيب ... من النتائج المثيرة للقانون الثاني للديناميكا الحرارية أيضاً، فكرة الموت الحراري المحتوم للكون، وقد

---

1) Ilya Prigogine: Order Out Of Chaos: Man's New Dialogue With Nature, P129, 175, Bantam Books, New York ،1984.

قادت هذه الفكرة العالم الفيزيائي ليون بريُّون Leon Brillouin للتســاؤل: "كيف الســـبيل لفهم الحياة إذا كان الكون خاضـــعاً لقانون كالقانون الثاني للديناميكا الحرارية، قانون يُحتم الموت والفناء؟"[١].

ومعضـــــلة تناقض عقيدة التطور البيولوجي مع القانون الثاني للديناميكا الحرارية يعرفهـا العلمـاء في مختلف فروع العلوم الطبيعيـة، البيولوجيـا والفيزيـاء والكيميـاء والرياضــيات، وبعضـــهم لم يجد لها حلاً ســوى ضـــرورة التخلي عن أحدهما، فإما الإصـــرار على عقيدة التطور البيولوجي وإهدار القانون الثاني في الديناميكا الحرارية، أو الإقرار بأن القانون الثاني هو الأعلى بين قوانين الطبيعة، وأي نظرية تتعارض معه سوف تنهار أمامه، كما قال السير آرثر إدينجتون، وهو ما يتحتم معه الإطاحة بعقيدة التطور والبحث عن بديل لها.

يقول أســـتاذ الفيزيـاء الكونيـة في جامعـة كمبردج البريطـانيـة، وجـامعـة أريزونـا الأمريكية، بول ديفيز، في كتابه: المعجزة الخامسة، بحثاً عن أصل الحياة ومعناها:

"عند تطبيق قوانين الديناميكا الحرارية على الكائنات الحية، تبدو مشكلة، فإحدى السـمات الأسـاسـية للحياة، هي الدرجة الرفيعة للنظام فيها Its High Degree Of Order، وعندما ينمو الكائن الحي أو يتكاثر يزداد النظام، وهو ما يتناقض مع القـانون الثـاني، فنمو الجنين، وتكوين جزيء الـدي إن إيـه DNA، وظهور أنواع جديدة، وارتقاء المجالات الحيوية عموماً، جميعها أمثلة على ازدياد النظام وانخفاض الإنتروبيا، وقد حار بعض أبرز العلماء في تفسير هذا التناقض، والفيزيائي الألماني هرمان فون هيلمهولتز Hermann Von Helmholtz، وهو نفسه أحد مؤسسي

---

١) ناسا بالعربي: الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية.
https://nasainarabic.net/education/articles/view/entropy-and-laws-thermody

علم الديناميكا الحرارية، كان أحد أوائل من قالوا إن الحياة تلتف حول القانون الثاني، وكذلك السير إدينجتون أدرك أن ثمة تضارباً بين التطور والداروينية وبين الديناميكا الحرارية، وقال إنه لا حل لهذا التضارب سوى إهمال الديناميكا الحرارية أو إسقاط مبدأ التطور وإيجاد تفسير آخر، وحتى شرودنجر Schrödinger كان متشككاً، وفي كتابه: ما هي الحياة What Is Life، قام بفحص العلاقة بين النظام وانعدام النظام في الديناميكا الحرارية، وقارنها بالمبدأ السائد في البيولوجيا والحياة، وهو أن ما ينتجه النظام أكثر نظاماً منه Of More Order From Order، ووصل إلى أن الكائن الحي يتجنب الانحلال ويحافظ على النظام بتشربه من بيئته، ولذا فالقانون الثاني لا ينطبق على المادة الحية، وكتب يقول: "يجب أن نجهز أنفسنا للعثور على قانون فيزيائي جديد يسود مكانه"[١].

وكما ترى، لا حل للتناقض بين قانون الديناميكا الحرارية وعقيدة التطور البيولوجي، سوى الإطاحة بأحدهما، ولست بحاجة لأن نخبرك أنه رغم أن قانون الديناميكا الحرارية ثابت بالأدلة التجريبية والبراهين الرياضية، وهو القانون الأعلى بين جميع القوانين في الكون، فقد اختار خلفاء تشارلز دارون على هلاوسه إسقاطه وتجاهله، من أجل الحفاظ على البقرة.

---

1) The Fifth Miracle, The Search For The Origin And Meaning Of Life, P52.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

والســـؤال الذي نعلم أنه يحلق في ذهنك الآن هو: إذا كانت نظرية التطور البيولوجية والانتخاب الطبيعي تخيلات وهلاوس لا دليل عليها، وتتناقض مع بديهيات العقل ومبادئ العلوم الطبيعية ومع نتائج البحوث التجريبية الحقيقية، فما هو إذاً تفسير هذا التنوع الشديد في المخلوقات واختلاف أشكال أعضائها ووظائفها ومناسبة كل مخلوق وأعضائه للبيئة التي يوجد فيها والأنشطة البيولوجية التي يقوم بها؟

والإجابة على تساؤلاتك قد أجابك عليها الإله نفسه في بيانه إلى البشرية، على لسان نبيه موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون:

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: ٥٠).

وأخبرك بها في سورة الأعلى، التي أخبرك في نهايتها ان ما فيها هو ما أنزله على أنبيائه إبراهيم وموسى عليهما السلام:

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ... إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأعلى: ١-٣، ١٨-١٩).

فتنوع الكائنات الحية الشديد، لأن الله عز وجل خلق كل مخلوق وقد قدر له من شكله العام ومن شكل أعضائه وأجهزته ووظائفها ما يناسب بيئته ويُمكِّنه من ممارسة وظيفته وأنشطته الحيوية، وجعل في تكوين كل كائن حي وفي الكائنات الحية جميعها من إتقان الخلق وإحكامه ومن الدلائل والبراهين ما يثبت ذلك، ويمنع توَّهم أن يكون ذلك تلقائياً أو ذاتياً وبالصدف، كما رأيت رأي العين في البحوث العلمية التجريبية التي

أجراها من يعتنقون هلاوس التطور، وهم يمَنُّون أنفســهم أنهم ســيجدون فيها ما يثبت هلاوسهم، ثم جاءت نتائجها فإذا هي نقيض لها وتنقضها.

وقد تســأل: فهل يعني ذلك أن نغلق باب العلوم البيولوجية ونكتفي بما أخبرنا به الإله في بيانه، ونترك دراسـة الكائنات الحية وإجراء البحوث الخاصـة بأنواعها وتنوعها وأعضائها ووظائفها؟

ونقول لك: بالقطع لا، وما تقوله هو ما يوهمون به الأميين شـرقاً وغرباً، أن العلوم الطبيعية والبحوث التجريبية ودراسة المخلوقات والكائنات، جمادات كانت أو نباتات أو حيوانات أو إنســاناً، تقترن بالإلحاد وإنكار الوجود الإلهي والخلق، وأن الإيمان بالإله والخلق يعرقل مسيرة العلوم الطبيعية والبحوث التجريبية.

وقد أخبرناك من قبل أن البدء في الدراســات والبحوث العلمية الحقيقية من الوجود الإلهي والخلق، أو عدم التعنت والإصــرار على نفيه، لن يغير من نتائج هذه البحوث وما تســفر عنه من معلومات شــيئاً على الإطلاق، والذي ســيتغير في الحقيقة هو المعتقدات وإنكار الوجود الإلهي الذي جعلوه الفرضــية الأولى والعليا في العلوم الطبيعية، ويتعمدون تفســير المعلومات داخلها ومن خلالها، ويَلبســون حقائق العلم ونتائج البحوث بها، منذ عصر النهضة وحتى يومك هذا.

والله عز وجل الذي عرَّفك بالتفسير الحقيقي لتنوع المخلوقات ومناسبة كل مخلوق وأعضــائه لبيئته ووظيفته وأنشــطته الحيوية، وهو أنه عز وجل خلقها وقد قدر لكل مخلوق وظيفته وبيئته وما يناسبها من تكوينه، هو نفسه عز وجل الذي أرشدك وأرشد البشرية كلها في بيانه إليها إلى تنوع هذه الكائنات، وأنها أمم أو شُعب وفصائل.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

وأرشـدك عز وجل وأرشـد البشـرية كلها، إلى اختلاف أشـكال النباتات والحيوانات وألوانها، وأنه خلقها على هذا التنوع الشـــديد، ليكون من دلائله للعلماء الباحثين في الطبيعة على الخلق والخالق ونفي التكون الذاتي والتلقائي، فلو كانت جميع النباتات على شـــكل واحد ولون واحد، وكذلك جميع الحيوانات، لكان ذلك هو باب توهم أنها جميعاً تكونت بالصـدف من أصـل واحد، وليس تنوعها الشـديد هو الذي يُوهم بذلك، كما قال تشارلز دارون وخلفاؤه على هلاوسه.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

(فاطر: ٢٧-٢٨).

وعرَّفك عز وجل وعرف البشـرية أن التشـابه بين تركيب الخلايا أو الوحدات الحية الأسـاسـية في تكوين جميع الكائنات الحية، وإن اختلفت أشـكالها وألوانها، ليس لأنها خرجت من بعضها، ولا لأنها خرجت من أصل واحد، بل لأنه عز وجل خالقها وخلقها جميعاً من شيء واحد، وأخبرك به لكي تبحث عنه وتكتشفه في تكوينها وتدرسه، وهو الماء.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ **(النور: ٤٥)**.

ودعاك سبحانه وتعالى ودعا البشـرية كلها إلى النظر في الكائنات الحية ودراسـتها والعلم بها وبتكوينها ووظائفها ومنافعها.

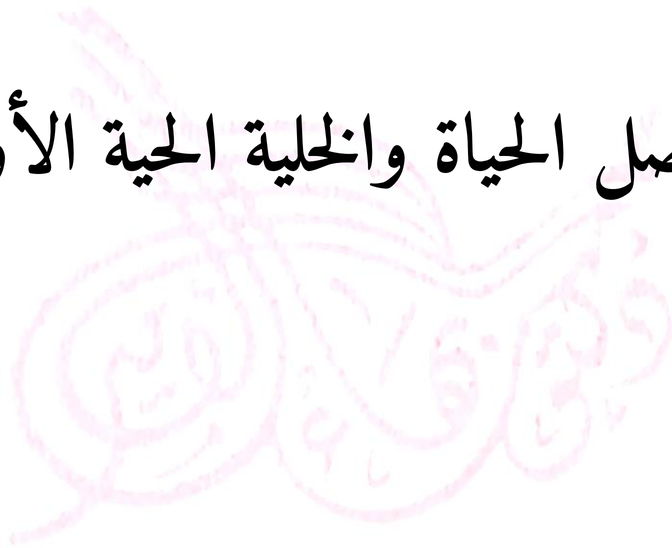
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ ﴾ **(الغاشية: ١٧)**.

ونبهك الله عز وجل ونبه البشـــرية كلها إلى أن لها مكونات وأعضـــاءًا داخلية، ودعاك إلى دراستها ومعرفة خصائصها والانتفاع بها.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ۝٦٦ ﴾ **(النحل: ٦٦)**.



أصل الحياة والخلية الحية الأولى





التولد الذاتي

والآن ننتقل إلى أكبر معضلتين في عقيدة التطور وتفسيرها لظهور الأنواع عموماً، ولظهور الإنسان خصوصاً، وهما المعضلتان اللتان لم يستطع أحد من أصحاب النظرية حلهما ولا إيجاد تفسير لهما، وهما بداية سلم التطور ونهايته!

فالمعضلة الأولى في نظرية التطور وأكبر مشكلة فيها، هي من أين جاءت، أو كيف تكونت الخلية الحية الأولى، وكيف ومن أي مصدر دبت فيها الحياة، وهذه الخلية هي التي يفترضون أن جميع المخلوقات خرجت منها ثم تطورت بالظروف والتكيف والصدف عبر ملايين السنين أو بلايينها؟

والمعضلة الكبرى الثانية هي أن تحور شكل الإنسان الخارجي وقامته من المشي على أربع إلى الاعتدال والمشي على رجلين، فسروه بتحور الأعضاء عبر ملايين السنين، تأثراً بعوامل الطبيعة وظروف البيئة واستخدام الأعضاء في مواجهتها، ولكن ما لا يمكن تفسيره بالتطور والتحور والعوامل البيئية هو كيف تكون العقل والوعي، أو كيف وبأي طريقة وبأي عوامل تحول السلف السابق للإنسان من حيوان لا عقل له إلى كائن عاقل مفكر، يعي نفسه والعالم الخارجي ويتصور المعاني ويعقلها ويمكنه التعبير عنها بمنظومة لغوية راقية ومتناسقة؟

والخلية الحية الأولى هي أكبر معضلة في عقيدة التطور، لأن الانتخاب الطبيعي الذي ابتكره تشارلز دارون ويهيم به خلفاؤه على هلاوسه، يقوم على أن جميع أشكال الكائنات الحية، من البكتيريا إلى الإنسان، تكونت تلقائياً أو ذاتياً، وكل نوع أو مخلوق أرقى خرج من مخلوق سابق له وأدنى منه، من خلال التكيف والتحور في أعضاء الكائن الحي أو الطفرات في جيناته، واكتسابه صفات جديدة في مواجهة الظروف البيئية والصراعات التي يخوضها، ثم توريث هذه الصفات لنسله، بالانتخاب الطبيعي

للصــفات وللنســل الذي ســوف يرثها، وهذا التفســير الآلي الميكانيكي التلقائي لتنوع الكائنات الحية، دِعامته عند من يعتنقون عقيدة التطور، كما رأيت، تأملات يتخيلونها وينســقون بينها ذهنياً دون أن يكون عليها أي أدلة أو براهين حقيقية، لا في الطبيعة، ولا فيما يجرونـه من بحوث تجريبية، وهذا التفســـير الآلي يمر في رؤوس الأميين بالاعتياد والإلحاح وتبني من يسيطرون على الأوساط والمجلات العلمية له، وبالتزوير في البحوث الخاصـــة بالحفريات والجينات، ولكن المعضـــلة التي يقف عندها هذا التفســير الآلي، ويتعثر فيها حمار التطور، ولا يمكنه عبورها، لا بالتخيلات والهلاوس ولا بالتزوير، هو من أين جاءت وكيف تكونت الخلية الحية الأولى التي ســـوف يبدأ من عندها التطور الآلي باكتســاب الصــفات والانتخاب الطبيعي، وإذا كانت الحياة طورت نفسـها من الصـورة البسيطة إلى الصـورة المعقدة ذاتياً، وأنتجت جميع الأنواع، فمن أين جاءت أصلاً هذه الحياة؟

فإليك عالم الكيمياء الحيوية ورئيس قسمها في جامعة موسكو، الروسـي ألكسـاندر أوبـارين Alexander Oparin، وهو من أكبر معتنقي عقيدة التطور ومنظريها في القرن العشرين، يعرفك بالمعضلة التي تصنعها الخلية الحية الأولى في عقيدة التطور، ويتعثر حمار الانتخاب الطبيعي فيها ولا يمكنه عبورها.

في باب: نظريات التولد الذاتي Theories of Spontaneous Generation، من كتابه: أصـل الحياة على الأرض The Origin Of Life On The Earth، وبعد أن عرض التجارب المختلفة والمحاولات الدؤوب التي أجراها من يعتنقون نظرية التطور لإثبات أنه يمكن توليد الميكروبات الحية من الجماد أو من الأنســـجة الميتة، وبعد أن بيَّن فشـــلهم، والأخطاء التي شـــابت تجاربهم، والتزوير الذي زوَّره من ادعى النجاح منهم، ختم ألكساندر أوبارين الباب بقوله:

"ظهور الخليـة الحيـة الأولى، التي هي السـلف لجميع الكـائنـات الحيـة على الأرض، هو أكثر فرضـيات نظرية التطور إعتاماً Most Obscure ... وبعد كل هذه التجارب والمحاولات، وما لازمها من فشـل، فإن ظهور أكثر أشـكال الحياة بسـاطة وبدائية من المادة غير الحية يبدو مسـتحيلاً Appearance Of Even The Most Primitive Organisms From Inanimate Material Was Shown To Be Impossible، لذا فنظرية التولد الذاتي للحياة لم تعد سـوى فرضية تاريخية ولا مكان لها اليوم"[١].

والماسوني تشارلز دارون وضع كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي سـنة ١٨٥٩م، ومات سـنة ١٨٨٢م، دون أن يكون على علم بتركيب الخلية الحية المعقد وكيف تؤدي وظائفها، وكل ما كان يعرفه عن الخلية الحية أنها كتلة مصـمتة من البروتوبلازم Protoplasm، وهي كلمة من أصـل إغريقي، وتتكون من مقطعين، ومعناها الشـيء الأول، أو أول شـيء، وأسـتاذ التشـريح في جامعة بون في ألمانيا، ماكس شولتز Max Schultze، كان أول من استخدم كلمة بروتوبلازم سنة ١٨٦١م، وهو يعني بها المادة الحية الأساسية التي تتكون منها جميع الخلايا الحية، ومن بحوثه على الخلايا وصـف شـولتز الخلية الحية بأنها سـائل البروتوبلازم، يحيط بالنواة، التي كان قد اكتشـفها سـنة ١٨٣٩م رئيس قسـم النباتات في المتحف البريطاني، روبرت براون Robert Brown.

وهذا هو كل ما كان معروفاً عن الخلية الحية في زمن تشـارلز دارون، فغشـاء الخلية الحية اكتشـفه عالم الأحياء البريطاني تشـارلز إرنسـت أوفِرتون Charles Ernest Overton سـنة ١٨٩٥م، ولم يُعرف تركيبه الدقيق وطبقتا الدهون اللتان

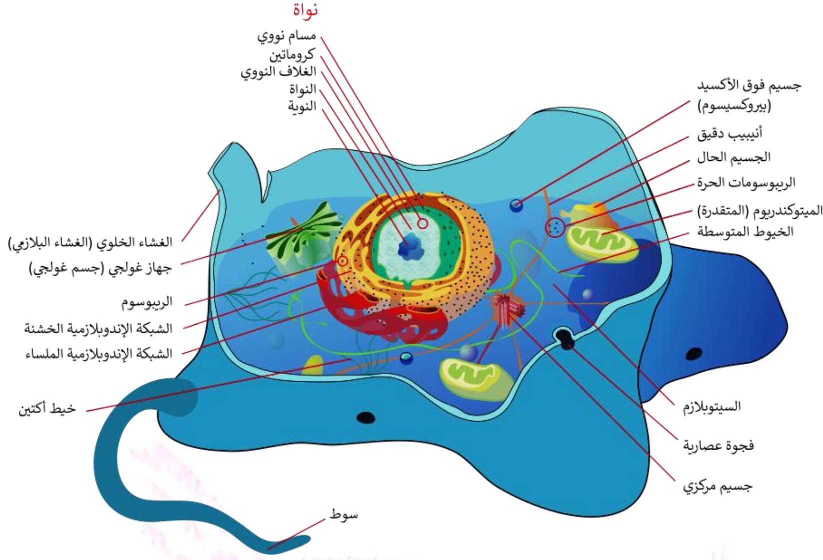
---

1) Alexander Oparin: The Origin Of Life On The Earth, P38, Translated From The Russian By: Ann Synge, Academic Press Inc., Publishers, New York, 1957.

يتكون منهما ووظائفه إلا في سنة ١٩٢٥م، ولم تُعرف مكونات الخلية الدقيقة، إلا بعد صـــناعة الميكروســـكوب الإلكتروني، الذي ظهر أول جيل منه ســـنة ١٩٣٨م، مثل الســـيتوبلازم Cytoplasm، وهو الســـائل الذي توجد فيه مكونات الخلية خارج النواة، والميتوكوندريا Mitochondria، وهي وحدة إنتاج الطاقة في الخلية، والريبوســـــوم Ribosome، وهو وحدة صــناعة البروتينات، وأجســام جولجي Golgi Complex، وهي وحدة صــناعة الليســوســومز Lysosomes، وهي إنزيمات الهضــم في الخلية، وشــبكة الإندوبلازم Endoplasmic Reticulum، وهي شــبكة من الأنابيب الدقيقة تقوم بتخزين الكالسـيوم والبروتينات والدهون ونقلها إلى مواضـعها الوظيفية، ولم يُعرف تركيب النواة ومكوناتها، وهي الكروموســــومات والدي إن إيه والجينات والآر إن إيه، كما علمتَ تفصيلاً، إلا في خمسينيات القرن العشرين.

وهنا ينبغي أن تعلم أن الفرق الأســاســي الذي يميز بين الخلية الحلية والجماد، هو قدرة الخلية الذاتية على التكاثر أو الانقســــام والتجدد، وعلى إنتاج الطاقة من خلال عملية الأيض أو التمثيل الغذائي، بينما المادة غير الحية لا تتكاثر ولا تسـتهلك غذاءً ولا تنتج طاقة، وتبقى كما هي على حالتها دون تغير مهما طال الزمن.

فهاك صورة للخلية الحية الحيوانية ومكوناتها.



الخلية الحية الحيوانية ومكوناتها.

وتشارلز دارون لم يتطرق مطلقاً في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي إلى أصل الحياة، وكيف ظهرت الخلية الحية الأولى التي بنى نظريته وكتابه على أن جميع الكائنات الحية خرجت منها تلقائياً بالتطور والانتخاب الطبيعي، بل تجنب ذلك وتحاشاه عمداً، لسببين يبدوان متناقضين، لكنهما في الحقيقة وجهان لشيء واحد، **فالسبب الأول** أنه لم يكن يعرف مكونات الخلية الدقيقة وتركيبها المعقد ووظائفها، ويتوهم أنها كتلة بسيطة من البروتوبلازم تحيط بالنواة، وأن الكائن الحي هو هذه الكتل مرصوصة بجوار بعضها، ولذا كان يعتقد أن تفسير تنوع الكائنات الحية الشديد أهم من تفسير من أين جاءت الخلية الحية الأولى.

والسبب الثاني أنه فسر تنوع المخلوقات بتكيف الأعضاء واكتسابها للصفات ثم تراكمها آلياً في مواجهة الظروف الخارجية، من خلال الانتخاب الطبيعي، وهو ما معناه أن الانتخاب الطبيعي سوف يقوم باختيار الصفة أو الصفات التي تبقى من بين صفات عديدة موجودة فعلاً ويورثها للأجيال التالية في الكائن الحي، وإذا تم تطبيق

هذا الانتخاب الطبيعي على الخلية الحية، فسوف يكون معناه أن الحياة كانت موجودة قبل هذه الخلية الحية في صـــور عديدة، وتم انتخابها من بين هذه الصـــور، لأن الانتخاب الطبيعي هو الاختيار من بين ما هو موجود فعلاً، وهو ما يعني أن تدور نظريته حول نفســـها في دائرة مغلقة، والوســـيلة الوحيدة للخروج من هذه الدائرة هي إســـقاط مســـألة كيف ظهرت الخلية الحية الأولى وبداية هلاوس التطور والانتخاب الطبيعي من بعدها.

وقد حاول مؤسس الجمعية البريطانية لعلوم النباتات جوزيف دالتون هوكر Joseph Dalton Hooker، وهو أحد أقرب أصـــدقاء تشـــارلز دارون إليه، حاول عدة مرات معرفة رأي تشـــارلز دارون في أصـــل الحياة وكيف بدأت، وفي كتاب: حياة تشـــارلز دارون ورســـائله، الذي كتبه ابنه الماســـوني فرانســـيس دارون وجمع فيه رســـائله، أن جوزيف هوكر أرسل رسالة إلى تشارلز دارون في منتصف شهر مارس سنة ١٨٦٣م، وسأله عن تفسيره لأصل الحياة، فكان هذا رده عليه في يوم ٢٩ مارس سنة ١٨٦٣م:

"ســـيمر بعض الوقت قبل أن نرى الوحل، البروتوبلازم Slime, Protoplasm، يُنتج حيواناً جديداً، ولطالما ندمتُ على انقيادي للرأي العام، واســـتخدامي لمصـــطلح الخلق الوارد في الأسفار الخمسة The Pentateuchal Term Of Creation، والذي كنتُ أعني به في الواقع الظهور من خلال عملية مجهولة تماماً By Some Wholly Unknown Process، وأعتقد أن التفكير في أصـــل الحياة في وقتنا الحاضـــر مجرد هراء، ومن الأفضـــل التفكير في أصـــل المادة It Is Mere Rubbish Thinking, At Present, Of Origin Of Life, One Might As Well Think Of Origin Of Matter"[١].

---

1) **Francis Darwin: Life And Letters Of Charles Darwin, Vol.3, P18, John Murray, London, 1887.**

وتنبه أن الماسوني تشارلز دارون، يخبر صديقه هوكر، أنه كان يدلس على عموم الناس حين استخدم مصطلح الخلق في كتابه: عن أصل الأنواع بواسطة الطبيعي، لكي لا يثير الرأي العام عليه، وأنه استخدمه وهو يعني به شيئاً آخر ينكر به الخلق وينفيه، ولذا لنا عندك رجاء، وهو أننا نريدك إذا رأيت أحداً من بقر بلاليص ستان يقول إن تشارلز دارون كان مؤمناً بالإله، وأنه لا تعارض بين هلاوسه عن التطور وبين الوجود الإلهي والخلق، أن تدخل إلى الفيديو وتقلب البلاص الذي يتكلم فيه على رأسه، لكي تسكب الأوهام التي تملأه وتنظفه منها.

وفي شهر يناير سنة ١٨٧١م، أرسل جوزيف هوكر إلى تشارلز دارون مرة أخرى يسأله عن تفسيره لأصل الحياة، فرد عليه يوم ١ فبراير، وكان هذا هو رده:

"غالباً ما يقال إن جميع شروط النشوء الأول لكائن حي متوفرة الآن، ومن الممكن أن تكون موجودة دائماً، ولو استطعنا أن نتخيل بركة صغيرة دافئة Warm Little Pond، ممتلئة بجميع أنواع الأمونيا وأملاح الفوسفور، مع وجود الضوء والحرارة وشرارات كهربية، فإنه يمكن أن يتكون فيها كيميائياً مركب بروتيني A Protein Compound Was Chemically Formed، ويكون جاهزاً لتغيرات أكثر تعقيداً، وفي الوقت الحاضر سوف تُستهلك المادة الناتجة أو تُمتص فوراً، ولكن ذلك لم يكن ليحدث قبل أن تتكون الكائنات الحية"[1].

وكما ترى، أنت أمام سيناريوهات من الهلاوس والتخيلات لا تتوقف، وكل مجموعة من الهلاوس يتم تفسيرها بمجموعة أخرى، دون أدلة ولا براهين من أي نوع، فلا تفهم لماذا كانت البركة صغيرة، وكيف عرف أنها كانت دافئة، ومن أين وكيف تجمعت فيها العناصر الكيميائية، وبأي طريقة أو تفاعلات تحولت إلى بروتينات، وأين الدليل على هذا السيناريو التخيلي، فأنت إذا وضعت العناصر الكيميائية الجامدة في بركة أو

---

1) Life And Letters Of Charles Darwin, Vol.3, P18.

في معمل، فهل سـوف تتحول إلى بروتينات، بل وإذا جئت بهذه البروتينات نفسـها ووضعتها ووضعتَ معها جميع مكونات الخلية الحية منفصلة عن بعضها، فهل سوف تندمج هذه المكونات معاً وتدب فيها الحياة وتصبح خلية تتغذى وتتحرك وتتكاثر مهما فعلتَ ومهما طال الزمن، حتى لو ضربتها بقنبلة ذرية، وليس بشرارة كهربية؟!

فما قاله الماسوني تشارلز دارون في هلاوسه، هو مثل أن تتوهم أن عاصفة هوجاء ضربت مصر منذ آلاف السنين، فقطعت الأحجار وصقلتها ورتبتها وهندستها وأنتجت منها الهرم الأكبر ببنائه الشـامخ ودقة أضـلاعه وزواياه، وتوازن أحجاره وفراغاته، وتكوين الخلية الحية ووظائفها الحيوية أعقد وأصعب وأكبر من الإعجاز الهندسي في الهرم الأكبر.

الحياة ظهرت في الشوربة:

والروسـي ألكسـاندر أوبارين، أقر بأن تَكوُّن الخلية الحية من المادة غير الحية فرضية مستحيلة، وقال إن جميع التجارب التي أجريت لإثباتها فشلت أو كانت نتائجها مزورة، ولكن لأنه ماركسـي وملحد، ونفْي الوجود الإلهي والخلق هو الفرضـية الأولى التي تحكم عقله ويقيم عليها نظرياته، ولأنه لا بديل للخلق في تفسـير الحياة سـوى الهلاوس، فقد تابع تشارلز دارون في هلاوسه، رغم أنه ألف كتابه: أصل الحياة على الأرض في سنة ١٩٣٦م، ثم أعاد كتابته سنة ١٩٥٦م، وقال في مقدمته إنه أضاف إليه ما تكشف من معلومات جديدة بخصوص أصل الحياة، أي إنه كتبه بعد اكتشاف تركيب الخلية الحية المعقد، وبعد اكتشاف مكونات النواة والدي إن إيه والجينات.

وقد افترض أوبارين في كتابه أن سـطح الأرض البدائية كان مغطى بمحيط من حساء بدائي أو شوربة Primeval Soup، وهو سائل لزج ساخن، يتكون من عنصر ثقيل، هو الكربون، وتحيط به عناصـر خفيفة، مثل الهيدروجين، ومع ظهور بخار

الماء تفاعل الكربون مع الهيدروجين، وتكونت الهيدروكربونات، مثل الميثان، وهي أول الجزيئات العضــوية، مع خلو الغلاف الجوي البدائي من الأكســجين الحر الذي تتأكسد في وجوده هذه العناصر والجزيئات العضـوية، ثم اتحدت الهيدروكربونات مع الأكسجين في بخار الماء ومع الأمونيا وكونت مشتقات من الأمونيا، وهي الأحماض الأمينية، ومن الهيدروكسـيل، وهي الكربوهيدرات، ثم تجمعت هذه الجزيئات العضـوية على سطح محيط الحساء البدائي، في شكل هلام، زاد حجمه مع الوقت وظهرت منه الخلايا الحية الأولى.

وما قرأته هو خلاصــة كتاب ألكسـاندر أوبارين كله عن كيف نشـأت الخلية الحية الأولى، فإليك فقرات من الكتاب بنصها:

"الأرض البدائية، كانت تحوي خليطاً من الميثان والهيدروجين والأمونيا وبخار الماء والكربون، في غلاف جوي منخفض الأكسجين، ثم تعرضت جزيئات هذه المواد الكيميائية لقدر هائل من الطاقة، من خلال شـرارات كهربية متعددة مصـدرها أشـعة الشــمس، وكذلك الأشــعة فوق البنفســجية، ولابد أن تفاعلات عديدة قد حدثت في الغلاف الجوي البدائي للأرض بين الهيدروكربونات ومشـتقاتها Hydrocarbons And Their Derivatives، وبين الأمونيا Ammonia، طبقاً للمعادلات الآتية ... ومع تفريغ الشــــحنات الكهربية قد تكون اليوريا Urea أحد النواتج العديدة للتفـاعلات بين أحـادي أكســـيد الكربون Carbon Monoxide والهيـدروجين والأمونيا، التي تكونت سـابقاً من الهيدروجين والنيتروجين العضـوي، الذي قد يكون قد نشأ من أكسدة الأمونيا بأكسجين نتج من التحلل الضوئي للماء Photolysis Of Water، والتفاعلات بين الهيدروكربونات والأمونيا أنتجت سـلسـلة مختلفة من النواتج الأكثر تعقيـداً، مثـل الأمـاينز Amines، والأمـايـدز Amides، كمـا في المعادلات التالية ... ومع مرور الشـــرارة الكهربية في خليط الميثان والهيدروجين

والأمونيا وبخار الماء، ومع تأثير الأشعة فوق البنفسجية، تكون عدد من الأحماض الأمينية، مثل الجليســين Glycine والألانين Alanine وغيرها، بالمعادلات الآتية ... ثم تكونت مشـــتقات متنوعة من الهيدروكربونات التي تحتوي الأكســـجين والنيتروجين في الغلاف الجوي البدائي مع زيادة عدد الشـــحنات الكهربية وقوة تفريغها وأثر الأشعة فوق البنفسجية، فبدأت مركبات عضوية جديدة تظهر باستمرار على ســـطح الأرض، وزاد عددها ودرجة تعقيدها مع الزمن، ثم ارتبطت الأحماض الأمينية العشـــرين لتكوِّن جزيئات البروتين والإنزيمات اللازمة للتمثيل الغذائي والعمليات الحيوية الأخرى، بواسطة روابط ببتَيدية Peptide Bonds بين الأحماض الأمينية ذات مجموعات الأماين والأحماض الأمينية ذات مجموعات الكربوكســـيل، والأحماضُ الأمينية الأخرى غير اللازمة للحياة تم القضاء عليها بواسطة الانتخاب الطبيعي Were Eliminated By Natural Selection ... وتفاعل اليوريا مع الأحماض العضـــوية أنتج البيورين Purine والبِريميدين Pyrimidine والقواعد النيتروجينية في النواة، وما يقال عن تكوِّن الأحماض الأمينية والبروتينات ينطبق على الأحماض النووية"[١].

وكما ترى، اكتشـــاف تركيب الخلية الحية المعقد ومكونات النواة والدي إن إيه، لم يغير شـــيئاً ولم يقلل من مســتوى الهلاوس، وأوبارين أهدر عملية صــناعة الأحماض الأمينية والبروتينات الدقيقة والمعقدة التي علمت تفاصيلها من قبل، والتي تشترك فيها جميع مكونات الخلية، وأهدر البرنامج وشـــفرة المعلومات في الجينات والدي إن إيه، وأن صـناعة الأحماض الأمينية ترجمة لهذه المعلومات، وأسقط في هلاوســه من أين وكيف تكونت هذه الشـــفرة، وهل يوجد أي احتمال لأن يتكون برنامج معلومات دقيق ومشفر بالطريقة العشوائية التي وصفها، حتى لو اصطدمت الشمس نفسها بالأرض،

1) The Origin Of Life On The Earth, P178- 242.

وليس فقط أن شحنات كهربية من أشعتها ضربت الحساء الذي افترض أنه كان يغطي الأرض؟

وما قاله ألكساندر أوبارين في خمسينيات القرن العشرين لم يزد عما قاله تشارلز دارون في خمسينيات القرن التاسع عشر، سوى أنه حول بركة دارون إلى محيط، وزخرفها بأسماء العناصر الكيميائية والمعادلات التي تخيل أنها حدثت على سطح هذا المحيط أو الحساء في الأرض البدائية، ومثل تشارلز دارون يريد إيهامك أنه لو حدث ماس كهربي وضرب لوحاً من الخشب فسوف يتحول إلى جهاز كمبيوتر محمل بأحدث البرامج والسوفت وير، ثم يتكلم ويتحرك ويتكاثر.

وإذا دققت فيما قاله ألكساندر أوبارين، فسوف تجد أن الفاعل الحقيقي في السيناريو الذي تخيله لنشأة الخلية الحية الأولى، ولا دليل على أي شيء فيه، هو الصدفة، فالعناصر الكيميائية في الأرض البدائية تفاعلت وتحولت إلى مركبات عضوية، والمركبات العضوية تعقدت، فتكونت منها الأحماض الأمينية، والأحماض الأمينية عددها في الأرض ٥٠٠ حمض أميني، ولكن ٢٠ حمضاً منها عقدت مؤتمراً واتفقت أن تخرج على بقية الأحماض الأمينية وتتعاون معاً لبناء سلاسل البروتينات، وبالطريقة نفسها تكون الدي إن إيه والآر إن إيه، ثم عقد الجميع مؤتمراً موسعاً لتحديد شكل الخلية، ولكي يختار كل مكون من مكوناتها المكان الذي سوف يستقر فيه داخلها، والوظيفة التي سوف يؤديها، وانتخبوا رئيساً لكي ينسق بينهم ويمنع التضارب بين وظائفهم، ثم اتخذوا قراراً بالثورة على المادة الجامدة وإسقاط دولتها وإنشاء خلية الحياة، التي لابد منها ليبدأ فيلم التطور، وذلك كله بالصدف، واحدة في إثر أخرى.

وقبل أن نعرفك بحقيقة الهلاوس التي هلوسها ألكساندر أوبارين، وبمناسبة أنه ولا مؤاخذة ماركسي، ولكي تفهم مصدر هذه الهلاوس، فالماركسية ليست سوى امتداد لعقيدة التطور البيولوجية، وقد نقل فيها كارل ماركس التفسير التطوري من البيولوجيا

وتفسير وجود الكائنات إلى التاريخ والاجتماع، لتفسير ظهور القيم والشرائع والأنظمة الاجتماعية، فإذا كانت الداروينية بديل الخلق، فالماركسية بديل الوحي.

وكارل ماركس يهودي ألماني، اسمه الحقيقي حاييم هيرشل موردخاي Chaim Herschel Mordechai، وينحدر من أسرة الربي بيرنت كوهين Barent Cohen، أحد أعمدة التجارة في أمستردام أوائل القرن الثامن عشر، وبين أسرة الحاخام كوهين وأسرة روتشيلد روابط نسب ومصاهرة عديدة عبر التاريخ، أقربها إلى كارل ماركس زواج عمته حنا بيرنت كوهين Hannah Barent Cohen من ناثان ماير روتشيلد Nathan Mayer Rothschild.

ونعود بك إلى هلاوس ألكساندر أوبارين عن كيف نشأت الخلية الحية الأولى، وأول ما ينبغي أن تعرفه أن جميع مكونات الخلية الحية لا تعمل ولا تؤدي وظائفها إلا داخلها، فلو أخرجت أي مكون من هذه المكونات، مثل الدي إن إيه والآر إن إيه والريبوسوم والميتوكوندريا والإنزيمات والبروتينات، من الخلية، أو لو أخرجتها كلها ووضعتها معاً خارجها، فسوف تتحول إلى عناصر جامدة ولن يعمل أي منها، لأنها تعمل معاً وتؤدي وظائفها بسر الحياة في الخلية وليس بخصائصها الذاتية.

وهو ما يخبرك به أستاذ الفيزياء الكونية في جامعة كمبردج البريطانية، وجامعة أريزونا الأمريكية، ومدير مركز المفاهيم الأساسية في العلوم، بول ديفيز، وهو ملحد ويعتنق عقيدة التطور.

يقول بول ديفيز في كتابه: المعجزة الخامسة البحث عن أصل الحياة:

"البروتينات جزء صغير من نسيج الحياة في الخلية، فهناك أيضاً الدهون والأحماض النووية والريبوسومات والإنزيمات، ويمكن للعلماء أن يصنعوا أجزاءًا من

المكونات الأساسية للحياة، من خلال تجارب دقيقة ومعقدة، ولكن من غير المحتمل أن يتمكنوا من صـــناعة جميع هذه المكونات في وقت واحد، وقبل ذلك ســـر الحياة Mystery Of Life، وبعبارة واضـــحة، الجزيئات الحية التي توجد في الكائنات العضـوية الحية ليسـت حية بنفسـها Are Not Themselves Alive، ولا يوجد جزئ يحمل شـرارة الحياة وحده، وتجميع الذرات والجزيئات معاً في سـلاسـل لا يُنتج كائناً حياً، وحتى الدي إن إيه، الجزيء العضـــوي الفائق، ليس حياً، وإذا نُزع من الخلية فســـوف يتوقف عن عمله، ولن يؤدي وظيفته، لأنه لا يؤديها إلا في بيئته داخل الخلية، وبالتجانس مع بقية مكوناتها"[١].

وإليك تشـبيه أسـتاذ الفيزياء النظرية والرياضـيات في جامعة كمبردج، فريد هويل Fred Hoyle، لتفسـير نشـأة الخلية الحية بالطريقة التي وصـفها ألكسـاندر أوبارين، والتي تقوم على تكوُّن الجزيئات العضـــوية ثم اجتماعها معاً وتحولها إلى خلية تلقائياً بفعل الطاقة وتفريغ الشـــحنات الكهربية في الأرض البدائية، وقد أخبرناك في باب: **فيزياء حديثة وقبالاه،** أن فريد هويل كان يؤمن إيماناً عميقاً بنظرية التطور وتفسـيرها لوجود الكائنات الحية بالانتخاب الطبيعي، ثم اهتزت عقيدته في التطور والانتخاب الطبيعي بشـدة، بعد بحوثه التجريبية التي أجراها بنفسـه على ذرة الكربون، واكتشـافه للتوازن الدقيق بين مستوى الطاقة في ذرة الكربون وذرة الأكسجين، وأن أي اختلال في هذا التوازن تنعدم معه الحياة.

يقول فريد هويل، عن نظرية الحسـاء البدائي وتكوِّن الأحماض الأمينية والبروتينات بالصدف، في كتابه: الكون الذكي نظرة جديدة إلى الخلق والتطور The Intelligent Universe A New View Of Creation And Evolution:

1) The Fifth Miracle, The Search For The Origin And Meaning Of Life, P92.

"لا يمكن إثبات أن الحياة تطورت بهذه الطريقة، وكثير من العلماء يصدقون هذه القفزة من تكوين الأحماض الأمينية الفردية إلى التكوين العشوائي لسلاسل كاملة من البروتينات المعقدة، مثل الإنزيمات، رغم أنه لا يوجد أي دليل على أن مثل هذا قد حدث على الأرض، وقد وصـــفتُ طريقة تفكير هذا النوع من العلماء في محاضـــرة مشـهورة لي، بأن عقليتهم ساحة للخردة Junkyard Mentality، وسوف أكرر هنا ما قلته، فإذا ضرب إعصار ساحة للخردة يوجد بها جميع أجزاء البوينج ٧٤٧ ومكوناتها مفككة وفي فوضـــى Dismembered And In Disarray، فما هو احتمال أن تتجمع أجزاء البوينج ٧٤٧ وتصبح جاهزة للطيران بعد انتهاء الإعصار، إنه احتمال ضئيل للغاية، حتى لو كانت الضربة التي ضربها الإعصار للساحة كافية لهز الكون كله"[١].

وتنبه أن فريد هويل يخبرك أن عشـــرات التفاعلات والمعادلات الكيميائية التي زركش بها ألكســـاندر أوبارين كتابه ونظريته عن الحســـاء البدائي وتكوِّن الأحماض الأمينية، معادلات خيالية، تراءت له في هلاوســـه ولا يوجد أي دليل على أنها حدثت فعلاً.

ثم إليك المفاجأة، فلا يوجد دليل على أن العناصـــر التي ذكرها ألكســـاندر أوبارين في هلاوسه، كانت موجودة في الأرض البدائية أصـلاً، بالإضـافة إلى أنه أقام نظريته على أن الأرض في زمن الحساء البدائي كانت بلا أكسجين حر، وأن الصيغة الوحيدة التي كان يوجد فيها الأكســـجين في الأرض إذ ذاك هي اتحاده مع الهيدروجين في الماء، لأن المركبات العضــوية تتأكســد في وجود الأكســجين الحر وتتحلل، فلو وُجد

---

1) Fred Hoyle: The Intelligent Universe A New View Of Creation And Evolution, P18-19, Holt, Rinehart And Winton, New York, 1988.

الأكسجين الحر لما استقرت المركبات العضوية والأحماض الأمينية ولما توفر الزمن الكافي لكي تتعقد وتتكون البروتينات.

ونتائج البحوث العلمية التجريبية الحقيقية جاءت كلها نقيضاً لهلاوس ألكساندر أوبارين ومدرسته في تفسير نشأة الحياة، فالغلاف الجوي للأرض البدائية كان يوجد به كميات ضئيلة من الميثان والأمونيا والهيدروجين، والعناصر التي كانت غالبة فيه هي النيتروجين وبخار الماء وثاني أكسيد الكربون، والأكسجين الحر كان يوجد بوفرة، وهو ما يعني أن الأحماض الأمينية والبروتينات تكونت داخل الخلية الحية، وليس خارجها، والخلية الحية هي التي أنتجتها وليست هي التي أنتجت الخلية، لأنه لم يكن لدي الأحماض الأمينية زمن يسمح لها بالاستقرار مع وجود الأكسجين.

في باب: الأرض المبكرة وغلافها الجوي Reassessing The Early Earth And Its Atmosphere، من كتاب: لغز أصل الحياة The Mystery Of Life's Origin، وقد اشترك في تأليفه فريق من ثمانية علماء، هم أستاذ الكيمياء الفيزيائية في معهد ديسكفري للعلوم في الولايات المتحدة، تشارلز ثاكستون Charles Thaxton، وأستاذ فيزياء العناصر في جامعة تكساس، والتر برادلي Walter Bradley، وأستاذ كيمياء الأرض في كلية كولورادو لعلوم المعادن والتعدين، روجر أولسن Roger Olsen، وأستاذ البيولوجيا الخلوية في معهد ديسكفري، جوناثان وِلز Jonathan Wells، وأستاذ علوم الكمبيوتر وهندسة النانو Nano-Engineering في جامعة رايس Rice University، جيمس تور James Tour، وزميل معهد ديسكفري المتخصص في الأنظمة الفيزيائية المعقدة، بريان ميلر Brian Miller، والمحاضر في الفيزياء الفلكية في جامعة أوستن، جويليرمو جونزاليز Guillermo Gonzalez، ورئيس قسم العلوم في مجلة العلم والثقافة اليوم Science And Culture Today، دافيد كلينجهوفر David Klinghoffer، في باب: الأرض

المبكرة وغلافها الجوي، يقول الباحثون الثمانية بخصوص الميثان والأمونيا في الأرض البدائية:

"**الغلاف الجوي قبل البيولوجي وظهور الحياة Prebiological Atmosphere، لم يكن يحتوي على كميات كبيرة من الغازات المختزلة مثل الميثان والأمونيا، وتشير الحسابات الكيميائية الضوئية الحديثة إلى أن الغلاف الجوي المختزل بشدة من الميثان والأمونيا كان قصير العمر للغاية، هذا إذا كان مثل هذا الغلاف الجوي قبل البيولوجي الذي يوجد به أمونيا وميثان قد وُجد أصلاً، والمتفق عليه الآن أن الغلاف الجوي البدائي كان يحتوي على القليل من الميثان أو الأمونيا، أو لا يحتوي عليهما على الإطلاق ... وكان به وفرة من الماء وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين**"(١).

وبعد أن استعرض الباحثون الثمانية جميع الدراسات الفيزيائية والكيميائية الخاصة بنسب الأكسجين في الأرض البدائية، قبل ظهور الحياة، كانت هذه هي خلاصة دراستهم بخصوص وضع الأكسجين في الأرض البدائية:

"**لقد درسنا بالتفصيل الأدلة المستمدة من معادن اليورانيوم والحديد، والمتعلقة بوجود غلاف جوي بدائي اختزالي (ليس فيه أكسجين)، ويصعب الاستنتاج أنه كان هناك زمن خلا فيه غلاف الأرض الجوي من الأكسجين الحر، وقد قام إريك ديمروث ومايكل كيمبرلي Erich Dimroth And Michael Kimberley، بدراسة معادن أخرى إلى جانب اليورانيوم والحديد، وتوصلا إلى نفس النتيجة، وهي أنه: "بصورة عامة، لا يوجد أي دليل في التوزيع الرسوبي Sedimentary**

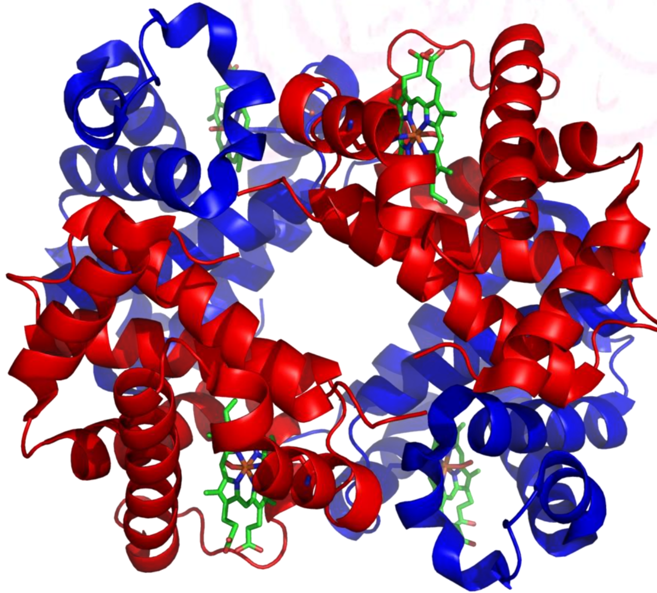
---

1) Charles Thaxton, Walter Bradley, Roger Olsen, Jonathan Wells, James Tour, Brian Miller, Guillermo Gonzalez, David Klinghoffer, The Mystery Of Life's Origin, P75, 86, Discovery Institute Press, Washington, 2020.

Distribution للكربون أو الكبريت أو اليورانيوم أو الحديد، على وجود غلاف جوي خالٍ من الأكسجين في أي وقت خلال أزمنة التاريخ الجيولوجي المسجلة في الصخور الرسوبية المحفوظة جيداً"[١].

والخلية الحية يوجد بها آلاف البروتينات، وخلية الإنسان يوجد بها ١٠٠ ألف نوع من البروتينات، وكل بروتين يتكون من سلسلة من الأحماض الأمينية، لا تقل عن ١٠٠ حمض، فإليك الآن نموذجاً على احتمال أن يتكون جزئ بروتيني واحد بالصدف، وسوف تتيقن من صحة وصفنا لنظرية التطور بأنها نظرية الهلاوس، وتدرك أن أوبارين ومدرسته يستحقون وصف فريد هويل لهم بالعقليات الخردة.

يتكون جزيء الهيموجلوبين في خلية الإنسان من بروتين الجلوبين Globulin، ومجموعة هيم Heme، ومجموعة الهيم هي ذرة حديد قادرة على الارتباط بالأكسجين، أما الجلوبين فهو بروتين يتكون من أربع سلاسل من الأحماض الأمينية، فهاك صورة توضح مكونات جزيء الهيموجلوبين.



صورة توضح تركيب جزيء الهيموجلوبين، سلاسل البروتينات حمراء وزرقاء، ومجموعة الهيم خضراء

---

1) The Mystery Of Life's Origin, P93.

وكل سـلسـلة بروتينات من السـلاسـل الأربع في الهيموجلوبين تتكون من ١٤٦ حمضـاً أمينياً، والأحماض الأمينية التي توجد في الخلية الحية ٢٠ نوعاً (٢٢ نوعاً حسـب آخر تحديث سـنة ٢٠٢٤م)، وفي كتابه: تريليون واحد فقط Only A Trillion، قام أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة بوسطن الأمريكية، إسحق أسيموف (عظيموف) Isaac Asimov، بحسـاب عدد الطرق أو التباديل والتوافيق المحتملة التي يمكن بها ترتيب هذه الأحماض الأمينية، لتحديد احتمال تكوُّن جزئ الهيموجلوبين بالصدفة من بين جميع هذه الاحتمالات، وكان هذا هو ما وصل إليه:

"باستخدام الجداول والمعادلات الموضحة، يمكن حساب عدد الاحتمالات الممكنة لترتيب الأحماض الأمينية في الهيموجلوبين، وهي ٤ X $١٠^{٦١٩}$، ويمكن أن نسـميه عدد الهيموجلوبين Hemoglobin Number، وإذا أردت أن ترى كيف يبدو هذا الرقم عند كتابته كاملاً، فانظر إلى الشـكل رقم ٩، ومن بين جميع هذه الاحتمالات لترتيب الأحماض الأمينية في عدد الهيموجلوبين، يوجد ترتيب واحد فقط هو الذي يحمل خصـائص جزيء الهيموجلوبين في الإنسـان ... وبحسـاب زمان الكون كله، فإن احتمال الوصول إلى الترتيب الصحيح للأحماض الأمينية في جزئ الهيموجلوبين بالصدفة في هذا الزمان هو ١: ٤ X $١٠^{٤٤٠}$"[١].

و$١٠^{٤٤٠}$ هي رقم ١٠ مضـروباً في نفسـه ٤٤٠ مرة، أي رقم ١٠ وأمامه ٤٤٠ صـفراً، ومعنى كلام إسـحق أسـيموف، أن احتمال أن تترتب الأحماض الأمينية في سـلاسل بروتينية بالطريقة التي توجد بها في جزيء الهيموجلوبين وتمنحه خصـائصـه الحيوية بالصـدف، هو احتمال واحد من بين ٤ X $١٠^{٤٤٠}$ احتمالاً، وهذا العدد من الاحتمالات لا يمكن تخيله ولا إدراك مدى ضـخامته، ولكي نقربه لك يكفي أن تعرف

---

1) Isaac Asimov: Only A Trillion, P46-47, 50, Abelard-Schuman, New York, 1957.

أن الفيزيائيين يقدرون عدد الذرات في الكون كله، بجميع مجراته وأجرامه وما فيه من كائنات حية وغير حية، بأنه 10^{80}، أي رقم ١٠ وأمامه ٨٠ صفراً فقط.

وهذا هو عدد الهيموجلوبين الذي أرادك إسحق أسيموف أن تراه في كتابه.

40,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,000,
000,000.

Figure 9. The hemoglobin number.

ص٤٧ من كتاب: تريليون واحد فقط، وفيه عدد الهيموجلوبين كما كتبه إسحق أسيموف.

وهنا ننبهك أن ريتشـــارد دوكنز نقل في كتابه: صـــانع الســـاعات الأعمى عدد الهيموجلوبين عن إسحق أسيموف، وذكره دون أن يذكر من أي كتاب من كتب إسحق أسـيموف التي تصـل إلى ٥٠٠ كتاب أتى بالعدد، وليسـت هذه هي المشـكلة، بل أن ريتشـــارد دوكنز زوَّر في كتابه عدد الهيموجلوبين وقلله، وعدد الهيموجلوبين المزور الذي قاله دوكنز في كتابه: هو 10^{190}، أي رقم ١٠ وأمام ١٩٠ صـفراً[1]، ورغم أن هذا العدد المزور هو أيضـاً هائل الضـخامة ويتجاوز عدد الذرات في الكون، إلا أنه يوجد فرق شـاسـع وواسـع وهائل وعميق بينه وبين العدد الصـحيح الذي قام إسـحق أسـيموف بحسـابه ونص عليه في كتابه، وهو **4×10^{619}** قبل إدخال زمان الكون في الحسابات، و **4×10^{440}** بعد إدخاله.

---

1) The Blind Watchmaker, P45.



عالم الآر إن إيه

وبعد أن عرفت احتمال أن تترتب الأحماض الأمينية في سـلاسـل بروتينات جزئ الهيموجلوبين الأربعة ويتكون بالصدف العشوائية، نتركك تتصور كم يكون احتمال أن تتكون جميع البروتينات في الكائن الحي بهذه الصـــدف، والتي يبلغ عددها في خلية الإنســـان الواحدة ١٠٠ ألف بروتين، فإذا عدت إلينا وقد توقف عقلك وعجزت أنت والكمبيوتر عن الحساب، ننتقل بك إلى تفسير آخر لكيف ظهرت الخلية الحية الأولى في الهلاوس التي يسمونها نظرية التطور.

في ســـنة ١٩٦٢م، وضـــمن كتاب: آفاق في الكيمياء الحيوية Horizons In Biochemistry، الذي يضم دراسات عديدة لعدد من أساتذة الكيمياء الحيوية، نشر أســتاذ الكيمياء الحيوية في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، كالتك Caltech، ألكســاندر ريتش Alexander Rich، دراســة عنوانها: عن مشـــاكل التطور ونقل المعلومات الكيميائية الحيوية On The Problems Of Evolution And Biochemical Information Transfer، وفي الدراسة وضع ألكساندر ريتش فرضية جديدة لتفسير نشــأة الحياة والخلية الحية الأولى، بعد أن أظهر اكتشــاف برنامج المعلومات المشـفر في الجينات للأحماض الأمينية، اســتحالة تكوُّن ســلاسـل البروتينات منها بالصــدف العشــوائية والشــرارة الكهربية التي ضــربت العناصــر الكيميائية في الأرض البدائية، حسب هلاوس تشارلز دارون وألكساندر أوبارين.

وفرضــية ألكســاندر ريتش، هي أن الحمض النووي الآر إن إيه RNA له خواص مزدوجة، فهو حامل للمعلومات والشـــفرة ويمكنه أن يؤدي وظيفة الدي إن إيه، ويعمل أيضاً كإنزيمات صانعة للأحماض الأمينية، ومن ثم يمكن أن تتكون منه وحده سلاسل

البروتينات، دون حاجة للدي إن إيه والجينات، وعلى ذلك فالخلية الأولى وبروتيناتها تكونت تلقائياً بتطور الآر إن إيه.

وبعد مقارنته بين الدي إن إيه والآر إن إيه، كيميائياً ووظيفياً، يقول ألكساندر ريتش في دراسته:

"وهكذا، فالآر إن إيه قادر على حمل المعلومات الجينية، كما في الفيروسات، ومن المعقول أن نفترض أن الجزيء الأب المتعدد النيوكليوتيدات Parent Polynucleotide Molecule، كان بوليمر شبيهاً بالآر إن إيه RNA-like Polymer، ويمكنه نقل المعلومات الوراثية، وتنظيم الأحماض الأمينية في تسلسل محدد لتكوين البروتينات، بطريقة تُشبه تلك الموجودة في الدي إن إيه، ويُمكن اعتبار الدي إن إيه جزيئاً مُشتقاً من الآر إن إيه وتطور منه بشكل لا يُؤدي إلا جزءًا من وظيفته، ثم تخصص في دورة مضاعفة الجزيئات Molecular Replicating Cycle التي تُمثل جزءًا من عملية نقل المعلومات الوراثية في الجينات"(١).

وكما لابد تتوقع، تلقف خلفاء تشارلز دارون على هلاوسه، فرضية ألكساندر ريتش وتوسعوا فيها، على أنها تفسير لكيف ظهرت الخلية الحية الأولى بتطورها من الآر إن إيه القادر على حمل شفرة المعلومات وترجمتها وصناعة البروتينات وحده، وفي عدد شهر فبراير سنة ١٩٨٦م، من مجلة نيتشر Nature، نشر أستاذ الجزيئات والفيزياء الحيوية في معامل سبرنج هاربور في الولايات المتحدة Spring Harbor Laboratory، والتر جلبرت Walter Gilbert، وهو حاصل على جائزة نوبل في

---

1) Alexander Rich: On The Problems Of Evolution And Biochemical Information Transfer, In: Michael Kasha And Bernard Pullman, Editors: Horizons In Biochemistry, Albert Szent-Györgyi Dedicatory Volume, P124-125, Academic Press, New York, London, 1962.

الكيمياء سنة ١٩٨٠م، نشر دراسة عنوانها: أصل الحياة، عالم الآر إن إيه Origin Of Life, The RNA World، وقال فيها إن الأرض البدائية كانت حَســـاءًا أو عالماً من جزيئات الآر إن إيه، ثم ظهرت الخلية الحية بالتطور منه، ثم صـــــارت عبارة عالم الآر إن إيه عنواناً لهذه الفرضية.

يقول والتر جلبرت في دراسته:

"نظراً لتنوع العمليات الجزيئية عند نشـــأة الحياة، كان يخيّل إليَّ أن أُولى أنظمة التكاثر الذاتي كانت تتكون من الآر إن إيه والبروتين، حيث يكون الآر إن إيه مسؤولاً عن حمل المعلومات، بينما توفر جزيئات البروتين جميع الأنشطة الإنزيمية اللازمة لإنتاج نُسخ من الآر إن إيه ومضاعفة نفسها، ويبدو الآن أنه من الممكن دمج الوظيفتين معاً في نوع واحد من الجزيئات، إذ في الأســبوع الماضـــي وصـــف فرانك ويســتهايمر Frank Westheimer، الأنشــطة الإنزيمية لجزيئات الآر إن إيه في بكتيريا الإشريشيا القولونية Escherichia Coli، وقال أنه يقوم بنشاطين إنزيميين، وإذا كان هناك نشـــاطان إنزيميان مرتبطان بالآر إن إيه، فقد يكون هناك المزيد من الأنشــطة الإنزيمية، ويمكنها تحفيز صـــناعة جزيء آر إن إيه جديد من ســـلف له، وصـــناعة نماذج أخرى منه، ومن ثم فلا حاجة للإنزيمات البروتينية في بداية التطور"[١].

وتنبه أن ألكســـاندر ريتش ووالتر جلبرت، افترضـــوا أن الآر إن إيه في الأرض البدائية كان يؤدي وظيفة الدي إن إيه في حمل المعلومات الخاصـــــة بالأحماض الأمينية، ووظيفة الإنزيمات في تكوين البروتينات، ولكنهم أســـقطوا من أين جاءت المعلومات، وكيف تم تشفيرها بالطريقة الثلاثية المعقدة التي رأيتها من قبل، ومن الذي

---

1) Walter Gilbert: Origin Of Life, The RNA World, Nature, February 20, 1986, Vol. 319, P618.

حدد الكودون الذي يقابل كل حمض أميني ويحمل شفرته، واسقطوا كذلك أن الآر إن إيه نفســـه يتكون من بروتينات، فإذا كان يعمل كإنزيم وكون البروتينات التي ظهرت بها الخلية الحية وتطورت، فمن أين جاءت البروتينات التي كونته هو نفســه، وإذا كان أول آر إن إيه قد نسخ نفسه وتضاعف، كما قال والتر جلبرت، فمن أين جاء هذا الآر إن إيه الأول وكيف تكون من بروتينات من المفترض أنه هو الذي ينتجها؟!

وأضـــف إلى ذلك، أن الآر إن إيه، مثل جميع مكونات الخلية الحية، لا يعمل ولا يؤدي وظيفته إلا داخل بيئته في الخلية، وبالتجانس مع بقية مكوناتها، ويقولون إن الدي إن إيه تطور من الآر إن إيه، وورِث إحدى خصـائصـه، وهي حمل المعلومات، بينما الدي إن إيه هو الذي يتحكم في تكوين الآر إن إيه، ولا يعمل الآر إن إيه إلا في وجوده، فلا تعرف هل أنت تتعامل مع علماء وأســـاتذة جامعات يحملون أعلى الشـــهادات وحازوا أرفع الجوائز حقاً، أم تتعامل مع ســـريحة بعربية بطاطا، أم أن الحقيقة هي أنهم يضـــربون ببديهيات العقل ومبادئ العلوم ونتائج البحوث التجريبية عُرض الحائط من أجل الهلاوس التي يعتنقونها؟

وإليك تفاصيل كيميائية وتقنية أخرى، في تفنيد فرضية عالم الآر إن إيه.

في عدد شهر يوليو سنة ٢٠١٢م، من مجلة بيولوجي ديركت Biology Direct، وهي مجلة إلكترونية علمية متخصـــصـــة، يصـــدرها مركز العلوم الطبية والبيولوجية BioMed Central، في بريطانيا، نُشرت دراسـة عنوانها: فرضـية عالم الآر إن إيه أســـوأ نظرية عن التطور المبكر للحياة The RNA World Hypothesis The Worst Theory Of The Early Evolution Of Life، وفيها يقول أســـتاذ الكيمياء الحيوية في جامعة أوتاجو Otago، في نيوزلندا، هارولد برهارت Harold Bernhardt:

"جزيء الآر إن إيه شديد التعقيد لدرجة أنه لا يمكن أن يكون قد نشأ قبل ظهور الحياة، فهو يتكون من أربع مجموعات حلقية مختلفة تحتوي نيتروجين Four Different Nitrogen-Containing Heterocycles، وتستند على عمود فقري من مجموعات متبادلة من الفوسفات وسكر دي ريبوز Alternating Phosphate And D-Ribose Groups، ترتبط بثلاث روابط أو خمسة ... والآر إن إيه غير مستقر للغاية Too Unstable، وخاصة في درجات الحرارة المتوسطة والمرتفعة، لدرجة تمنع تراكمه في بيئة ما قبل ظهور الحياة في الأرض ... ومشكلة أخرى، فالآر إن إيه قابل للتحلل المائي عند درجة حموضة أكبر من ٦ PH > 6، ومجموعات الفوسفات التي تكوِّن العمود الفقري للآر إن إيه، وكذلك الروابط بينها وبين سكر الريبوز، تكون مستقرة عند درجة حموضة من ٤–٥ فقط، وهو ما لابد معه من افتراض أن الحساء البدائي الذي تطور فيه الآر إن إيه كان مرتفع الحموضة ... وأيضاً عمل الآر إن إيه كإنزيم محفز خاصية نادرة نسبياً، وفي سلاسل الآر إن إيه الطويلة فقط، وقدرة الآر إن إيه على العمل كإنزيم محفز محدودة للغاية Too Limited"(١).

وكما ترى، فهم تائهون في صحراء بلا خريطة، يسيرون ويدورون في كل اتجاه، ثم يجدون أنفسهم قد رجعوا إلى النقطة التي بدأوا منها، وكل فرضية تنقضها أخرى، وما زالوا داخل المتاهة، والخريطة التي تخرجهم منها موجودة ولكنهم يفضلون التيه والمتاهة على العودة إليها والإقرار بها.

وإذا راجعت جميع البحوث والدراسات التي قام بها من يعتنقون عقيدة التطور، من أول بحوث الجيولوجيا والحفريات، مروراً بتكوين الأحماض الأمينية والبروتينات، ثم

---

1) Harold Bernhardt: The RNA World Hypothesis, The Worst Theory Of The Early Evolution Of Life, Biology Direct, July 2012.

تركيب الخلية والجينات، وصـولاً إلى كيف نشـأت الحياة والخلية الحية الأولى، فسوف تجد أن هذه البحوث والدراسـات تحمل عناوين علمية وتقنية براقة، ولكنها جميعاً تسير في مســـار موحل، تتعثر فيه وتصـــطدم في كل خطوة بالعقبات والعراقيل، وتتناقض نتائجها التجريبية مع فرضـــياتها النظرية، ويُجرونها وينفقون أموالاً طائلة من أجل الوصــول إلى تفسـير الحياة وتنوع المخلوقات بها، فتزداد غموضـاً، ويضـطرون إلى إهمالها بعد إجرائها، او إلى التزوير في نتائجها.

وقد أخبرناك في باب: **الحركات الســرية والعلوم الطبيعية**، أن آثار الوجود الإلهي والخلق ماثلة وســـارية في تركيب الكون وتكوين المخلوقات، ومن يبحث في الطبيعة وعلومها فســوف يجدها أمامه أراد أو لم يرد، وهذا المســـار الموحل الذي تتعثر فيه بحوث علماء الطبيعة، خصــوصـــاً من يعتنقون عقيدة التطور وعقيدة الكون الأزلي، فلأن إنكـار الوجود الإلهي والخلق هو فرضـــيتهم الأولى والعليا والحـاكمـة لجميع فرضـــياتهم ونظرياتهم، وهي تتصـــادم مع الحقيقة الماثلة والســارية في تركيب الكون والمخلوقات، فكل ما يُجرونه وما سوف يُجرونه من بحوث تجريبية موضوعية يتناقض مع فرضـيتهم العليا وينقضـها، ويستحيل عليهم معها أن يصلوا إلى التفسير الصـحيح للوجود والحياة وتنوع المخلوقات.

وهو ما يخبرك به من يعتنقون عقيدة التطور أنفســهم، ليس من باب الإيمان بالإله والخلق، بل من باب الإقرار بعجز جميع نظرياتهم عن تفســـير كيف نشــأت الحياة وظهرت الخلية الحية الأولى التي يقوم فيلم التطور عليها، ويتوقف ولا يمكنه أن يبدأ من غيرها.

في عدد شـهر ديسـمبر سـنة ١٩٨٨م، من مجلة إنترديسـيبليناري سـاينس ريفيوز Interdisciplinary Science Reviews، وهي مجلة علمية أكاديمية تصـــدر في الولايات المتحدة، نشر أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة جوتنبرج في ألمانيا، كلاوس

دوس Klaus Dose، دراســة عنوانها: أصــل الحياة، أسـئلة أكثر من الأجوبة The Origin Of Life More Questions Than Answers، وفيها يقول:

"أكثر من ثلاثين عامـاً من التجـارب حول أصـــــل الحيـاة في مجـالات التطور الكيميائي والجزيئي، جعلتنا ندرك بوضوح ضخامة مشكلة أصل الحياة على الأرض بدلاً من حلها The Immensity Of The Problem Of The Origin Of Life On Earth Rather Than To Its Solution، وفي الوقـت الحـالي جميع المناقشات بخصوص التجارب والنظريات الرئيسية في هذا المجال تنتهي إلى طريق مســـــدود، أو تُقر بجهلها وعدم قدرتها على حل هذه المشـــكلة End In Stalemate Or In A Confession Of Ignorance"[1].

وفي كتابه: الحياة نفســـها، أصـــلها وطبيعتها Life Itself, Its Origin And Nature، يقول أسـتاذ الفيزياء الحيوية في جامعة كمبردج، ومكتشـف تركيب الدي إن إيه، فرانسيس كريك:

"الإنسان الصادق، المسلح بكل المعرفة المتاحة لنا الآن، لا يمكنه إلا أن يعترف بأن أصـــل الحياة يبدو في الوقت الحالي وكأنه معجزة A Miracle، لأن الظروف والشــروط التي كان لابد من توافرها لبدء الحياة كثيرة جداً، والحقيقة الواضــحة هي أن الوقت المتـاح كـان طويلاً للغايـة، والبيئـات الدقيقـة Microenvironments على ســـطح الأرض كانت عديدة وشـــديدة التنوع، والاحتمالات الكيميائية المختلفة

---

1) Klaus Dose: The Origin Of Life More Questions Than Answers, Interdisciplinary Science Reviews, December 1988, Vol. 13, P348-356.

كثيرة جداً، ومعرفتنا وخيالنا ضعيفان للغاية بحيث لا يسمحان لنا بالقدرة على معرفة كيفية حدوث ذلك أو عدم حدوثه في هذا الزمن البعيد"[1].



1) Francis Crick: Life Itself, Its Origin And Nature, P88, Simon and Schuster, New York, 1981.

بذور الحياة التائهة في الكون

وبعد أن تاه وحار خلفاء تشـــارلز دارون على الهلاوس في إيجاد تفســـير لأصـــل الحياة وكيف ظهرت الخلية الحية الأولى، يتوافق مع فرضـيتهم العليا في إنكار الوجود الإلهي والخلق، وبعد أن أوشكوا على اليأس، كما ترى، ظهرت لهم بارقة أمل في أفلام هوليوود إمبراطورية اليهود، ألا وهي نظرية البانســـــبيرميا Panspermia، وهي كلمة إغريقية تتكون من مقطعين، ومعناها البذور الكونية، وأن الحياة توجد في مكان ما من الكون، والخلية الحية الأولى جاءت إلى الأرض عبر الفضاء والكائنات الفضائية!

وأول من طرح هذه الفرضـــية في العصـــر الحديث، الطبيب الألماني والأســـتاذ في جامعة درســـدن Dresden، هرمان ريشـــتر Hermann Richter، ســـنة ١٨٦٥م، وقـال فيهـا إن بـذور الحيـاة توجـد وتتحرك عبر الكون كلـه محمولـة على النيـازك Meteors، ومن خلالها دخلت عبر الغلاف الجوي إلى الأرض[١].

وتحمس لفرضـــية هرمان ريشـــتر بعض علماء الفيزياء والبيولوجيا، وكتبوا دراســـات في تطوير الفرضية، ومن أشهر هؤلاء أستاذ الفيزياء والرياضيات في جامعة جلاسجو، وليم طومســـون أو اللورد كلفن، وأســـتاذ التشـريح والفســـيولوجيا في جامعة بون، هرمان فون هولمهولتز Hermann Von Helmholtz.

وفي يوم ٢ أغسـطس سـنة ١٨٧١م، قدم اللورد كلفن دراســة عن عدة موضـوعات، أمام الرابطة البريطانية للعلوم في إدنبره، ثم نشرت في عدد شهر أكتوبر سنة ١٨٧١م،

---

1) Harmke Amminga: Life From Space, A History Of Panspermia, Vistas In Astronomy, Vol. 26, Part 2, 1982, P67-86.

من المجلة الأمريكية للعلوم American Journal Of Science، وأحد موضوعات الدراسة كان بعنوان: أصل الحياة Origin Of Life، وفيها يقول اللورد كلفن:

"جميع التجارب التي أجريت لتحويل المادة الميتة إلى بذور حية أثبتت استحالة ذلك، واكتشفنا أن الحياة تأتي من الحياة، وأن المادة الميتة لا يمكن أن تصبح حية إلا إذا خضعت لتأثير مادة حية سابقة، ويبدو لي أن هذا هو أحد قوانين الطبيعة، مثل الجاذبية ... ويجب البحث عن تفسير لظهور الحياة على الأرض، يتوافق مع مسار الطبيعة، دون اللجوء إلى فعل غير طبيعي لقوة خالقة We Must Not Invoke An Abnormal Act Of Creative Power ... عندما تصطدم كتلتان عظيمتان في الفضاء، فمن المؤكد أن جزءًا كبيراً من كل منهما يتعرض للذوبان، مع تناثر كمية كبيرة من الحطام في اتجاهات مختلفة، ووجودُ عدد لا يحصى من أحجار النيازك التي تحمل بذور الحياة Seed-Bearing Meteoric Stones، تتحرك عبر الفضاء، أمر محتمل للغاية، وقد يؤدي سقوط حجر واحد منها على الأرض إلى تغطيتها بالنباتات كما يحدث بعد انفجار البراكين، وقد تبدو فرضية نشأة الحياة على الأرض من خلال شظايا طحالب من أنقاض عالم آخر جامحة وخيالية، ولكني أؤكد أنها ليست غير علمية I Maintain Is That It Is Not Unscientific"[1].

فهل أدركت من كلام اللورد كلفن سبب التخبط الذي يتخبطونه، والمتاهة التي يسيرون داخلها في كل اتجاه ويدورون حول أنفسهم، منذ قرون، دون أن يظهر لهم مخرج منها، فهو يخبرك أن وجود الحياة في النيازك محتمل جداً، وأن الخلية الحية الأولى جاءت إلى الأرض محمولة على أحجار النيازك التي سقطت عليها، وأنها

1) William Thompson, Lord Kelvin: Origin Of Life, In: Inaugural Address Before The British Association At Edinburgh, August 2d, American Journal Of Science, Vol. S3-2, Issue 10, October 1, 1871.

فرضـية ليسـت غير علمية، وفي الوقت نفسـه جعل إنكار الإله والقوة الخالقة فرضـية عليا وحاكمة لأي فرضـــية أخرى عن أصـــل الحياة، وأن أي نظرية تتوافق مع الخلق غير مقبولة ابتداءًا ودون مناقشـــة أدلتها أصـــلاً، والوجود الإلهي والخلق هو التفســير الوحيد الصـحيح والحقيقي للحياة، ومن دون وجوده في الفرضـيات والنظريات، سوف يظلون داخل المتاهة ولن يخرجوا منها إلى آخر الزمان ونهاية الكون والحياة,

واللورد كلفن يخبرك أنـه لا يوجد تفســـير لظهور الحياة على الأرض، ولذا فهي جاءت إليها من الفضـــاء عبر النيازك التي سـقطت عليها، ثم نســي أن يخبرك كيف نشأت الحياة في الفضاء ومن أين جاءت إليه، فكل ما فعله هو أنه أخرج المشكلة من الأرض وقام بترحيلها إلى الفضاء، دون حلها ولا تفسير حقيقي، ومرة أخرى، لا تغرنك الأسماء والألقاب، واللورد كلفن في مسألة أصل الحياة ووجود المخلوقات، مثل جميع هذا الطراز من علماء الطبيعة في الغرب، ليس ســوى ســريح بعربية بطاطا، أو كما أخبرك الله عز وجل في بيانه إلى البشرية:

﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ (البقرة: ١٣٠)

وتنبه أن البيان الإلهي يخبرك أن من يرغب عن ملة إبراهيم فقد ســفه نفســه، ولن ينجيه من هذا السـفه شـهادات ولا ألقاب ولا جوائز ولا مناصـب، فمن رغب عن ملة إبراهيم وكانت فرضـــيته الأولى انكار الإله والخلق فقد ســـفه نفســـه، بالغاً ما بلغت شهاداته وألقابه والبريق والهالات التي يحيطه بها أمثاله من الضالين والأميين

ونظرية هرمان ريشتر وفون هولمهولتز واللورد كلفن، في تفسير الحياة على الأرض بقدومها في النيازك، هي نظرية ليثوبانســـبيرميا، أو بذور الحياة الكونية الحجرية أو المحمولة في الأحجار Lithopanspermia.

والطبعة الثانية هي نظرية بذور الحياة الكونية الإشـعاعية Radiopanspermia، والتي ابتكرها أسـتاذ الكيمياء والفيزياء في جامعة سـتوكهولم، سـفانتي أرِّينيوس Svante Arrhenius، وهو حاصـل على جائزة نوبل في الكيمياء سـنة ١٩٠٣م، وذلك في كتابه: عوالم في تكوُّن، تطور الكون Worlds In The Making The Evolution Of The Universe، الذي نشـره بالألمانية سـنة ١٩٠٨م، وترجم إلى الإنجليزية في السنة نفسها.

بدأ أرِّينيوس الباب الأخير من كتابه، وعنوانه: انتشـار الحياة عبر الكون The Spreading Of Life Through The Universe، بنقد نظريـة اللورد كلفن في مجيء بذور الحياة إلى الأرض محمولة على النيازك، وقال إنه حتى لو وصـلت بذور الحياة إلى الغلاف الجوي للأرض فإنها لن تتمكن من عبوره حية، بسبب قوة الصـدمة الناتجة عن احتكاك النيازك بالغلاف الجوي وما يصـاحبها من ارتفاع حاد في درجة الحرارة.

ثم قدم أرِّينيوس نظرية بديلة، وتقوم أيضاً على أن جراثيم الحياة أو بذورها Spores موجودة في الكون كله، وتنتقل بين الأنظمة الشـمسـية أو النجمية، ملتصـقة بالغبار الكوني، ومدفوعة بقوة أشـعة الشموس، فتدخل بذور الحياة بقوة أشعة الشمس A التي قدمت من نظامها إلى آخر كوكب في نظام شـمسـي آخر B، ثم تعبر من كوكب إلى كوكب في اتجاه الشـمس B، دون أن تتمكن أشـعة هذه الشـمس من التغلب على قوة أشـعة الشـمس A التي قدمت منها البذور وتدفعها، إلى أن تقترب بذور الحياة من الشـمس B التي دخلت إلى نظامها وتصـبح على مسـافة حرجة منها، فتتفوق أشـعتها على قوة أشـعة الشـمس A، وحينئذ ترتد بذور الحياة مرة أخرى بعيداً عن الشـمس B، وتتجه نحو الخروج من نظامها نحو نظام شمسـي ثالث أو الشمس C، وهكذا دواليك، وإبان رحلة بذور الحياة داخل أي نظام شـمسـي ذهاباً وإياباً يمكن أن تسـقط وتتناثر

على أي كوكب من كواكبه، وإذا وُجدت عليه ظروف مناسـبة للحياة، تنشـأ بها الحياة على هذا الكوكب.

وقام أرّينيوس في دراسته بحسابات كثيرة ومعقدة لتحديد حجم بذور الحياة المناسب لهذه الفرضـــية ويمكن أن تحمله جســيمات الغبار الكوني وتدفعه أشـــعة الشـــمس، ولحســاب الزمن الذي تســتغرقه رحلة بذور الحياة القادمة من خارج النظام الشـــمســـي الذي توجد فيه الأرض إلى أن تصــل من آخر كوكب معروف في زمانه، وهو نبتون، إلى الشمس، وهل يسمح لها هذا الزمان بالبقاء حية في مواجهة الظروف الكونية.

فإليك رحلة بذور الحياة داخل النظام الشمسي التي تخيلها أستاذ الفيزياء والكيمياء الحاصل على جائزة نوبل، سفانتي أرّينيوس:

"إذا افترضنا أن البذرة تبدأ بسرعة معينة، بالقرب من نبتون، وفي هذه الحالة قد تكون البذرة قد نشـــأت من قمر نبتون، لأن نبتون نفســـــه، مثل أورانوس وزحل والمشتري، لم يصل إلى درجة من البرودة تكفي لدعم الحياة، فإن البذرة ستصل إلى مدار أورانوس في غضون واحد وعشرين عاماً، وإلى مدار عُطارد في غضون تسعة وعشـرين عاماً، وبنفس السـرعة الابتدائية سـتسـتغرق هذه الجسـيمات اثني عشـر عاماً للمرور بين مداري أورانوس وزحل، وأربعة أعوام بين زحل والمشـتري، وعامين بين المشـــتري والمريخ، وأربعة وثمانين يوماً بين المريخ والأرض، وأربعين يوماً بين الأرض والزهرة، وثمانية وعشـــرين يوماً بين الزهرة وعطارد، ونســـــتنتج من هذه التقديرات الزمنية أن الجراثيم، بالإضـــافة إلى حبيبات الغبار التي تلتصـــق بها، قد تتحرك نحو الشـمس بسـرعة أقل بكثير، من عشـرة إلى عشـرين مرة أقل، دون أن نخشـــى أن تفقد قدرتها على إنبات الحياة أثناء العبور، وبعبارة أخرى، إذا التصـقت هذه البذور بجسيمات الغبار بنسـبة ٩٠% أو ٩٥% منها، والتي يتوازن وزنها مع ضغط الشعاع، فإنها قد تسقط قريباً في غلاف جوي لكوكب داخلي ما بسرعة معتدلة

تبلغ بضعة كيلومترات في الثانية، وبعد توقف الجسيمات مع البذور الملتصقة بها، ستهبط ببطء، أو ستُحمل إلى سطح أقرب كوكب بواسطة تيارات الحمل الهابطة، وبهذه الطريقة تنتقل الحياة من نقطة في نظام للكواكب، توجد جذورها فيه، إلى مواقع أخرى في نظام الكواكب نفســــه وتُهيئ الظروف لنمو الحياة فيها Would Be Transferred From One Point Of A Planetary System, On Which It Had Taken Root, To Other Locations In The Same Planetary System، ولكن لا يمكنها الوصـــول إلى نقطة أبعد من النقطة التي يكون فيها ضغط الشعاع مساوياً لقوة ضغطه عند نقطة انطلاقها، ولذا وفي مكان بالقرب من الشمس، سوف تتوقف البذور بفعل ضغط الشعاع وترتد إلى الفضاء مرة أخرى، لتنتقل إلى نظام كوكبي آخر"(١).

وكما ترى، الفيلم الذي ألفه سفانتي أرِّينيوس من خياله عن نشأة الحياة من بذورها التائهة في الفضـاء الكوني، إلى أن جاءتها صـدفة سـعيدة وسقطت على كوكب ما، وبصـــدفة سـعيدة أخرى كانت الظروف على هذا الكوكب ملائمة لاحتضـانها وإنبات الحياة، فيلم أرينيوس لا يختلف عن فيلم اللورد كلفن الذي انتقده في شــــيء، فقد قام مثله بترحيل مشكلة أصل الحياة من الأرض إلى الفضاء، دون أن يجيب على السؤال الأصلي، وهو كيف نشأت الحياة، وكيف وبأي طريقة دبت الحياة في الجماد وظهرت الخلية الحية الأولى، بتركيبها الدقيق والمعقد وبوظائفها وقدرتها على التغذي والتكاثر، سواءً كانت في الأرض أو في الفضاء.

وإذا كان اللورد كلفن قد تجاهل في فيلمه احتكاك النيازك الحاملة لبذور الحياة بالغلاف الجوي وأثر الصـــدمة وارتفاع الحرارة عليها، فســـفانتي أرينيوس، ومن أجل الحبكة الدرامية وعدم تعكير أذهان من يشاهدون فيلمه، تجاهل هو الآخر الإشعاعات

---

1) Svante Arrhenius: Worlds In The Making The Evolution Of The Universe, P226-227, Translated By: R. H. Borns, Harper & Brothers Publishers, New York And London, MCMVIII/1908.

الكونية والأشعة فوق البنفسجية، وهل يمكن أن تبقى جراثيم الحياة حية وهي تائهة بين كواكب المجموعة الشمسية، طوال السنوات التي قام بحسابها، دون أن تقضي عليها الإشعاعات والظروف الكونية.

والبيان الإلهي يخبرك أن الله عز وجل هو الذي خلق الحياة، وأنه أوجدها في الأرض، ولا توجد إلا فيها، لأنه عز وجل أعدها وهيأها من بين جميع الأجرام في الكون لاستقبال الحياة واحتضانها، وجعل لها من أجل ذلك سقفاً محفوظاً يعزلها عن الظروف الكونية المانعة والقاتلة للحياة، ومن غير وجود هذه المسلمة في تفسير نشأة الحياة ولماذا توجد على الأرض فقط، فلن يكون ما ينتجه علماء الفلك والفيزياء والبيولوجيا سوى أفلام خيالية كالتي رأيتها، ينافسون بها أفلام هوليوود، وتمتع المشاهدين، ولكن لا علاقة لها بتفسير الوجود والحياة.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾

(الملك: ١-٢).

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ **(الأنبياء: ٣٢).**



فيلم الكائنات الفضائية

والآن إليك الطبعة الثالثة من نظرية بذور الحياة الكونية، وهي بذور الحياة الكونية الموجهة والمحمولة إلى الأرض قصـــداً وتحديداً Directed panspermia، وهي طبعة مسـلية وممتعة، وتسـتحق أن تتأهب لها بكوب من الشـاي بالنعناع وطبق لب وفول سوداني، فأنت على موعد في هذه الطبعة مع فيلم الكائنات الفضائية.

بعد فشل جميع نظريات تفسير نشأة الحياة وظهور الخلية الحية الأولى، التي لابد منها ليبدأ فيلم التطور والانتخاب الطبيعي، سواءًا النظريات التي افترضت أنها نشأت في الأرض، أو أنها جاءت إليها من خارجها بالعوامل الطبيعية، مثل النيازك وأشـــعة الشـمس، وبعد أن أوشـك علماء الفيزياء والبيولوجيا في الغرب على اليأس، عاد إليهم الأمل وانتعشوا، مع ظهور أفلام هوليوود عن الكائنات الفضائية.

وأول فيلم عن الكائنات الفضـــائية في هوليوود، هو فيلم الطبق الطائر The Flying Saucer، الذي ألفه وأخرجه ميكِل كونراد Mikel Conrad، وعُرض في السينما الأمريكية سنة ١٩٥٠م، وفي سنة ١٩٦٦م، نقل أستاذ الفيزياء الكونية الروسي أَيوسيف شكلوفسكي Iosif Shklovsky، وأستاذ الفيزياء الفلكية في جامعة هارفارد الأمريكي كارل سـيجان Carl Sagan، نقلوا فكرة الكائنات القادمة من الفضـــاء إلى الأرض، التي يدور حولها فيلم الطبق الطائر، إلى العلوم ليفســروا بها ظهور الحياة على الأرض.

في كتابهما المشـــترك: الحياة الذكية في الكون Intelligent Life In The Universe، انتقد أيوسيف شكلوفسكي وكارل سيجان نظرية حمل بذور الحياة إلى الأرض بواسطة الأشعة الشمسية، وأذاقا واضعها سفانتي أرّينيوس من نفس الكأس التي أذاقها للورد كلفن قبله، وقالوا إن جراثيم الحياة لا يمكنها أن تصـــمد أمام

الإشـــعاعات المتأينة والفوق بنفســـجية والظروف الكونية خلال رحلتها الطويلة بين الكواكب ومن نظام شمسي إلى آخر.

ولأن مفيش حد في تأليف الأفلام أحسن من حد، فقد ألفوا هم أيضاً فيلماً في تفسير ظهور الحياة على الأرض، يقوم على جلبها بواسطة حضارات فضائية أكثر تقدماً من الحضارة البشرية، وقاموا في كتابهم بعرض الخصائص الفيزيائية والكيميائية والظروف المناخية لكواكب المجموعة الشــمســية، لتحديد أيها توجد عليه مقومات نشــأة الحياة، ووصلوا إلى أن أنسب كوكب هو المريخ، يقول شكلوفسكي وسيجان:

"وجارنا الكوكب الغامض المريخ Our Enigmatic Planetary Neighbor Mars، يبدو أنه يوفر أفضــل فرصــة في المســتقبل القريب، لدراســة الحياة خارج كوكب الأرض، ورغم أنه لا توجد حياة على المريخ الآن، فنشــوء الحياة على كوكب المريخ البدائي Primitive Mars ليس مستبعداً، وسوف نقوم في الأبواب القادمة بدراســة خصــائصــه الفيزيائية والكيميائية، وإمكانية نشــوء الحياة في ماضــيه القديم واستمرارها حتى يومنا هذا"[١].

وبعد المريخ وكواكب المجموعة الشــمســية، انتقل أيوســيف شــكلوفســكي وكارل ســيجان، إلى أنه يمكن أن تكون الحياة قد نشــأت خارجها، في نظام شــمســي آخر، داخل مجرة درب اللبانة، ثم تطورت إلى حضــارة تكنولوجية متقدمة بالانتخاب الطبيعي وصدفة سعيدة!

يقول شكلوفسكي وسيجان:

---

1) Iosif Shklovsky And Carl Sagan: Intelligent Life In The Universe, P59, 273, Holden-Day, San Francisco, 1966.

"بالمقارنة مع الحياة على الأرض، يبدو أن تطور أبسط أشكال الحياة إلى كائنات ذكية قادرة على بناء حضـارة تكنولوجية، في كواكب نظام شـمسـي آخر، يحتاج فترة زمنية أطول، والقوة الدافعة وراء هذا التطور هي الانتخاب الطبيعي من بين ما ينتج من طفرات عشـوائية The Driving Force Behind This Evolution Is The Natural Selection Of Randomly Produced Mutations، فلابد أن عدداً هائلاً من الطفرات قد حدث، قبل أن تتطور إحداها بالصـــدفة البحت Purely By Chance، إلى شكل للحياة أكثر تقدماً"[١].

وبعد عرض نتائج التجارب الخاصـة بالتواصـل مع حضـارات متقدمة خارج النظام الشمسي، وبعد حسابات أخرى عديدة ومعقدة، وصل شكلوفسكي وسيجان إلى أنه:

"بناءًا على هذه الحســابات، فالمجرة تمتلئ بالعديد من الحضـــارات المتقدمة تكنولوجياً، والقادرة على التواصـل عبر الفضـاء، ويبدو أن عدداً من هذه الحضـارات لم يدمروا أنفســهم، ولم يتعرضــوا لكوارث جيولوجية ولا بيولوجية، ولم يفقدوا اهتمامهم بالتواصـــل معنا، وعلى ذلك فنحن نقدر أن حوالي واحد من ألف بالمائة ٠,٠٠١% من النجوم في الســماء، يوجد بكل نظام منها كوكب تسـكنه حضـــارة تكنولوجية متقدمة، أي ما بين ٥٠ ألف ومليون حضـارة، ونحن محاطون بعدد كبير منها، ومن المحتمل أن الحياة أُدخلت إلى الأرض بطريقة واعية، من خلال كائنات فضـائية تسـافر بين النجوم The Conscious Introduction Of Life By Interstellar Space Travelers"[٢].

وأغرب فرضية ستجدها في كتاب شكلوفسكي وسيجان، ليست أن الحياة والحضارة جلبتها إلى الأرض كائنات فضـائية من حضـــارة تكنولوجية متقدمة في كوكب ما من

---

1) Intelligent Life In The Universe, P343.
2) Intelligent Life In The Universe, P413, 418.

مجموعة شمسية ما في مجرة درب اللبانة، بل أن أقمار كوكب المريخ أقمار صناعية، وأن إحدى هذه الحضـارات التكنولوجية خارج المجموعة الشـمسـية هي التي صـنعتها، وأنها ما بقي من آثارها، وجعلوا ذلك دليلاً على أن الحياة في الأرض قد تكون من آثار هذه الحضارة أو حضارة مماثلة!

يقول شكلوفسكي وسيجان، في نهاية باب عنوانه: هل أقمار المريخ أقمار صناعية:

"رغم أن فرضـية أن أقمار المريخ من أصـل اصـطناعي Are Of Artificial Origin تثير جدلاً واسـعاً، إلا أنها تحقق غرضـاً مفيداً، فهي تُذكِّرنا بأن نشـاط مجتمع متطور للغاية من كائنات ذكية قد يكون له أبعاد كونية، وقد يُنتج آثاراً Artifacts تبقى بعد زوال الحضـارات التي بنتها، وهذا الاسـتنتاج، كما سـنرى في الأبواب التالية، يمكن أن يفسر لنا مشكلة الحياة الذكية في الكون"[١].

وإليك الآن شـكلوفسـكي وسـيجان يخبرانك بالجذر العميق لهذه الهلاوس التي يهلوسونها عن أصل الحياة وكيف ظهرت على الأرض، هم وجميع من مروا بك ومن سوف يمرون من أمثالهم:

"لقد أثبتت فكرة أننا لسنا فريدين من نوعنا أنها من أكثر الأفكار إثماراً في العلوم الحديثة، فأنواع الذرات على الأرض هي نفسـها تلك الموجودة في مجرة تبعد عنا خمسـة مليارات أو عشـرة مليارات سـنة ضـوئية، وتحدث فيها التفاعلات نفسـها، وتخضـع حركاتها لقوانين الطبيعة نفسـها، ومن أهم الثورات الفكرية في عصـر النهضـة، والتي ناضـل من أجلها كوبرنيكوس وجاليليو، وفقد جوردانو برونو حياته وهو يدافع عنها، فكرة أن الأرض ليسـت سـوى كوكب واحد من بين العديد من الكواكب في نظامنا الشـمسـي وما وراءه The Idea That The Earth Was

---

1) Intelligent Life In The Universe, P376.

But One Of Many Planets In Our Solar System And Beyond"[1].

وكما ترى، الشيء الوحيد الذي صدق فيه أَيوسيف شكلوفسكي وكارل سيجان، هو أن معتقدات عصـــر النهضـــة التي صـــنعتها وبثتها أســـرة دي مديتشـــي وحركة الروزيكروشان وصنعته بها، تسري في العلوم الطبيعية في الغرب وتلوثها منذ نشأتها، وهي مصـــــدر كل ما أثمرته وما تثمره هذه العلوم وعلماؤها من أباطيل وهلاوس عبر التاريخ، فارجع إلى كتابنا: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية**، لتراجع التفاصـــيل، ولتتيقن من أن جميع الأباطيل والهلاوس التي رأيتها في القرن العشـــرين والحادي والعشـــرين، من آثار اليهود الأخفياء من أســـرة دي مديتشـــي وحركة الروزيكروشـــان، وتلويثها للعلوم الطبيعية في مهدها ومحاضـــنها الأولى بإنكار الوجود الإلهي وبالقبالاه والمعتقدات الباطنية، ولتعرف أيضـاً خفايا كَوْن كوبرنيكوس الشـمسـي وعلاقته بالقبالاه والخيمياء والحركات السرية.

ولا ينبغي أن تكون قد توهمت أن أَيوسـيف شـكلوفسـكي وكارل سـيجان انفردوا بهذه الهلاوس عن جلب الحياة للأرض بواسـطة حضـارات فضـائية أكثر تقدماً، فلا بديل لغياب الحقيقة، ومع فرضـيتهم العليا في إنكار الوجود الإلهي والخلق، سـوى ازدهار التخيلات والهلاوس، وفيلم شـكلوفسـكي وسـيجان تلقفه واعتنقه عدد من أكبر علماء الفيزياء والبيولوجيا في الغرب، وعلى رأسـهم أسـتاذ الفيزياء الحيوية في جامعة كمبردج ومكتشـف تركيب الدي إن إيه فرانسـيس كريك، وأسـتاذ الفيزياء في كمبردج فريد هويل، وأستاذ العلوم في أكسفورد ريتشارد دوكنز.

فأما فرانسـيس كريك، فقد كتب دراسـة بالاشـتراك مع أسـتاذ الكيمياء في جامعة كمبردج لسـلي أورجل Leslie Orgel، ونُشـرت في عدد شـهر مارس سـنة ١٩٧٣م،

---

1) Intelligent Life In The Universe, P357.

من مجلة إيكاروس Icarus، التي تصـــدرها كلية ترينيتي في جامعة كمبردج، وكان عنوانها: البانسبيرميا الموجهة Directed Panspermia، وفيها يقولون:

"يُقدّر عمر مجرتنا ونظامها بحوالي ١٣ X ١٠ ^٩^ ســـنة، ومن غير المرجح أن توجد كواكب في الجيل الأول من النجوم، لأنها تتكون من عناصـــر خفيفة، ولكن لابد أن بعض نجوم الجيل الثاني، الشبيهة بالشمس، قد تشكلت، ومن المحتمل جداً أن كواكب شـــبيهة بالأرض قد وُجدت قبل ٦,٥ X ١٠ ^٩^ ســـنة من تكوِّن نظامنا الشمسي، ونحن نعرف أن ما يزيد قليلاً عن ٤ X١٠ ^٩^ سنة قد انقضت بين ظهور الحياة على الأرض وتطور مجتمعنا التكنولوجي، ومن ثَم فالوقت المتاح يجعل من الممكن أن تكون مجتمعات تكنولوجية قد وُجدت في أماكن أخرى من المجرة، حتى قبل أن تتكون الأرض، لذا ينبغي لنا أن نفكر في نظرية عدوى جديدة New Infective Theory، وفرضـيتنا هي أنه تم زرع شـكل بدائي من أشـكال الحياة عمداً على الأرض من قبل مجتمع متقدم تكنولوجياً كان يوجد على كوكب آخر، وهذه الجراثيم الحية أرسلوها وحقنوا الأرض بها بواسطة مركبة فضائية خاصة غير مـأهولـة وبعيـدة المـدى By Means Of A Special Long-Range Unmanned Spaceship"[1].

وكما ترى، كل ما زاده فرانسيس كريك ولسلي أورجل، على شكلوفسكي وسيجان، هو أنهم استعاروا من أفلام هوليوود سفينة فضائية لجلب بذور الحياة إلى الأرض من الفضاء وحقنها بها.

---

1) Francis Crick And Leslie Orgel, Directed Panspermia, Icarus, Mars 1973, Vol. 19, P341–346.

وأما فريد هويل، فبعد أن عرض نظرية فرانسـيس كريك ولسـلي أورجل، في كتابه: الكون الذكي نظرة جديدة إلى الخلق والتطور، يقول:

"حقائق الفيزياء والبيولوجيا لا تتعارض مع فرضـية سـفر الكائنات الحية الدقيقة عبر الفضـاء، بل تعضـدها بقوة، فغلاف حامٍ من الكربون سُـمْكه جزء من مائة ألف جزء من البوصة، كافٍ لكي يصنع درعاً Shield حول الجراثيم الحية يجعلها محمية ذاتياً Self Protected، ويمنع تدميرها بالأشـعة فوق البنفسـجية، وبالإضـافة إلى ذلك فبعض أنواع الميكروبات لديها مناعة ضـد الأشـعة السـينية، ولذلك فافتراض وجود مركبة فضـائية تحمل الحياة إلى الأرض تعقيد ليس له داع، كما أنه لن يؤثر على تطور الحياة بعد وصولها للأرض"[١].

وما فعله فريد هويل هو عكس ما فعله كريك وأورجل، فقد ردَّ إلى هوليوود سـفينتها الفضائية التي استعاروها منها، لأنه لا لزوم لها مع درع الكربون الفضائي الذي تخيله هو.

وأما ريتشـارد دوكنز، ففي سـنة ٢٠٠٨م، أنتج معهد ديسـكفري للعلوم في الولايات المتحدة فيلماً وثائقياً عن نظرية التطور ومعارضـيها، وكان عنوانه: مسـتبعد، فرضـية الذكاء ليس مسـموحاً بها Expelled, No Intelligence Allowed، وأحد من استضـافهم الوثائقي ريتشـارد دوكنز، ودار بينه وبين المحاور بن سـتاين Ben Stein الحوار التالي:

---

1) The Intelligent Universe A New View Of Creation And Evolution, P159-160.

"بن ستاين: كيف بدأت الحياة؟

ريتشـــارد دوكنز: بدأت بأول جزئ قادر على نســـخ نفســـه ذاتياً Self Replicating Molecule.

بن ستاين: جميل، وكيف حدث هذا؟

ريتشارد دوكنز: لا نعلم.

بن ستاين: إذاً أنت ليس عندك فكرة كيف بدأت الحياة؟

ريتشارد دوكنز: لا، لا أعرف، ولا أحد يعرف كيف بدأت الحياة.

بن ســـتاين: إذاً ما رأيك في التصـــميم الذكي كإجابة لبعض القضـــايا في علم الجينات والوراثة أو في التطور؟

ريتشـــارد دوكنز: يمكن أن يحدث ذلك بالطريقة الآتية، في زمان مبكر وفي مكان ما من الكون، يمكن أن تكون حضـــارة قد تطورت إلى مســـتوى عال جداً جداً من التكنولوجيـا، بواســـطـة بعض الطرق الـداروينيـة By Darwinian Means، وصـــممت شـــكلاً من أشـــكال الحياة، ثم بذروه في كوكبنا Seeded It In This Planet"[١].

وكما ترى، علماء الفيزياء والبيولوجيا في الغرب الذين أنتجهم ما فعلته أســـرة دي مديتشـــي وحركة الروزيكروشـــان، والجراثيم التي حقنوا بها العلوم الطبيعية في مهدها، فشـلوا في تفسـير نشـأة الحياة في الأرض، وكيف ظهرت الخلية الحية الأولى، فتركوا

1) Discovery Institute: Expelled, No Intelligence Allowed, Documentary, https://www.youtube.com/watch?v=WZ9MYSa0Jiw.

المعامل وتركيب الخلية والدي إن إيه والجينات وشفرة المعلومات، وانطلقوا إلى الفضاء الخارجي، ليفسروا بداية الحياة بسيناريوهات خيالية وأفلام ينافسون بها أفلام هوليوود إمبراطورية اليهود، دون أن يقوموا بتفسيرها فعلاً، فكل ما فعلوه هو ترحيل المشكلة إلى خارج الأرض دون الإجابة على سؤال كيف نشأت الخلية الحية وظهرت الحياة، سواءًا كانت في الأرض أو في الفضاء، فإذا كانت قد ظهرت في الأرض فكيف نشأت، وإذا كانت قد جاءت من الفضاء، فأيضاً كيف نشأت؟

وبعض هؤلاء العلماء مروا بك من قبل، ورأيتهم يعارضـــــون عقيدة التطور وخروج الأنواع من بعضـــــها بالانتخاب الطبيعي، لأنها تتعارض مع بديهيات العقل ومبادئ العلم الطبيعي، مثل اللورد كلفن وفريد هويل، وربما توهمت عندها أنهم من ذوي الحكمة والعقل، فإذا بك وقد وصلت إلى نظرية البانسبيرميا وجلب الحياة إلى الأرض بسفن الفضاء والكائنات الفضائية، تكتشف أنهم مثل غيرهم من علماء الطبيعة في الغرب، من نزلاء عنبر العقلاء في السراية الصفرا، وأن ما يبدو أنه حكمة وعقل في وجه من المسألة يحجب عتَهَهم وبلاهتهم في بقية وجوهها.

وثمة سؤال لابد أنك سألته وأنت تطالع نظرياتهم عن الحياة التي جلبتها الكائنات الفضائية إلى الأرض، وهو: إذا كان هؤلاء العلماء قدَّموا هذه النظرية على أنها فرضية علمية مقبولة، وبعضـــهم نص على أنها لا تتعارض مع الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، فلماذا تكون الفرضــــية الوحيدة غير المقبولة عندهم وتتعارض مع الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، ولا يقبلون دراســـة ولا بحثاً ولا يصـــفونه بأنه علمي إذا قام عليها، هي فرضية الوجود الإلهي والخلق؟!

والإجابة سوف تعرفها بتفاصيلها، إذا رجعت إلى باب: **الحركات السرية والعلوم الطبيعية**، من الجزء الأول من هذا الكتاب، وهو كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.**

أما هنا وفي هذا الموضـــع، وبمناســـبة قبول علماء الفيزياء والبيولوجيا في الغرب لفرضـية جلب الحياة إلى الأرض من الفضـاء، وبواسـطة كائنات فضـائية، وعلى متن ســفن فضـــائية، ورفضـــهم القاطع في الوقت نفســه للوجود الإلهي والخلق في العلوم الطبيعية، ولو كفرضـــية كغيرها من الفرضـــيات، أما هنا، فما نريد ان نعرفك به، فهو أن من وجوه إعجاز البيان الإلهي إلى البشـــرية، ومن دلائل صـــدق القرآن وعلامات مصدره الإلهي، أنه يعرفك بأنواع البشر على كثرتها، ويكشف لك خفايا أذهانهم وأغوار نفوسهم، فتقرأ الآية أو الآيات، وتمر بك مرة ومرات، دون أن تتوقف عندها وتنتبه إلى ما تعنيه، حتى إذا رأيت شـخصــاً أو مجموعة أشـخاص، تجد الآية قد خرجت وحدها ووقعت عليهم وأمسكت بهم، وهي تنادي عليهم: هؤلاء هم من أعنيهم.

وعلمـاء الفيزيـاء والبيولوجيـا في الغرب، الـذين يعتنقون هلاوس التطور، ويقبلون فرضيات هوليوود عن الكائنات الفضائية، ويقولون إنها قابلة للمناقشة ولا تتعارض مع العلم الطبيعي، وينكرون في الوقت نفســـه الوجود الإلهي والخلق، وتصـــيبهم لوثة إذا جاء ذكره في دراســـــة علمية، هؤلاء العلماء هم من عرَّفك الله عز وجل بهم في بيانه إلى البشرية، وكشف لك خبيئة نفوسهم، في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ ﴾ (الزمر: ٤٥).

فالآن أنت في مســـألة أصــــل الحياة أمام اختيار من اثنين ولا ثالث لهما، إما أن تختـار أن الله عز وجـل هو الـذي خلق الحيـاة، كمـا أخبرك عز وجـل في بيـانـه إلى البشـــرية: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴾، أو تختار هلاوس التطور عن الشـــوربة التي كانت تغطي الأرض ونشأت فيها الحياة بالصدفة، وعن بذور الحياة التائهة في الكون وجلبتها الكائنات الفضـــائية إلى الأرض، وأنت حر في أن تختار ما تشـــاء، ولكن ما

ينبغي أن تعلمه وتنتبه إليه وأنت تختار، أن هذه عقيدة وتلك عقيدة، والذين اختاروا تفســير الحياة بالتطور وهلاوســه، فلأنها عقيدتهم ويوظفونها في إزاحة عقيدة الوجود الإلهي والخلق، ولا علاقة لاختيارهم بالعلم ولا بالعقل، كما يدلســون على من يقع في حبائلهم، بل على العكس اختاروها وهم يعلمون تناقضـــها مع نتائج العلوم والبحوث التجريبية الحقيقية، كما يخبرك في صـــراحة نادرة بين هؤلاء المدلســين، أســتاذ الفســيولوجيا والكيمياء الحيوية في جامعة هارفارد، جورج والد George Wald، وهو حاصل على جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا سنة ١٩٦٧م، لبحوثه عن فسيولوجيا الإبصار.

في عدد شهر أغسطس سنة ١٩٥٤م، من مجلة ساينتيفيك أمريكان Scientific American، نشر جورج والد دراسة عنوانها: أصل الحياة The Origin Of Life، وبعد أن عرض فيها النظريات المختلفة عن أصل الحياة، وقارنها برواية سفر التكوين، يقول:

"الرأي المعقول والســـائد بين العلماء، هو الاعتقاد في التولد الذاتي للحياة To Believe In Spontaneous Generation، والبديل الوحيد لذلك هو اعتقاد الخلق بواسطة قوة خارقة عليا Supernatural Creation، ولا موضع لاختيار ثالث بينهما No Third Position، ومنذ قرن من الزمان اختار العديد من العلماء الاعتقاد في التولد الذاتي، كضـــرورة فلســـفية Philosophical Necessity، لأنه لا بديل لها ســوى الاعتقاد في الخلق، ومعظم علماء البيولوجيا شـــهدوا ســقوط فرضـــية التولد الذاتي Downfall Of The Spontaneous

Generation Hypothesis، ولكنهم يرفضـون الإقرار بذلك، لأنه لا بديل سـوى قبول الخلق تفسيراً لأصل الحياة"[١].



1) George Wald: The Origin Of Life, Scientific American, August 1954, P45-52, Vol. 191, No. 2.

الإنسان





العقل والوعي

الإنسان بالعقل والوعي واللغة:

والآن جاء أوان المعضلة الكبرى الثانية في عقيدة التطور، بعد المعضلة الأولى، وهي بداية سلم التطور وما هو أصل الحياة، ومن أين جاءت، أو كيف تكونت الخلية الحية الأولى، التي يفترضون أن كل المخلوقات خرجت منها ثم تطورت بالظروف والتكيف والصدف عبر ملايين أو بلايين السنين؟

والمعضلة الكبرى الثانية هي أن اعتدال شكل الإنسان الخارجي وانتصاب قامته والمشي على رجلين، فسروه بتحور الأعضاء عبر ملايين السنين، تأثراً بعوامل الطبيعة وظروف البيئة وصراع البقاء واستخدام الأعضاء في مواجهتها، ولكن ما لا يمكن تفسيره بالتطور والتحور والعوامل البيئية هو كيف تكون العقل والوعي، أو كيف وبأي طريقة وبأي عوامل تحول السلف السابق للإنسان من حيوان لا عقل له إلى كائن عاقل مفكر، يعي نفسه وما يدور في داخله، ويعي العالم الخارجي، وله عواطف ومشاعر، ويمتلك القدرة على الموازنة والاختيار، وينتج الأفكار ويترجمها إلى أفعال، ويتصور المعاني ويعقلها ويمكنه التعبير عنها بمنظومة لغوية راقية ومتناسقة، تجعله مفارقاً في تكوينه للمخلوقات الأخرى جميعها، وينفرد بالقدرة على السيطرة على المخلوقات الأخرى وتسخيرها وتسخير الكون والطبيعة معها؟

ولأن العقل والوعي ليس مادة ولا عضواً، ولا يمكن تفسير انفراد الإنسان به من بين بقية المخلوقات بالانتخاب الطبيعي والطفرات الجينية، فقد حل تشارلز دارون وخلفاؤه على الهلاوس المعضلة بالطريقة نفسها التي حلوا بها مشكلة أصل الحياة وكيف ظهرت الخلية الحية الأولى، بتجاهلها وإسقاطها، واختزال الفرق بين الإنسان وبين بقية المخلوقات في شكله الخارجي وانتصاب قامته وشكل أطرافه ووظائفها، وبالتزوير

وابتكار حلقات وسيطة لا وجود لها بين الإنسان والسلف الذي تخيلوه له، وتقديم صور لهذه الحلقات على أنها من أدلتهم وهي تخيلات رسمها لهم رسامون محترفون، وبتقدير فترة زمنية لنشوء الإنسان من هذا السلف، وضرب عُرض الحائط بتناقض هذه الفترة الزمنية مع الزمن الذي أثبتت البحوث التجريبية أنه لابد من توافره لكي تحدث الطفرات الجينية اللازمة لتحول سلف الإنسان إلى الإنسان، وبهلاوس توهموا فيها أن بعض أعضاء الإنسان ضامرة أو مندثرة ولا وظيفة لها، لأنها من بقايا الانتخاب الطبيعي ومخلفات التطور، وبالخلط المتعمد بين العقل وبين المخ، وهذا ليس ذاك، فالمخ عضو تشريحي مادي مكانه في الجمجمة بينما العقل والوعي ينتج الأفكار ويحولها إلى أبنية وصياغات مادية ولكنه هو نفسه غير مادي ولا يمكن الإمساك به وتشريحه ومعرفة مكوناته مثل المخ، وإلى الآن لا يعرف علماء فسيولوجيا المخ والأعصاب مصدره وموقعه داخل الإنسان وكيف يتكون، وكالعادة كلما اتزنقوا وانسدت أمامهم طرق التزوير والفبركة ولم يعد ثمة مخرج، ابتكروا صدفة سعيدة لتخرجهم من الزنقة ويعبروا بها المعضلة التي تعثر حمارهم فيها، ثم يواصلون مسيرة الهلاوس.

وتشارلز دارون كان يدرك اختلاف الإنسان عن بقة المخلوقات، وأنه لا يمكن تفسير انفراده بالعقل والوعي بالتكيف في مواجهة الظروف البيئية والصراعات التي يخوضها، ثم بالانتخاب الطبيعي، **أولاً** لأن العقل والوعي ليس عضواً محدداً ولا مادة تتعرض للظروف الخارجية، **وثانياً** لأنه توجد وجوه شبه بين الإنسان والمخلوقات الأدنى منه، من جهة الشكل والقامة والأطراف والأعضاء الخارجية، ولو من بعيد، ويمكن افتراض وجود تدرج وحلقات وسيطة بين الإنسان والمخلوقات الأدنى منه، تثبت انحداره منه، والبحث عن أدلة ذلك في الحفريات، ولكن لا يمكن افتراض حلقات وسيطة بين الإنسان وأي مخلوق آخر من جهة العقل والوعي، ولا إيجاد دليل على هذه الحلقات الوسيطة، لأنه لا يوجد مخلوق يشبه الإنسان أو يقترب منه من هذا

الوجه، ولأن العقل والوعي لا وجود لهما في الحفريات، ولا يمكن إثبات تطورهما خطوة خطوة وبالارتقاء من نوع إلى نوع، من خلال البحث في طبقات الأرض.

ولذا لم يتعرض تشارلز دارون في كتابه: أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي لمسألة اختلاف الإنسان عن بقة المخلوقات، ولا لتفسير انفراده بالعقل والوعي، وكيف يمكن أن يكون قد اكتسبهما بالانتخاب الطبيعي، وأين يقع عقله ووعيه من عقيدته في تطور الأنواع من بعضها، ولكن بعد أن نُشر الكتاب، ذاع صيت الماسوني ابن الماسوني ابن الماسوني تشارلز دارون، وأصبح من نجوم المجتمع البريطاني، الذي تسيطر الماسونية على مقاليده، وثمة تحالف بين محفل إنجلترا الأعظم والأسرة المالكة في بريطانيا منذ سنة ١٨١٣م، ومن مقتضياته أن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، بشرط ألا يجمع بين عرش الماسونية وعرش بريطانيا في وقت واحد.

فإليك جريدة فريماسون كرونيكل، أو أخبار الماسون The Freemason's Chronicle، وهي صحيفة الماسون في بريطانيا، وكانت تصدر تحت إشراف محفل إنجلترا الأعظم، تعرِّفك بموقع الماسونية من بريطانيا ونفوذها السياسي وتغلغلها في عقول نخبها وأنسجة مجتمعها خلال القرن التاسع عشر.

في عددها الصادر في يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨٩م، تقول جريدة أخبار الماسون في مقالة عنوانها: الماسونية في الوقت الحاضر Freemasonry At Present:

"لم يحدث في أي زمن عبر التاريخ أن حازت الماسونية قوة ومكانة وقدرة على التأثير مثل التي نالتها في الوقت الحاضر، وهي الآن أعظم جمعية في الأرض تصنع الحضارة، وتمثل المبادئ العظمى التي أنتجتها أرقى عقول البشر، ومعاييرها Its Standard تنتشر في كل مكان تحت الشمس، وأعضاؤها يتزايدون، وتأثيرها يتعاظم، وتوقرها الدولة والكنيسة، ولم تعد محصورة بين جدران المحافل، والماسون

خارج الأخوية أكثر من الذين هم في داخلها، وقوة الماســـونية الحقيقية في ازدياد عدد هؤلاء الذين يعتنقون أفكارها ويعملون بمبادئها وينشرون أراءها دون أن يكونوا من أعضـــائها، وعبر العمل الهادئ والمتواصـــل فإن الماســـونية يمكنها أن تحقق غايتها الكبرى، ألا وهي صناعة النسيج العظيم Great Fabric للمجتمع الإنساني كله بمبادئها وأفكارها"(١).

ومع ذيوع صيت تشارلز دارون وكتابه: أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، ألف كتابه: نشــوء الإنســان والانتخاب الجنســي The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex، الذي نشر سنة ١٨٧١م، ولأنه يعلم أن الإنسان يختلف عن بقية الأنواع والمخلوقات التي فسر وجودها وتنوعها بأنها خرجت من أصل واحد وخرج بعضها من بعض، وأن عقل الإنسان ووعيه لا يمكن تفسيرهما بالانتخاب الطبيعي، لأنه لا توجد مخلوقات تمتلك درجة من العقل والوعي يمكن معها افتراض أن عقل الإنســـــان جاء بالارتقاء والتطور منها، لأنه يعلم ذلك، والتطور والانتخاب الطبيعي عقيدته التي ورثها عن جده الماسوني إرازموس دارون، ويسعى إلى بثها بكل ما يمكنه من وســـائل، فقد لجأ في كتابه: نشــوء الإنســـان والانتخاب الجنســـي إلى استراتيجيتين، لإدخال الإنسان في سلم التطور من الكائنات الأدنى، وأقام عليهما كتابه كله، **فالأولى**، هي اختزال الإنســان في شــكله العام وقامته وشــكل أطرافه وأعضـــائه، والســـعي إلى إيجاد وجود شــبه بينها وبين نظائرها في المخلوقات الأدنى، لإثبات أنها أصـــلها وتطورت منها، و**الاســـتراتيجية الثانية**، هي التهوين من شـــأن العقل وقدرات الإنسان الذهنية وتحويل الفرق بين عقل الإنسان وبقية المخلوقات إلى فرق في الدرجة أو الكمية، وليس في الأصـــل، أي أن المخلوقات الأدنى من الإنســـان تمتلك قدرات

---

2) The Freemason's Chronicle: Freemasonry At Present, Oct. 26, 1889: Page 1, W.W. Morgan, Pentonville, London.

عقلية مثله، ولها قيم ومشـــاعر ونظم اجتماعية وتتذوق الجمال وتحب وتكره، ولكنها أقل في الدرجة.

وفي بداية الثاني من كتابه: نشـوء الإنسـان والانتخاب الجنسـي، وعنوانه: مقارنة القدرات العقليـة للإنســان والحيوانـات الـدنيا Comparison Of The Mental Powers Of Man And The Lower Animals، يقول تشارلز دارون:

"لقد رأينا في الباب السـابق أن الإنسـان يحمل في تركيب جسـده آثاراً واضـحة لانحداره من شـكل أدنى Clear Traces Of His Descent From Some Lower Form، ولكن ربما يقال إن الإنســـان يختلف اختلافاً كبيراً في قدراته العقلية عن جميع الحيوانات الأخرى، ولذا فلابد من وجود خطأ ما في هذا الاستنتاج ... ولكن من الواضـــح أنه لا يوجد فرق جوهري من هذا القبيل، ويجب أن نعترف أيضـــاً بوجود فجوة أكبر بكثير في القدرات العقلية بين أحد أدنى الأســماك، مثل اللامبري أو الرميح Lamprey Or Lancelet، وبين أحد القردة العليا، مقارنةً بالفجوة التي بين القرد والإنسان، ومع ذلك، فإن هذه الفجوة الهائلة تمتلئ بتدرجات لا حصـر لها، وهدفي في هذا الباب إظهار أنه لا يوجد فرق جوهري بين الإنسـان والثدييات العليا في القدرات العقلية"[1].

وهكذا جعل تشارلز دارون الفرق في القدرات العقلية بين الإنسان والقرد، مثل الفرق الذي بين القرد والسـمكة، وكان هذا دليله على أن الإنسـان أصـله قرد، والقرد أصـله سمكة!

---

1) Charles Darwin: The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P34-35, John Murray, London, 1871.

وإليك الأمثلة التي استدل بها تشارلز دارون في الباب، على أن المخلوقات الأدنى من الإنسان تمتلك عقلاً وقدرات عقلية مثله، وتختلف فقط في الدرجة:

"الإنســـان يمتلك نفس الحواس التي تمتلكها الحيوانات الدنيا، ومن ثم فلابد أن تكون بديهياته الأساسـية His Fundamental Intuitions مثل بديهياتها ... والقردة العليا Apes تتجنب العديد من الفواكه السامة في المناطق الاستوائية، بينما يفتقر الإنســان إلى هذه المعرفة، ولذا لا يمكننا أن نجزم أن هذه القردة لا تتعلم من تجاربها ... وهناك أشــياء تقوم بها الحيوانات الأدنى ولا يمكن للإنســان أن يفعلها من أول مرة، ويحتاج أن يتعلمها بالتدريب، مثل صناعة فأس أو زورق، أما القندس Beaver فإنه يستطيع أن يبني سدَّه أو قناته، والطائر يستطيع أن يبني عشه، بنفس المهارة والجودة من المحاولة الأولى، كما لو كان خبيراً، والحيوانات الدنيا، مثل الإنسان، تشعر بالسعادة والتعاسة والألم، والسعادة تتجلى في أبهى صورها عند صغار الحيوانات، كالجِراء والقطط الصغيرة والحملان وغيرها، حين يلعبون معاً، بالضبط مثل أطفالنا، وحتى الحشرات تلعب معاً ... والحيوانات الدنيا لها أحاسيس وتتعرض للإثـارة مثلنـا، وفي إفريقيـا القرود اليتيمـة Orphan Monkeys يتم احتضـــانها ورعايتها من القرود الأخرى، ذكوراً وإناثاً، والحيوانات لها ذاكرة ممتازة للأشخاص والأماكن مثلنا، مثل الفيلة والكلاب، وحتى النمل، كما اكتشف ب. هوبر P. Huber، يتعرف على النمل الذي ينتمي إلى نفس مجموعته بعد انفصـــال دام أربعة أشــهر ... والشــعور بالتفاني الديني Religions Devotion شــعور بالغ التعقيد، يتألف من الحب والخضـــوع التامّ لخالق عظيم غامض، وشـــعور قوي بالاعتماد عليه، والخوف، والتبجيل، والامتنان، والأمل في المستقبل، وربما عناصر أخرى، ولا يمكن لأيّ كائن أن يختبر مثل هذا الشـــعور المعقد إلا بعد أن يتقدم في قدراته الفكرية والأخلاقية إلى مســـتوى عالٍ، ومع ذلك، نرى شـــيئاً قريباً من هذه

الحالة الذهنية في الحب العميق الذي يكنِّه الكلب لصاحبه، والمرتبط بالخضوع التام، وبعض الخوف، وربما مشاعر أخرى"[١].

ومن سـفاهة البشـر أن ينسـبوا هذا الكلام وهذه الطريقة في الاسـتدلال للعلم، ويتعاركوا هل هو صحيح أم خطأ.

فإذا تأملت جميع الأمثلة التي ضربها تشارلز دارون من عالم الحيوان، ستجد أنها تدخل في باب التدليس وليس الأدلة والشواهد، وأنه يفترض أنه يلقيها إلى أناس مستوى ذكائهم في مستوى ذكاء الحيوانات التي يستدل بها، والذين تمر في رؤوسهم ويقبلونها هم فعلاً كذلك.

فأولاً: لست بحاجة إلى كبير ذكاء ولا أن تكون خبيراً في البيولوجيا، لكي تدرك أن جميع الأمثلة التي ضـربها لا علاقة لها بالوعي والعقل وعالم الأفكار الذي يتسـم به الإنسان، بل تنتمي إلى دائرة المهارات الغريزية والأفعال الشرطية الثابتة التي يستجيب بها الحيوان لبيئته ولا تتغير ولا تتحسـن عبر أجيال الحيوان المختلفة ومهما طال الزمن، فالقردة في إفريقيا تتجنب الفواكه السامة لأن لها عيوناً رأت بها مباشرة أن من يأكلها يموت، وليس لأن لها عقولاً تحلل وتربط بين السـبب والنتيجة، والقردة تجنبت الفواكه السامة ولكن لا يمكنها أن تضع خطة تقطف بها هذه الفواكه السامة وتضعها لأعدائها أو منافسـيها لكي تتخلص منهم، كما يفعل أشـد بني آدم بدائية وأقلهم علماً ووعياً، ولا يوجد عندها الوعي والقدرات العقلية التي تجعلها تتسـاءل ما هو بالضـبط الشيء الذي يجلب الموت في هذه الفواكه، ثم تسعى لمعرفته واستخلاصه وصناعة ترياق منه، كما فعل الإنسان.

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P36-68.

والقندس يبني قناته وســـده، والطائر يبني عشـــه، بغريزته وكما رأى أفراد نوعه يفعلون، ولكن دون أن يفكر كيف ســيبنيه، ويظل يبنيه بنفس الطريقة والمكونات عبر جميع أجيالـه طوال الزمـان، دون تعديل ولا تغيير، ولا يمكن أن توجد عنده فكرة أن يطور البناء أو يبتكر هندســـة أخرى له أو أن يحســـن جودة المواد التي يقيمه منها، فالعش الذي يبنيه أي طائر اليوم هو نفســه الذي كان يبنيه أجداده منذ آلاف الســنين، بينما الإنسان يقيم الأبنية بالأفكار وليس بالغريزة، فيتصور البناء أولاً في وعيه وعقله، ثم يضـــع مخططاً ويترجم الأفكار التي في عقله ووعيه إلى البناء المادي في المرحلة التاليـة، وفي الجيل أو الأجيال التاليـة، أو في نفس الجيل إذا أراد البنـاء مرة أخرى، تتخلق في عقله ووعيه أفكار لتطوير البناء وتحســينه، فيترجمها بأن يختار أو يصـــنع له مواداً أفضل، ويغير في شكله وفي هندسته، ويضـيف إليه أدواراً أو طوابق، والزمن الذي بقي فيه العش الذي يبنيه الطائر بغريزته كما هو، ولم يتغير فيه شـــيء، كان الإنســـان قد انتقل بما ينتجه عقلـه من الأفكار من الكهوف والأكواخ إلى نـاطحات السحاب.

وثانياً: ومن التدليس في أمثلة تشـــارلز دارون، أنه ســـاوى بين أفعال الحيوانات الغريزية الظاهرة التي ليس لها امتداد ولا عمق في داخله، وبين أفعال الإنسـان الناتجة عن وعيـه وعـالمـه الـداخلي، وهو الفرق الحقيقي والجوهري بين الإنســـان وجميع المخلوقات الأخرى، فالحيوانـات عـالمها في خـارجها ولا تدرك مـا في داخلهـا، بينمـا الإنســـان عالمه في الداخل، وأفعاله الظاهرة ترجمة لما في داخله، كما أخبرك الله عز وجل في بيانه إلى البشرية في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ (الرعد: ١١).

وصـــغار الحيوانات تلعب إذا وجدت معاً بغريزتها، ولكن سـعادتها تتوقف عند هذه الصـورة البسيطة، وقبل أن تلتقي وتوجد معاً لا تتصـور اللعب، ولا تسـتعد لـه، ولا تتفق

على موعد ولقاء يجتمعون فيه للعب، ولا تبتكر في وســـائل لعبها، ولا تتذكر اللعب وتستمع به في غير أوقات اللعب، بينما أطفال الإنسان يتفقون على اللعب ويتواعدون عليه ويتصـــورونه ويتأهبون له قبل أن يجتمعوا ويوجدوا في مكان اللعب، وبعد أن يلعبوا مرة أو مرات يبتكرون بأفكارهم ألعاباً لم يكن لها وجود من قبل، ويصـــنعون من البيئة التي حولهم، مهما كان مســتوى بدائيتها، أدوات يلعبون بها وتزيد من مســتوى ســعادتهم، وأهم من ذلك كله أنهم يسـتمتعون باللعب دون أن يلعبوا فعلاً بتصــوره في داخلهم والاستعداد له قبل أن يلعبوا، وبتذكره واستعادة تفاصيله في داخلهم والعيش فيها بعد انتهائه بأيام وشهور، وأحياناً بسنوات، بل وبعد ان يغادروا الطفولة والشباب.

وثالثاً: ومن التدليس في الأمثلة التي ضـــربها تشـــارلز دارون، أنه ســـاوى بين أحاسـيس الحيوانات البسـيطة، او في الحقيقية بين سـلوكها الغريزي، وبين مشــاعر الإنسان المتعددة والعميقة والمركبة، فالقردة ترعى القردة الصغيرة اليتيمة، وكذلك تفعل الفيلة، للحفاظ على صـــغارها ونوعها من المخاطر والأعداء الذين تعرفهم بغريزتها، ودون أن يوجد دوافع ولا امتداد لهذه الرعاية في داخلها، بينما رعاية الإنســـان لليتامى تلتقي فيها مشـــاعر ودوافع عديدة ومركبة وكلها نابعة من داخله، وليس لمجرد نجاة اليتيم وإبقائه، فرعاية اليتيم عند الإنسان مزيج من عدة عناصر أو منها كلها في وقت واحد، فهو يرعى اليتيم لعطفه عليه والرغبة في حفظه، ولإحساسه هو نفسه بالإشباع والسمو والرضا عن نفسه، ولأنه يتصور أن ذلك قد يحدث لأطفاله ويرغب في أن يكون ما يفعله ضـــماناً لهم أن يجدوا من يرعاهم كما رعى هو اليتيم، ولتطلعه إلى الأجر والثواب من الله، ولرغبته في الصيت وأن يشتهر في مجتمعه بأنه من المحسنين ومن يفعلون الخير، وجميع هذه الدوافع لرعاية اليتيم تقع في وعي الإنســـان وعالمه الداخلي، وربما لا يدرك أحد ســـواه أيها دافعه الحقيقي، وقد يتوهم من حوله أن دافعه في اتجاه بينما دافعه الحقيقي في الاتجاه النقيض له، ولا وجود لهذه الدوافع جميعاً

ومطلقاً في ســـــلوك الحيوانات الغريزي اللاإرادي الذي ترعى به اليتيم فقط من أجل الحفاظ عليه وإبقاء نوعها.

ورابعاً: وأما ذروة التدليس في الأمثلة التي ضـربها الماسـوني تشـارلز دارون، وهي من آثار الماسـونية فيه وفي بريطانيا كلها، فهو أنه شـبه تعلق الكلب بصـاحبه ووفاءه له بدِين الإنســـان وتعبده لخالقه، فالكلب يتعلق بصـــاحبه لأنه يراه أمام عينيه، ويحبه لأنه يعد له الطعام ويقدمه له بيديه، ويخاف منه لأنه يضــربه، فجميع صــور علاقته بصــاحبه ردود فعل غريزية ترتبط بأفعال صــاحبه المادية تجاهه، والتي يراها وتصـيبه آثارها مباشرة، أما الإنسان فيعبد خالقه رغم أنه لا يراه، ويعرف وجوده بفطرته التي في داخله، ويدرك وجوده وآثاره وأنه خلقه بعقله وليس بحواسه، ويعبده سواءًا أصابه الخير أو الضــر، ويفعل ما يعلم أنه يرضــيه لكي ينال ثوابه ونعيمه الذي يراه وينتظره بعقله ووعيه وعالمه الداخلي وليس بعيونه وحواسه.

وتشــبيه تشــارلز دارون لتعلق الكلب بصـــاحبه الذي يراه ويربِت عليه ويضــربه، بالديانة وعبادة الإنسـان لخالقه الذي يعرفه بداخله ويرى آثاره ولا يراه، يضـع يدك على التفســير العميق لإلحاده هو وأمثاله، فهم ما زالوا في طور الكلاب ولم يرتقوا إلى طور الإنسان، والوجود عندهم مثل الكلاب ينحصر في الوجود المادي ويرتبط بما يقع تحت طائلة الحواس.

وخامســاً: في جميع الأمثلة التي ذكرها تشـــارلز دارون، واســـتدل بها على وجود الذكاء والأحاسيس عند الحيوان، لكي يُهوِّن من شأن العقل والوعي في الإنسان، ولكي يمكنه أن يدق في رؤوس البهائم التي يوجه لها كلامه أن الإنســان تطور من الحيوان، في جميع هذه الأمثلة أسقط الإرادة وقدرة الإنسان على الاختيار التي ينفرد بها من بين جميع المخلوقات.

فالقندس يبني سـده والطائر يبني عشـه بغريزته دون اختيار، ولا يمكنه أن يتوقف ويقول لن أبني في هذا الوقت أو لن أبني مطلقاً، بينما الإنســان يختار البناء ويمكنه أن يؤجله أو ألا يفعل مطلقاً.

والقردة فعلها في اتجاه واحد، وهو أن ترعى اليتامى بالغريزة، ولا محل لأن تفعل غير ذلك، بينما الإنسـان قد توجد عنده جميع الدوافع والمشـاعر التي عرفتها وتدعوه لرعاية اليتيم ثم يقفز إلى ذهنه دافع واحد فيطيح بهذه الدوافع كلها ويجعله يقرر عدم رعاية هذا اليتيم، مثل بخله وخوفه على ماله.

والكلب يتعلق بصـاحبه الذي يطعمه ويحنو عليه، ولأنها غريزة فلا يمكنه أن يفعل غير ذلك، أما الإنسـان فقد يرى ويدرك بعقله جميع الدلائل على وجود الإله وأنه الذي خلقه وخلق الكون والمخلوقات جميعها ثم يختار أن يبقى في رتبة الكلاب وأنه لن يعترف بوجود الإله إلا إذا رآه بعينيه كما يرى الكلب صاحبه.

وحتى مثال الفاكهة المسـمومة، فالقردة حين ترى من يأكل منها يموت سـوف تتجنبها جميعاً بغريزتها وتبتعد عنها وتتوقف علاقتها بها، ولن يشذ عن ذلك قرد واحد، أما الإنسـان فقد يختار أن يذهب إليها ويأكلها عامداً ليتخلص من حياته، أو أن يأخذ منها ويقدمها إلى الكلب الذي يؤلف النظريات في إنكار صاحبه.

وسادساً: إليك دراسة تعرف منها الفرق في القدرات العقلية والمعرفية بين الإنسان وأعلى مرتبة في مملكة الحيوان، لتدرك الفجوة الشـاسـعة بين نتائج البحوث التجريبية والعلم الحقيقي وبين التدليس وهلاوس تشـارلز دارون، ورغم ذلك ما زال خلفاؤه يعتنقونها وينشـرونها ويكررون أدلته عليها، لأنها كما علمتَ عقيدتهم، ولا علاقة لاعتناقهم لها بعلوم ولا بحوث.

في عدد شـــهر يونيو ســـنة ٢٠١٣م، من مجلة جمعية علم النفس البيولوجي Developmental Psychobiology، نُشرت نتائج دراسة تجريبية موسعة لأربعة باحثين، هم فيكتوريا وُبر Victoria Wobber، من قســم علم النفس في جامعة هارفارد الأمريكية، وريتشــارد رانجهام Richard Wrangham، من قســم البيولوجيا التطورية في جامعة هارفارد، وإستر هرمان Esther Herrmann، ومايكل توماسيللو Michael Tomasello، وهما من قسم علم النفس التطوري المقارن في معهد ماكس بلانك للأنثروبولوجيا والتطور في جامعة لايبزج الألمانية، وبريان هير Brian Hare، من مركز علوم الأعصـــاب والإدراك Center for Cognitive Neuroscience، في جامعة ديوك البريطانية Duke.

وكان عنوان الدراسة: الاختلافات في التطور المعرفي المبكر للأطفال والقردة العليا Differences In The Early Cognitive Development Of Children And Great Apes، وفيها قاموا بعمل اختبارات متعددة ومتكررة لمقارنة تطور الإدراك والقدرات المعرفية بين مجموعتين، الأولى تتكون من ٤٨ طفلاً بين سنة الثانية والرابعة، والثانية من ٤٢ من صــغار الشــمبانزي والبونوبو أو الشــمبانزي الصــغير Bonobo، في نفس العمر، ولمدة ثلاث ســنوات تابعوا تطور المجموعتين في عدد كبير من القدرات المعرفية، في ثلاثة اتجاهات، هي: ١-الإدراك الاجتماعي، ٢-الإدراك الفيزيائي للأشــياء والأماكن والســببية والأعداد والكميات والأدوات وكيفية اســتخدامها، ٣-الانتباه والدوافع Attention And Motivation والقدرة على حل المشكلات والتعامل مع الأشياء الجديدة Unsolvable Task، وكانت هذه هي نتيجة الدراسة:

"في مهارات الإدراك الفيزيائي Physical Cognition، التي تتعلق بالمكان والســببية والكميات، كان أداء الأطفال والقردة العليا متقارباً في عمر ســنتين، ولكن بحلول عمر أربع سنوات، كان أداء الأطفال أكثر تقدماً، بينما بقيت القردة العليا عند

مســـتويات أدائها في عمر ســـنتين، وفي مهارات الإدراك الاجتماعي Social Cognition، التي ترتبط بالتواصل والتعلم الاجتماعي ونظرية العقل، تفوَّق الأطفال على القردة العليا منذ ســن الثانية، وازداد هذا الفارق بحلول ســن الرابعة، واختلفت أنماط النمو بشـــكل أكبر بين الأطفال والقردة العليا في المجال الاجتماعي مقارنةً بالمجال البدني، وتشـــير هذه النتائج إلى اختلافات جوهرية في نمط النمو المعرفي وسرعته بين البشر والقردة العليا الأخرى، لا سيما في الظهور المبكر لقدرات معرفية اجتماعية محددة لدى البشر"(١).

والشــمبانزي والبونوبو عند تشــارلز دارون وخلفائه على الهلاوس، هي الفرع الثاني من السـلف الذي افترقوا عنده عن الإنسـان، وأقرب الحيوانات إلى الإنسـان، وكما ترى من نتائج التجربة، أقصـــى ما يمكن أن تصـــل إليه قدرات هذه المخلوقات العقلية والمعرفية والاجتماعية هو ما يعادل قدرات طفل من البشر عمره سنتان.

المخ والعقل:

وإليك الآن تفســير تشـــارلز دارون وخلفائه، لعقل الإنســـان ووعيه، ومن أين جاء وكيف اختلف فيه عن بقية المخلوقات.

فأما تشــارلز دارون، فقد فسـر عقل الإنســان وقدرته على التفكير، بالزيادة التلقائية في حجم المخ، والتي حدثت بسـبب انتصــاب قامته ومشــيه على قدمين، والتغير في شـــكل يديه مع اســـتخدامه للحجارة وصـــناعته لأدوات بدائية منها، واكتشـــافه للنار بالصدفة وهو يتعامل مع الحجارة.

---

1) Victoria Wobber, Esther Herrmann, Brian Hare, Richard Wrangham, Michael Tomasello: Differences In The Early Cognitive Development Of Children And Great Apes, Developmental Psychobiology, 14 June 2013, Vo. 56, No. 3, P547-571,

يقول تشارلز دارون في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي:

"قدرات الإنسان العقلية ترتبط بانتصاب قامته وقدرته أن يمشي على قدمين To Become A Biped، وقدرته على اســتخدام يديه بحرية، وما كان للإنســان أن يصــل إلى مكانته المهيمنة الحالية في العالم لولا اســتخدامه ليديه اللتين تتمتعان بقدرة رائعة على العمل وفقاً لإرادته ... ولا أظن أن أحداً يشــك في أن حجم المخ الكبير عند الإنســان، بالنســبة إلى جســمه، مقارنةً بحجم مخ الغوريلا أو الأورانج أوتان، يرتبط ارتباطًا وثيقاً بقدراته العقلية العليا Closely Connected With His Higher Mental Power ... والاعتقاد بوجود علاقة وثيقة بين حجم المخ وتطور القدرات العقلية عند الإنســـان مدعوم بمقارنة جماجم الأجناس البدائية والمتحضرة، والشعوب القديمة والحديثة ... والزيادة التدريجية في وزن مخ الإنسان وجمجمته لابد أنها أثرت على تطور العمود الفقري الحامل لهما، خصوصاً وأن ذلك حدث والإنســـان يتجه نحو انتصـــاب قامته، وما صـــاحبه من تغيرات في تركيب جسمه"(١).

ومعنى كلام تشارلز دارون، أن الإنسان صار له عقل واكتسب وعيه وقدرته على التفكير، بسبب زيادة حجم المخ، وحجم المخ زاد مع انتصاب قامته وسيره على قدمين وتحرير يديه وقدرته على استخدامهما في الإمساك بالأشياء والتعامل معها، وهو ما أدى إلى ظهور أفكاره الأولى وهو يتعامل مع الحجارة وقدرته على صـــناعة الأدوات البدائية منها، وهذه القدرات العقلية صـــفة كغيرها من الصـــفات، وزادت مع الزمن بالتراكم والانتخاب الطبيعي، مثلما حدث في جميع الصـــفات وجميع الحيوانات، كما

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P141, 144-146.

يقول في فقرة عنوانها: الانتخاب الطبيعي، من كتابه: نشـــوء الإنســـان والانتخاب الجنسي:

"الانتخاب الطبيعي: لقد رأينا أن الإنســـان متغير في الجســـد والعقل، وأن هذه الاختلافات ناتجة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، عن نفس الأسباب العامة، وتخضع لنفس القوانين العامة، كما في الحيوانات الدنيا As With The Lower Animals"[1].

فأولاً: تشارلز دارون بنى عقيدته في التطور والانتخاب الطبيعي، على أن غرضها ومحركها الرئيســي صــراع الكائن الحي من أجل البقاء في مواجهة الظروف الطبيعية والصراعات التي يخوضها ضد المخلوقات الأخرى، وانتصاب قامة الإنسان ومشيه على قدمين أفضـــل من الناحية الجمالية والمعنوية، ولكنه ليس الأفضـــل في صـــراع البقاء، فالإنسان ليس له مخالب ولا أنياب، واستراتيجيته في البقاء هي أن يبتعد بسرعة عن المفترسات التي لا يمكنه مواجهتها، وانحناء عمود القرد الفقري وطول ذراعيه عن رجليه مع قوة عضلات كتفيه وذراعيه وتشريح كفيه، يمكنه من الجري بسرعة والتعلق بالأشجار والقفز بينها، بينما انتصاب قامة الإنسان ومشيه على قدمين وتحرير يديه لا يمنحه هذه السرعة والمهارات، بل يقللها، فلا يمكنه مجاراة القرد في سرعة تنقلاته على الأرض ولا قفزاته على الأشجار وبينها، وسرعة أي شمبانزي على الأرض تصل إلى ٤٠ كم في الساعة، وسرعة قرد السعدان ٨٠ كم في الساعة، بينما أقصى سرعة للإنسان العادي الصحيح اللائق بدنياً في الجري ١٠ كم في الساعة، وأقصى سرعة وصل إليها الإنسان الرياضي المحترف هي ٤٤ كم في الساعة ولمسافة ١٠٠ متر فقط، وهو الرقم القياسي في سباقات ١٠٠ متر عدْو، الذي سجله العداء الجامايكي

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P135.

يوســين ليو بولت Usain Leo Bolt في بطولة العالم لألعاب القوى في برلين ســنة ٢٠٠٩م.

فلو كان تطور الصــفات وانتخابها الطبيعي يرتبط بصـــراع البقاء، لكان الأَوْلى أن يتحول هيكل الإنســـان وأطرافه التي تقلل ســـرعته وتقيده بالأرض إلى ما يقابلها في القردة، وليس العكس.

وثانياً: ما قاله تشارلز دارون في تفسير انفراد الإنسان بالعقل والوعي والقدرة على التفكير، يعيدك مرة أخرى إلى تفســيره لأصــل الحياة والخلية الحية الأولى، فقد تعامل مع عقل الإنســان على أنه هو نفســه المخ، وتعامل مع المخ على أنه كتلة مصــمتة، والتكيف والتغير فيه يحدث كاســـتجابة مباشـــرة للظروف البيئية والصـــراعات التي يخوضــها الكائن الحي، ولم يكن على علم بالجينات وبرنامج المعلومات المشـفر فيها، وأنه لا يحدث تغير في أي عضـــو أو طرف خارجي، فضـــلاً عن المخ، إلا إذا تغير البرنامج وشفرة المعلومات في الجينات وداخل نواة الخلايا.

والعقل ليس هو نفســه المخ، فالمخ وما فيه من خلايا ووصــلات عصــبية عضــو تشـريحي مادي له مكان محدد في الجسـم هو الجمجمة، ويمكن الإمساك به وفحصـه وتصــويره بالأشـعة وتشـريحه ومعرفة تركيبه، ويخضــع لقوانين الفيزياء والكيمياء، أما العقل والوعي فهو ملكة غير مادية، فلا يمكن الإمســاك به ولا تصــويره ولا تشــريحه ومعرفة تركيبه، ولا ســلطان لقوانين الفيزياء والكيمياء عليه، والقول بأن المخ هو مكان العقل والوعي فرضــية لا دليل عليها، فالمخ عضـــو وظيفته التنفيذ وليس محل العقل والوعي والإرادة، التي لا يعرف أحد موضــعها من الإنســان وكيف يحوزها، وحتى من يفترضـون أن المخ هو محل العقل والوعي، يضـعون فارقاً بينهما، فالمخ جسم وجهاز مادي يتكون من خلايا ووصلات عصبية، والعقل مع افتراض أنه في المخ فهو سوفت وير غير مرئي وغير مادي.

فإليك الطبيب وأحد رواد علم فسيولوجيا الأعصاب وأستاذه في جامعة أستراليا الوطنية، جون إيكلْز John Eccles، وهو حاصل على جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا سنة ١٩٦٣م، لبحوثه عن الخلايا والوصلات العصبية في المخ، يخبرك بالفرق بين العقل والمخ والعلاقة بينهما.

يقول جون إيكِلْز في كتابه: روعة كوننا بشر، عقلنا ومُخنا The Wonder Of Being Human Our Brain And Our Mind:

"يجب أن يكون هناك تبادل نشط للمعلومات عبر الحدود بين المخ المادي، مخ الاتصال The Liaison Brain، والعقل غير المادي، والعقل ليس في عالم المادة والطاقة Not In The Matter-Energy World، لذا لا يمكن أن يكون هناك تبادل للطاقة في هذه العملية، بل مجرد تدفق للمعلومات، ومع ذلك يجب أن يكون العقل قادراً على تغيير نمط عمليات الطاقة في مكونات المخ، وإلا سيظل عاجزاً إلى الأبد ... ولا ينبغي الخلط بين نظرية السببية الفلسفية وقوانين السببية العادية في العلوم الفيزيائية، فالسببية الفيزيائية تقتصر على كيفية توزيع القوة والمادة في الزمان والمكان، وفي العقل نحن أمام كيان مختلف جذرياً، كيان ذهني، يُفترض أنه غير مادي وغير فيزيائي، وإذا وُجد أصلاً، فإنه بحكم التعريف لا يمكن أن يتكون من عناصر مادية أو يُختزل إليها، والقول بأنه ينبثق من هذه العناصر هو رطانة وثرثرة لا محل لها To Say That It Arises From These Is, Alas, Gibberish"[1].

وما تفهمه من كلام جون إيكلْز، هو ما أخبرناك به، فالمخ عضو مادي له مكان محدد ويستهلك طاقة، والعقل وظيفة غير مادية ولا يخضع للقوانين الفيزيائية، والعقل

---

1) John Eccles: The Wonder Of Being Human Our Brain And Our Mind, P40, 55, Free Press, New York, Collier Macmillan, London, 1984.

هو الذي يُشـغِّل المخ ويغير في نمط اسـتهلاكه للطاقة وليس العكس، ومن يقولون إن العقل مادي وله مكان محدد في المخ هم، كما يقول جون إيكِلْز، يرطنون ويثرثرون، وما يقولونه لا دليل عليه ولا علاقة له بالعلم.

فإليك نموذجاً على هؤلاء الثرثارين ورطانتهم.

في كتابه: وهم الإله The God Delusion، يقول أشـــهر خلفاء تشـــارلز دارون على الهلاوس، ريتشـــارد دوكنز، عن عقيدته في الدمج بين المادة والوعي والأفكار في مقابل من يقولون بالتفرقة بينهما:

"الذي يعتنق المذهب الثنائي Dualist يعتقد في وجود فرق جوهري بين المادة والعقل، وعلى عكس ذلك الذي يعتنق المذهب الأحادي Monist يعتقد أن العقل مظهر من مظاهر المادة، فهو مادة في المخ Material In A Brain، وربما مثـل جهـاز كمبيوتر، ولا يمكن أن يوجـد بمعزل عن المـادة Cannot Exist Apart From Matter"[1].

فإليك ما تعرف منه تفســـير توحيد ريتشـــارد دوكنز بين المخ المادي والعقل غير المادي، يقول في كتابه: نهر خارج من عدن، الرؤية الداروينية للحياة In River Out Of Eden, A Darwinian View of Life:

"في كونٍ تحكمه قوى فيزيائية عمياء وتكاثر جيني، بعض الناس ســـيصـــابون بالأذى، وآخرون ســـيحالفهم الحظ، دون أن تجد منطقاً أو ســـبباً، ولا عدلاً، الكون الذي نراه يمتلك الخصـــائص التي نتوقعها من كون لا يوجد في جوهره تصـــميم ولا غاية ولا شر ولا خير، لا شـيء سوى لا مبالاة عمياء لا ترحم No Design, No

---

1) Richard Dawkins: The God Delusion, P209, Black Swan, London, 2007.

Purpose, No Evil And No Good, Nothing But Blind, Pitiless Indifference، وكما قال الشـــاعر التعيس هاوســـمان Housman: "الطبيعة القاســية عديمة القلب، لن تهتم ولن تعرف"، وكذلك الدي إن إيه لا يهتم ولا يعرف، فالدي إن إيه موجود فقط، ونحن نرقص على أنغامه"[١].

فهل فهمت الآن؟ ريتشـــارد دوكنز يدمج بين المخ والعقل، لأن الرؤية الداروينية للحياة التي يعتنقها تختزل الوجود كله في المستوى المادي، ولذا فهي تنكر كل ما هو غير مادي، فلا إله فيها ولا معاني ولا قيم ولا خير ولا شـــر ولا عقل، وجميعها نتاج المادة وتركيبها وتفاعلاتها المحض، والتسـليم بوجود أي شـيء غير مادي مثل العقل يخرق هذه الرؤية ويهدمها.

ونعود بك إلى كتاب رائد علم فسيولوجيا الأعصاب وأستاذه، جون إيكلْز، الذي نُشر سنة ١٩٨٤م، فإليك دراسة بعده بثلاثين عاماً، تخبرك أن الموقف ما زال كما هو، ولا أحد يعرف على وجه التحديد موضـــع العقل، ومن يفترضـــون أن العقل هو المخ من طراز ريتشارد دوكنز ما زالوا يثرثرون.

في دراســة نُشــرت في عدد شــهر مايو ســنة ٢٠١٣م، من مجلة فلســفة العلم Philosophia Scientiæ، التي تصدرها جامعة لورين Lorraine في فرنسا، وكان عنوانها: حول العلاقة بين العقل والمخ من منظور علم الأعصـــاب On The Relation Between The Mind And The Brain A Neuroscience Perspective، يقول أستاذ علم الأعصاب في جامعة وُروِك Warwick وفي مركز أكسـفورد لعلم الأعصـاب الحاسـوبي Computational Neuroscience، إدموند رولز Edmund Rolls:

---

1) Richard Dawkins: In River Out Of Eden, A Darwinian View Of Life, P133, Weidenfeld & Nicolson, London, 1995.

" العلاقة بين العقل والمخ معضـــلتان، معضـــلة العقل والمخ، ومعضـــلة العقل والجسم، فهل الأحداث العقلية هي التي تتسبب في أحداث المخ، أم أن أحداث المخ هي التي تحدث آثاراً في العقل، ويمكن حل المعضـلة وفهم العلاقة والتواصـل بينهما من خلال منهج علم الأعصــاب الحاسـوبي، فالعقل والمخ مســتويان مختلفان في معالجة المعلومات، والعقل مثل السـوفت وير في الكمبيوتر Software، والمخ هو الهارد وير Hardware"[١].

وبمناسبة ما قاله جون إيكِلْز وإدموند رولز عن العقل والفرق بينه وبين المخ، نذكرك بما أخبرناك به في كتابنا: **الانفجار الكبير ماذا غيَّر القرآن في العالم وماذا أحضر للإنسانية**، وفي كتابنا: **المحفل والمعمل الكون والقبالاه والحركات السرية**، من أن بيان الإله يرشدك إلى أن العقل، بخلاف الحواس، ليس عضواً مادياً ولا آلة توجد دائماً سواءًا عملت أو توقفت، بل العقل في الحقيقة ما هو إلا وظيفته، ولا وجود له ولا يكون أداة للفهم والعلم إلا إذا كان عاملاً متحركاً يجول أو يتحرك في الشيء الذي توجَّه لفهمه وعلمه، فالعقل هو النشاط غير المادي وغير المرئي وغير الخاضع لقوانين الفيزياء.

تعلم ذلك من أن الله عز وجل لا يأتيك بمادة: عقل في القرآن في الصيغة الاسمية الساكنة: "**العقل، العقول، العاقلون**"

بل يأتيك بها عز وجل دائماً في الصيغة الفعلية المتحركة:

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ... مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ   لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ   إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

---

1) Edmund Rolls: On The Relation Between The Mind And The Brain A Neuroscience Perspective, Philosophia Scientiæ, P31-70, Vol. 17, No. 2, May, 2013.

وهذا بخلاف الحواس جميعها التي يأتيك بها بيان الإله بصيغتيها الاسمية والفعلية:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ... أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾

﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ... أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

وثالثاً: الفرق بين مستوى الوعي والقدرات العقلية في الإنسان وبين غيره من المخلوقات، لا يرتبط بحجم المخ ووزنه، بل هو نتاج عدة عوامل مجتمعة، بعضها مادي، مثل عمق تلافيف قشرة المخ وثناياها، وعدد الخلايا العصبية في المخ مقارنة بجسمه، وتركزها في قشرة مخه، وعدد الوصلات العصبية وتعقد الشبكات العصبية التي تتكون منها، ومستوى نشاطها، خصوصاً في قشرة فص الجبهة الأمامي في المخ Prefrontal Cortex، وبعضها غير مادي، مثل اللغة، وهي ليست مجرد أصوات للتعبير عن المعاني والأفكار، بل هي نفسها تصنع الوعي والمعاني والأفكار، وإذا فقد الإنسان اللغة فقداناً مطلقاً، صوتاً وكتابة وإشارة، فلن يكون ثمة قدرات معرفية ولا أفكار ولا تفكير.

فإليك ما تعرف منه أن حجم المخ ووزنه ليسا هم مصدر وعي الإنسان وقدراته العقلية والمعرفية.

في عدد شهر مارس سنة ٢٠٠٥م، من مجلة علم الأعصاب The Journal Of Neuroscience، نشرت أستاذة البيولوجيا في جامعة ريو دي جانيرو في البرازيل Rio De Janeiro، وزميلة معهد ماكس بلانك لدراسات المخ في ألمانيا Max Planck Institute For Brain Research، سوزانا هيركيولانو هُوزل Suzana

Herculano-Houzel، نشرت نتائج دراسة تجريبية فريدة، ابتكرت فيها طريقة دقيقة لحساب عدد خلايا المخ، من خلال إكسابها صلابة بمعالجتها بمادة الفورمالدهايد Formaldehyde، ثم تقسيم المخ أو أي جزء منه إلى شرائح وإذابتها في مزيج من سترات الصوديوم والتريتون Sodium Citrate And Triton، لعمل سائل أو حساء متجانس منها، وفحصها بالميكروسكوب[١].

ثم واصلت سوزانا هُوزل دراساتها عن العلاقة بين حجم المخ ووزنه وعدد الخلايا العصبية وبين القدرات العقلية والمعرفية، وفي سنة ٢٠١٦م، أصدرت كتاباً يحوي نتائج جميع دراساتها ودراسات من اشتركوا معها، وكذلك الدراسات التي سبقتها وواكبتها، بخصوص تركيب المخ وعلاقته بالقدرات العقلية في أنواع مختلفة من رتب الحيوانات ومقارنتها بالإنسان، وعنوان الكتاب: أفضلية البشر، فهم جديد لكيف أصبح مخ الإنسان رائعاً The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable.

وفي كتابها الذي نشره معهد ماستشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة MIT، تقول سوزانا هُوزل:

"يتشابه تركيب المخ في الثدييات المختلفة، ويتألف من الأجزاء نفسها، رغم أنها تتفاوت تفاوتاً كبيراً من حيث الحجم وعمق التلافيف والثنايا، فجميعها لها قشرة مخية ومخيخ وجذع مخ، وتتشكل من نفس أنواع الخلايا العصبية Neurons والخلايا الدبقية Glial Cells ... وأكثر ما أثار اهتمامنا أن الفيل الإفريقي لا يمتلك الخلايا العصبية في قشرة المخ التي تكفي لحل مهام اتخاذ القرار المتعلقة

---

1) Suzana Herculano-Houzel: Isotropic Fractionator: A Simple, Rapid Method For The Quantification Of Total Cell And Neuron Numbers In The Brain, The Journal Of Neuroscience, The Journal Of Neuroscience, March 9, 2005, Vol. 25, P2518 –2521.

بضـــبط النفس Self-Control Decision Tasks، والفيل ليس من الرئيســـيات وكنا نتوقع أن مخ الفيل الإفريقي يحتوي على ٣ مليارات خلية عصـــبية في قشـــرة المخ و ٢١ مليار خلية عصـبية في المخيخ، مقارنةً بمخ الإنسـان الذي يحتوي على ١٦ مليار خلية عصبية في قشرة المخ و ٦٩ مليار خلية عصبية في المخيخ، ولكن وجدنا أن مخ الفيل الإفريقي الذي يبلغ وزنه ثلاثة أمثال مخ البشـــر، يحتوي على ٢٥٧ مليار خلية عصـبية، وهي ثلاثة أمثال متوسـط عدد الخلايا العصـبية في مخ البشـــر، و ٩٧,٥% من هذه الخلايا العصـــبية، أي ٢٥١ مليار خلية، توجد في المخيخ، وبالعكس فإن قشـــرة مخ الفيل التي تبلغ كتلتها ٢,٨ كجم، تحتوي على ٥,٦ مليار خلية عصـبية فقط، بينما تتركز ١٦ مليار خلية عصـبية في قشـرة مخ الإنســـان، التي يبلغ متوســـط وزنها ١,٢ كجم، وهو ما يؤيد فرضـــية أن القدرات العقلية والمعرفية الفائقة للإنسـان ترتبط بزيادة وزن قشـرته المخية قياساً إلى وزن المخ، واحتوائها على أكبر عدد من الخلايا العصـــبية بين جميع الثدييات ذات المخ الكبير Large-Brained Mammals"[(١)].

وما قالته سـوزانا هُوزل، تعرف منه أن وزن مخ الفيل الإفريقي ثلاثة أمثال وزن مخ الإنسـان، وكذلك وزن قشـرة مخ الفيل أكثر من ضـعف وزن قشـرة مخ الإنسـان، وعدد الخلايا العصـــبية في مخ الفيل ثلاثة أمثال عدد الخلايا العصـــبية في مخ الإنســـان، ورغم ذلك فالفيل لا يمتلك أي قدرات عقلية أو معرفية يمكن مقارنتها بالإنســـــان، والســـبب الظاهر لهذا الفرق بينهما، هو تركز الخلايا العصـــبية في قشـــرة المخ في الإنسان.

---

1) Suzana Herculano-Houzel: The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable, P94-99, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2016.

وليس مخ الفيل الإفريقي فقط هو الذي يزيد في الوزن والحجم على مخ الإنســـان، بل يوجد اثنا عشــر مخلوقاً آخر، يزيد وزن المخ فيها عن الإنســان، وأكبر وزن للمخ فيها جميعاً لحوت العنبر، ووزن مخه ٩ كيلوجرامات، وأقلها للدولفين، ووزن مخه ١,٥ كيلوجرام، وجميع هذه المخلوقات لا وجه للمقارنة بينها وبين الإنســـان من جهة قدراته العقلية والمعرفية، وهو ما يشكل معضلة في تفسير انفراد الإنسان بهذه القدرات، كما تخبرك سوزانا هُوزل:

"المخ في جميع الثدييات بُني بطريقة واحدة، ومن نفس الخلايا العصـــبية، التي هي وحدة معالجة المعلومات، ولذا فالمخ الأكبر يحتوي عدداً أكبر من الخلايا العصبية، ومن ثم ينبغي أن تكون قدراته المعرفية Cognitively Capable أكبر من المخ الأصـــغر، وهنا أكبر المعضـــلات المتعلقة بحجم المخ إزعاجاً Most Vexing Of All Problems، فمخ الإنســان ليس الأكبر على الإطلاق، بل هو في الواقع بعيد كل البعد عن كونه الأكبر، فيوجد ثلاثة عشـر نوعاً على الأقل تمتلك مخاً أكبر من مخ الإنســـان، وهي حوت العنبر، والحوت الزعنفي، والحوت القاتل، والفيل الإفريقي، والحوت الأحدب، والفيل الآسـيوي، والحوت الرمادي، والحوت القاتل الكاذب، والحوت الطيار، والحوت المقوس الرأس، وحوت المِنك، والدولفين ذو الأنف الزجاجي"[١].

---

1) The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable, P23-24.

وهذا هو الجدول الذي وضـــعته ســـوزانا هُوزل في كتابها، لوزن المخ في هذه المخلوقات مقارنة بالإنسان.

Sperm whale	9,000 g	Grey whale	4,300 g
Fin whale	6,930 g	False killer whale	3,650 g
Blue whale	6,800 g	Pilot whale	2,700 g
Killer whale	5,600 g	Bowhead whale	2,700 g
African elephant	5,000 g	Minke whale	2,300 g
Humpback whale	4,700 g	Bottlenose dolphin	1,500 g
Asian elephant	4,400 g	Humans	1,300 g

ص٢٤ من كتاب ســوزانا هُوزل: أفضــلية الإنســان، وفيها أكبر وزن للمخ في الثدييات مقارنة بوزن مخ الإنسان.

ولأن عقيدة التطور بديلاً للوجود الإلهي والخلق، هي الفرضـــية العليا والحاكمة للعلوم في الغرب، ويرون كل شـــيء من خلالها، وجميع فرضـــيات العلوم تبدأ منها، وينبغي أن تتوافق نتائجها معها، أو يتم تفســيرها داخلها وبما لا يتناقض معها وينقضـــها، كما علمت من هذا الكتاب، ومن جزئه الأول: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات الســرية**، فسوزانا هُوزل تفسر جميع نتائج دراساتها ودراسات زملائها، بالتكيف في مواجهة الظروف الخارجية والانتخاب الطبيعي، رغم تعارض ذلك مع البحوث التجريبية التي أثبتت أن عدد الطفرات المتكاملة اللازمة لتطور الإنسان من سلفه المباشر الذي يفترضونه تحتاج زماناً يتعدى عمر الكون كله، وهو ما سنزيدك به بياناً بعد قليل، ورغم تعارضه مع نتائج بحوثها، كما تخبرك هي نفسها.

"تشـــير نتائجنا، من بين أمور أخرى، إلى أنه مهما كان ما حدث في التاريخ التطوري للبشر، والذي أدى إلى امتلاكنا مخاً ضخماً جداً مقارنةً بالرئيسيات الأخرى Other Primates، فقد اكتسـبنا في نهاية المطاف مخاً أكبر بثلاث مرات مقارنةً بآخر سـلف مشـترك لنا مع أقرب أبناء عمومتنا الأحياء، وهم الشـمبانزي والبونوبو، وفي فترة قياسية بلغت ١,٥ مليون سنة فقط ... بحلول الوقت الذي بدأ فيه أسلافنا من جنس الإنسان Our Homo Ancestors في تطوير مخ أكبر بكثير، كانوا قد أصبحوا ليسوا مجرد جامعي ثمار، بل صيادين أيضاً، والصيد بدوره لا بد أنه مارس ضغطاً انتقائياً على المخ لزيادة عدد الخلايا العصبية، مما تطلب مزيداً من التعاون، الذي اعتمد على الذاكرة والتخطيط والاستدلال وضبط النفس والوعي بالحالة الذهنية للصيادين الآخرين والتواصل عبر نوع من اللغة، وهي قدرات قشرة المخ Cortical Abilities، وتعتمد بشـكل كبير على ترابط وظائف قشـرة فص الجبهة الأمامي في المخ"[1].

وسوزانا هُوزل، كما ترى، أطاحت من أجل بقرة التطور بالجينات وشفرة المعلومات، وأسقطت الزمن الذي يجب توافره لكي يحدث التغيير الذي وصفته، وهل هو متاح في عمر الكون أم لا، وهي على وعي بهذا الزمن وتدركه، وما ينبغي أن تفعله وأنت تتعامل مع هذا الطراز من الباحثين، هو أن تأخذ بنتائج بحوثهم التجريبية المحض، التي يُجرونها في المعامل، وتفصلها عن تفسيراتهم لها المشحونة بعقيدتهم في التطور، ثم تطرح هذه التفسيرات في صندوق الزبالة.

وما يجب أن تنتبه إليه وتسـأله وأنت تقرأ تفسـير سـوزانا هُوزل، وتفسـير تشـارلز دارون من قبلها، هو أنهم فسـروا قدرات الإنسـان العقلية والمعرفية على أن المخ كتلة

---

1) The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable, P80, 190.

مصـــــمتة وزاد حجمها ووزنها وعدد خلاياها في الإنســـان بالانتخاب الطبيعي، مع انتصـــاب قامته واســـتخدام يديه وانتقاله من جمع الثمار إلى الصـــيد، ولكن البحوث التجريبية أثبتت أن مخ الإنســـان عضـــو شـــديد التعقيد وفائق التركيب، به نحو مائة مليار خلية عصبية، وليس حجراً أو قالب طوب، ولا يمكن أن يحدث تعديل في حجمه ووزنه بفعل عوامل التعرية الخارجية، وأن ســـبب هذه القدرات العقلية تركز الخلايا العصـــبية في مخ الإنســـان في قشـــرته، وليس وزنه ولا حجمه، فهل انتصـــاب قامة الإنســـان واســـتخدام يديه والانتخاب الطبيعي هو أيضـــاً الذي قام بحشـــد خلايا مخه وتركيزها في قشـــرته من بين جميع المخلوقات والكائنات الحية، وبالصـــدفة والطريقة العشوائية التي وصفها تشارلز دارون وسوزانا هُوزل؟!

وإليك الآن المستوى التالي، وما هو أشد تعقيداً من عدد الخلايا العصـبية وتركزها في قشرة مخ الإنسان، بخلاف توزيعها في بقية المخلوقات، وهو الوصـلات والمشابك بين هذه الخلايا العصبية، ومخ الإنسان يوجد به من ٨٥ مليار إلى ١٠٠ مليار خلية عصـبية، ويوجد حوالي ١٦% منها في قشـرة المخ، بينما عدد الوصـلات والمشـابك العصـبية بين هذه الخلايا يصـل إلى ١٠٠ تريليون وصـلة أو مشـبك، وتصـنع شـبكة شديدة التعقيد والكفاءة يتم تناقل المعلومات بينها من خلال النبضات والنواقل العصبية في المخ، وهذه الشبكة المعقدة المترابطة هي في الحقيقة المصدر الفيزيائي والكيميائي المباشر لقدرات الإنسان العقلية والمعرفية.

تقول سوزانا هُوزل في كتابها: أفضلية البشر، فهم جديد لكيف أصبح مخ الإنسان رائعاً:

"المخ يتكون من خلايا عصـــبية، وهي أصـــغر الوحدات الحســـابية التي تعالج المعلومات وتنقلها عبر الشـــبكات واســـعة النطاق التي تبنيها في المخ، وتُســـتقبل المعلومات عبر المشـابك العصـبية Synapses، ويُقدّر عدد المشـابك العصـبية في

كل خلية عصـبية بما يتراوح بين ١٠ آلاف و١٠٠ ألف مشـبك، وتتجمع المعلومات المنقولة عبر جميع هذه المشـابك العصـبية على جسـم الخلية العصـبية، التي تقوم بمعالجتها وتمرر النتيجة إلى الخلية العصـــبية التالية، ووجود المزيد من المشـــابك العصبية يُسـهم بلا شـك في زيادة معالجة المعلومات ومرونتها في الخلية العصـبية Increasing The Flexibility And Complexity Of Information Processing In A Neuron"[١].

وفي عدد شـهر أغسـطس سـنة ٢٠٠١م، من مجلة المخ والإدراك المعرفي Brain And Cognition، التي تصـدرها الأكاديمية الهولندية للعلوم، نُشرت دراسـة عنوانها: دور الخلايا العصـبية الفردية والشـبكات العصـبية في الوظائف الإدراكية للمخ Role Of Individual Neurons And Neural Networks In Cognitive Functioning Of The Brain، وفيها يقول أستاذ فسيولوجيا الأعصاب في جامعة كاليفورنيا، يوري أرشافسكي Yuri Arshavsky:

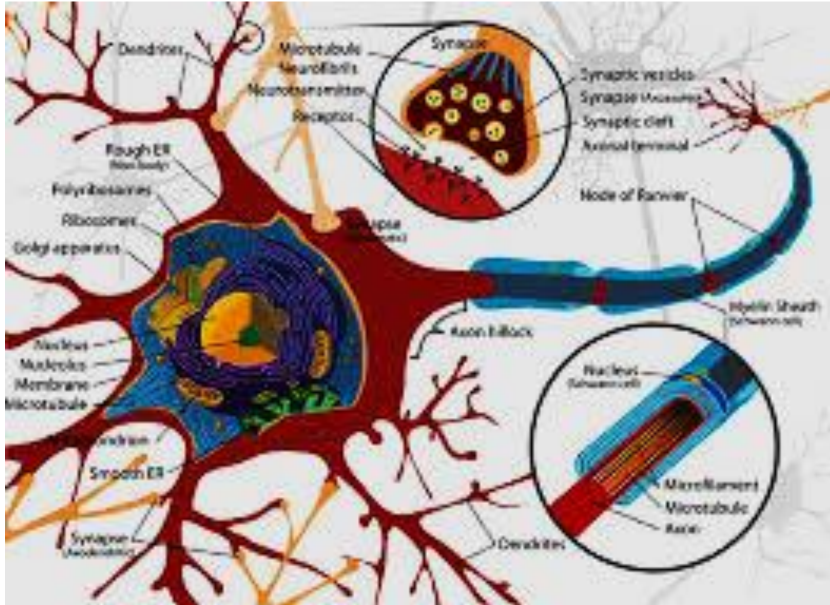
"المفهوم السائد في علم الأعصاب الحديث هو أن شبكات الخلايا العصبية تلعب دوراً مهيمنــاً في وظـائف الجهـاز العصــــبي Neuron Networks Play A Dominant Role In The Functioning Of The Nervous System، بينما يُعد دور الخلايا العصـبية الفردية ضـئيلاً نسـبياً، ويشـير هذا المفهوم إلى أن قدرة كل خلية عصـبية تتحدد بصـفة أسـاسـية من خلال موقعها في الشـبكة وليس بخصـائصـها الذاتية، والعديد من الوظائف الإدراكية المحددة تُنفذ بواسـطة مجموعات من الخلايا العصـبية المتخصـصـة للغاية، والتي تُحدَد أدوارها في أداء هذه الوظائف وراثياً، ولا يمكن اسـتبدال نشـاطها بنشـاط خلايا عصـبية أخرى، وفي هذا السـياق،

---

1) The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable, P2-23.

يتمثل الدور الرئيسي للشبكات العصبية والتفاعلات بين الخلايا في تكوين مجموعات ديناميكية من الخلايا العصبية المشارِكة في أداء وظيفة إدراكية معينة"[١].

وهذه صــورة لتوضــيح تركيب النيورون Neuron أو الخلية العصــبية ومشــابكها والشبكة العصبية التي تتكون منها.



الخلية العصبية ومشابكها والشبكة العصبية التي تتكون منها.

والوصــلات والمشــابك بين الخلايا العصــبية والشــبكة التي تتكون منها توجد في مخ كل إنسان، ولكن يختلف عددها ونشاطها وقدراتها، وما يترتب على ذلك من فروق في القدرات العقلية والمعرفية، من إنســان لإنســان، ومســتوى نشــاط هذه الشــبكة وقدراتها وقدرات الإنسان العقلية يرتبط باللغة والتعلم وتنمية المهارات.

---

1) Yuri Arshavsky: Role Of Individual Neurons And Neural Networks In Cognitive Functioning Of The Brain, Brain And Cognition, August 2001, Vol. 46, Issue 3, P414-428.

وفي دراســـة نُشــرت في عدد شـــهر يوليو ســـنة ٢٠٢٥م، من مجلة بحوث المخ Brain Research Bulletin، التي تصـــدرها أكاديمية العلوم في الولايات المتحدة، وكان عنوانها: المرونة العصــبية للمخ، الاكتشــافات الحالية والآفاق المســتقبلية The Neuroplastic Brain, Current Breakthroughs And Emerging Frontiers، تقول أســـتاذة البيولوجيا وعلوم الحياة في جامعة أوســـلو في النرويج، باريسا جزراني Parisa Gazerani:

"المرونة العصبية، أي قدرة المخ على إعادة تنظيم نفسه من خلال تكوين روابط عصبية جديدة، عنصر أساسي في علم الأعصاب الحديث، وكان يُعتقد سابقاً أنها تحدث فقط خلال مراحل النمو المبكرة، ولكن تُظهر الأبحاث الآن أن هذه المرونة العصــبية تســتمر وتنمو طوال العمر ... ومرونة الشــبكة والتشــابكات العصــبية Synaptic Plasticity، كما أثبت بليس وكوك Bliss And Cooke، ســـنة ٢٠١١م، تحدث بشــكل أســاســي من خلال التقوية طويلة الأمد للمشــابك LTP وتثبيطها طويل الأمد LTD، والتقوية طويلة الأمد للمشـــابك ترتبط بالتعلم والذاكرة واكتســاب المهارات، كما في دراســة هاياشــي Hayashi سنة ٢٠٢٢م، فهي تعزز فعالية المشــابك العصــبية وتنشــطها، عن طريق زيادة كثافة المســتقبلات وإطلاق الناقلات العصبية في المشابك المُنشطة، ويؤدي التكرار أو الممارسة المتكررة لمهارة ما إلى ترسيخ فعالية هذه المشابك ونشاطها وتقوية الروابط بينها، مما يُقوي الدوائر العصــبية التي تتكون منها، ومن أمثلة ذلك ممارســـة العزف على آلة موســيقية، وتكوين ذكريات طويلة الأمد، وتعلم لغة جديدة"[١].

1) Parisa Gazerani: The Neuroplastic Brain, Current Breakthroughs And Emerging Frontiers, Brain Research, 1 July 2025, P1-15, Vol. 1858.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾

معنى اللغة والقدرات اللغوية:

والآن إلى المستوى الأعمق من وزن المخ وحجمه، ومن عدد الخلايا العصبية وتركزها في قشرة مخ الإنسان، ومن الوصلات والمشابك العصبية بينها والشبكة المعقدة التي تتكون منها، ألا وهو اللغة.

واللغة ليست فقط الأصوات التي يصدرها الإنسان، ولا ما يكتبه أو يشير به، لكي يعبر بها وبه عما يريده، بل هي المعاني والأفكار التي تتكون وتتخلق في عقله ووعيه أولاً، ولا تتكون وتتخلق إلا من خلال اللغة، ولا يمكن الفصل بينهما، فإذا فكر الإنسان وتصور أي معنى فلابد أن يكون ذلك من خلال ألفاظ وعبارات، سواءًا نطقها أو لم ينطقها وبقيت حبيسة في عقله ونفسه، وإذا لم توجد الألفاظ والعبارات التي تتكون بها الفكرة ويتخلق فيها المعنى، فلن يكون لها ولا له وجود في عقله، أما جهاز الإنسان الصوتي وأطرافه، فتبدأ وظيفتها في الخطوة التالية، وتحول الأفكار والمعاني التي هي نفسها الألفاظ والعبارات التي تكونت في عقله إلى أصوات أو كتابة أو إشارات مفهومة، حين يريد الإنسان أن ينقلها من داخله إلى خارجه، وظهورها خارجه هو نفسه يطور الأفكار والمعاني التي في داخله.

ولذا فاللغة، التي هي الأفكار والمعاني والألفاظ والعبارات التي تتخلق قي داخل الإنسان، وهي غير مادية ولا مرئية ولا تخضع لقوانين الفيزياء، اللغة هي السبب العميق في نمو الشبكة العصبية المادية الفيزيائية والكيميائية بين الخلايا العصبية في مخه وتعقدها وزيادة نشاطها والروابط بين تشابكاتها، وهي مصدر وعي الإنسان وقدراته العقلية والمعرفية التي ينفرد بها من بين جميع المخلوقات.

وفي عدد شهر أبريل سنة ٢٠٢٥م، من مجلة علم النفس التي تصدرها الأكاديمية الأمريكية للعلوم Acta Psychologica، نُشرت دراسة لثلاثة من الباحثين في جامعة تسنجوا في الصين Tsinghua، هم جانج كوي Gang Cui، ويوفاي رن Yufei Ren، وزيوران زهو Xiaoran Zhou، وفيها جمعوا نتائج الدراسات السابقة لهم عن العلاقة بين اللغة والجهاز العصبي للإنسان وقدراته العقلية والمعرفية، وكان عنوان الدراسة: اللغة كعامل مؤثر في الأجهزة المعرفية والعصبية Language As A Modulator To Cognitive And Neurological Systems.

وبخصوص أثر اللغة في مخ الإنسان وخلاياه وشبكته العصبية، يقول الباحثون الثلاثة في دراستهم:

"اللغة تلعب دوراً نشطاً في تشكيل التراكيب والعمليات العصبية، والمسألة المحورية، هي أن جميع الأفراد يشتركون في الآليات العصبية، بصرف النظر عن مستوى خبراتهم اللغوية Regardless Of Linguistic Experience، وقد وسَّعت الدراسات الحديثة من فهمنا لأماكن اللغة في المخ، وحددت مناطق عصبية تتجاوز المناطق التقليدية، مثل منطقتي بروكا وفِرنيكه Broca And Wernicke، وعلى سبيل المثال، يتضمن فهم اللغة التنشيط المتزامن والمتناسق بين مناطق مختلفة في المخ، منها تلفيف الفص الصدغي الأوسط الأيسر، وتلفيف الفص الصدغي الأسفل الأيسر Left Middle And Inferior Temporal Gyri، كما في دراسة ... و ... وتلفيف الفص الصدغي العلوي Superior Temporal Gyrus، في دراسة ... ودراسة ... ودراسة ... ومنطقة الحُصين Hippocampus، في دراسة ... وتلافيف فص الجبهة Frontal Gyri، في دراسة ... وكذلك تم فك تشفير التلفيف فوق الهامشي Supramarginal Gyrus، في الفص الجداري Parietal Lobe، الذي يتمثل فيه الكلام الداخلي

Internal Speech، في دراســـة ... ودراســـة ... وتُعدّ المرونة العصـــبية عند معالجة اللغة سـمة أسـاسـية وتُظهر كيف تؤثر اللغة على الجهاز العصـبي، فالمخ يُظهر قدرة عالية على التكيف في اســـتجابته لمختلف أنماط اللغة، ســـواءً كانت منطوقة أو بلغة الإشــــارة، بالاعتماد على نفس الركائز العصـــبية، وقد أظهرت الدراســات التي أُجريت على معالجة لغة الإشـارة، مثل دراســة ... و... أن المناطق المرتبطة تقليدياً باللغة المنطوقة يتم تنشـــيطها بشـــكل مماثل أثناء أداء مهام لغة الإشارة"(١).

وبخصـــوص علاقة اللغة بالقدرات العقلية والمعرفية للإنســـان وأثرها عليها، يقول الباحثون الثلاثة:

"اللغة مكون مركزي في النظام المعرفي للبشــر Central Component Of The Human Cognitive System، فهي كما أظهرت دراســة ... و ... تؤثر على طريقة تفكير البشر وإدراكهم للعالم وتفاعلهم معه، واللغة أكثر من مجرد وسيلة للتواصـــل، فهي وســيط جميع العمليات المعرفية، وتقوم بتعديل الوظائف المعرفية الرئيسـية، وإعادة برمجة الإدراك، كما في دراسـة ... ودراسـة ... ومفتاح تأثير اللغة في الإدراك أنها تقوم بتنظيم التجارب الحسية وتصنيفها وتحولها إلى مفاهيم معنوية Meaningful Concepts، وتُظهر دراســـات مفاهيم الألوان لدى الأفراد الذين وُلدوا مكفوفين، مثل دراســـة ... أنه على الرغم من افتقارهم للتجربة الحســـية مع الألوان، فإنهم يطورون مفردات تصـــف الألوان وتعبر عنها بطريقة مماثلة للأفراد المبصـــرين، وهو ما يعني أن اللغة تشـــكل بنفســـها مفاهيم في الذهن، حتى بدون مدخلات حسية مباشرة Even Without Direct Sensory Input، وبالإضافة

---

1) Gang Cui, Yufei Ren, Xiaoran Zhou: Language As A Modulator To Cognitive And Neurological Systems, Acta Psychologica, April 2025, Vol. 254, Issue 45.

إلى ذلك توجه اللغة الانتباه وتقوم بتركيز الموارد المعرفية وتمنع تشتتها، وقد أثبتت دراســـات ... و ... و ... أن اللغة هي الأداة المعرفية الأســـاســـية للتجريد Cognitive Tool For Abstraction، وهو سـمة أسـاسـية للإدراك البشـري، وبالغ الأهمية للوظائف العليا، وتســـمح اللغة للبشـــر بالتفكير فيما وراء التجارب الحســـية المباشـــرة، والانخراط في التفكير المعقد، والتخطيط وحل المشـــكلات، والاسـتدلال ووضـع السـيناريوهات الافتراضـية، وأثبتت دراسـات ... و ... أن اللغة تؤثر بشـــكل حاســـم على عمليات الذاكرة، وتتحكم في كيفية ترميز المعلومات وتخزينها واســترجاعها، كما في دراســة ... وتؤثر أيضــاً على المشــاعر والإدراك العاطفي والاجتماعي والتجانس بين الأشــخاص، كما في دراســات ... و ... وعلى إدراك الوقت والعلاقة بين الزمان والمكان وتفسيرها، كما في دراسة ... "[١].

ونقرب لك العلاقة بين المخ واللغة، بأن المخ وخلاياه ومشـابكها وشـبكتها العصـبية مثل الأسـلاك والوصـلات التي يسري فيها التيار الكهربي، واللغة هي الكهرباء نفسـها، ومن غير اللغة، وإذا تخطَّى عمر الطفل ســـناً محددة ولم يكتســـبها، فلن يكتمل نمو خلايا مخه والوصــلات والمشـابك بينها والشـبكة العصـبية التي تتكون منها، ولا يمكن تنشيطها، وسوف تتحول إلى أسلاك ووصلات مادية معطوبة ولا وسيلة لتدارك العطب الذي حدث فيها، ومن ثَم لن تكتمل قدرة الإنســـــان على الإدراك ولن تنمو ملكاتـه المعرفية، كما يخبرك الباحثون الثلاثة:

"في الواقع يؤثر التعرض للغة على نمو المخ، فالتعرض المبكر للغة يشكل البنية العصـبية اللازمة لاكتشـاف الأنماط السـمعية واللغوية في اللغة الأم، كما في دراسـة ... وتتضـــمن شـــبكة اللغة في المخ مســـارات ظهرية وبطنية Dorsal And

---

1) Language As A Modulator To Cognitive And Neurological Systems, Acta Psychologica, April 2025, Vol. 254, Issue 45.

Ventral Pathways، تربط الفصين الجبهي والصدغي، كما في دراسة ... ومن الولادة إلى البلوغ تتطور هذه المسارات باستمرار، وتلعب اللغة دوراً حيوياً في نموها وتطورها، وكذلك في نضــج قشـرة الفص الجبهي الأمامي Prefrontal Cortex، وهي مركز الإدراك والوظائف المعرفية العليا، ولذا يرتبط نمو الجهاز العصـــبي واكتســاب القدرات المعرفية في الأطفال ارتباطاً وثيقاً بالتعرض للغة في ســن مبكرة، ويلعب توقيت التعرض للغة دوراً حاسماً في تشكيل المسارات العصبية، وفي دراسة ... و ... وجد أن التعرض المتأخر للغة الإشارة لدى الأفراد الذين وُلدوا صماً يؤدي إلى أنماط تنشـــيط عصـــبي مختلفة، حتى لدى الأفراد ذوي الكفاءة العالية، وهو ما يدعم فرضــية الفترة الحرجة Critical Period، وأن المرونة العصـبية لاكتسـاب اللغة تكون في ذروتها خلال المراحل المبكرة من النمو، كما في دراســة ... ودراســة ... حيث تتشكل دوائر المخ الخاصـة باللغة، وبمجرد انقضاء الفترة الحرجة، يصبح اكتسـاب اللغة أكثر صـعوبة، وتتضـاءل قدرة المخ على إعادة تنظيم دوائر اللغة، مع ما يصـــاحب ذلك من قصـــور في نمو أجزاء المخ المختلفة، وفي الإدراك والقدرات المعرفية"[١].

ومرة أخرى، وأنت تقرأ دراسة الباحثين الصينيين الثلاثة، وكذلك عشرات الدراسات التي استدلوا بها وأحالوا إليها، فسـوف تجدهم جميعاً يحشـرون في كل فقرة أو بضـع فقرات عبارات من قبيل: "**ومع تطور البشر، وفي المسار التطوري للبشر، وبالنسبة لتطور البشـــر**"، دون أن يخبروك ما هي بالضـــبط علاقة التطور والانتخاب الطبيعي بهذه الدراســـات التجريبية، ولا كيف يفســـر نتائجها، فهم يحشـــرون هذه العبارات في دراساتهم وفقط، وما عليك إلا أن تفعل ما أرشدناك إليه من قبل، وهو أن تفصل نتائج دراســـاتهم العلمية التجريبية الحقيقية، عن تفســـيراتهم الملتوية التي لا علاقة لها بالعلم

1) Language As A Modulator To Cognitive And Neurological Systems, Acta Psychologica, April 2025, Vol. 254, Issue 45.

ولا بالعقل، ويحشـرون فيها التطور والانتخاب الطبيعي دون أن تعرف ما هو دوره وما فعله بالضــبط، ولا كيف كان هذا الدور، ثم تطرح هذه التفسـيرات في نفس صــندوق الزبالة الذي طرحت فيه تفسيرات سوزانا هوزل.

وفي غمرة انشـــغال الباحثين الثلاثة بحشـــر عبارات يُظهرون بها تبجيلهم للبقرة وركوعهم أمامها، سقط منهم تفسير كيف اكتسب الإنسان اللغة ومن أين جاءته وانفرد بها من بين جميع المخلوقات، وهي كما أثبتوا هم أنفسـهم مصـدر وعيه وقدراته العقلية والمعرفية، وهي نفســها أفكاره وذاكرته ومشــاعره، وتركيب مخه ونمو أجزائه ونضـــج خلاياه ومشابكها وشبكتها العصبية يرتبط بها وباكتسابها.

القرد رأى حيواناً مفترساً، فانفكت عقدة لسانه وانطلق في الكلام زي البرابند:

فإليك تفسـير تشـارلز دارون في كتابه: نشـوء الإنسـان والانتخاب الجنسـي، لكيف نشـأت اللغة في الإنسـان بالتطور والانتخاب الطبيعي، الذي أعلن الباحثون الصـينيون الثلاثة خضوعهم له وحشروه في كل موضع من دراستهم:

"لا شــك عندي في أن اللغة تدين بأصــلها إلى محاكاة أصــوات طبيعية متنوعة والتعديل فيها، وكذلك محاكاة أصوات الحيوانات الأخرى، وصيحات الإنسان الغريزية، بالإضــافة إلى الإشــارات والإيماءات. وعندما نتناول الانتخاب الجنســي، ســنرى أن الإنسان البدائي، أو بالأحرى أحد أسلافه الأوائل، ربما استخدم صوته أولاً في إنتاج إيقـاعـات موســـيقيـة حقيقيـة، أي في الغنـاء، كمـا تفعـل بعض قردة الجيبون Gibbon Apes في الأيام الحالية، وبما أن القرود تفهم بالتأكيد الكثير مما يقوله لها الإنسـان، وعندما تكون في البريَّة تُطلق صرخات تحذيرية لأفراد جماعتها، وبما أن الطيور تُصدر تحذيرات واضحة للخطر على الأرض، أو في السماء من الصقور، ألا يُحتمل أن يكون حيوان ما، شـــبيه بالقردة العليا، وحكيم بشـــكلٍ اســـتثنائي

Unusually Wise Ape-Like Animal، قد قام بمحاكاة زئير حيوان مفترس، وأخبر رفاقه من القرود بالخطر المتوقع وطبيعته، وكانت هذه الخطوة الأولى في تكوين اللغة؟"(١).

وتشــــارلز دارون، كما ترى، يخبر الأميين الذين يخاطبهم أن فلســــفة ســــقراط ومســرحيات شــكســبير وروايات جوته وقوانين نيوتن ومعادلات ماكســويل ونســبية أينشــتاين، أصــلها محاكاة الإنســان لأصــوات الرياح والمياه والشــجر في الطبيعة، ولأصوات الحيوانات المفترسة، وأنه يُحتمل أن قرداً صرخ بالخوف الغريزي الذي ينتابه عند رؤية حيوان مفترس، ليحذر رفاقه، فانحلت عقدته النفسية وانفك لسانه وانطلق في الكلام زي البرابَند(•)، ومن خوف خلايا مخه العصــــبية من الحيوان المفترس تجمعت معاً وانحشــرت في قشــرة مخه، ثم التصــقت ببعضــها لتشــعر بالأمان، فنبتت بينها تشابكات وشبكات عصبية، ومن شدة اضطرابها وتأثرها انفجرت فيها القدرات العقلية والمعرفية واللغوية، ومع الصرخة التالية ومواساتها لبعضها تحورت حنجرتها وظهرت الأحبال الصوتية، وما عليك وأنت تشاهد الفيلم سوى أن تقوم بتشغيله على البطيء، فبدلاً من أن تراه في ساعتين، لا توجد مشكلة في أن تتابعه على مدي بضعة ملايين من السنين!

ولن نضــيع وقتك في الرد على هذا الكلام العبيط، وإنما أتيناك به لنســالك ســؤالاً واحداً، وهو ما علاقة هذا الكلام العبيط بالعلوم والبيولوجيا والبحوث التجريبية لكي يحشره كل من يقوم ببحث أو دراسة في بحثه ودراسته وهو يعلن خضوعه له وركوعه أمامه؟

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P87.

•) البرابَند Superb Parrot: نوع من الببغاوات، وفي الأمثال العامية المصــــرية: يتكلم زي البرابند، معناها يتكلم كلاماً كثيراً وبسرعة مما يجعل الكلام متداخلاً وبعضه غير مفهوم.

وجميع الدراسـات التي يسـمونها علمية وتُنشـر في مجلات تقول إنها علمية، تبني تفسيرها لنشأة اللغة عند الإنسان وانفراده بها من بين جميع المخلوقات على هذا الكلام العبيط، ولا تفعل شـيئاً سـوى أنها تدور حوله وتُفرِّع منه وتبتكر الأدلة لإثباته، فإليك نماذج من هذه الدراسات:

دراسـة الأسـتاذ في جامعة أريزونا دونالد فولك Donald Falk، في مجلة علوم المخ والسـلوك Behavioral And Brain Sciences، سـنة ٢٠٠٤م، وعنوانها: التطور ما قبل اللغوي في الهومونينز/أشـباه البشـر، من أين نشـأت اللغة الأم Prelinguistic Evolution In Early Hominins, Whence Motherese، ودراسـة الأسـتاذ في جامعة أوكلاند كوينتن أتكينسـون Quentin Atkinson، في مجلة ساينس Science سنة ٢٠١١م، وعنوانها: التنوع الصوتي يدعم نموذج انتشار اللغـة من إفريقيـا Phonemic Diversity Supports A Serial Founder Effect Model Of Language Expansion From Africa، ودراسـة الأسـتاذ في جامعة برشـلونه دان ديدو Dan Dediu، والأسـتاذ في معهد ماكس بلانك لعلم النفس واللسانيات ستيفن ليفنسون Stephen Levinson، في مجلة فرونتيرز في علم النفس Frontiers In Psychology، سـنة ٢٠١٣م، وعنوانها: حول عراقة اللغة، إعادة تفسـير القدرات اللغوية لنياندرتال وما يترتب عليه On The Antiquity Of Language, The Reinterpretation Of Neanderthal Linguistic Capacities And Its Consequences.

فإليك وصـف أسـتاذ اللسـانيات والعلوم المعرفية في جامعة أريزونا ومعهد ماستشوستس للتكنولوجيا، نوم/نعوم تشومسكي Noam Chomsky، لهذا الطراز من الدراسات:

يقول تشومسكي في كتابه: اللغة والعقل Language And Mind:

"في الحقيقة، تُعدّ العمليات التي وصل بها العقل البشري إلى مرحلته الحالية من التعقيد وتنظيمه الخاص لغزاً محيراً A Total Mystery، ومن الآمِن أن ننسب هذا التطور إلى الانتخاب الطبيعي، بشرط أن نُدرك أنه لا أساس لهذا الادعاء، وأنه ليس سوى اعتقاد بوجود تفسير طبيعي لهذه الظواهر Nothing More Than A Belief That There Is Some Naturalistic Explanation For These Phenomena، ومشكلة التفسير التطوري، أن القوانين التي تُحدد احتمالات الطفرات الناجحة وطبيعة الكائنات الحية المعقدة مجهولة تماماً"[١].

وفي عدد شهر نوفمبر سنة ٢٠١٤م، من مجلة دراسات علم النفس اللساني Journal Of Psycholinguistic Research، كتب نعوم تشومسكي دراسة عنوانها: بعض المفاهيم الأساسية المتنازع عليها Some Core Contested Concepts، وفيها يقول:

"وأطفال قبائل الأمازون يتعلمون اللغة البرتغالية بسهولة، وإذا نُقلوا إلى نيويورك، فبعد فترة قصيرة سيتحدثون اللهجات المحلية بطريقة لا يمكن تمييزها عن لغة السكان الأصليين، والعكس صحيح، ويترتب على ذلك أن قدرتهم اللغوية لم تتغير، وهذه الملاحظة يمكن تعميمها بلا حدود حسب علمنا، وقد يكون هذا مفاجئاً لأولئك الذين يعتقدون أن اللغة لا بد أنها تطورت بالتدريج وبخطوات صغيرة، وعلى مدى فترة طويلة، ولكن هذا يتفق تماماً مع الفرضية الأكثر منطقية، وهي أن الخصائص الأساسية للغة ظهرت فجأة في الزمن التطوري Emerged Fairly Suddenly In Evolutionary Time، من خلال إعادة تنظيم طفيفة محتملة للمخ ... ولا ينبغي الخلط بين التغير التاريخي وبين التطور، فاللغات تتغير مع مرور الوقت ولكنها لا تتطور على الإطلاق Languages Don't Evolve At All، والظاهر

---

1) Noam Chomsky: Language And Mind, P85-86, Cambridge University Press, New York, 2006.

لنا أن اللغة ظهرت مع الإنسان العاقل الحديث/هومو سيبيانز Homo Sapiens، وقبل أن يبدأ هجرته من إفريقيا بفترة ليست طويلة، إن الكثير مما يُنشر حول تطور اللغة يتألف في الواقع من تكهنات وتخمينات Actually Consists Of Speculations حول تغيرات ربما حدثت قبل الهجرة من إفريقيا بزمن طويل، وهذه التكهنات تتعلق باللغويات التاريخية، وليس بالتطور، وبالإضافة إلى ذلك فهي تكهنات من نوع غير مقبول في اللغويات التاريخية، وهو تخصص ذو معايير صارمة، ولا يكفي فيه أن نقول: ربما حدث هذا، أو ربما حدث ذاك It Isn't "Enough To Say, Maybe This Happened, Or Maybe That"[١].

ونعوم تشومسكي، كما ترى، يؤمن بعقيدة التطور ولا ينكرها، ولكنه انحاز لمعايير تخصصه الصارمة في علوم اللغة واللسانيات، وبسبب انحيازه لها كشف حقيقة هلاوس التطور ومنهج من يعتنقونها، فهو أولاً يخبرك في كتابه: اللغة والعقل، أن التطور عموماً عقيدة في تفسير الظواهر الطبيعية، وليس من العلوم الطبيعية، وأن الطفرات التي يفترضونها وكيف يتم انتخاب بعضها وتراكمها مسائل مجهولة، ولا أحد يعرف كيف تحدث، ولا قوانين أو قواعد لمراجعتها ومناقشتها والحكم عليها، كما ينبغي في أي نظرية علمية، وأن قدرات الإنسان المعرفية وتركيب مخه المعقد، وانفراده بهما، لغز محير، وليس له تفسير حقيقي في العلوم الطبيعية.

ثم هو يخبرك في دراسته عن المفاهيم الأساسية المتنازع عليها، أن كل ما يقوله من يعتنقون عقيدة التطور عن تطور اللغة تخمينات عشوائية وتكهنات لا دليل عليها، وأن منهجهم وأدلتهم على تخميناتهم تخمينات أخرى، وتقوم على افتراض أنه ربما حدث هذا أو ربما حدث ذلك، دون أدلة ولا براهين من أي نوع، ثم حسم تشومسكي مسألة اللغة بأنها لا تخضع لعقيدة التطور، وأنها ظهرت فجأة مع الإنسان العاقل

---

1) Noam Chomsky: Some Core Contested Concepts, Journal Of Psycholinguistic Research, November 2014, P91–104, Vol. 44.

الحديث، وليس بالتدريج كما قال تشـــارلز دارون وخلفاؤه في هلاوســـهم، وأن قدرات الإنســان اللغوية كما هي خلال آلاف الســنين، ولم يطرأ عليها أي تغيير، وإن تغيرت اللغات واختلفت وتنوعت عبر التاريخ.

تفسير اللغة بالطفرات الجينية:

ومع اســتحالة تفســير ظهور اللغة في الإنســان وانفراده بها، وما تتطلبه من بنية معقدة في المخ وما يرتبط بها من قدرات عقلية رفيعة، بالطريقة العبيطة التي وصــفها تشارلز دارون وبعض خلفائه، والتي تقوم على أنه ربما حدث هذا، لجأ بعضهم الآخر إلى طريقة أخرى، وهي أنـه إذا لم يكن ربما حدث هذا، فربما حدث ذاك، فخمنوا أن اكتساب الإنسان للغة، كان بطفرة في بعض جيناته، أدت إلى تطور في تركيب مخه وحنجرته.

فهاك نموذجاً على هذه الهلاوس.

في عدد شـــهر نوفمبر ســـنة ٢٠١٥م، من مجلة فرونتيرز في علم النفس Frontiers In Psychology، نُشرت دراسة لأستاذ علم الإدراك والبيولوجيا اللسانية في جامعة ولاية سان دييجو الأمريكية San Diego، الألماني الأمريكي ديتر هيليرت Dieter Hillert، وكــان عنوانهــا: حول التطور البيولوجي للغــة On The Evolving Biology Of Language، وفيها يخمن أن عدة طفرات حدثت في مخ الإنســـان، وأدت إلى زيادة حجمه ووزنه، وهذه الزيادة تبعها تلقائياً ظهور اللغة في الإنسان، يقول:

"مخ الإنسان تضاعف حجمه ثلاث مرات مقارنة بجنس الشمبانزي خلال حوالي ٤ ملايين من الســنين، ولم يكن ذلك بســبب طفرة واحدة، بل هو نتاج طفرات جينية

متعــددة ومترابطــة فيمــا بينهــا، وحظيــت بــالانتخــاب الطبيعي Favored By Natural Selection، وقد اشـــتركت عدة جينات في نمو مخ الإنســـان، كما في دراســة ... ودراســة ... ولكن الدراسات الحديثة تُظهر أن جينَين مختلفين يبدو أنهما يلعبان دوراً رئيسياً في إعادة تنظيم قشرة المخ عند الهومونينز/أشباه البشر، وهما ARHGAP11B، وSRGAP2، ونمو المخ أمر بـالغ الأهميــة لتطور اللغــة الحــديثــة على جميع المســـتويــات اللغويــة ... وجنس الأســـترالوبيثيكوس Australopithecus كان يعيش في إفريقيا في فترة تتراوح بين ٢ مليون ســـنة و٤ ملايين سـنة مضـت، وكان متوسط حجم مخه ٤٥٠ سم٣، وهو ما يُقارب حجم مخ الشـــمبانزي، وفي هذه الحقبة حدثت الطفرات الجينية في جين SRGAP2A وجين SRGAP2B، وقد أســـهمت هذه الطفرات في نمو قشـــرة المخ الحديثة للإنســـان، وبناءًا على هذه الفرضـــية This Hypothesis، فوضـــع الأســـس البيولوجية للإدراك المعرفي واللغة في الإنســان Biological Disposition For Cognition And Language، حدث نتيجة طفرات متدرجة ربما تكون قد بدأت منذ ٣ ملايين سنة"(١).

فأولاً: ديتر هيليرت يقول إن هلاوســـه فرضـــية، والفرق بين الهلاوس والفرضـــية العلمية هو الدليل أو الأســـاس العلمي، فأين الدليل العلمي في كل ما قاله، أين الدليل على حدوث عدة طفرات متدرجة في هذين الجينين، وإذا حدثت فأين الدليل على أن هذه الطفرات هي التي صـنعت الفرق بين مخ الإنسـان ومخ الشـمبانزي، وإذا صـنعت هذه الفروق فأين الدليل على أن هذه الفروق هي التي أنتجت قدرات الإنسـان المعرفية

1) Dieter Hillert: On The Evolving Biology Of Language, Frontiers In Psychology, November, 24, 2015, Vol. 6, Article 1796.

واللغوية، وهل براهين أي فرضية، في أي علم، هي أن يتخيل من وضعها فيلماً ويرتب مشاهده من تخيلاته وفقط؟

وثانياً: ديتر هيليرت وأمثاله، يفترضـــون فيمن يقدمون لهم دراســـاتهم أنهم جهال وأدمغتهم مفككة، أو أنهم ســـيتقبلونها لأنهم يتوافقون معهم في عقيدة التطور، وليس أنهم علماء وباحثون وسـوف يفحصـون دراسـاتهم وينتقدونها بعيداً عن عقيدة التطور وهلاوسها، ولذا فما يفعله هو وأمثاله هو أنهم تتراءى لهم هلاوس في مسألة فيتخيلون لها ســـيناريو ويجعلونه دليلاً عليها بمعزل عن بقية هلاوس عقيدة التطور، ودون أن ينتبه كل منهم أن هلاوسه تتناقض مع هلاوس غيره وتنقضها.

وأول تنـاقض فيمـا قـالـه ديتر هيليرت، أن الجينين اللـذين ذكرهمـا، وهمـا ARHGAP11B، وSRGAP2، يوجـدان في ثلاثـة أنواع من المخلوقـات غير الإنسان العاقل/هومو سيبيانز، وهو نفسه ذكر ذلك في دراسته، وهي سلف الإنسان المنتصـــب/هومو إريكتوس Homo Erectus، ونيـانـدرتـال Neanderthals، ودينيسـوفانز Denisovans، وهو سـلف تخيلوه للإنسـان من ضـرس وعُقلة إصـبع وجدوها في كهف بهذا الاسم في سيبيريا!

وحســـب هلاوس التطور فهذه الأنواع الثلاثة من أســـلاف الإنســـان العاقل الحديث/هومو ســيبيانز، وتتميز عنه، أي أنها ليســت هو، وما ســقط من رأس ديتر هيليرت المخروم، أن وجود الجينين في هذه الأنواع الثلاثة يعني أمراً من اثنين، إما أن هذه الأنواع هي نفسها الإنسان العاقل الحديث بقدراته العقلية واللغوية، وليست أسلافاً له، أو أن الجينين ليس لهما علاقة بالقدرات العقلية واللغوية للإنسان العاقل الحديث.

وثـالثـاً: التنـاقض الثـاني في كلام ديتر هيليرت، أنـه يقول إن النمو في حجم مخ الإنســـان وتركيبه، الذي وضـــع الأســـس البيولوجية لقدراته العقلية والمعرفية واللغوية،

حدث بفعل عدة طفرات متدرجة على مدى ٣ ملايين من الســـنين، فإذا رجعت إلى باب: **الطفرات الجينية**، من الكتاب الذي بين يديك، ســـتجد أن الدراســـات التجريبية المعملية، والنماذج الإحصـــائية في الرياضـــيات الحيوية، أثبتت أن حدوث طفرتين متكاملتين ينتجان تطوراً إيجابياً وتحســـناً في الصـــفات، يحتاج في الكائنات الحية البسيطة مثل الدورسوفيلا أو ذبابة الفاكهة إلى ٥,٧ مليون سنة، وفي الإنسان تحتاج هاتان الطفرتان إلى ٨,٦ X ١٠ ^٦ جيل من الإنســان، أو ٢١٦ مليون ســنة، وتحول إنزيم واحد فقط في أي كائن حي إلى إنزيم آخر يؤدي وظيفة مفيدة يحتاج إلى ســـبع طفرات على الأقل، وإلى زمان يتخطى عمر الأرض؟!

وإليك مثالاً آخر على الجينات وطفراتها التي توهموا أنها مصـــدر قدرات الإنســـان العقلية والمعرفية واللغوية، وهو جين Forkhead Box Protein P2، أو FOXP2، إذ منذ ثمانينات القرن العشرين ظهر مرض في عائلة بريطانية يُرمز لها في المصادر الطبية باسم KE، وأصـاب ١٤ فرداً في ثلاثة أجيال منها، وهذا المرض يُحدث عسراً في النطق واضــطرابات في الكلام، وبعد فحوص عديدة تم تشـــخيصـــه على أنه خلل وراثي، وأطلقوا عليه اسم: خلل الأداء اللفظي أو خلل النطق Verbal Apraxia، ولم يُعرف ســببه بالتحديد، ولكن تم وضــع عدة فرضــيات في تفســيره للعمل عليها والتأكد منها، وإحداها حدوث تغير في موضـــــع منطقة معينـة في الجين FOXP2، وهي المنطقة q31.2 Region.

ومن حينها انعقد أمل خلفاء تشـــــارلز دارون على الجين FOXP2 في إثبات أن قدرات الإنسان اللغوية اكتسبها بالطفرات الجينية، خصوصاً بعد أن أثبتت المقارنة بين جينوم الإنســان وجينوم الشــمبانزي، أنه يوجد اختلاف في حمضــين أمينيين في الجين بين الإنسان والشمبانزي، هما الأسباراجين Asparagine، والسيرين Serine.

فإليك أول دراسة عَوَّلت على الجين FOXP2 في إثبات اكتساب الإنسان لقدراته اللغوية بالطفرات في هذا الجين.

في عدد شهر أغسطس سنة ٢٠٠٢م، من مجلة نيتشر Nature، نُشرت دراسة لثمانية من الأساتذة والباحثين في معهد ماكس بلانك للأنثروبولوجيا التطورية Max Planck Institute For Evolutionary Anthropology، في جامعة لايبزج في ألمانيا، وعلى رأس هؤلاء الثمانية أستاذ التطور والجينوم البشري فولفجانج إينارد Wolfgang Enard، وهو أحد الذين اشتركوا في مقارنة جينوم البشر بجينوم الشمبانزي، وكان عنوان الدراسة: التطور الجزيئي لجين FOXP2 المرتبط باللغة والكلام Molecular Evolution Of FOXP2, A Gene Involved In Speech And Language.

وفي دراستهم، وبعد أن ذكروا نبذة عن مرض خلل النطق وعسر الكلام وإصابة الأسرة البريطانية به، قال الباحثون الثمانية إنهم قاموا بدراسات عديدة لفحص تركيب الجين FOXP2 في الإنسان وأنواع مختلفة من الشمبانزي والأورانج أوتان والمقارنة بينهم، ثم يقولون:

"القدرة على تطوير كلام واضح تعتمد على التحكم الدقيق في الحنجرة والفم، وهي قدرات غائبة لدى الشمبانزي والقردة العليا الأخرى، وجين FOXP2 هو أول جين يُعرف أن له صلة باللغة وقدرة الإنسان على الكلام، وحدوث طفرة فيه يؤدي إلى صعوبات شديدة في النطق مصحوبة باضطرابات لغوية ونحوية، ودراستنا تظهر أن جين FOXP2 البشري يحتوي على تغيرات في شفرة الأحماض الأمينية وأشكال النيوكليوتيدات Amino Acid Coding And A Pattern Of Nucleotide Polymorphism، مما يشير بقوة إلى أن هذا الجين تعرض للانتخاب خلال التطور البشري الحديث ... وبناءًا على دراستنا نفترض أن الجين FOXP2 له

سمات خاصة في البشر، واستبدال أحد الأحماض الأمينية أو كليهما في الإكسون رقم ٧ (قطعة من الجين) Exon 7، يؤثر في قدرة الشخص على التحكم في حركات الوجه والفم، وبالتالي على تطوير لغة منطوقة متقنة، وإذا صح هذا الافتراض، فإن الوقت الذي استقر فيه أحد التغيرات في جين FOXP2 في البشر قد يكون له صلة بتطور اللغة في البشر، وحسب المنهج الذي اعتمدناه في الإحصاء، فإن ذلك حدث منذ حوالي ٢٠٠ ألف سنة، وهو ما يتوافق مع زمن ظهور الإنسان الحديث/هومو سيبيانز"[١].

فأولاً: الطفرة الحقيقية التي حدثت فعلاً في جين FOXP2 أدت إلى مرض وخلل في النطق والكلام عند الأسرة البريطانية، وهذه هي القاعدة في الطفرات، كما علمتَ في باب: **الطفرة الجينية**، أنها ترتبط بالأمراض والتشوهات، وليس بالارتقاء والتحسن، ولكن الأساتذة والباحثون الثمانية خالفوا نتائج البحوث الطبية والتجريبية الخاصة بالطفرات، وخمنوا حدوث طفرات في الجين عند الإنسان الحديث أدت إلى قدرته على التحكم في حنجرته وعضلات فمه ووجهه، ومن ثَم على النطق والكلام، فاستدلوا بالطفرة الحقيقية التي أحدثت الخلل والمرض على الطفرة التي تخيلوها وتخيلوا أنها أحدثت الارتقاء وقدرة الإنسان على الكلام!، ودون أي دليل على أن اختلاف الأحماض الأمينية بين الإنسان والشمبانزي كان بسبب حدوث هذه الطفرة.

وثانياً: تنبه أن دراستهم التجريبية أثبتت وجود اختلاف في حمضين أمينيين في الجين FOXP2 بين البشر والقردة العليا، ولكن لا يوجد دليل في دراستهم على أن هذا الاختلاف هو سبب امتلاك الإنسان للغة وقدرته على الكلام وانعدامها في القردة،

---

1) Wolfgang Enard, Molly Przeworski, Simon Fisher, Cecilia Lai, Victor Wiebe, Takashi Kitano, Anthony Monaco & Svante Paabo: Molecular Evolution Of FOXP2, A Gene Involved In Speech And Language, Nature, August 2002, Vol 418, P869-872.

وقد نصـوا هم أنفسـهم في الدراسـة على أنها فرضـية نظرية، وهي في الحقيقة تخمين زائد على نتائج الدراسـة التجريبية الفعلية، ولا علاقة لها بها، سـوى أنهم لبسـوها بها، لكي يحشـروا التطور والانتخاب الطبيعي في الدراسـة، ويظهروا ركوعهم أمام البقرة، لكي يفتح لهم من يقدسونها الأبواب.

وثالثاً: إليك التدليس الحقيقي في هذه الدراسة، فالباحثون الثمانية حصروا اللغة في الكلمات والألفاظ المنطوقة، ورتبوا على ذلك أن اللغة والكلام ترتبط بالحنجرة وعضلات الوجه والفم فقط، بينما اللغة في الحقيقة، كما أخبرناك من قبل، هي الأفكار والمعاني والألفاظ والعبارات التي تتشكل فيها هذه الأفكار والمعاني داخل عقل الإنسان ونفسه، وسـواءً نطقها أو لم ينطقها، وهذا المسـتوى العميق من اللغة الذي مصـدره العقل والنفس سـابق على الكلام والنطق وعلى ظهور الألفاظ والتعبيرات من خلال الفم والحنجرة، التي هي آلات لإظهار الأصوات وليست مصدر اللغة ومنبعها.

والتدليس الذي دلسـه الباحثون الثمانية، هو أن الخلل في جين FOXP2، الذي وظفوه في صـناعة فيلم عن تطور اللغة واكتسـاب الإنسـان لقدراته اللغوية بالطفرات والانتخاب الطبيعي، هذا الخلل لا علاقة له بتشـكل الأفكار والمعاني في ألفاظ وعبارات داخل الإنسان، وما يحدث في مرض خلل النطق وعسر الأداء اللفظي، كما يوحي اسـمه نفسـه، هو عدم قدرة المريض على نقل الألفاظ والعبارات التي في داخله إلى جهازه الصوتي وتحويلها إلى أصوات مسموعة، ولكنه يعي هذه الألفاظ والعبارات ويدركها في داخله ويريد التعبير عنها، مع عجزه عن ذلك، أي أن الخلل في التنسـيق بين المخ والعضـلات المسؤولة عن إظهار الصـوت، وليس في اللغة والقدرات اللغوية العقلية.

فهاك تعريف الرابطة الأمريكية للسـمع والكلام واللغة American Speech-Language-Hearing Association لمرض خلل النطق وعسر الكلام، من دراسة

منشـــــورة في موقعهـا، وعنوانهـا: مرض عســـــر الكلام في الأطفـال Childhood Apraxia of Speech:

"عسر النطق الطفولي (CAS) اضطراب عصبي يصيب الأطفال، حيث تتأثر دقة الحركات اللازمة للكلام، وذلك في غياب أي خلل عصبي عضـلي، وقد يحدث عسر النطق الطفولي نتيجةً لخلل عصـبي معروف، أو بالتزامن مع اضـطرابات عصـبية سـلوكية معقدة لها أسـباب معروفة أو غير معروفة، أو كاضـطراب عصـبي مجهول السبب في النطق، والخلل الأساسي يكون في تخطيط أو برمجة تسلسل الحركة في الزمان والمكان، مما يؤدي إلى أخطاء في إنتاج أصـــوات الكلام ونبراتها Errors In Speech Sound Production And Prosody"[١].

وكما ترى من تعريف الرابطة الأمريكية للسـمع والكلام واللغة، فمرض خلل النطق، يرتبط بأخطاء في إنتاج المريض للأصـــوات ونبراتها، أي بجهازه الصـــوتي، وليس بقدراته اللغوية وتشـكل الكلمات والعبارات في داخله، الذي يرتبط بعقله، بل إن تعريف الرابطة الأمريكية نص على أن المرض يرتبط بالخلل في التنسيق بين الجهاز العصبي وحركة العضلات، دون وجود خلل في الجهاز العصبي ولا في العضلات.

وفي أسباب المرض ذكرت الرابطة أربعة أسباب محتملة للمرض، والخلل في جين FOXP2 هو الاحتمال الرابع، وتســـبقه ثلاثة أســـباب، جميعها تدور حول خلل في الأعصاب التي تنقل الإشارات من المخ إلى الحنجرة وعضلات الوجه والفم، ولا علاقة لها بمناطق اللغة في المخ.

---

1) American Speech-Language-Hearing Association: Childhood Apraxia Of Speech, Definitions Of CAS Section, Para. 1, 2007b.

وما فعله المدلســـون الثمانية في دراســـتهم، كما ترى، هو أنهم خلطوا بين القدرات العقلية اللغوية وبين ترجمتها صـــــوتياً من خلال الجهاز الصـــــوتي، لكي يكون ذلك وســـــيلتهم في تأليف فيلم عن اكتســـــاب الإنســـــان للغة بالطفرات الجينية والانتخاب الطبيعي، ولكي تكون فرصة يعلنوا بها خضوعهم أمام بقرة التطور.

اللغة وقدرات الإنسان اللغوية مسألة فوق مستوى الجينات:

ورابعاً: تعريف الرابطة الأمريكية للســمع والكلام واللغة لمرض خلل النطق وعســر الكلام، وأســـبابه التي ذكرتها، بما فيها الخلل في جين FOXP2، يعني أن الجين لا علاقة له أصـلاً باللغة ولا بمناطقها في المخ، وأن الاختلاف بين الإنسـان والشـمبانزي في الحمضـــين الأمينيين في الجين ليس هو تفســـير امتلاك الإنســـان لقدراته اللغوية وافتقادها في القردة العليا.

وفي عدد شـــهر يونيو ســـنة ٢٠١٢م من مجلة الأكاديمية الأمريكية للعلوم، بِناس Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS)، نُشرت دراســـة لأســـتاذ علوم الأعصـــاب والبيولوجيا التطورية في المركز القومي الأمريكي لدراسات الرئيسيات National Primate Research Center، تود بروس Todd Preuss، وكان عنوان الدراسة: تطور المخ البشري من اكتشاف الجينات إلى اكتشاف النمط الظـاهري Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery.

وفي دراســـته اســـتعرض تود بروس جميع نتائج الفحوص التي أجريت لعائلة KE بخصـــــوص الجين FOXP2، وقال إنها وَجدت نقصـــــاً في حجم بعض المناطق المرتبطة بالحركة في المخ، وليس باللغة، واستعرض كذلك نتائج دراسات المقارنة بين الجين في الإنسـان والشـمبانزي وعدد كبير من الكائنات التي تصـدر أصـواتاً أو تحدد

المواقع عن طريق صـدى الصـوت، ويقول تود بروس في الدراسـة إن جميع البحوث التجريبية التي أجريت باستخدام الأشعة المقطعية والرنين المغناطيسي، وكذلك دراسات تحليل الانسـجة، أثبتت أن جين FOXP2 لا يرتبط بمناطق اللغة في المخ، بل يوجد في مناطق واسـعة من قشـرة المخ لا علاقة لها باللغة ولا بالحركة والعضـلات، بل ويوجد الجين أيضـاً ويعبر أو يؤدي وظائف في أنسـجة أخرى عديدة خارج المخ، مثل الكبد والجهاز الهضـمي، وهو ما يعني أنه لا علاقة له باللغة، وأنه لا يوجد حتى الآن ما يكشف علاقة الجينات باللغة، أو أي الجينات بالضبط هي المسؤولة عنها.

وليس هذا ما أتيناك بدراسة تود بروس من أجله، بل من أجل أغرب ما فيها، ويهدم جميع هلاوس التطور، رغم أنه مثل جميع من مروا بك من قبل، يؤمن بها ويخضـع لها، ويلوي نتائج الدراسـات ويحاول أن يُوجد لها تفسـيراً داخل عقيدة التطور وبما يتوافق معها.

يقول تود بروس في دراسته:

"في دراسـة حديثة موسـعة قام لي ورفاقه Li et al، بمقارنة تسـلسـل الأحماض الأمينية في الجين FOXP2 في الإنسان، والفيل الإفريقي، و٤٢ نوعاً من الخفاش، و١٥ نوعاً من الحوت والدولفين، وعدد كبير آخر من الثدييات، ورغم أن تسـلسـل الجين FOXP2 متوافق للغاية في معظم رتب الثدييات، فقد تبين أنه يوجد اختلاف ملحوظ في الخفافيش في الإكسونات رقم ٧ ورقم ١٧، وفي الإكسون رقم ٧ تحديداً، لا يوجد في الخفافيش أو أي نوع آخر من الثدييات اسـتبدال لحمض الأسـباراجين مشابه لما هو في البشر في الموضع ٣٠٣، ولكن العديد من الخفافيش التي تقوم بتحديد المواقع بالصدى، لديها استبدالات لحمض السيرين شبيهة بما في البشر في

"Serine Substitutions At Position 325 الموضع ٣٢٥ Many Echo Locating Bats, Do Have Human-Like"[١].

ومعنى كلام تود بروس، أن الدراســـات التي قارنت تركيب الجين FOXP2 في الإنسان والثدييات الأخرى، وجدت أن الجين في الإنسان يختلف عن الشمبانزي وعنها جميعاً في موضع حمضين أمينيين، هما الأسباراجين والسيرين، ولكن الاختلاف بين الإنســان وبين الخفاش الذي يحدد المواقع بالصــدى، في موضــع حمض أميني واحد فقط، هو الأسباراجين، ولا يوجد خلاف بينهما في موضع السيرين.

وعلى ذلك، وطبقاً لهلاوس التطور، فالخفاش أقرب للإنســان من القردة العليا، وهو سلفه المباشر وليس الشمبانزي!

ويقول تود بروس، إن الدراســات المبكرة كان تقول إن جينوم الإنســان والشــمبانزي يتشابهان بنسبة ٩٩%، ولكن الدراسات الحديثة أكدت أن نسبة التشابه تقل عن ذلك، وأنها حوالي ٩٥%، ثم يقول:

"لقد ذهل كينج وويلســـون King And Wilson في دراســـتهما الرائدة التي نشرت في مجلة ساينس سنة ١٩٧٥م، حين اكتشفا لأول مرة التشابه الكبير بين البشر والشمبانزي في تسلسل الأحماض الأمينية للبروتينات التي كان قد تم تحديد تســلســلها حتى ذلك الحين، فلم تتجاوز الاختلافات ١%، وهي نســبة أقل من تلك الموجودة بين الأنواع الشــقيقة المتطابقة تشــريحياً في بعض مجموعات الحيوانات،

---

1) Todd Preuss: Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery, Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), 2012 Jun 22, Vol. 109 (Suppl 1), P10709–10716.

وهذا التشابه الجزيئي الكبير بين البشر والشمبانزي يتناقض مع الاختلافات العميقة في السلوك وحجم المخ والتشريح العام بين النوعين"[١].

ومعنى كلام بروس، أن التشـــابه بين تســـلســـل الأحماض الأمينية والجينوم في الإنسان والشمبانزي لا يفسر الفروق الهائلة بينهما في تشريح الأعضاء ووظائفها، وفي القدرات العقلية واللغوية، وحتى الجينات المتطابقة بين الإنسـان والشـمبانزي وليس فيها أي اختلاف في تركيب البروتينات وتسـلسـل الأحماض الأمينية بينهما، فإنها لا تنتج آثاراً متطابقة ولا متشـابهة في هيئة كل منهما وقدراته وتركيب أعضـائه ووظائفها، وهو ما يعني أن المســألة أعقد وأكبر من مســتوى الجينات، وتتداخل فيها عناصــر أخرى عديدة عميقة وغير معروفة، كما يخبرك تود بروس نفسه في خاتمة دراسته:

"بناءًا على هذه النتائج لا يمكن تفســير معظم الاختلافات الظاهرية بين البشــر والشــمبانزي، بالتغيرات التطورية في عدد قليل من الجينات التنظيمية، التي عملت في وقت مبكر من التطور، وهو ما يثير مسألة بالغة الأهمية، وهي قصور معلوماتنا بخصوص الكائن البشري The Human Organism، وأعتقد أنه من الأمانة أن نقول إننا جهلاء تماماً بالعديد من ســمات الإنســان وخصــائصــه البيولوجية It Would Be Fair To Say We Are Quite Ignorant About Many Human-Specific Features Of Human Biology"[٢].

والآن نريدك أن تراجع ما قرأته بخصـــوص قدرات الإنســـان العقلية والمعرفية واللغوية، وســـوف تجد أن الصـــورة هكذا: الإنســـان ينفرد من بين جميع الكائنات

---

1) Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery, Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), 2012 Jun 22, Vol. 109 (Suppl 1), P10709–10716.

2) Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery, Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), 2012 Jun 22, Vol. 109 (Suppl 1), P10709–10716.

والمخلوقات بقدراته اللغوية، واللغة ليست الأصوات المنطوقة، بل هي المعاني والأفكار التي تتخلق في عقله ونفسه وتتشكل في الألفاظ والعبارات داخله، سواءًا نطقها أو لم ينطقها، وهذه القدرات اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقدراته العقلية والمعرفية، وهي في الحقيقة مصدرها، فهي التي تحوّل الأشياء والأشخاص والعلاقات في خارج الإنسان إلى أفكار، وتربط بينها وتمكّنه من الوعي بها ومعالجتها في داخله، ثم تمكّنه من إعادة بثها إلى خارجه بعد معالجتها والربط بينها، واكتمال نمو مخ الإنسان وخلاياه العصبية والتشابكات بينها والشبكة العصبية التي تتكون منها يتوقف على اكتسابه لقدراته اللغوية في سنوات عمره الأولى، فإذا لم يكتسبها فلن تنضج مكونات مخه وتركيباته، ولن تكتمل وظائفها التي تميزه عن الكائنات الأخرى، ولن يحوز قدراته العقلية والمعرفية، وجميع فرضيات عقيدة التطور فشلت في معرفة مصدر القدرات اللغوية في الإنسان وما يرتبط بها من قدرات عقلية ومعرفية، وفي تفسير كيف ولماذا انفرد بها من بين جميع المخلوقات، من أول تفسير تشارلز دارون العبيط لقدرات الإنسان اللغوية بمحاكاة أصوات الطبيعة وصرخة القرد حين رأى الحيوان المفترس، وصولاً إلى الجينات وخريطة الإنسان الجينية ومقارنتها بالشمبانزي والقردة العليا والفشل في تحديد جينات بعينها تتصل بقدرات الإنسان اللغوية والمعرفية وتفسر وجودها فيه وانعدامها فيها.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾:

فإليك البيان الإلهي إلى البشرية يعرفك بمصدر قدرات الإنسان اللغوية والعقلية وتفسير انفراده بها.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١).

والأســـماء، كما تعلم الآن، ليســـت فقط الأصـــوات والألفاظ والكلمات المنطوقة والمسموعة، بل هي الوجود كله، بما فيه الإنسان نفسه، حين يستقبله الإنسان ويتحول داخل عقل ونفسه إلى معان وأفكار تتشكل في هذه الألفاظ والكلمات، ولا وجود للألفاظ والكلمات إلا بوجود المعاني والأفكار، كما أن المعاني والأفكار لا توجد إلا متشـــكلة في الألفاظ والكلمات، فتعليم آدم الأســـماء هو منحه القدرة العقلية على التفكير وإنتاج الأفكار والمعاني بخصـــوص الأشـــياء كلها والقدرة على ترجمتها أو صـــبها تلقائياً في منظومة لغوية داخل الإنسان ثم نقلها صوتياً إلى خارجه.

والبيان الإلهي إلى البشرية يخبرك بتفسير جميع جوانب المسألة التي فشلت عقيدة التطور في تفســير أي منها، تفســيراً متكاملاً متجانســاً ليس فيه فجوات ولا موضـــع للتخمينات، فالإنسان صـار إنسـاناً واختلف عن بقية المخلوقات، وانفرد بقدراته العقلية اللغوية المعرفية، لأن الله عز وجل وهبها له، ويفســـر لك أيضـــاً لماذا وهبها الله عز وجل له، لكي يتمكن من أداء وظيفته في الوجود، ألا وهي خلافته عز وجل.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ﴾ (البقرة: ٣٠).

وخلافته عز وجل في الأرض هي إعمارها وتســخير بقية مخلوقاتها واســتكشــافها واستكشاف نفسه واستكشاف الوجود كله، وقيادته بالمنهج الإلهي الذي خلقه عز وجل من أجل قيادة الوجود وقيادة نفسه به.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٢-٣٣).

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾.(النحل: ٦٦-٦٧).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾.

(الجاثية: ١٢-١٣).

ومن غير ما أخبرك البيان الإلهي وعرَّفك به من تفسير وجود الإنسان، ومن أين أتى، ولماذا وُجد على الأرض، وكيف ولماذا اختلف عن بقية المخلوقات وانفرد بقدراته العقلية واللغوية والمعرفية، فلا بديل سوى هلاوس التطور، وأن يصبح الإنسان تائهاً في الزمان والمكان، لا يعرف من أي أتى، ولا إلى أين هو ذاهب، ولماذا وُجد، وما الذي ينبغي عليه أن يفعله، ويتحول إلى حشرة وفأر، كما يخبرك بكل فخر أستاذ البيولوجيا ورئيس الجمعية البريطانية لعلوم الحيوان وأول مدير لمنظمة اليونسكو، والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، جوليان هكسلي Julian Huxley، حفيد توماس هكسلي، كلب حراسة تشارلز داروين، في كتابه: تفرد الإنسان The Uniqueness Of Man:

"بعد داروين لم يعد بإمكان الإنسان أن يتجنب اعتبار نفسه حيواناً After Darwin Man Could No Longer Avoid Considering Himself As An Animal، ولكنه بدأ يدرك أنه حيوان متفرد ... وجميع الكائنات الحية في الأهمية سواء، وحدث أن الإنسان صار النوع السائد والمسيطر في لحظة من تطوره،

ولكن من الممكن مع استمرار التطور أن يُستبدل به أي كائن حي آخر، مثل الفأر أو النملة "Might Be Replaced By The Ant Or The Rat"[1]!

فإذا اتبع الإنســـان هلاوس التطور وفقد البوصـــلة الإلهية وتاه في الزمان والمكان وفقد معناه وصـار حيواناً، يكون قد وقع بذلك بين مخالب الأبالسة وأنيابهم الناعمة في وســائل الإعلام ووســائط اللهو والترفيه، فيســتوطنون رأســه ويركبون ظهره ويدلدلون أرجلهم ويحركونه كما يريدون ونحو ما يريدون وهو يتوهم أنه حر ويفعل ما يريده.



---

1) Julian Huxley: The Uniqueness Of Man, P2-3, Readers Union, London, 1943.

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾

معضلة التكاثر بالتزاوج في عقيدة التطور:

إحدى المعضلات في عقيدة التطور، ومن أكبرها بعد تفسير أصل الحياة وكيف نشأت الخلية الحية الأولى، وبعد تفسير قدرات الإنسان العقلية واللغوية التي ينفرد بها من بين جميع المخلوقات، هي تفسير التنوع الجنسي في الإنسان وأغلب الكائنات الحية، وكيف ولماذا انقسم النوع الواحد إلى ذكر وأنثى، ولماذا أصلاً انتقلت الخلية الحية من التكاثر الذاتي إلى التكاثر بالتزاوج بين ذكر وأنثى.

وهذه المعضلة سببها العميق، ليس فقط تفسير كيف حدث هذا وبأي طريقة، لأن الانتخاب الطبيعي لا يكون إلا من بين ما هو موجود فعلاً، بل وأيضاً أن التكاثر بالتزاوج بين ذكر وأنثى أعقد وأرقى من التكاثر الذاتي بالانقسام، ولكنه يتعارض مع أصل عقيدة الانتخاب الطبيعي، لأنه ليس الأفضل للبقاء والحفاظ على النوع في مواجهة الظروف البيئية والصراعات التي يخوضها، التي بنى تشارلز دارون هلاوسه عليها، فكل فرد في الكائن الحي البدائي يتكاثر ذاتياً وحده، ولا يحتاج لفرد آخر معه، وهو ما يترب عليه سرعة التكاثر وإنتاج أفراد جديدة، بينما في التكاثر بالتزاوج لابد من وجود فردين والتقائهما معاً، وما يتطلبه ذلك من اجتماعهما، وتوافر الظروف المناسبة لاجتماعهما والتقائهما، ولذا ففرص تكاثر فرد من كائن حي ذاتياً وحده أكبر وأسهل وأكثر إنتاجاً للأفراد وحفاظاً على النوع من فرص تكاثر فردين بالتقائهما معاً والتزاوج بينهما.

وتشارلز دارون نفسه كان يدرك أن التكاثر بالتزاوج بين فردين من النوع الواحد، يتعارض مع انتخابه الطبيعي، ويقلل فرصه في البقاء والحفاظ على النوع، مقارنة بالتكاثر والانقسام الذاتي، وفي عدد شهر مارس سنة ١٨٦٢م، من مجلة جمعية

لينيان للبحوث الخاصـــــة بالتاريخ الطبيعي في لندن Procedings Of linnean Society، بعد نشـــر كتابه: عن أصــــل الأنواع بواســـطة الانتخاب الطبيعي بثلاث سنوات، كتب دراسة عنوانها: حول الشكلين أو ازدواج الشكل في البريمولا/زهرة الربيع والعلاقــات الجنســـيـــة بينهمــا On The Two Forms, Or Dimorphic Condition, In The Species Of Primula, And On Their Remarkable Sexual Relations، وفيها يقول:

"ليس لدينا أدنى معرفة بالسبب النهائي لاختلاف الجنسين Final Cause Of Sexuality، ولماذا يكون إنتاج الكائنات الجديدة من اتحاد الجنســـين، بدلاً من عملية التوالد العذري Parthenogenesis"[١].

وكتاب تشــارلز دارون: نشــوء الإنســان والانتخاب الجنســي نشــره ســنة ١٨٧١م، والانتخاب الجنســـي عبارة ابتكرها على غرار عبارة الانتخاب الطبيعي، وهي مثلها بالضــبط عبارة غامضـــة، وليس لها معنى في الحقيقة، وما يقوله تشــارلز دارون عن معناها يتناقض مع فحواها، فكل مسـألة تتعلق بوجود الجنسـين والفروق بينهما يفسـرها بعبارة أن ذلك حدث بالانتخاب الجنسي، دون أن يُعرِّفك ما هو هذا الانتخاب الجنسي بالضـبط وكيف يعمل وصـنع هذه الفروق، ويصـف الانتخاب الجنسـي وفِعْله بعبارات تجعلـه قوة عـاقلـة مميزة لهـا إرادة وقـادرة على الاختيـار والترجيح، وليس آليـة طبيعيـة ومادية جامدة ثابتة، مثل القوانين التي تفسر ظواهر الطبيعة، كالجاذبية وقوانين الحركة والتفاعلات الكيميائية.

---

1) Charles Darwin: On The Two Forms, Or Dimorphic Condition, In The Species Of Primula, And On Their Remarkable Sexual Relations. J. Proc. Linn. Soc. (Botany) Vol. 6, P77 – 96, 1 March 1862.

فهذا هو تفسيره لوجود جنسين من الكائن الحي ومن أين وكيف جاءت أعضاؤهما الجنسية والفروق بينهما، في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي:

"بالنسبة للتكاثر، عندما يختلف الجنسان في التركيب، وفي عاداتهما وسلوكهما، فإن ذلك بلا شك قد حدث لأنه تم تعديلهما من خلال الانتخاب الطبيعي They Have No Doubt Been Modified Through Natural Selection، والأعضاء الجنسية الأساسية، وكذلك الأعضاء الخاصة بتغذية الصغار وحمايتها، تخضع لنفس المؤثرات"(١).

وهذا تفسيره لاختلاف تركيب الأعضاء عموماً وقدراتها بين الذكر والأنثى:

"الذكور اكتسبوا تركيبهم، ليس بسبب أنهم أكثر ملاءمة للبقاء أثناء الصراع من أجل الوجود، ولكن بسبب أنهم اكتسبوا ميزة على الذكور الأخرى، ولأنهم ورَّثوا هذه الميزة لذريتهم من الذكور فقط، فلابد أن الانتخاب الجنسي كان هنا نشطاً وفاعلاً Sexual Selection Must Here Have Come Into Action، وأعضاء الذكر القابضة Prehensile Organs التي تمكنه من الإمساك بالأنثى قبل هروبها، وقبل منافسيه من الذكور، تم اكتمالها بالانتخاب الجنسي"(٢).

وكما ترى، فتشارلز دارون يقول للأميين إن الانتخاب الجنسي هو الذي قام بتعديل الذكر والأنثى وصنع ما بينهما من اختلافات في الأعضاء الجنسية وفي السلوك، وعندما نشب الصراع بين الذكور على هذه الأنثى أخذت الحمية الانتخاب الجنسي فنشط وفعل فِعله في تركيب أطراف الذكر وأعضائه العامة وجعلها مختلفة عن الأنثى، لكي يُمكِّنه من اصطيادها والتزاوج معها قبل أن تهرب منه، وقبل أن يصل إليها

---

1) The Descent Of Man And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P248.
2) The Descent Of Man And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P249.

منافســوه، دون أن يعرِّفهم ماذا يكون هذا الانتخاب الجنســي وكيف فعل هذه الأفعال التي نسـبها له، ويمكنك أن تفعل ما أخبرناك في باب: **الانتخاب الطبيعي أو السـيكو سيكو**، فتزيل عبارة الانتخاب الجنسي والانتخاب الطبيعي من كل موضع وضعها فيه تشــارلز دارون، وتضــع مكانها أي عبارة أو لفظ ليس له معنى، كأن تقول: "**الذكور اكتسبوا تركيبهم وورثوه لذريتهم بسبب نشاط السيكو سيكو**"، "**والأعضاء الجنسية تكونت واكتمل نموها بالسـيكو سـيكو**"، ولن يتغير شـيء على الإطلاق لا فيما قاله تشارلز دارون، ولا فيما تفهمه أنت منه.

ولعله لم يغب عنك، أن تشــارلز دارون بنى جميع تخيلاته وهلاوســه التي يسـميها فرضــيات على الصــراع القاتل، الذي لا وجود فيه لأحد طرفيه إلا بإفناء الآخر، فقد بنى انتخابه الطبيعي على الصــــراع بين أنواع الكائنات من أجل الأكل والبقاء، وفي انتخابه الجنسي انتقل خطوة أعلى وجعل الصراع بين الذكور من النوع الواحد من أجل التغلب والاســـتيلاء على الأنثى، وبين الذكر الذي تغلَّب وهذه الأنثى نفســــها التي تنحصــــر علاقته بها في أنها تريد الهرب منه ويســـعى هو بأعضــــائه التي طورها الانتخاب الجنسي إلى القبض عليها ومواقعتها رغم أنفها.

فعالم تشارلز دارون وعقيدة التطور عالم قاتم مظلم، محوره الصراع والمواجهات بين جميع الأطراف، بين مختلف أنواع الكائنات، وبينها وبين الإنســـان، وبين الإنســـان والإنســـان، والذكر والذكر، والذكر والأنثى، وبينها جميعاً وبين البيئة والطبيعة، بينما عالم البيان الإلهي الذي يعرِّفك الله عز وجل به ويدعوك لأن تقيمه هو العالم الذي يرعى فيه الإنســان جميع المخلوقات، وينتفع بالطبيعة ويحافظ عليها، وتتعارف الأقوام والشـعوب، والصــلاح والتقوى هو ميزان التفرقة، والعلاقة بين الذكر والأنثى أســاســها السكن والمودة والرحمة، وليس اصطياد الذكر للأنثى وفرارها منه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ **(الحجرات: ١٣).**

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ **(الروم: ٢١).**

وإذا رجعت إلى كتبنا السابقة، خصوصاً كتاب: **الوحي ونقيضه**، وكتاب: **شفرة سورة الإسراء**، ستدرك أن العالَم الذي بناه تشارلز دارون هو من آثار الماسونية في تكوينه، فاليهود والحركات السرية عموماً والماسونية خصوصاً، وعبر التاريخ كله، تسعى إلى تخليق الصراعات ووضع جميع أطراف الوجود وأطراف العلاقات الإنسانية في مواجهات، الأمم والشعوب، والرجل والمرأة، والحكام ومن يحكمونهم، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، لتكون هذه الصراعات والمواجهات وسيلتها لاستيطان رؤوس جميع الأطراف وتسييرهم جميعاً نحو ما تريده.

السلف المشترك بين الإنسان ومملكة الحيوان خنثى:

والماسوني تشارلز دارون قدم الانتخاب الجنسي إلى الأميين الذين يخاطبهم على أنه مسلمة يفسر من خلالها الاختلافات بين الذكر والأنثى وكيف يختار الذكر الأنثى أو العكس، دون أن يفسر لهم ماذا يكون الانتخاب الجنسي نفسه وكيف يعمل، ثم مثل جميع تكتيكاته في تفسير أصل الحياة وتنوع المخلوقات، تعمد إسقاط المعضلة الأم والأساس أو الخطوة الأولى التي أقام عليها تفسيره للتكاثر بالتزاوج الجنسي، وهي تفسير كيف وُجد الذكر والأنثى في الكائنات الحية أصلاً، وكيف ولماذا انتقلت الكائنات الحية من التكاثر الذاتي إلى التكاثر بالتزاوج، رغم تناقض هذا الانتقال مع تفسيره لتنوع المخلوقات بالصراع من أجل البقاء وحفظ النوع، وكان يدرك أن أي أحد يقرأ كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي وعنده حد أدنى من العقل والتمييز لابد

أن يستوقفه ويسأله عن المسألة الأم التي أسقطها، ولأنه في الوقت نفسه ليس عنده تفسير لها، وكما يفعل في كل مسألة لا يمكن تفسيرها بانتخابه الطبيعي أو الجنسي، ضرب إحدى أكثر الفرضيات في كتابه سرياليةً وتحليقاً في الأوهام، وتخطى فيها هلوسته عن ظهور اللغة في القرد الذي صرخ حين رأى حيواناً مفترساً فانفكت عقدة لسانه وتكلم زي البرابند، بل وتفوق فيها على أفلام هوليوود، ألا وهي أن الجد الأعلى والسلف المشترك للإنسان ولجميع الحيوانات كان خنثى!

يقول تشارلز دارون، في الباب الذي خصصه لسلسة نسب الإنسان في مملكة الحيوان، من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي:

"من المعروف في مملكة الحيوانات الفقارية منذ زمن طويل، أن كلاً من الجنسين يحمل بقايا أعضاء من الجهاز التناسلي التابع للجنس الآخر، وفي مرحلة مبكرة من حياة الجنين يوجد في الجنسين غدد ذكرية وأنثوية حقيقية، ويبدو أن أحد الأسلاف العليا البعيدة لمملكة الحيوانات الفقارية كلها كان خنثى أو مزدوج الجنس، ويمتلك أعضاء الذكورة والأنوثة Some Extremely Remote Progenitor Of The Whole Vertebrate Kingdom Appears To Have Been Hermaphrodite Or Androgynous"[1]!

وكما ترى، أنت أمام سلاسل لا تنتهي من الهلاوس والتخمينات العبيطة التي لا علاقة لها من أي وجه بالعقل ولا بالعلوم الطبيعية ولا بالبحوث التجريبية.

فهل تنبهت أنه يقول إنه يبدو أن السلف الأعلى للإنسان والحيوانات كان خنثى، وهو يفترض أن من يوجه لهم كلامه بقر ولن يوجد فيهم من يسأله على أي أساس بنيت هذه الفرضية، وما هو الدليل عليها، ودون أن يشغل نفسه هل سيسأله أحد منهم

---

1) The Descent Of Man And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P199.

كيف تكونت ومن أين جاءت الأعضـــاء التناســلية الذكرية والأنثوية في الكائن الحي الذي كان وحيد الجنس ثم صــــار خنثى بتكونها واجتماعها فيه، وبعد أن وُجد هذا الخنثى كيف انشطر إلى قسمين وصار ذكراً وأنثى ثم تزاوجا معاً؟!

والأغرب من هلاوس تشــارلز دارون عن الانتخاب الجنســي الذي صــنع أعضــاء الـذكورة والأنوثـة والفروق بين الـذكر والأنثى دون أن يعرف أحـد مـاذا يكون هـذا الانتخاب الجنســي وكيف صــنع ذلك، ومن سـلف الإنسـان ومملكة الحيوانات الخنثى الذي تخيله، الأغرب أن هذه الهلاوس ظلت مهملة طوال القرن التاســع عشــر وأوائل القرن العشـرين، حتى ممن صــدقوا هلاوس أصــل الأنواع والانتخاب الطبيعي، ثم في القرن العشـرين، صــارت هذه الهلاوس والتخيلات من أسـس البيولوجيا وتفسـير الحياة ووجود الإنسان، والإلحاحُ والاعتياد وسطوة من يعتنقون هذه الهلاوس تجعل كل شيء ممكناً.

وأســتاذ البيولوجيا والجينات في جامعة كمبردج، رونالد فيشــر Ronald Fisher، كان أول من روَّج لهلاوس تشارلز دارون عن الانتخاب الجنسي ونشأة التكاثر بالتزاوج بين الذكر والأنثى، وأدخلها في البيولوجيا، ودمج بينها وبين علوم الجينات الناشــــئة حـديثـاً إذ ذاك، وذلـك في كتـابـه: النظريــة الجينيــة في الانتخــاب الطبيعي The Genetical Theory Of Natural Selection، الذي نشــره ســنة ١٩٣٠، وهو أيضــاً أول من نقل في كتابه الانتخاب الطبيعي من مســتوى الأعضـــاء واكتســابها للصفات إلى مستوى الجينات وتغيرها بالطفرات.

وفي كتابه، ســار رونالد فيشــر خلف هلاوس تشــارلز دارون حذوك البُلغة بالبُلغة، والمعضــلة الحقيقية، كما علمتَ، هي كيف ظهر الذكر والأنثى، وكيف ولماذا انتقلت الكائنات الحية من التكاثر الذاتي بالانقســـام إلى التكاثر بالتزاوج، رغم تعارض هذا الانتقال مع الانتخاب الطبيعي من أجل البقاء وحفظ النوع.

ولأنه لا تفسير لهذه المسألة الأم في عقيدة التطور، ولأنه عندما ألف رونالد فيشر كتابه كان قد تم اكتشاف الجينات وانتقال الصفات بالوراثة الجينية، وكذلك اكتشاف الهرمونات، فقد أسقط رونالد فيشر هذه المسألة الأم والأساس ولم يتعرض لها مطلقاً في الباب السادس من كتابه الذي خصصه لمسألة الانتخاب الجنسي، وأفرد الباب كله لتفسير ما بعد هذه المعضلة، ألا وهو الفروق بين أعضاء الجنسين، وكيف تختار الأنثى الذكر، وكيف تنتقل صفات القوة والغلبة في الذكور، ثم وضع نماذج رياضية لإثبات كيف يحافظ الانتخاب الجنسي على النسبة بين الذكور والإناث عبر أجيال الكائن الحي.

يقول رونالد فيشر في الفقرات الأولى من باب: التكاثر الجنسي والانتخاب الجنسي Sexual Reproduction And Sexual Selection، من كتابه: النظرية الجينية في الانتخاب الطبيعي:

"التكاثر اللاجنسي كان الحالة البدائية للمادة الحية، والتكاثر الجنسي للأنواع السائدة من الكائنات الحية كان تطوراً ذا قيمة خاصة للكائنات التي تستخدمه، وقد تطورت مجموعة من الكائنات الحية التي لم يكن التكاثر الجنسي فيها معروفاً على الإطلاق، بفعل الانتخاب الطبيعي Under The Action Of Natural Selection، وإذا افترضنا حدوث طفرة مفيدة في أي لحظة Beneficial Mutation Occurring At Any Instant، فإنها سوف تسود في نهاية المطاف في المجموعة بأكملها، وتؤدي بالتالي إلى تقدم تطوري"[1].

وكما ترى، أنت أمام درجة مستفحلة ومستعصية من الذُهان والخلل العقلي، فاكتشاف الجينات والهرمونات وتركيب الخلايا وكيف يحدث التناسل، لم يفلح في

---

1) Ronald Fisher: The Genetical Theory Of Natural Selection, P121-122, Oxford University Press, 1930.

تقليل مستوى الهلاوس، وكل ما فعله رونالد فيشر في كتابه، من أجل تفسير ظهور الذكر والأنثى والتكاثر بالتزاوج، هو أنه قام بتحديث هلوسة تشارلز دارون عن السلف الأعلى الخنثى للإنسان ومملكة الحيوان، ووضع مكانها هلوسة أخرى عن طفرة جينية حدثت في أي لحظة، ومثل تشارلز دارون بالضبط، لم يخبرك متى كانت اللحظة التي حدثت فيها هذه الطفرة السعيدة، وما الدليل عليها، وكيف وبأي طريقة شطرت الكائن الحي إلى ذكر وأنثى، وكيف صنعت وهي تشطرهما غدداً وهرمونات خاصة بكل منهما وحده، وكيف شكلت أعضاءً في كل منهما تناسب أعضاء الآخر ويمكنها الالتقاء بها والاندماج معها أثناء التزاوج، وكيف حوَّلت بعض خلايا الجسم إلى خلايا للتناسل ذات مواصفات خاصة، وكيف جعلت الكروموسوم **Y** في الذكر يختلف عن الكروموسوم **X** في الأنثى.

ورونالد فيشر كان أيضاً أول من حاول تقديم تفسير يزيل به التعارض بين الانتقال من التكاثر الذاتي إلى التكاثر بالتزاوج وبين الانتخاب الطبيعي، لأن تكاثر البكتيريا أو الكائن الحي وحيد الجنس ذاتياً أسهل وأسرع وأقل مخاطر وأكثر حفظاً لنوعه في صراع البقاء من التكاثر بتزاوج فردين، وأقام تفسيره على أن التكاثر بالتزاوج أكثر فائدة للنوع، لأنه يؤدي إلى تنوع أكبر في الصفات التي يكتسبها نسله من التقاء فردين، ولأن الطفرات النافعة أو المفيدة إذا حدثت في فرد واحد يمكن أن يمحو كل منها الآخر، بينما الطفرات في فردين مختلفين يحدث بينهما تكامل يؤدي إلى تطور النسل.

يقول رونالد فيشر في باب: التكاثر الجنسي والانتخاب الجنسي من كتابه: النظرية الجينية في الانتخاب الطبيعي:

"التقدم التطوري يواجه معضلة في الكائنات الحية اللاجنسية، لأنها لا تستطيع الاستفادة من جميع الطفرات المفيدة التي تحدث، والنجاة من مخاطر الفترة الأولية، إلا إذا كان معدل حدوث الطفرات منخفضاً، بينما إذا كان معدل الطفرات، سواءً

المفيــدة أو الضـــــــارة، مرتفعـاً بمــا يكفي للحفــاظ على تنوع وراثي كبير Considerable Genetic Diversity، فالأنماط الجينية الأكثر تكيفاً هي فقط التي يمكن أن تصـــبح أســـلاف الأجيال القادمة ... وعند المقارنة فإن معدل التطور النسبي للأنواع الجنسية واللاجنسية التي تشغل نفس الموقع في الطبيعة، وتكيفت معه، تعتمد على عدد المواقع الجينية المختلفة Loci في الأنواع الجنســـية، والتي تكون جيناتها قابلة للتبادل بحرية أثناء التطور. وبناءًا على ما هو معروف عن الحيوانات العليا، يجب أن يكون هذا العدد عدة آلاف على الأقل، ولكن حتى إذا كان النوع الجنســـي يمتلك جينين فقط، فســـوف يحظى بميزة واضـــحة على منافســـه اللاجنســـي، ليس بســـبب فائدة فســـيولوجية يأخذها من الاتحاد الجنســـي، بل من مضاعفة معدل استجابته للانتخاب الطبيعي"(١).

ومعنى كلام رونالد فيشـــر، أن الكائن وحيد الجنس إذا حدثت فيه طفرات جينية بمعدل مرتفع، فســـوف يختار الانتخاب الطبيعي واحدة فقط من هذه الطفرات ويورثها لنســـله، فيخســـر بقية الطفرات المفيدة وما تُحدثه من تنوع، أما في الكائن مزدوج الجنس، فالانتخاب الطبيعي ســـوف يختار طفرة في الذكر وأخرى في الأنثى، فتلتقي في نسلهما الطفرتان، مما يؤدي لتحسن النسل والتنوع في صفات النوع وحدوث تقدم في تطوره.

ولن نعيد عليك مرة أخرى، أن البحوث التجريبية والإحصائية أثبتت أن الزمن الذي يستغرقه حدوث طفرتين نافعتين متكاملتين في الإنسان، ٢١٦ مليون سنة، وأنه بناءًا على ذلك فعدد الطفرات التي يحتاجها الكائن وحيد الجنس لكي يتطور بها حتى يصل

---

1) The Genetical Theory Of Natural Selection, P122-123.

إلى الكائن الحي المزدوج الجنس، ثم إلى الإنســـــان، يحتاج إلى زمن يتخطى عمر الكون كله.

وإذا كنت يقظاً وأنت تقرأ ما قاله رونالد فيشــر، ربما قلت: إن رونالد فيشــر حاول سـد الفجوة التي تركها تشــارلز دارون، وهي التعارض بين التكاثر بالتزاوج وبين قانون البقاء بالانتخاب الطبيعي، عبر ابتكار فوائد للتزاوج بين الذكر والأنثى، ولكنه مرة أخرى تجاهل المعضــلة وأسـقط المســألة الأم، وهي كيف ظهر الذكر والأنثى أصـــلاً وحدث انقسام البكتيريا والكائن وحيد الجنس والتحول إلى التكاثر بالتزاوج، ثم إنه ابتكر فوائد للتكاثر بالتزاوج، ولكنه لم يجب على السؤال الذي يترتب على ابتكاره، وهو كيف عرف الكائن وحيد الجنس هذه الفوائد قبل أن تحدث، وهل اتخذ قراراً بأن يتحول إلى التكاثر بالتزاوج وهو على وعي بقراره وما ســـيترتب عليه من فوائد، أم أن تحوله كان قراراً عشوائياً ودون دراسة، ثم جاءته الفائدة بصدفة من جملة الصدف السعيدة؟!

وإجابتنا على سؤالك، هي أنه يبدو أنك لم تكن يقظاً بما فيه الكفاية، فرونالد فيشر أخبرك فعلاً بالذي عَلِم بفوائد التزاوج قبل أن يظهر ويحدث، واتخذ قراراً بتحويل الكائن وحيد الجنس إلى ذكر وأنثى، ووضع خطة محكمة لكي يحدث هذا الانشطار والتحول، مع ما يلزم من اختلاف في الكروموســـومات والغدد والهرمونات والخلايا التناســـلية وشــكل الأعضــاء بين الذكر والأنثى ومن تناســب بينهما، ألا وهو الســيكو ســيكو، والسيكو سيكو، كما تعلم، يقطع قول كل سائل وخطيب.

وفي عدد شـــهر مايو ســـنة ١٩٦٤م، من مجلة بحوث الطفرات Mutation Research، التي تصدرها الأكاديمية الهولندية للعلوم، نشر أستاذ البيولوجيا والجينات في جامعة إنديانا الأمريكية، الألماني الأمريكي هرمان جوزيف مولر Hermann Joseph Muller، دراســـة عنوانها: علاقة إعادة التركيب بالتقدم من خلال الطفرات The Relation Of Recombination To Mutational Advance، وفيها قام

بعمل نموذج رياضـي إحصـائي لمقارنة معدل الطفرات ونتائجها في التكاثر اللاجنسي والتكاثر بالتزاوج، وتابع تفسـير رونالد فيشـر عن زيادة معدل الطفرات النافعة وتراكمها في التكاثر بالتزاوج، وزاد على ذلك أن نسبة حدوث الطفرات الضـارة وتراكمها تنخفض في النسل الناتج عن التزاوج مقارنة بالتكاثر اللاجنسي، وأنه يمكِّنها من التكيف بسرعة أكبر وتجاوز الظروف البيئية، ويقول في دراسته:

"إعادة تركيب الجينات التي حدثت فيها الطفرات يمنح الجماعة الجنســـية القدرة على المراوغـة وتبني حيـل جينيـة قصـــيرة الأجـل Short-Term Genetic Dodges، تمكنها من التكيف مع التغيرات في الظروف البيئية والفيزيائية بســـرعة أكبر بكثير مما هو ممكن لجماعة لاجنســـية مماثلة، وتوجد آلية لا رجعة فيها Irreversible Ratchet Mechanism في الأنواع اللاجنســـية التي لا يُعاد تركيب جيناتها، تمنع الانتخاب الطبيعي، مهما ارتفعت شـــدته، من خفض عبء الطفرات الضارة إلى مستوى أدنى من الذي كان موجوداً عند بدء الانتخاب الطبيعي المكثف، على عكس الأنواع الجنسية التي يعاد تركيب جيناتها"[(١)].

وما فعله هرمان موللر، كما ترى، هو أنه وضـــع نظرية في فوائد التكاثر بالتزاوج، وليس في تفســـير كيف حدث التحول إليه ولماذا، والســـؤال مرة أخرى، هل كانت البكتيريا أو الكائن وحيد الجنس يمتلك قوانين ومعادلات وكمبيوتر وبرامج للإحصـــاء، وقام مثل هرمان موللر بعمل دراســـات وإحصـــاءات ونماذج رياضـــية، وعلم منها أن التكاثر بالتزاوج سوف يقلل من حدوث الطفرات الضارة وتراكمها في نسله، ويمكِّنه من

---

1) Hermann Joseph Muller: The Relation Of Recombination To Mutational Advance, Mutation Research, Volume I, Issu I, May 1964, P2-9.

مراوغة الظروف البيئية والفيزيائية، واتخذ بناءًا على ذلك قراراً تاريخياً بالانقســـام إلى ذكر وأنثى، أم أنه أيضاً السيكو سيكو؟

وفي ســنة ١٩٧٥م، وضــع أســتاذ البيولوجيا التطورية في جامعة نيويورك، جورج وليامز George Williams، في كتابه: الجنس والتطور Sex And Evolution، نظرية أخرى لتفسير فوائد التزاوج الجنسي، وشبه فيه الفرق بين التكاثر الذاتي والتكاثر بالتزاوج باللوترية أو اليانصـيب Lottery، وقال إن التكاثر اللاجنســي مثل شـراء عدد كبير من أوراق اللوترية وجميعها تحمل نفس الرقم، بينما التكاثر بالتزاوج يعني شـــراء عدد أقل من الأوراق ولكن بأرقام مختلفة، أي أن النســل في التكاثر اللاجنســي يحمل نفس التركيب الجيني وصــفات الكائن وحيد الجنس الأب، وهو ما يُعرِّض جميع أفراده للهلاك في مواجهة الظروف البيئية القاســية، بينما في التكاثر بالتزاوج ســوف يختلف التركيب الجيني والصــفات في النســل عن الأب والأم معاً، وفي كل فرد عن الآخر، وهو ما يمنح أفراده أو بعضــهم فرصــة النجاة من الظروف البيئية، وعلى ذلك فالتكاثر اللاجنســي أفضــل لبقاء الكائن الحي وحفظ نوعه عند اســتقرار الظروف البيئية، بينما التكاثر بالتزاوج أفضل له عند تقلبها.

وفي باب: هل للجنس فائدة What Use Is Sex، من كتابه: الجنس والتطور، وبعد أن ذكر المعضـلة التي يصـنعها الجنس والتكاثر الجنسـي في عقيدة التطور، لأنه يتعارض مع الانتخاب الطبيعي، ويبدو وكأنـه لا فـائدة منـه لحفظ بقاء الكائن الحي ونوعه، يقول جورج وليامز:

"الكائنات الحية تســتجيب للظروف البيئية تلقائياً، كما يســتجيب الإنســان لبرودة الجو بتقلص الأوعية الدموية في أطرافه، والإجابة على سـؤال ما فائدة الجنس، هي أنه تكيف من الأصل Parental Adaptation لحماية النسل في مواجهة ظروف خاصة، والفرق بين التكاثر اللاجنسي والجنسي، أن عدد النسل الذي يتم إنتاجه في

التكاثر اللاجنسي كبير، ويتم إنتاجه باستمرار، ويتطور بالقرب من الكائن الحي الأب، ويتطور فوراً، ويصل إلى النضج مباشرة، ومعدل الموت قليل، والانتخاب الطبيعي نشاطه ضعيف، أما التكاثر الجنسي، فهو محدود بموسم معين، وعدد النسل صغير، وينتشر انتشاراً كبيراً بعيداً عن الأصل Widely Dispersed، وتطوره بطيء، ومن خلال مراحل متنوعة، كالأجنة واليرقات، ومعدل الموت مرتفع، والانتخاب الطبيعي نشاطه مكثف، ولذا فالتكاثر اللاجنسي للنسل في جوار أصله، يُعدُّ تكيفاً إذا كان النسل سيصل سريعاً إلى مرحلة النضج في ظروف بيئته، أما إذا تغيرت ظروف البيئة، فإن الاختلاف والتنوع الجيني هو الاستراتيجية الطبيعية، والإجابة على سؤال ما فائدة الجنس، هي أن الجنس والتكاثر الجنسي تكيُّف في مواجهة تغير الظروف Sex Is An Adaptation To Changed Condition"[١].

ومرة أخرى، وكما ترى، جورج وليامز حاول التوفيق بين التكاثر بالتزاوج بين ذكر وأنثى وبين بقرة الانتخاب الطبيعي المقدسة في عقيدة التطور، فتخيل فيلماً عقدت فيه البكتيريا مؤتمراً على مستوى القمة، ورسمت فيه خطة جهنمية لكي تتحول إلى ذكر وأنثى وتتغلب على ظروف البيئة وتحافظ على نسلها، ولكنه أسقط المعضلة، وهي كيف تحولت البكتيريا أو الكائن وحيد الجنس وانشطرت إلى ذكر وأنثى، وبأي ميكانيزم أو طريقة تكونت واختلفت كروموسومات كل منهما وغدده وهرموناته وحيواناته المنوية وبويضاته وأعضاؤه التناسلية، وتناسبت للقاء الآخر والتزاوج معه.

وفي عدد شهر يناير سنة ١٩٧٣م، من مجلة نظرية تطورية Evolutionary Theory، التي تصدرها جامعة شيكاغو، نشر أستاذ البيئة والبيولوجيا في الجامعة، ليج فان فالِن Leigh Van Valen، دراسة عنوانها: قانون تطوري جديد A New

---

1) George Williams: Sex And Evolution, P4-7, Princeton University Press, 1975.

Evolutionary Law، وقدم فيها نظرية عن حتمية تطور أنواع الكائنات، اشــتُهرت باسـم فرضـية الملكة الحمراء Red Queen Hypothesis، لأنه شـبَّه فيها مضـمون قانونه الجديد، بعبارة جاءت على لسان الملكة الحمراء، وهي إحدى شخصيات رواية: عبر المرآة وما رأته أليس هناك Through The Looking-Glass, And What Alice Found There، للروائي الإنجليزي لويس كـارول Lewis Carroll، التي نشرت سنة ١٨٧٢م، وفي الرواية تقول الملكة الحمراء لأليس:

"الآن، كما ترَين، يتطلب الأمر منك الجري بأقصـى سـرعة ممكنة للبقاء في نفس مكانك، وإذا كنت تريدين الوصـول إلى مكان آخر، فيجب عليك الركض بسـرعة تزيد على ضـــعف ذلك على الأقل Now, Here, You See, It Takes All The Running You Can Do, To Keep In The Same Place. If You Want To Get Somewhere Else, You Must Run At Least Twice As Fast As That"[1].

والملكة الحمراء، وتفسـير فان فالِن وقانونه في حتميه التطور، هو أن جميع الأنواع أو الكائنات الحية في بيئة معينة، يتحتم عليها التكيف والتطور والتكاثر باســـتمرار ودون توقف، لكي تحافظ على بقائها ونوعها، وإلا فإنها ســتنقرض في مواجهة الأنواع الأخرى، ويقول فان فالِن في دراسته عن قانون التطور أو الانقراض:

"لا يعتمد احتمال الانقراض على عمر النوع أو ارتفاع رتبته في التصـــنيف، بل يظل ثابتاً في أي صـــنف على مدى ملايين الســنين، ولكن احتمال الانقراض يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الفعالة والمناطق التكيفية، لأن الأصناف المختلفة لها احتمالات مختلفة للانقراض، والقانون هو أن البيئة الفعالة لأفراد أي مجموعة متجانســة من الكائنات الحية تتدهور عشـوائياً بمعدل ثابت The Effective Environment

---

1) Lewis Carroll: Through The Looking-Glass, And What Alice Found There, P42, Macmillan And Co., 1872.

Of The Members Of Any Homogeneous Group Of Organisms Deteriorates At A Stochastically Constant Rate، وزيادة اللياقة لنوع ما تؤدي إلى تدهور لياقة الأنواع المتعايشـــة معه في بيئته، ولكن لأن هذه الأنواع تتطور هي أيضــاً، تحافظ جميع الأنواع على بقائها، وتبقى اللياقة الإجمالية للنظام ثابتة، وتظل المحصـــلة النهائية للصــراع بين جميع الأنواع صــفراً Zero-Sum Game"[١].

ودراســـة فان فالِن وقانونه كانت عن بقاء الأنواع وحفظ نســـلها، ولم يتعرض فيها لمسـألة التكاثر الجنسـي، ولكن بعد نشـرها اسـتعار منها بعض خلفاء تشـارلز دارون نموذج الملكة الحمراء وضــــرورة الركض أو التطور في مواجهة البيئة للحفاظ على البقاء، ووظفوه في تفسـير التكاثر بالتزاوج، ومن أوائل هؤلاء أسـتاذ الأنثروبولوجيا في جامعة نيويورك جون هارتونج John Hartung، في دراســـته: برلمانات الجينوم والجنس مع الملكــة الحمراء Genome Parliaments And Sex With The Red Queen، التي نشـــرها ضـــمن مجموعة بحوث لأســـاتذة آخرين، في كتاب: الانتخـاب الطبيعي والســـلوك الاجتمـاعي Natural Selection And Social Behavior، الذي أصدرته جامعة ميتشجان سنة ١٩٨١م.

وفي دراســـته دمج جون هارتونج بين نظرية جورج وليامز عن أفضــــلية التكاثر الجنســـي في البيئة المتقلبة، وبين فرضـــية الملكة الحمراء لفان فالِن، وجعل التكاثر الجنسي ضرورة في مواجهة هذه البيئة المتقلبة لتجنب الانقراض، ويقول:

"الجنس الإلزامي، ذو النسـبة المرتفعة من الحيوانات المنوية لكل بويضـة، والذي يتميز بتباين عالٍ في نجاح التكاثر لدى الذكور، وهم الجنس الخاضــــع للاختيار

---

1) Leigh Van Valen: A New Evolutionary Law, Biological Theory, Vol. 17, Issue 2, P120-125, January 1973.

الجنســـــي، يجب أن يحتل المرتبة العليا، وإذا أظهر ذكر واحد، من بين مجموعات كبيرة من الذكور المتجولة المُستبعَدة من الوحدة الاجتماعية الأساسية للنوع، تفوقه في المنافســــة بين الذكور، فمن المرجح أن يكون تفوقه ناتجاً عن قدرته على استخدام موارد الغذاء بشــكل أفضــل، وليس من تفوق جيناته العدوانية، وســتزيد الإناث من فرصــها في التناســل إلى أقصــى حد عن طريق التزاوج مع هذا الذكر، فدرجات الميول الجنســية هي اســتجابة لدرجات الديناميكية التطورية Response To Degrees Of Evolutionary Dynamics، وكلما كانت ظروف الكائن الحي أكثر تقلباً وديناميكية، زاد الضـغط الانتخابي الذي يمارســه على الكائنات التي يعتمد عليها في بقائه، وزاد الضـــغط الذي يتعرض له من كائنات أخرى، وزادت حاجته للتكاثر الجنسـي، وكلما كانت البيئة مسـتقرة، ولم يتسـبب في فناء غيره ولا تعرض للفناء، انخفضت حاجته إلى التكاثر الجنسي، وصارت استجابة ثانوية، بدلاً من العودة إلى التكاثر اللاجنسي"[1].

والآن إذا راجعت جميع النظريات التي وضعوها في تفسير ظهور الجنسين والتحول من التكاثر الذاتي اللاجنسي إلى التكاثر بالتزاوج بين ذكر وأنثى:

فأولاً: ســــتجد أن جميع هذه النظريات تتجاهل المعضــــلة الحقيقية وتقفز فوقها، وتفسر فوائد التكاثر بالتزاوج، وليس كيف ولماذا ظهر الذكر والأنثى والتزاوج بينهما في الكائنات الحية.

---

1) John Hartung: Genome Parliaments And Sex With The Red Queen, In: Richard Alexander And Donald Tinkle, Editors: Natural Selection And Social Behavior, P391-393, Chiron Press, New York, 1981.

وثانياً: أنها جميعاً نظريات أو ســـــيناريوهات تخيلية ولا علاقة لها بالعلم ولا بالتجارب، ولا توجد أي وسـيلة لاختبارها والتأكد من صـحة أي منها، أو خطئها كلها، كما هو منهج العلم الطبيعي الصحيح.

وثالثاً: إذا تأملت جميع هذه التفســـيرات لفوائد التكاثر بالتزاوج، فســـوف تدرك أن الانتخاب الطبيعي والجنســـي، ليس ســـوى غلاف لتمويه الفاعل الحقيقي في هذه النظريات والتفسيرات، فهو الذي اكتشف فوائد التزاوج وشطر الكائنات الحية إلى ذكر وأنثى وصـــنع لكل منهما كروموســـوماته وغدده وهرموناته وأجهزته وحيواناته المنوية وبويضـاته وأعضـاءه التناسلية وجعلها مناسبة للقاء الآخر والاندماج معه، وهذا الفاعل الحقيقي والخفي هو الصـــدف العشـــوائية التي حدثت تلقائياً وتراكمت بفعل الزمان والسيكو سيكو.

ورابعاً: إليك السـير جون مادوكس John Maddox، أسـتاذَ الفيزياء والكيمياء في جامعة مانشستر البريطانية، ورئيس تحرير أشهر المجلات العلمية، نيتشر Nature، يخبرك صـــراحة أن وجود الذكر والأنثى الغالب في الكائنات الحية، والتكاثر بالتزاوج بينهما، يتعارض مع عقيدة التطور، ولا يوجد فيها تفسير له، وأن جميع النظريات التي وضـعوها في تفسيره تخيلات وهلاوس لا يوجد عليها أدلة، وأن السيكو سيكو لا يمكن أن يكون تفسيراً صـحيحاً، لأنهم جعلوه في هلاوسهم يعلم الغيب ويرتب مواجهة الكائن الحي للظروف البيئية من قبل أن تحدث.

يقول جون مادوكس، في كتابه: ماذا تبقى ليُمكن اكتشـــافه، خرائط أســـرار الكون وأصـول الحياة ومستقبل الجنس البشري What Remains To Be Discovered, Mapping The Secrets Of The Universe, The Origins Of Life, And The Future Of The Human Race:

"السؤال الملح هو متى وكيف تطور التكاثر الجنسي، فرغم عقود من التكهنات، ما زلنا نجهل الإجابة عليه، وتكمن الصعوبة في أن التكاثر الجنسي يُعقِّد الجينوم ويستدعي وجود ميكانيزم منفصل لإنتاج الأمشاج **Separate Mechanism For Producing Gametes**، وتكلفة الميتابوليزم/الأيض اللازمة للحفاظ على هذا النظام هائلة، وكذلك تكلفة توفير الأعضاء المتخصصة في التكاثر الجنسي، مثل رحم الإناث، ومن منظور التطور لا توجد فوائد مقابل ذلك كله، فلا توجد مزايا واضحة للتكاثر الجنسي، ويرى البعض أن التكاثر الجنسي يُسهِّل على الكائن الحي المُتطوّر التخلص من التغيرات الجينية الضارة، وهذا صحيح بالتأكيد إذا وُجد أكثر من تغير جيني، وكان مجموع تأثيرها على لياقة الكائن الحي المُتطوّر أكبر من تأثير كل منها على حدة، ولكن لا يوجد دليل مباشر يُثبت أن هذه القاعدة قابلة للتطبيق عموماً، بل إن تجربة حديثة أُجريت على بكتيريا الإشريشيا القولونية **Escherichia Coli** أثبتت عكس ذلك، واللافت في هذه التجربة أنها حديثة ونُشرت سنة ١٩٩٧م، وأُجريت على الكائن الحي الأكثر خضوعاً للتجارب في علم الجينات المعملي التجريبي، وثمة معضلة أخرى، وهي كيف تطورت هذه العملية وما تنطوي عليه من تعقيدات؟ فالاختلافات عن النمط السائد عادةً ما تكون ضارة، ويقل احتمال بقاء الأفراد الحاملين لها حتى سن التكاثر، ويبقى النمط السائد هو النمط السائد، وتكمن المعضلة في أن الانتخاب الطبيعي لا يستطيع التنبؤ بالتغيرات البيئية **The Dilemma Is That Natural Selection Cannot Anticipate Changes In The Environment**، فكيف يُرتِّب لتطوير أعضاء تناسلية متخصصة كآلية وقائية ضد هذه التغيرات البيئية؟"[1].

---

1) John Maddox: What Remains To Be Discovered : Mapping The Secrets Of The Universe, The Origins Of Life, And The Future Of The Human Race, P252-253, Martin Kessler Books, The Free Press, New York London Toronto Sydney Singapore, 1998.

حادث تصادم بين الأمشاج في المحيط أنتج الذكر والأنثى:

وبعد فشل جميع النظريات التي وضعها خلفاء تشارلز دارون على هلاوسه، طوال القرن العشرين، لتفسير ظهور الذكر والأنثى وتحول الكائنات الحية إلى التكاثر بالتزاوج، من خلال عقيدة التطور والسيكو سيكو، اتجهوا في القرن الحادي والعشرين إلى التفسير بوضع فرضية أو تخمين عن كيف ظهر أول حيوان منوي وبويضة في الكائنات الحية، واختلف تركيبهما الجيني، فإليك ما تخيلوه، من دراسة لأستاذ البيولوجيا التطورية في جامعة بازل في سويسرا، جوسي لِيتونن Jussi Lehtonen، وأستاذ البيولوجيا الجزيئية في جامعة ليفربول في إنجلترا، جِف باركر Geoff Parker، نُشرت في عدد شهر أكتوبر سنة ٢٠١٤م، من مجلة التكاثر البشري الجزيئي Molecular Human Reproduction، التي تصدرها الجمعية الأوروبية للتكاثر البشري وعلم الأجنة European Society For Human Reproduction And Embryology، وكان عنوانها: تنافس الأمشاج ومحدودية الأمشاج وتطور الجنسين Gamete Competition, Gamete Limitation, And The Evolution Of The Two Sexes.

وفي الدراسة، وبعد أن عرضوا المعضلة التي يصنعها التكاثر بالتزاوج وعدم وجود تفسير لها في عقيدة التطور، يقول جوسي ليتونن وجف باركر، إن معضلة ظهور التكاثر بالتزاوج في الكائنات الحية عموماً، وفي البشر خصوصاً، لا يمكن تفسيرها إلا بمعرفة كيف افترق الكائن الحي إلى ذكر وأنثى، وهذا هو تعريفهم للذكر والأنثى:

"الذكور هم الأفراد الذين ينتجون الأمشـــاج الأصـــغر، مثل الحيوانات المنوية Smaller Gametes e.g. Sperm، بينما الإناث هن اللواتي ينتجن الأمشـــاج الأكبر Larger Gametes"[1].

ثم يقول ليتونن وباركر، إن تنوع الكائن الحي إلى ذكر وأنثى حدث مع اختلاف حجم الأمشـاج، فالأمشـاج في السـلف الأعلى للكائنات الحية كانت متسـاوية الحجم ومتشابهة، ثم تغير حجمها، فصار بعضـها أمشاجاً صـغيرة، وبعضـها أمشاجاً كبيرة، ومع هذا الاختلاف تنوعت الأمشاج، وظهر أول حيون منوي وأول بويضـة، أما ما تلا ذلـك من ظهور الـذكر والأنثى واختلاف تركيـب كـل منهمـا والتحول من التكـاثر اللاجنسي إلى التكاثر بالتزاوج، فكلها مسائل سهلة، ولن تستعصي على السيكو سيكو.

فإليك الهلوسة التي هلوسوها وفسروا بها كيف ظهر أول حيوان منوي وبويضـة:

"التباين في حجم الأمشـــاج Anisogamy، ربما نشـــأ لأول مرة منذ أكثر من مليـار ســـنـة، ويبـدو أن الكـائنـات حقيقيـة النواة متعددة الخلايا Eukaryotic Multicellular Forms، قد نشـــأت من خلايا وحيدة Unicells في المحيطات القديمة، والخلايا الوحيدة تكون غالباً متماثلة الأمشاج Isogamous، وهذا التحول التطوري من التماثل في الأمشـاج إلى التباين، لا يوجد له أثر في سـجل الحفريات، ولذا يعتمد فهم هذا التحول على النماذج الرياضية، ونقطة البداية في أغلب النماذج هي افتراض ســلف بحري متماثل الأمشــاج Isogamous Marine Ancestor، قام بإطلاق أمشاجه في مياه المحيط، حيث حدث الإخصاب عندما اصطدم مشيجان متوافقان من أبوين مختلفين عشوائياً واندماجا معاً Collided Randomly And

---

1) Jussi Lehtonen And Geoff Parker: Gamete Competition, Gamete Limitation, And The Evolution Of The Two Sexes, Molecular Human Reproduction, October 16, 2014, Vol.20, No.12, P1161.

Fused، وفي جميع التجارب التي أجريت على الكائنات وحيدة الخلية وحقيقية النواة، فإنه لا يحدث اندماج بين أمشـــاجها عند إطلاقها في ماء البحر، ولكن ربما حدث ذلك بفعل الانتخاب الطبيعي، فهل أنتج هذا الاندماج خنثى أم جنســـين منفصلين Hermaphrodites Or Separate Sexes، سؤال ليس لدينا إجابة حاســمة عليه، وســـواءًا كان هذا أو ذاك، حدثت طفرة أدت إلى اختلاف في معدل انقســام الخلايا، وإنتاج أمشــاج بأحجام مختلفة عن بقية أفراد المجموعة، مما أدى إلى ظهور جنسين منفصلين، ومن هنا فالتباين في الأمشاج كان له آثار كبيرة على التطور اللاحق، إذ بمجرد ظهور جنسين، نشط الانتخاب الجنسي واختار بسرعة أن تكون النســبة بين الذكور والإناث ١:١ حســـب مبدأ فيشـــر Fisher's Principle"[١].

فأولاً: هل تنبهت أن أدلتهم على جميع الهلاوس التي تراءت لهم تنحصــر في أنه: "**ربما نشأ**"، "**ويبدو أنه**"، "**وربما حدث**"، ثم هم أنفسهم يقولون في دراستهم إن الدراسات العلمية والتجريبية الحقيقية تتناقض مع جميع هلوســـاتهم، فالتحول من الأمشـــاج المتماثلة إلى المتباينة لا يوجد عليه دليل في ســـجل الحفريات، وأمشـــاج الكائنات حقيقية النواة لم تندمج معاً في التجارب عند إطلاقها في ماء البحر، كما توهموا.

وثانياً: يخبرك جوســي ليتونن وجف باركر في شـطحتهم العجيبة عن الحادثة التي وقعت في المحيط القديم، أن الطرق كانت مزدحمة في المحيط، وإشـــارات المرور بها عطل لسبب غير معلوم، فاصطدمت الأمشاج ببعضها واندمجت معاً، ولكن لا يوجد في دراستهم ما تعرف منه كيف اندمج المشيجان عندما وقعت الحادثة واصطدما، فهل اخترق أحدهما بطن الآخر واســـتقر داخلها، فكيف حدث ذلك وهما متماثلان في

---

1) Gamete Competition, Gamete Limitation, And The Evolution Of The Two Sexes, Molecular Human Reproduction, October 16, 2014, Vol.20, No.12, P1162-1266.

الحجم، أم أنهما التصقا معاً بفعل الحرارة الناتجة عن الصدمة، وإذا حدث ذلك فهل لم يكن عندهم في المحيط شرطة ولا فاعل خير ليفصل بينهما؟

وثالثاً: الفائدة الوحيدة من الهلوسة التي هلوسها ليتونن وباركر، هي أنهم وضعوا يدك على التدليس الذي يدلسونه في النماذج الرياضية والإحصائية التي يصممونها لمحاكاة الطبيعة وتفسير ظواهرها، من أول كيف نشأت الحياة وظهرت الخلية الحية الأولى، مروراً بكيف تنوعت الكائنات، وكيف ظهر الذكر والأنثى والتكاثر بالتزاوج، وصولاً إلى تفسير وجود الإنسان واختلافه عن بقية المخلوقات، فهم يخبرونك أن جميع النماذج الرياضية التي تم تصميمها لتفسير ظهور الحيوان المنوي والبويضة، جعلوا الفرضية الأولى فيها وجود سلف بحري مشترك لجميع الكائنات الحية، وهذه الفرضية مصدرها أذهانهم وعقيدتهم في التطور والسيكو سيكو وليس البحوث التجريبية والنماذج الرياضية، فهم يضعون الفرضية التي يعتنقونها أولاً ثم يدخلونها في الكمبيوتر وبرامج الإحصاء، لكي تنتج لهم معادلات ونماذج رياضية تتوافق مع الفرضية التي وضعوها وصارت حاكمة للكمبيوتر والبرامج وتتحكم في النتيجة النهائية.

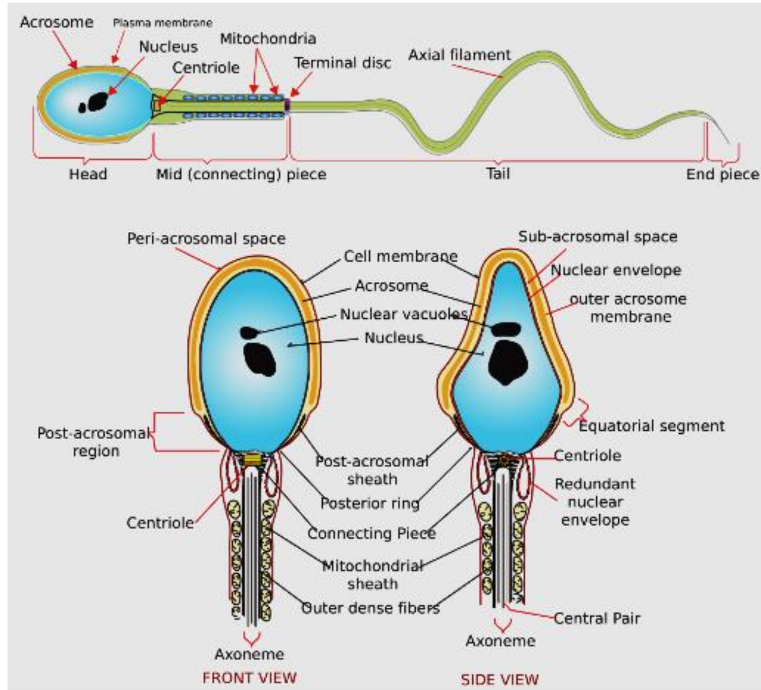
ورابعاً: إذا فحصت ما قاله ليتونن وباركر بعناية، فلن تعرف إن كنت تتعامل مع أساتذة وعلماء في البيولوجيا أم مع سريحة بعربية بطاطا، فقد اختزلوا الفرق بين الأمشاج في الحجم، فالصغير منهما حيوان منوي، والكبير بويضة، فهاك الفروق بين الحيوان المنوي والبويضة، لكي تتيقن أن وصفنا لهم بأنهم سريحة بعربية بطاطا يحتاج إلى اعتذار للسريحة بعربية بطاطا.

الحيوان المنوي والبويضة هما الخلايا التناسلية في الذكر والأنثى، والحيوان المنوي تنتجه الخصيتان، والبويضة تنتجها المبايض، وهما معاً يختلفان عن بقية الخلايا، في أن نواة كل منهما تحتوي في الإنسان على ٢٣ كروموسوماً فقط، بينما جميع الخلايا الأخرى تحتوي نواتها على ٢٣ زوجاً، أو ٤٦ كروموسوماً، وهذه الكروموسومات هي

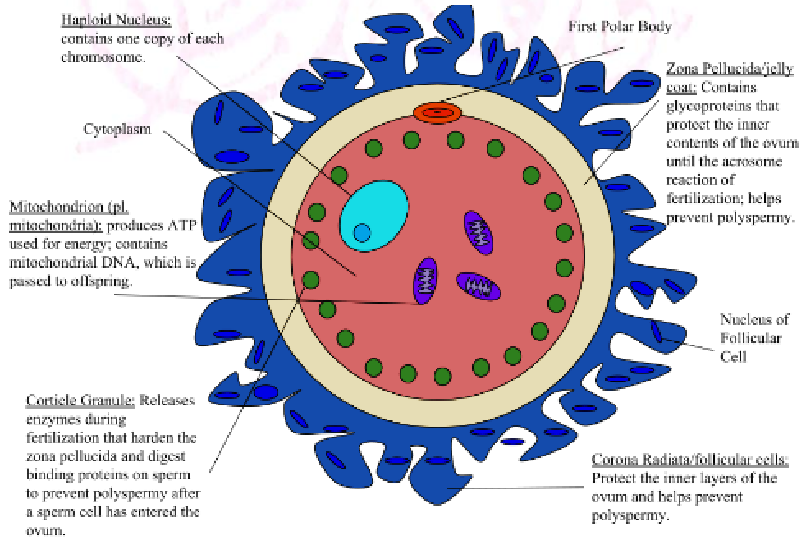
التي تحوي الدي إن إيه والجينات وشفرة المعلومات التي تحمل خصائص الكائن الحي ومواصفاته، وعند التزاوج والتلقيح يخترق الحيوان المنوي البويضة ويندمج بها، فيصبح عدد الكروموسومات في خلية الجنين التي تكونت من اندماجهما ٤٦ مرة أخرى.

والفرق بينهما أن الحيوان المنوي يتكون من رأس يوجد به الدي إن إيه والشـــفرة الوراثية وإنزيمات تمكِّنه من اختراق غشـــاء البويضـــة، ولا يوجد فيه من المكونات التقليدية في الخلايا ســوى وحدة إنتاج الطاقة، وهي الميتوكوندريا، وله ذيل أو ســوط يعمل كمحرك ويمكِّنه من الســباحة بطريقة موجية في الجهاز التناســلي للأنثى، وهو أصغر خلية في الإنسان، وطوله يتراوح من ٤٥–٦٠ ميكرون، والميكرون هو جزء من ألف جزء من المليمتر، وأحد كروموسوماته الثلاثة والعشرين كروموسوم جنسـي، وإما أن يكون ذكرياً Y، أو أنثوياً X، وأما البويضـــة فتخرج من المبيض وتعبر قناة فالوب إلى الرحم وتلتصق ببطانته دون حركة، وهي أكبر خلية في الإنسان، وحجمها يتراوح بين ١٨–٢٢ مليمتر، والمليمتر جزء من ألف جزء من المتر، وتتكون من نواة وسيتوبلازم، وإحدى كروموسوماتها جنسي أنثوي X.

فهاك صـورة لتركيب الحيوان المنوي والبويضـة لتدرك الفرق الشـاسـع بينهما، وأن المســـألـة لا تتعلق بـالحجم وحـده، كمـا اختزلهـا ليتونن وبـاركر في الهلاوس التي هلوسوها.

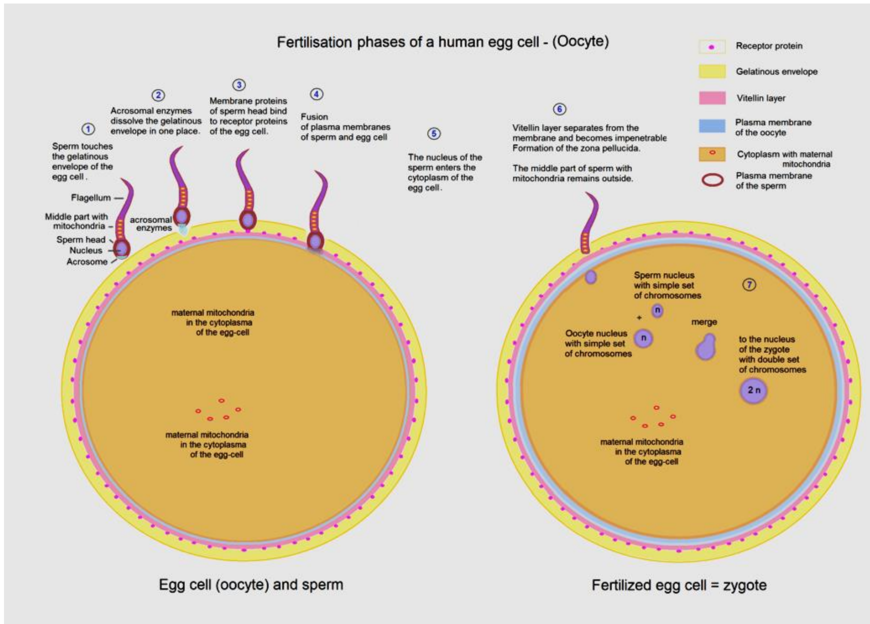


الحيوان المنوي في الذكر في الإنسان.



بويضة الأنثى في الإنسان.

ومتوســط عدد الحيوانات المنوية التي تخرج من الإنســان الذكر في القذفة الواحدة ٣٠٠ مليون حيوان منوي، فإذا اخترق حيوان منوي البويضـــة، وحدث الإخصـــاب، أغلقت البويضـــة أبوابها، وتحول غشــاؤها إلى جدار مصــمت، ولا يمكن لأي حيوان منوي آخر من هذه الملايين أن يمر منه.



اختراق الحيوان المنوي للبويضة والإخصاب.

فالآن، وحسب الفيلم الذي تخيله ليتونن وباركر حدثت سلسلة من الصدف السعيدة، فأصيب كائن وحيد الجنس والخلية بإسهال في الأمشاج، ولعدم وجود دورة مياه قريبة، أطلقها في المحيط متماثلةً في الحجم والتركيب، وبســـبب الازدحام في الطرق وتعطل إشارات المرور في المحيط اصطدم مشيجان معاً واندمجا، ومع هذه الصدمة والاندماج حدثت طفرة أدت إلى إنتاج أمشاج مختلفة الحجم، فكيف حدث الاختلاف بين الحيوان المنوي والبويضة في الشكل والتركيب والمكونات والخصائص والوظيفة، وهل كان ذلك أيضاً بسبب الاصطدام أو الاندماج، أم بسبب الصدمة النفسية التي أصابتها؟!

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾:

وإذا كنت قد بدأت هذا الكتاب الذي بين يديك من أوله، ووصـــــلت فيه إلى هذا الموضـع، وراجعت مرة أخرى جميع التخمينات والهلاوس التي هلوسـها خلفاء تشـارلز دارون، في تفســير ظهور الذكر والأنثى وتحول الكائنات الحية من التكاثر بالانقســام الذاتي إلى التكاثر بالتزاوج، فلابد أنك قد أدركت العلة العميقة لجميع هذه الهلوســـات، وتضـاربها مع ما تنتجه بحوثهم العلمية والتجريبية الحقيقية، ولفشلهم في الوصـول إلى تفسير حقيقي وصحيح.

وهذه العلة العميقة التي تتفجر منها هلاوسـهم، وهي قاعدة بنائهم الذهني والنفسـي، وتسـري في جميع دراسـاتهم وتحكمها وتتحكم فيها وإن لم ينصـوا عليها، هي البدء من إنكار الوجود الإلهي والخلق، واعتبار هذا الإنكار فرضـــــية عليا ومطلقة وحاكمة، يحصـــــرون جميع فرضـــــياتهم ونظرياتهم داخلها، ويلوون نتائج بحوثهم التجريبية ويتعسفون في تفسيرها لكي تتوافق مع فرضـيتهم العليا في إنكار الوجود الإلهي وتظل دائماً محصـورة فيها ولا تخرج عنها، والوجود الإلهي والخلق، كما عرَّفناك تفصـيلاً، في باب: **الحركات السرية والعلوم الطبيعية**، من كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات الســــرية**، ليس مجرد اختيار عقائدي نظري، يمكن لمن يشـــــتغل بالعلوم الطبيعية أن يُقره أو ينكره دون آثار في بحوثه ودراســـــاته، بل هو حقيقة ســـــارية في الوجود كلـه، ومبثوثـة في جميع مكونـاتـه، كمـا أخبرك الله عز وجـل في بيـانـه إلى البشرية:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ **(فصلت: ٥٣)**.

فالوجود الإلهي والخلق حقيقة سارية في تصميم الكون وأجرامه وقوانينه ونظامه، وفي الإنسان والمخلوقات وتركيبها ووظائفها، وفي الأرض والبيئة والطبيعة ونظامها وانتظامها، وفي العلاقة والتجانس بين جميع هذه المكونات، الذي يجعلها كلها وحدة واحدة، أو كأنها أعضاء في كائن حي واحد، وتتكامل من أجل أداء وظيفة واحدة تحفظها جميعاً وتمنع الخلل في النظام والتضارب بينها، ويستحيل تفسير ذلك كله بالتكون الذاتي من خلال الصدف والتراكم العشوائي.

ولذا فالبدء المتعسف من نفي الوجود الإلهي والخلق، والإصرار على حصر الدراسات والبحوث داخل هذا النفي، يترتب عليه تلقائياً ضلال في الفرضيات والنظريات، وتضارب بينها وبين نتائج البحوث التجريبية، ومتاهة يلفون فيها ويدورون حول أنفسهم بلا نهاية ودون أن يصلوا إلى شيء، فلا بديل لمسلَّمة الوجود الإلهي والخلق في تفسير وجود المخلوقات وتنوعها وتزاوجها سوى الأفلام والهلاوس التي رأيتها.

ونذكرك، ولا ينبغي أن تغفل عن السر خلف عقيدة إنكار الوجود الإلهي، وإحلال عقيدة التطور محل الخلق، وما ينفقونه من أموال طائلة لكي يرسخوها في وعي عموم البشر، فهذه العقيدة لا تقتصر على العلوم الطبيعية ولا على العلوم الإنسانية، بل هي عقيدة الغرب كله، وركن في هندسته العامة التي صنعها له اليهود والحركات السرية ويتوارثون صناعتها منذ عصر النهضة وحركة الروزيكروشان وأسرة اليهود الأخفياء من آل دي مديتشي، ويسيطرون عليه من خلالها سيطرة ناعمة ومطلقة.

والسر هو أن عقيدة التطور يتبعها تلقائياً إزاحة الغايات من أذهان البشر ونفوسهم، والإطاحة بمنظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي ترتبط بالوجود الإلهي والخلق، وإزالة العقبات من أمام إحلال منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي يريد اليهود والحركات السرية للبشر أن يكونوا عليها، لكي يتحكموا في وعيهم وبنائهم الذهني والنفسي وما

يتكون فيـه وينتجـه، من خلال التعليم والإعلام ووســـــائط اللهو والترفيـه، فيحركوهم بسلاسة ونعومة نحو ما يريدونه وهم يتوهمون أنهم هم الذين أرادوه.

ومرة أخرى، ارجع إلى باب: **الحركات السرية والعلوم الطبيعية**، من كتابنا: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية.**

والآن اعلم أن الله يخبرك في بيانه النهائي إلى البشـــرية، أنه عز وجل هو الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى، ولذا فأي فرضــية أو نظرية تبدأ وتقوم على خلاف ذلك، ليســت ســوى متاهة يضــلون فيها ويلفون حول أنفســهم ويدورون من جهة إلى أخرى، ولن يصلوا إلى شيء مهما طال الزمن وأجروا من بحوث وأنفقوا من أموال.

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ **(النجم: ٤٥).**

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾ **(الروم: ٢١).**



﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾

الإنسان من ذوات الأربع وسلالة القردة:

أخبرناك في بداية باب: **العقل والوعي،** أن تشارلز دارون أقام كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي على استراتيجيتين، إحداهما التهوين من شأن قدرات الإنسان العقلية واللغوية وتحويل الفرق بين عقل الإنسان وبقية المخلوقات إلى فرق في الدرجة أو الكمية، وليس في الأصل، والأخرى هي اختزال جُل الفرق بين الإنسان وبين بقية المخلوقات في شكله الخارجي وانتصاب قامته وشكل أطرافه ووظائفها، وسعى هو وخلفاؤه على هلاوسه إلى إيجاد وجود شبه بينها وبين نظائرها في المخلوقات الأدنى، لإثبات أنها أصلها وتطورت منها، من خلال التزوير وابتكار حلقات وسيطة لا وجود لها بين الإنسان والسلف الذي تخيلوه له، وتقديم صور لهذه الحلقات على أنها من أدلتهم وهي تخيلات رسمها لهم رسامون محترفون، وبتقدير فترة زمنية لنشوء الإنسان من هذا السلف، وضرب عُرض الحائط بتناقض هذه الفترة الزمنية مع الزمن الذي أثبتت البحوث التجريبية أنه لابد من توافره لكي تحدث الطفرات الجينية اللازمة لتحول سلف الإنسان إلى الإنسان، وبهلاوس توهموا فيها أن بعض أعضاء الإنسان ضامرة أو مندثرة ولا وظيفة لها، لأنها من بقايا الانتخاب الطبيعي ومخلفات التطور.

والعقل واللغة والوعي هي الفارق الأساسي والمحوري بين الإنسان وجميع المخلوقات الأخرى، وليس شكله الخارجي وانتصاب قامته وشكل عموده الفقري وأطرافه، الذي يشترك فيه مع بقية المخلوقات، فكل مخلوق له هيكل وشكل خارجي، يبتعد عن الإنسان قليلاً أو كثيراً، ولكنه يمتلك أصله، ولكن لا يوجد مخلوق يمتلك العقل والوعي والقدرات الذهنية واللغوية سوى الإنسان.

وكثير ممن ينتقدون عقيدة التطور وقعوا في الشَـرَك، وحصـروا نقدهم في مسـألة هيكل الإنسان الخارجي وما يتعلق بها من أدلة، وغابت عنهم المسألة الرئيسية والأهم، دون أن يكونوا على وعي أن تشـارلز دارون وخلفاءه، هم أنفسـهم، كانوا وما زالوا يريدون ذلك ويسعون إليه، ليظل السجال والمعارك محصورة في مسألة شكل الإنسان وقامته، التي يشترك فيها الإنسان مع بقية المخلوقات، ويسهُل التدليس فيها وتضليل عموم البشر بها، وبعيداً عن مسألة العقل والوعي واللغة التي ينفرد الإنسان بها، وهي أكبر معضلة في عقيدة التطور، مع معضلة أصل الحياة وظهور الخلية الحية الأولى.

وبعد أن عرفت مسـألة انفراد الإنسـان بالقدرات العقلية واللغوية في عقيدة التطور، وما تحفل به من تضـليل وتعسـف والتواء وأكاذيب وإطاحة بنتائج البحوث العلمية التجريبية الحقيقية، نعود بك إلى مسألة شكل الإنسان وقامته في عقيدة التطور، وكيف وظفوها في القول بأن الإنسـان انحدر من مخلوقات سـابقة، وأدلتهم على ذلك، وما تحفل به هي الأخرى من هلاوس وتزوير وأكاذيب.

نقلنا لك في نهاية باب: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، عن أسـتاذ البيولوجيا ورئيس الجمعية البريطانية لعلوم الحيوان وأول مدير لمنظمة اليونسكو، والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، جوليان هكسـلي، في كتابه: تفرد الإنسـان The Uniqueness Of Man، أنه:

"بعد دارون لم يعد بإمكان الإنسان أن يتجنب اعتبار نفسه حيواناً After Darwin Man Could No Longer Avoid Considering Himself As An Animal"[1]!

---

1) The Uniqueness Of Man, P2-3.

والإنسـان لم يكن بحاجة إلى أن يعتبر نفسـه حيواناً، كما يخبرك الماسـوني جوليان هكسـلي، لأن الماسـوني تشـارلز دارون اختصـر للإنسـان الطريق وأدخله فعلاً في تصنيف الحيوان، وكافح في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، لكي يُخرجه من تصـنيفه المسـتقل بين المخلوقات، مع ما يلزم من التزوير والتدليس والمراوغة والحيل المنطقية، وأولها إهدار قدرات الإنسـان العقلية واللغوية، وإزالتها من المقارنة بينه وبين الحيوان.

في بداية الباب السـادس من كتابه: نشـوء الإنسـان والانتخاب الجنسـي، وعنوانه: حول قرابة الإنسـان ونسـبه On The Affinities And Genealogy Of Man، يقول الماسوني تشارلز دارون:

"حتى لو سـلمنا بعظم الفرق بين الإنسـان وأقرب أقربائه في التركيب الجسـدي، كما يدعي بعض علماء الطبيعة، ورغم أننا نسلم بأن الفرق بينهما في القوة العقلية هائل، إلا أن الحقائق الواردة في الفصول السابقة تُظهر بوضوح أن الإنسان ينحدر من شكل أدنى، على الرغم من عدم اكتشـاف حلقات تربط بينهما حتى الآن Man Is Descended From Some Lower Form, Notwithstanding That Connecting Links Have Not Hitherto Been Discovered، وبعض علماء الطبيعة، بسـبب تأثرهم الشـديد بالقدرات العقلية والروحية للإنسـان، قسـموا العالم العضوي برمته إلى ثلاث ممالك: الإنسان، والحيوان، والنبات، فمنحوا الإنسان بذلك مملكة مستقلة، ولا يستطيع عالم الطبيعة مقارنة القدرات الروحية أو تصنيفها، ولكن بإمكانه أن يسـعى، كما فعلتُ، إلى إثبات أن القدرات العقلية للإنسـان والحيوانات الدنيا لا تختلف بصـورة جوهرية، وإن اختلفت اختلافاً كبيراً في الدرجة،

وهذا الاختلاف في الدرجة، مهما بلغ، لا يبرر لنا وضـــع الإنســـان في مملكة مستقلة"[١].

وكما ترى، أهدر الماســوني تشــارلز دارون العقل والروح من معايير تصــنيف الإنســان، لكي يُخرجه من تصــنيفه المســتقل ويُدخله ضــمن الحيوانات، ثم يخبرك في وقاحة منقطعة النظير، أن الإنسان انحدر من كائنات أدنى دون وجود حلقات وسيطة ولا أي دليل يثبت ذلك سوى أن هذا هو ما تراءى له في هلاوسه.

وبعد أن أخرج تشــارلز دارون الإنســان من تصــنيفه المســتقل، انتقل إلى الخطوة التالية، وأدخله في مرتبة أخرى من المخلوقات، فهاك هي، يقول:

"أغلب علماء الطبيعة، الذين أخذوا في الاعتبار تركيب الإنســان بأكمله، بما في ذلك قدراتـه العقليـة، تـابعوا بلومنبـاخ وكوفييـه Blumenbach And Cuvier، ووضـعوا الإنسـان في رتبة مستقلة، وأطلقوا عليها اسم ثنائيات الأيدي Bimana، وفي الآونة الأخيرة، عاد العديد من أبرز علمائنا في الطبيعة إلى الرأي الذي طرحه لينيوس Linnaeus، المعروف بفطنته، ووضـــعوا الإنســـان في نفس الرتبة مع رباعيات الأيدي Quadrumana، تحت اســـم الرئيســـيات Primates، ويُمكن التسـليم بصـحة هذا التصـنيف إذا أخذنا في الاعتبار، أولاً، الملاحظات التي أشـرت إليها تواً حول الأهمية الضــئيلة نســبياً للتطور الكبير في مخ الإنســان في تحديد تصـــنيفه، وثانياً، يجب أن نتذكر أن جميع الاختلافات الأخرى والأكثر أهمية بين الإنسان ورباعيات الأيدي هي بوضوح اختلافات تكيفية في طبيعتها، وتتعلق أساساً بوضع الإنسان المنتصب، مثل تركيب يده وقدمه وحوضه، واستقامة عموده الفقري، ووضع رأسه، وقد ناقش عالم التشريح وفيلسوفنا العظيم، البروفسور هكسلي، هذا

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P185-186.

الموضوع باستفاضة، وخلص إلى أن الإنسان في جميع جوانب تكوينه، يختلف عن القردة العليا بدرجة أقل مما تختلف هذه القردة عن أفراد المجموعة الأدنى منها، ومن ثَم فلا يوجد مبرر لوضع الإنسان في رتبة منفصلة عن الرئيسيات رباعيات الأيدي"[١].

فبعد أن أهدار تشارلز دارون عقل الإنسان وقدراته العقلية، وحصر الاختلاف بينه وبين الحيوانات في شكله الخارجي وانتصاب قامته، وأخرجه بذلك من رتبته المستقلة، أدخله مع القردة العليا في رتبة الرئيسيات، وجعله من ذوات الأربع.

وهذا هو نوع الإنسان وموقعه بين ذوات الأربع عند تشارلز دارون:

"وليس هناك شك في أن الإنسان فرع من سلالة القردة في العالم القديم، وأنه من جهة علم الأنساب، يجب تصنيفه ضمن قسم القردة الكاتارينية He Must Be Classed With The Catarhine Division"[٢].

والقردة الكاتارينية، في هلاوس التطور، هي رتبة مشتركة بين الرئيسيات تلتقي فيها جميع القرود البدائية، مثل الليمور Lemurs واللوريس Lorisoids، والقردة العليا، مثل الغوريلا والشمبانزي، والبشر، وتتميز بفتحات أنف ضيقة متجهة لأسفل، وضرسان أماميان في كل فك.

والآن إليك تشارلز دارون يخبرك بنفسه عن السبب الحقيقي خلف ابتكاره لعقيدة تطور الإنسان من الكائنات الأدنى منه، ودوافعه لإخراجه من تصنيفه ورتبته المستقلة بين المخلوقات ووضعه في رتبة ذوات الأربع.

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P190-191.

2) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P196.

في الباب السـابع من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، وعنوانه: عن أجناس الإنسان On The Races Of Man، عرض تشارلز دارون آراء علماء البيولوجيا أو التاريخ الطبيعي، كما كانت تسمى في زمنه، بشأن هل أجناس الإنسان والأقوام والشعوب أنواع منفصلة أم نوع واحد، وبعد أن عرض أدلة هؤلاء وأولئك، وقارن بين الشعوب الأوروبية والأقوام الزنجية في إفريقيا وأهل القارة الأمريكية وأستراليا الأصليين، كان هذا رأيه في المسألة:

"إذا تأملنا الحجج القوية المذكورة أعلاه لرفع أجناس البشر إلى مرتبة الأنواع، والصعوبات الجمة التي تعترض تعريفها ووضع الحدود بينها، فمن الأفضل استخدام مصطلح الأنواع الفرعية Sub-Species، ولكن بحكم العادة، سيظل مصطلح الجنس والعرق Race هو الأكثر استخداماً على الأرجح ... وسوف يبقى الخلاف قائماً إلى أن يتم الاتفاق على تعريف محدد لمصطلح الأنواع بشكل عام، ويجب ألا يتضمن التعريف عنصراً لا يمكن التحقق منه، مثل فِعل الخلق Such As An Act Of Creation"[1].

وكما ترى، ابتكارات الماسوني تشارلز دارون التي أخرج بها الإنسان من تصنيفه المستقل، وأدخله في ذوات الأربع، وجعله من القردة، وانحدر من المخلوقات الأدنى، لم تكن مجرد هلاوس من عقل مختل، بل هي أفانين متعمدة ومقصودة وتكتيكات إبليسية، هدفه منها إزاحة عقيدة الوجود الإلهي والخلق، وإحلال عقيدة التطور الذاتي محلها، وإيجاد تفسير لوجود المخلوقات وظهور الإنسان ليس فيه موضع للإله، ولا حاجة فيه لوجود الإله.

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P27-28.

ومرة ثالثة، نرجو أن تسـدي لنا المعروف الذي طلبناه منك مرتين من قبل، وهو أن تذهب إلى الفيديوهات التي يتكلم فيها بعض ذوات الأربع من المفكرين وأســاتذة العلوم في بلاليص ســتان، ويصــفون عقيدة التطور بحماســة شــديدة أنها نظرية علمية، ولا تعارض بينها وبين الوجود الإلهي وقصـــــة الخلق في بيان الإله إلى البشـــرية، بل ويطالبون في صـــــفاقة بتأويل نصـــــوص القرآن لكي تتوافق معها، ثم تدخل إلى هذه الفيديوهات وتقلب هؤلاء البلاليص وذوات الأربع على رؤوســهم، لكي تُفرِّغهم وتنظفهم من هلاوس التطور.

لماذا اختار الماسوني تشارلز داروِن إفريقيا لنشوء الإنسان؟

وقبل أن نعرفك بأدلة الماسـوني الإبليس تشـارلز داروِن على أن الإنسـان من رتبة ذوات الأربع، وينتمي لســلالة القردة وانحدر منها، وبمناســبة الأجناس والأعراق، إليك المكان الذي افترض أن الإنسان تطور فيه من القردة ولماذا.

في فقرة عنوانهـا: حول مهد الإنســـــان وعراقتـه On The Birthplace And Antiquity Of Man، من الباب الســادس، من كتابه: نشــوء الإنســان والانتخاب الجنسي، الذي عنوانه: حول قرابة الإنسان ونسبه، يقول الإبليس تشارلز داروِن:

"بطبيعة الحال لابد أن نتســـاءل عن مهد الإنســـان في تلك المرحلة من تطوره، حين انفصل أسـلافنا عن الأصل الكاتاريني Catarhine Stock، وانتماء أسـلافنا لهذه السلالة يُشير بوضوح إلى أنهم سكنوا العالم القديم، ولكن ليس أستراليا ولا أي جزيرة من جزائر المحيط، ففي كل منطقة من مناطق العالم، ترتبط الثدييات الحية ارتباطاً وثيقاً بالأنواع المنقرضـة في المنطقة نفسـها، ولذلك، يُرجح أن إفريقيا كانت مأهولة ســابقاً بقرود منقرضــة وثيقة الصــلة بالغوريلا والشــمبانزي، وبما أن هذين النوعين هما الآن أقرب الأقرباء إلى الإنسان، فمن المرجح أن أسلافنا الأوائل عاشوا

في القارة الأفريقية Lived On The African Continent وليس في أي مكان آخر"(1).

فإذا تذكرت أن تشارلز دارون جعل الإنسان نوعاً من القردة وانحدر من سلف مشترك مع القردة العليا، وأنه جعل الأقوام والشعوب البشرية أنواعاً فرعية داخل نوع الإنسان، فلن يخفى عليك المعنى العنصري المخبأ في اختياره إفريقيا لتكون مهد الإنسان والمكان الذي تطور فيه الإنسان من القرد الكاتاريني، سلفه والأصل المشترك بينه وبين الغوريلا والشمبانزي، وهو أنه يعتقد أن أهل إفريقيا ذوي البشرة السوداء حلقة وسيطة بين هذا القرد الكاتاريني وبين الإنسان الأوروبي الأبيض.

وسوف تدرك الأبعاد العميقة لتصنيف الماسوني الإبليس تشارلز دارون لشعوب البشر أنها أنواع فرعية داخل نوع الإنسان، واختياره إفريقيا لتكون مكان انفصال أول نوع فرعي من الإنسان عن القردة، حين تعلم أنه نشر كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي سنة ١٨٧١م، في ذروة موجات احتلال بريطانيا الماسونية لبلدان إفريقيا وشعوبها، فقد احتلت جنوب إفريقيا سنة ١٨٠٦م، واحتلت سيراليون سنة ١٨٠٨م، واحتلت لاجوس في نيجيريا سنة ١٨٦١م، وغانا سنة ١٨٧٤م، والصومال سنة ١٨٨٤م، وبتسوانا سنة ١٨٨٥م، وجامبيا سنة ١٨٨٨م، وأوغندا سنة ١٨٩٤م، وكينيا سنة ١٨٩٥م، والسودان سنة ١٨٩٩م.

فعقيدة الماسوني تشارلز دارون في التطور والانتخاب الطبيعي والجنسي وتصنيف الإنسان كنوع من الحيوان، وتصنيف الشعوب كأنواع فرعية تختلف في الدرجة والقرب من سلف الإنسان المشترك مع القردة، لم تكن فقط استراتيجية إبليسية للإطاحة بعقيدة الإله الخالق والخلق، بل وكان يمنح بها أيضاً ممالك أوروبا الماسونية الغطاء الشرعي لاستعمار بلدان إفريقيا ونهبها، ويضع الأسس البيولوجية التي تبرر استعباد الإنسان

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P199.

الأوروبي الأبيض المتطور لإنســـــان إفريقيا الذي هو في عقيدة التطور أقل تطوراً والوسيط بينه وبين القردة.

وقد أخبرناك من قبل، أن ثمة حلفاً بين محفل إنجلترا الأعظم ومملكة بريطانيا، منذ سنة ١٨١٣م، وحين نشر الماسوني تشارلز دارون كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، سنة ١٨٧١م، كان أكبر أبناء الملكة فيكتوريا، الأمير ألبرت ساكس كوبرج جوتا Albert Of Saxe-Coburg And Gotha، نائب الأســـتاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم، وفي ســـنة ١٨٧٥م، أصـــبح الأســـتاذ الأعظم وحامي الأخوية في بريطانيا، وظل على عرش الماسونية ستة وعشرين عاماً، إلى أن ماتت الملكة فيكتوريا ســنة ١٩٠١م، فخلفها باســم الملك إدوارد الســابع Edward VII، وانتقل من عرش الماســونية إلى عرش بريطانيا، لأن الحلف بين المملكة والمحفل الأعظم يقضـــي بأن يكون أستاذ المحفل الأعظم من الأسـرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش المملكة وعرش الماسونية في وقت واحد.

أدلة تشارلز دارون، على أن الإنسان من ذوات الأربع وسلالة القردة:

والآن إليك أدلة الماسوني تشارلز دارون، على أن الإنسان حيوان من ذوات الأربع وسلالة القردة، وأنه انحدر من الكائنات الأدنى.

وأول أدلة تشـارلز دارون، أن أعضــاء الإنســان الداخلية والخارجية تشـبه مثيلاتها في المخلوقات الأدنى، ويقول في فقرة: تركيب جســـم الإنســـان The Bodily Structure Of Man، من الباب الأول من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، وعنوان الباب: أدلة نشـــوء الإنســـان من شـــكل أدنى The Evidence Of The Descent Of Man From Some Lower Form:

"من المعروف أن الإنســان مُشـيَّد على نفس النمط أو النموذج العام الذي يوجد في الثدييات الأخرى، فيمكن مقارنة جميع عظام هيكله العظمي بعظام مماثلة في القرد أو الخفاش أو الفُقْمة All The Bones In His Skeleton Can Be Compared With Corresponding Bones In A Monkey, Bat Or Seal، وينطبق الأمر نفســه على عضــلاته وأعصــابه وأوعيته الدموية وأحشــائه الداخلية، ويخضــع المخ، وهو أهم الأعضــاء، لنفس القانون، كما أوضــح هكســلي وغيره من علماء التشريح"[١].

والتدليس الذي دلسـه تشـارلز دارون، وشـبه فيه هيكل الإنسـان وأعضـاءه الداخلية وحتى مخه بما يقابلها في القرد والخفاش والفُقمة، واسـتدل به على أن الإنسـان انحدر من كائن أدنى، نموذج على الأذهان المختلة التي تتعمد ترك البديهة إلى الضـــلالات والهلاوس، وهو بـالضـــبط، كمـا أخبرنـاك في بـاب: **الزمـان والحفريـات والحلقـات الوســـيطة**، مثل أن يرى ثلاجة وبوتاجاز وخلاط وراديو، تتكون من أجزاء متشـــابهة وتشـترك في العلامات والشـعارات التي توجد عليها، فيضـع نظرية في أنها توالدت من بعضـها، بدلاً من البديهة الوحيدة الصـحيحة، وهي أن صـانعها واحد وخرجت من نفس المصنع.

تشابه الأجنة:

وثاني أدلة تشــارلز دارون، على أن الإنســان حيوان من ذوات الأربع، أن تركيب جنين الإنسـان يشـبه في مراحله الأولى داخل الرحم جنين بقية الحيوانات الفقارية، وأن أطراف الجنين وأعضـــاءه وهي تنمو أثناء تكونه وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة داخل الرحم، تشبه في كل مرحلة كائناً أدنى في سلم التطور.

---

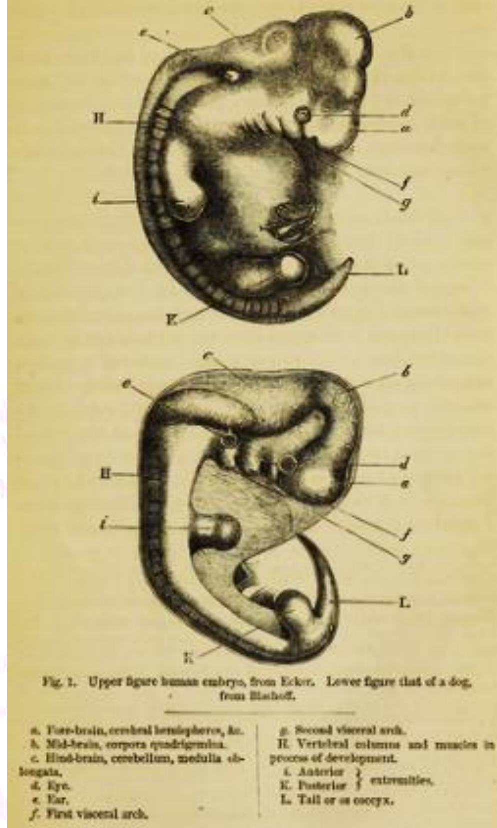
1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P10.

وفي فقرة تطور الجنين Embryonic Development، من الباب الأول نفسه من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، يقول تشارلز دارون:

"يتطور الإنسان من بويضة، لا تختلف في أي شيء عن بويضات الحيوانات الأخرى، وفي مرحلة مبكرة جداً يصعب تمييز الجنين نفسه عن أجنة بقية أفراد مملكة الفقاريات، وفي هذه المرحلة تتفرع الشرايين على شكل أقواس، كما لو كانت تحمل الدم إلى الخياشيم As If To Carry The Blood To Branchiae التي لا توجد في الفقاريات العليا، رغم بقاء الشقوق Slits على جانبي الرقبة، مما يدل على موضعها السابق، وفي مرحلة لاحقة، عندما تتطور الأطراف، كما لاحظ المبجل فون باير Illustrious Von Baer، فإن أقدام السحالي والثدييات، وأجنحة الطيور وأقدامها، وكذلك أيدي الإنسان وأقدامه، تنشأ جميعها من نفس الشكل الأساسي، ويقول البروفسور هكسلي: "في المراحل المتأخرة من تطوره، يُظهر الإنسان الصغير اختلافات ملحوظة عن القرد الصغير، بينما يختلف القرد عن الكلب في تطوره بقدر ما يختلف الإنسان عنه، ورغم أن ذلك قد يبدو مثيراً للدهشة، إلا أنه صحيح بشكل قاطع"[١].

ولكي يبرهن تشارلز دارون على أكاذيبه، وضع صورة بعد هذه العبارة، وقال إنها لجنين الإنسان وجنين الكلب، وقارن بينهما، فهاك الصورة.

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P14.



Chap. I. EMBRYONIC DEVELOPMENT. 15

Fig. 1. Upper figure human embryo, from Ecker. Lower figure that of a dog, from Bischoff.

a. Fore-brain, cerebral hemispheres, &c.
b. Mid-brain, corpora quadrigemina.
c. Hind-brain, cerebellum, medulla oblongata.
d. Eye.
e. Ear.
f. First visceral arch.
g. Second visceral arch.
H. Vertebral columns and muscles in process of development.
i. Anterior } extremities.
K. Posterior }
L. Tail or os coccyx.

ص١٥ من الجزء الأول من كتاب: نشـوء الإنسـان والانتخاب الجنسـي، وفيها صـورة قال تشـارلز دارون إنه يقارن فيها بين جنين الإنسان وجنين الكلب.

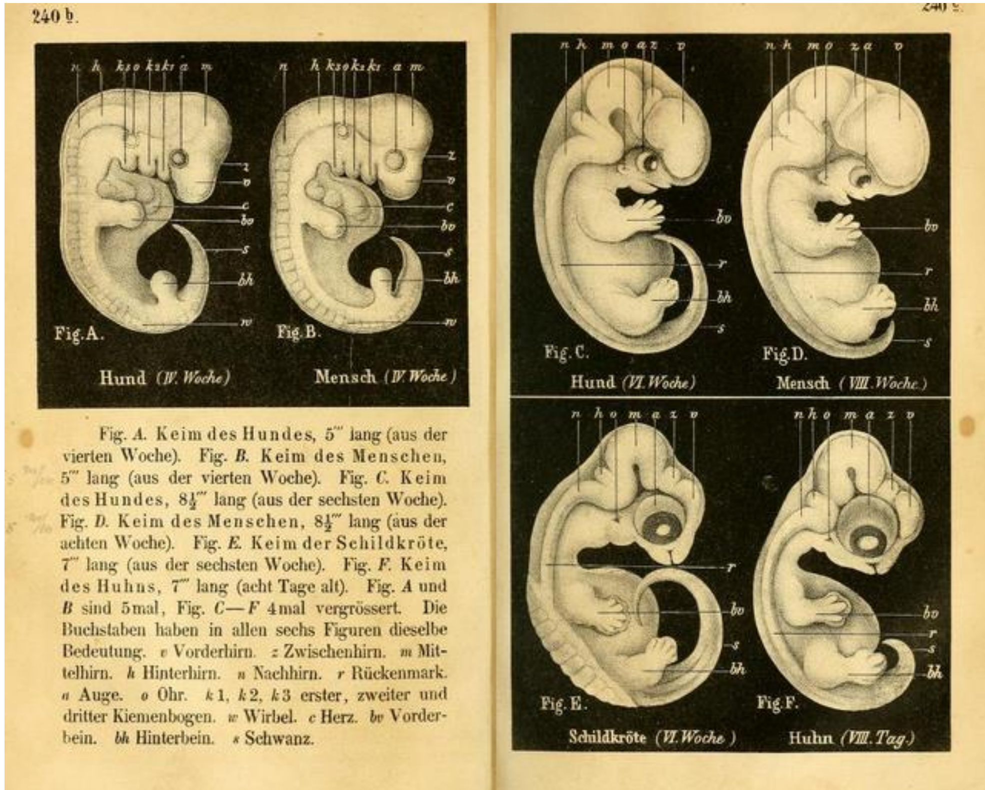
وهنا ولكي تعلم حقيقة التلفيق والتزوير فيما قاله تشارلز دارون، ينبغي أن تعلم، أن القول بأن شـكل جنين الإنسـان وهو ينمو داخل الرحم، يشـبه في مراحله الأولى جنين بقية الحيوانات الفقارية، وأن أطرافه وأعضـاءه تشـبه في كل مرحلة كائناً أدنى في سلم التطور، هذا القول ليس من ابتكار تشـــارلز دارون، بل أخذه من أســـتاذ التاريخ الطبيعي/البيولوجيا وعلوم الحيوان في جامعة جينا في ألمانيا Jena، إرنســـت هِيكل Ernst Haeckel، دون أن يذكره أو يشـير إليه في كتابه: نشـوء الإنسـان والانتخاب

الجنسي، رغم أن إرنست هِيكل كان أحد أكبر الذين تحمسوا لكتاب دارون: عن أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، وقام بالترويج له في جامعات ألمانيا.

وإرنست هِيكل وُلد سنة ١٨٤٣م، وهو أصغر من تشارلز دارون بربع قرن، واعتنق عقيدته في التطور والانتخاب الطبيعي، ووضع عشرات الكتب في تطويرها وإثباتها من خلال دراسة عدد كبير من النباتات والحيوانات وتشريحها والمقارنة بين تركيبها وأعضائها، وهو أحد أكثر علماء البيولوجيا تأثيراً فيها، وكثير من مصطلحاتها من صياغته، مثل علم البيئة Ecology، والشعبة Phylum، والتناسل وتطور السلالات Phylogeny.

وفي سنة ١٨٦٨م، نشر إرنست هِيكل بالألمانية كتابه: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضرات علمية مبسطة حول نظرية التطور بشكل عام، ونظرية دارون وجوته ولامارك بشكل خاص Nschöpfungsgeschichte Gemeinverständliche Wissenschaftliche Vorträge Über Die Entwickelungslehre Im Allgemeinen Und Diejenige Von Darwin, Goethe Und Lamarck Im Besonderen، ووضع فيه صورة يقارن فيها بين أجنة أربعة مخلوقات في مرحلة مبكرة من حياتهم داخل الرحم، تقع بين الأسبوع الثاني والأسبوع الثامن، وهي الكلب والدجاجة والسلحفاة والإنسان، وهذه الصورة هي التي أخذ تشارلز دارون شرح

إرنست هيكل عليها، ونقله في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، دون أن يذكره أو يشير إليه، فهاك الصورة[١].



الصورة التي وضعها إرنست هِيكل في ص٢٤٠، من الطبعة الأولى من كتابه: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضـرات علمية مبسـطة حول نظرية التطور بشـكل عام، ونظرية دارون وجوته ولامارك بشكل خاص، التي صدرت بالألمانية سنة ١٨٦٨م، وفي الصورة مقارنة بين جنين أربعة مخلوقات في المرحلة المبكرة من الحياة الجنينية.

---

1) Ernst Haeckel: Nschöpfungsgeschichte Gemeinverständliche Wissenschaftliche Vorträge Über Die Entwickelungslehre Im Allgemeinen Und Diejenige Von Darwin, Goethe Und Lamarck Im Besonderen, P240, Reimer, Berlin, 1969.

وفي سـنة ١٨٧٤م، نشـر إرنسـت هِيكل بالألمانية كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسـان Anthropogenie, Oder, Entwicklungsgeschichte Des Menschen، وأهم ما في كتابه هذا على الإطلاق، والذي جعله أحد مقدسـات عقيدة التطور وركائز البيولوجيا القائمة عليها، أنه وضـع فيه صـورة في صـفحتين متقابلتين، يصـور فيهما المقارنة بين جنين عدد من المخلوقات في ثلاث مراحل مختلفة ومتزامنة من نموها داخل الرحم، وهذه المخلوقات أربعة منها من الفقاريات الدنيا والعليا، وهي سـمكة Fisch، وزاحف هو السـلمندر Erdsalamander، وبرمائي هو السـلحفاة Schildkröte، وطائر هو الدجاجة Huhn، وثلاثة من هذه المخلوقات من الثدييات، وهي خنزير Schwein، وعِجـل Kalb، وأرنـب Kaninchen، ثم الإنسـان Mensch، وقال في شرحها إنها تثبت تشابه أجنة جميع المخلوقات، وأنها جميعاً من أصل واحد.

فهاك الصـورة التي وضـعها إرنسـت هِيكل في كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري. للإنسان[١].

---

1) Ernst Haeckel: Anthropogenie, No Page Number (After Page 257), Engelmann, Leipzig, 1874.



الصـورة التي وضـعها إرنسـت هِيكل في صـفحتين متقابلتين ليس لهما أرقام، بعد ص٢٥٧، من الطبعة الأولى من كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسان، التي صدرت بالألمانية سنة ١٨٧٤م، وفي الصـــورة مقارنة بين جنين ثمانية مخلوقات في ثلاث مراحل مختلفة من الحياة الجنينية.

والصـورة التي وضـعها إرنسـت هِيكل في كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنســان، هي التي اشـتُهرت، وصــارت إحدى مقدســات عقيدة التطور، ومن أشــهر براهينها على الأصـــل المشـــترك بين الإنســـان والمخلوقات الدنيا، وأنه انحدر منها، وسوف تجدها في جميع كتب العلوم والأحياء التي تُدَرس لتلاميذ المدارس غرباً وشرقاً إلى يومك هذا.

وصور الأجنة التي وضعها إرنست هِيكل وصارت إحدى مقدسات عقيدة التطور، ويضـــعها الأميون في كتب الأحياء والعلوم غرباً وشـــرقاً، على أنها دليل على تطور الإنســـان واشـــتراكه مع بقية المخلوقات في أصـــل واحد، هي نموذج على التزوير والتدليس الذي تقوم عليه عقيدة التطور منذ أول لحظة في تاريخها.

والتزوير الذي زوَّره إرنست هِيكل، تم اكتشافه مبكراً، مع نشر كتابه الأول: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضـرات علمية مبسـطة حول نظرية التطور، وكان الذي اكتشـفه أســتاذ التشــريح في جامعة بازل في ســويســرا ورائد علم التشــريح لودفيج روتَيماير Ludwig Rutimeyer، وفي دراسة نُشرت في عدد شهر يونيو ٢٠٠٦م، من مجلة أيزيس Isis، التي تصـــدرها جامعة أوكســفورد، وكان عنوانها: صـــور التطور وتهم الاحتيال، رسوم إرنست هيكل للأجنة Pictures Of Evolution And Charges Of Fraud, Ernst Haeckel’s Embryological Illustrations، يقول أســتاذ تاريخ الطب والبيولوجيا، نيك هوبوود Nick Hopwood، إن روتَيماير نشــر دراســة في مجلــة أرشـــيف فور أنثروبولوجي/أرشـــيف الأنثروبولوجيــا Archiv Für Anthropologie، في سنة ١٨٦٨م، نفس سنة صدور كتاب إرنست هيكل: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضـرات علمية مبسـطة حول نظرية التطور، وكان عنوان دراســة روتَيماير: مراجعة كتاب إرنســـت هيكل التاريخ الطبيعي للخلق Rezension Zu Haeckel, Ernst, Natürliche Schöpfungsgeschichte، وقال فيها:

"هِيكل قام بجرأة بطباعة قالب خشـــبي واحد ثلاث مرات، وقدمها على أنها رســـومات لأجنة حيوانات من ثلاثة أنواع مختلفة He Naughtily Had One Block Printed Three Times To Represent The Embryos Of

Three Different Species، والمشــكلة أنه اســتخلص اســتنتاجات من هذه التشابهات المصطنعة"[1].

ومعنى كلام روتَيماير أن إرنست هِيكل طبع صورة جنين لأحد الحيوانات على لوح من الخشـب، ثم صـوَّره ثلاث مرات، ووضـع الصـور في كتابه، على أنها أجنة لثلاثة مخلوقات مختلفة.

وفي الســنة نفســها التي نشــر فيها إرنســت هِيكل كتابه الثاني: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسان، الذي يحوي صورة الأجنة المقدسة في هلاوس التطور، سنة ١٨٧٤م، نشـــر أســـتاذ التشـــريح وعلم الأجنة في جامعة لايبزج في ألمانيا، فِلهلم هِس Wilhelm His، كتاباً عنوانه: شـكل أجسـامنا والمشـكلة الفسـيولوجية لأصـلها Unsere Körperform Und Das Physiologische Problem Ihrer Enstehung، وفلهلم هِس هو أحد رواد علم الأجنـة، وصـــاحب أول مرجع طبي متكـامـل في علم الأجنـة، وهو كتـابـه: تشـــريح جنين الإنســـان Anatomie Menschlicher Embryonen، الذي نشره في ثلاثة أجزاء بين سنة ١٨٨٠م وسنة ١٨٨٥م، وهو أيضاً الذي اخترع الميكروتوم أو آلة تشريح الأنسجة Microtome.

وفي كتابه: شكل أجسامنا والمشكلة الفسيولوجية لأصـلها، وفـي الباب الرابع عشر منـه، وعنوانـه: قـانون البيولوجيـا الجينيـة Das Biogenetische Grundgesetz، وجه فِلهلم هِس نقداً فنياً عنيفاً ومفصـلاً لصـور الأجنة التي وضـعها إرنسـت هيكل في كتابيه: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضـــرات علمية مبســـطة حول نظرية التطور،

---

1) Nick Hopwood: Pictures Of Evolution And Charges Of Fraud, Ernst Haeckel's Embryological Illustrations, Isis, June 2006, P283, Vol. 97, No. 2, P260-301.

والأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسـان، وقال إنه فحصـها فحصـاً دقيقاً، ثم اتهم إرنست هِيكل صراحة بأنه سرق الصور من آخرين ثم زورها وعبث فيها.

فهاك أولاً من كتاب البروفسور فِلهلم هِس نقده لصور الأجنة، التي وضعها إرنست هيكل في كتابه الأول: التاريخ الطبيعي للخلق، محاضرات علمية مبسطة حول نظرية التطور، وقال هِيكل إنها لأجنة الكلب والدجاجة والسـلحفاة والإنسـان في فترة تقع بين الأسبوع الثاني والأسبوع الثامن من عمرهم في الرحم، يقول فلهلم هِس:

"في الطبعـة الأولى من كتـاب هِيكـل: التـاريخ الطبيعي للخلق، نجـد في ثلاثـة رسـومات متجاورة، جنين الكلب والدجاجة والسـلحفاة والإنسـان، والتطابق في الرسومات تام، ولا يكاد المرء يتصور شيئاً أكثر إقناعاً من هذا التطابق الواسع بين أشكال الكائنات المختلفة، ويمتد التطابق إلى أدق التفاصيل، فيحتوي كلٌ من جنين الكلب والدجاجة والسـلحفاة على ١٠ لفات على كل جانب، وفي جميعها تكون اللفة الأولى على الجانب الأيمن أكثر استدارة قليلاً، والتاسعة أضيق قليلاً من البقية، لقد كانت بالتأكيد ضـربة حظ للعلم، ومع ذلك، يكشـف فحصٌ إضـافي للرسـومات عن تطابقات أكثر إثارة للدهشـة، فالتطابق المطلق لا يقتصـر على الأجنة، بل يشـمل أيضـاً موقع الأحرف التعريفية وشـكلها، بل وحتى عدد الشـرطات التي تربطها بالرسـومات وطولها، وبعبارة أخرى، قدم لنا هِيكل ثلاث مطبوعات من نفس القالب الخشبي تحت ثلاثة عناوين مختلفة! Häckel Je Drei Cliches Desselben Holzstockes Unter Drei Verschiedenen Titeln Aufgetischt، ورسـم الكلب المفترض أن عمره أربعة أسـابيع، أخذه من بيشـوف (انظر: اللوحة الحادية عشرة لبيشوف Vergl. Bischoff Taf XI)، ورسم الإنسـان المفترض أن عمره أربعة أسـابيع أخذه من إيكر (انظر: إيكر، أيقونات فسـيولوجية، اللوحة الثلاثون Vergl. Ecker, Icones Physiol. Taf. XXX)، وفي صور بيشوف

وإيكر الأصـلية لا يمكن تحديد العمر، ولكن هِيكل قام بتعديلات حرة في الرسـومات، لتتوافق مع غرضـه، فالجبهة في جنين كلب هِيكل أطول بمقدار ٢ مم من نظيره في رسم بيشوف، والجبهة في جنين الإنسان أقل بمقدار ٢ مم من نظيره في رسم إيكر، كما أنه قام بتضييق المسافة بين العينين بمقدر ٥ مم"[١].

ويقول فلهلم هِس:

"البروفسـور روتَيماير أدرك العبث في الصـور وانتقدها فوراً، وهو باحث مرموق في مجال علم الأجنة لما تتميز به بحوثه من عمق ودقة، وقد اعتبرها خطيئةً بحق الحقيقة العلمية وأضـرت بشـدة بسـمعة البحث العلمي وبسـمعة هِيكل نفسـه، وكنا نتوقع على الأقل أن يتراجع هِيكل عن خطئه ويعتذر عنه، ولكنه بدلاً من ذلك تهكم على البروفسـور روتَيماير ووجَّه له إهانات غير صـحيحة في مضـمونها ودنيئة في أسـلوبها Mindesten Eine Zurücknahme Und Entschuldigung Des Begangenen Fehlers Erwarten, Statt Dessen Hat Häckel In Der Vorrede Seiner Spätem Auflagen Schwere Schmähungen Auf Prof. Rütimeyer Gehäuft, Gleich Unwahr, Was Ihren Inhalt, Wie Unedel, Was Ihre "Form Betrifft"[٢].

وهذا هو نقد البروفسـور فِلهلم هِس لصـورة الأجنة المقدسـة في عقيدة التطور وهلاوسـها، والتي قال إرنسـت هيكل في كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسـان، إنها تصـور أجنة السـمكة والسـلمندر والسـلحفاة والدجاجة والخنزير والعجل

---

1) Wilhelm His: Unsere Körperform Und Das Physiologische Problem Ihrer Enstehung, P168-170, F.C.W. Vogel, Leipzig, 1874.

2) Unsere Körperform Und Das Physiologische Problem Ihrer Enstehung, P169.

والأرنب والإنسان في ثلاث مراحل مختلفة ومتزامنة من الحياة داخل الرحم، يقول فلهلم هِس:

"يحتوي كتاب: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنسان على العديد من الرسوم التوضيحية للأجنة، وبعض هذه الرسوم نُسخ مطبوعة من صور القوالب الخشبية في كتاب: التاريخ التطوري (انظر: كتاب التاريخ التطوري لكُولِكَر Der Kölliker 'Sehen Entwicklungsgeschichte)، ومع ذلك، وبعد مقارنة رسوم هِيكل بالرسومات الأصلية، لا أتردد في التأكيد على أن بعض رسومات هِيكل غير دقيقة إلى حد كبير، بل ومختلقة تماماً Dass Die Zeichnungen, Theils Höchst Ungetreu, Theils Geradezu Erfunden Sind، فالرسم رقم ٤٢ الذي يصور الجنين المبكر للإنسان على شكل نعل حذاء، مكبراً أربع مرات، هو رسم مختلق، ولم يرَ أي باحث هذه المرحلة حتى الآن، وأؤكد بثقة، استناداً إلى المواد المتاحة حتى الآن، أنه لا يمكن أن يبدو هكذا، ولا يمكن أن تكون له الأبعاد المذكورة في الرسم، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الرسمين اللذين يصوران الأجنة البشرية في صفحة ٢٧٢ من نسج الخيال، حيث لا يظهر فيهما الكيس المشيمي، الذي لا يُرى في البشر بشكل حويصلي فقط، بل ويُوصف صراحةً بأنه حويصلة كبيرة Ansehnliches Bläschen" Sondern Ausdrücklich Beschrieben"[١].

والماسوني تشارلز داروين استلهم صورة الأجنة التي وضعها إرنست هيكل في كتابه: التاريخ الطبيعي للخلق، وأخذ منها الجزء الذي يصور المقارنة بين جنين الكلب والإنسان، ووضعه في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، الذي نشره سنة

---

1) Unsere Körperform Und Das Physiologische Problem Ihrer Enstehung, P170-171.

١٨٧١م، رغم أن البروفسور روتَيماير كشف التزوير الذي في الصورة، في دراسته سنة ١٨٦٨م، قبل أن ينشر تشارلز دارون كتابه بثلاث سنوات، وقال فيها صراحة إن إرنست هيكل طبع قالباً عليه صورة جنين واحد ثلاث مرات، وقدمه على أنه لثلاثة أجنة لثلاثة مخلوقات مختلفة.

ورغم أن البروفسور روتَيماير والبروفسور فلهلم هِس كشفوا سرقة إرنست هيكل للصور من بحوث علماء للأجنة دون أن يذكرهم أو يشير إليهم، وأنه زوَّر في الصور فأضاف إليها وأزال منها وغيَّر في أبعادها لكي يُنطقها بعقيدة التطور التي يعتنقها، ظلت صور إرنست هيكل مقدسة عند خلفاء تشارلز دارون على عقيدة التطور وهلاوسها، وتُقدم في كتب العلوم في المدراس والجامعات وفي المراجع الطبية المتخصصة وفي وسائل الإعلام على أنها من الأدلة اليقينية على سلم التطور ونشوء الإنسان من مخلوقات أدنى طوال القرن العشرين.

وفي عدد شهر أغسطس سنة ١٩٩٧م، من مجلة التشريح وعلم الأجنة Anat Embryol، التي تصدرها مؤسسة سبرنجر الألمانية للدراسات العلمية والأكاديمية Springer Science، نُشرت دراسة لفريق يتكون من سبعة أساتذة في التشريح والبيولوجيا وعلم الأجنة، في جامعات مختلفة، هم أستاذ التشريح في مستشفى سان جونز St. George's Hospital، في جامعة لندن، مايكل ريتشاردسون Michael Richardson، وأستاذ البيولوجيا الحيوية في جامعة كولورادو الأمريكية، جيمس هانكن James Hanken، وأستاذ البيولوجيا التطورية في مستشفى سان جونز، مَيوني جونيرانتي Mayoni Gooneratne، وأستاذ البيولوجيا الجينية في معهد جاك مونود للجينوم والتطور في باريس Institut Jacques Monod، كلود بيو Claude Pieau، والأستاذ في معامل بيولوجيا الحيوان في جامعة بول ساباتير Paul Sabatier في تولوز فرنسا، ألبير رينو Albert Raynaud، وأستاذ علوم الحيوان

في جامعة باندورا Bundoora في أســـتراليا، لين ســـيلوود Lynne Selwood، وأستاذة التشريح والفسيولوجيا في جامعة جزيرة الأمير إدوارد في كندا University Of Prince Edward Island، جليندا رايت Glenda Wright، وكان عنوان الدراســـة: لا توجد مرحلة جنينية محفوظة بدرجة عالية في الفقاريات، وآثار ذلك على النظريــات الحــاليــة للتطور والنمو There Is No Highly Conserved Embryonic Stage In The Vertebrates, Implications For Current Theories Of Evolution And Development.

وفي دراستهم التي استغرقت سنوات، قام الباحثون السبعة بفحص الأجنة في ثلاثة وأربعين مخلوقاً من الفقاريات في مرحلة التبرعم Tailbud Embryo، التي تقع بين الأسبوع الرابع والأسبوع السابع من الحياة الجنينية، وتشمل الأجنة التي فحصوها أنواعاً مختلفة من الأســـماك والزواحف والبرمائيات والطيور والثدييات، بالإضـــافة إلى جنين الإنســان، وقارنوا في الدراســة بين جميع عناصــر شــكلها المورفولوجي الخارجي، مثل الطول والعرض والسُمك والنتوءات والمنحنيات والثنيات، وقارنوها أيضاً بصور إرنست هُيكل، في كتابه: الأنثروبولوجيا أو التاريخ التطوري للإنســان، وعرضــوا صــورهم إلى جوار صور هِيكل، ويقولون في دراستهم:

"وجدنا أن الأجنة في مرحلة برعم الذَنَب Tailbud Stage، تُظهر اختلافات في الشكل بسبب الاختلاف في نِسب الجسم، وفي توقيت النمو، وفي شكل الجسم وعدد قطع الجسم Allometry, Heterochrony, And Differences In Body Plan And Somite Number، وخلافاً للادعاءات الحديثة بأن جميع أجنة الفقاريات تمر بمرحلة تكون فيها بنفس الحجم، وجدنا تبايناً يزيد على عشـــرة أضـعافٍ في أقصـى طول للجنين في مرحلة البرعم الذنبي، ودراسـتنا تقوّض بشـكل خطير مصداقية رسومات هِيكل Seriously Undermines The Credibility Of Haeckel's Drawings، التي تُصـــوّر أجنـة في المرحلـة الأمنيوســـيـة

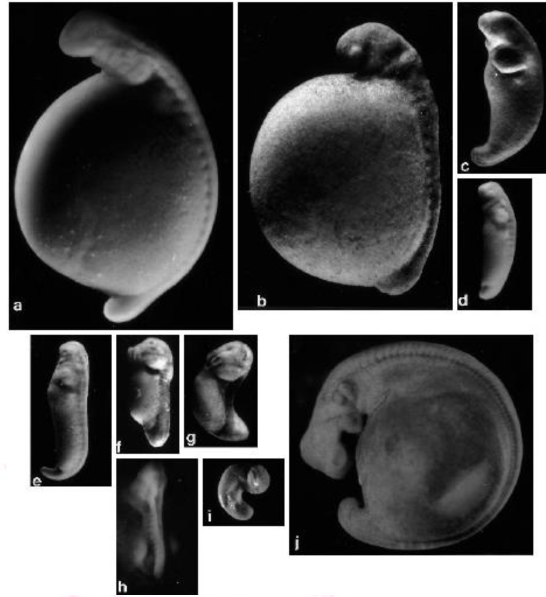
Amniote Embryo، فرســـوماتـه غير دقيقـة بـدرجـة كبيرة جـداً Highly Inaccurate، فهي تبالغ في التشـــابهات بين الأجنة، وتخفي الاختلافات، وجعل فيها جميع الأجنة متماثلة، لإثبات أن جميع الأنواع تتطور من مرحلة محفوظة في الحياة الجنينية Conserved Embryonic Stage، ومن ذلك أنه جعل جهاز الخياشـــيم Branchial Apparatus متطابقاً في جميع الأجنة، ودراســـتنا تثبت خلاف ذلك، وفي الواقع يصـــعب التوفيق بين التباين الواســـع في مورفولوجيا أجنة الفقاريـات وفكرة وجود مرحلـة يكون فيهـا برعم الـذيـل محفوظـاً تطوريـاً، وهي الفكرة التي كانت رســـومات هِيكل تعرض في المراجع والدوريات العلمية على أنها من دِعاماتها الرئيسية"[١].

ومعنى كلام ريتشـــاردســـون وفريقه، أن رســـومات هِيكل التي زورها وعدل في تفاصـيلها وجعل فيها أجنة جميع الفقاريات تبدو متماثلة في المرحلة المبكرة من الحياة الجنينية، كانت تســـتخدم في المراجع والدوريات العلمية على أنها دليل على تطور جميع الفقاريات وانحدارها من أصل واحد، وأن هذه المرحلة الجنينية تمثل هذا الأصـل الواحد، وهو ما أثبتت دراســة ريتشــاردســون وفريقه أنه غير صــحيح، وأنه يوجد تباين واسع بين أجنة الفقاريات في هذه المرحلة الجنينية المبكرة.

وقد عرض ريتشاردسون وفريقه في دراستهم صوراً عديدة، يمثل كلٌ منها جنين نوع من المخلوقات في هذه المرحلة المبكرة من حياتهم في الرحم، فهاك اثنتين منها.

---

1) Michael Richardson, James Hanken, Mayoni Gooneratne, Claude Pieau, Albert Raynaud, Lynne Selwood, Glenda Wright: There Is No Highly Conserved Embryonic Stage In The Vertebrates, Implications For Current Theories Of Evolution And Development, Anat Embryol, August, 1997, P91-106, Vol. 196.



أجنة البرمائيات في دراسة ريتشاردسون وفريقه.



أجنة الثدييات في دراسة ريتشاردسون وفريقه.

وقد أخبرناك من قبل في باب: **الطفرات الجينية وشـفرة المعلومات**، أن نقاد نظرية التطور يتهمونها بأنها نظرية الصدف، وأن هذا الوصف يحتاج إلى تعديل، فهي ليست نظرية الصـــدف فقط، بل نظرية الصـــدف والهلاوس، وهنا نخبرك أنه يجب إدخال تعديل آخر على وصف نظرية التطور، وهو أنها نظرية الصدف والهلاوس والتزوير.

الأعضاء الضامرة والمندثرة:

والآن إلى **ثالث أدلة تشـــارلز دارون** على أن الإنســـان حيوان من ذوات الأربع وسلالة القردة، وأنه انحدر من الكائنات الأدنى، والذي سماه التراكيب البدائية الضامرة أو المندثرة Rudimentary Structures، ويقول إن هذه الأعضـــاء آثار أو بقايا الأعضــاء التي كان لها وظائف ويستخدمها أسـلاف الإنسـان الذين انحدر منهم، ثم ضمرت في الإنسان ولم يعد لها فائدة سوى إثبات هذا الانحدار.

يقول تشـارلز دارون في فقرة عنوانها: الأعضـاء المندثرة Rudiments، من الباب الأول من كتابه: نشوء الإنسـان والانتخاب الجنسي، الذي عنوانه: أدلة نشوء الإنسان من شكل أدنى:

"لا يوجد أي حيوان من الحيوانات العليا إلا وفيه جزء ما في حالة ضـــامرة Some Part In A Rudimentary Condition، والإنسان ليس استثناءً من هذه القاعدة Man Forms No Exception To The Rule ... وتتســم الأعضـــاء الضـــامرة بتنوع كبير، وهذا أمر مفهوم، إذ إنها عديمة الفائدة أو شـــبه عديمة الفائدة They Are Useless Or Nearly Useless، ويبدو أن العامل

الرئيســي في تحول الأعضــاء إلى أعضــاء ضــامرة ومندثرة هو عدم اســتخدامها، بالإضافة إلى عامل الوراثة"[١].

والأمثلة التي اســتدل بها تشــارلز دارون على الأعضــــاء الضــــامرة المندثرة في الإنســان، هي العضــلة التي في مقدمة الرأس ووظيفتها رفع الحواجب، والعضــلة التي تحت جلد الرقبة Platysma Myoides، والعضــــلات في لوح الكتف وتحت الإبط وفي البطن، والعضــلات الخارجية للأذن، والعضــلات التي تحرك مكوناتها الداخلية، وصــوان الأذن، والغشــاء الرامش The Nictitating Membrane أو الجفن الثالث في الطيور، الذي ضــمر في الإنســان وتحول إلى الثنية الهلالية The Semilunar Fold، وحاسة الشم التي يقول عنها: "**فائدتها في الإنسان ضئيلة، هذا إذا كان لها فائدة أصــلاً The Sense Of Smell Is Of Extremely Slight Service, If Any**"[٢]!، والشــعر الذي على جلد الإنســان، والضــرس الخلفي أو ضــرس العقل Posterior Molar Or Wisdom-Teeth، والزائــدة الــدوديــة Vermiform Appendage، وعظمة العصعص، والثدي في الذكور.

ومرة أخرى وثالثة وبلا نهاية، ما قاله الماســوني تشــارلز دارون كلام عبيط، ولا علاقة لـه بـالعلوم الطبيعيـة والبيولوجيـا ولا بـالعقل، والـذين يروجون لـه، فقط لأنهم يعبدون البقرة ويغتسلون ببولها، فجميع الأعضـاء التي ذكرها تشـارلز دارون على أنها لا وظيفة لها في الإنسان، واستدل بها على أنها آثار أو بقايا من الأعضاء التي كانت موجودة في أسلافه ثم ضمرت واندثرت مع تطور الإنسان وعدم استخدامه لها، جميع هذه الأعضـاء لها وظائف حيوية في الإنسان، ولكن لأنه مدلس وينقب عن أي شـيء يبرهن به على عقيدته في التطور، **فأولاً**: افترض أن أي عضــو في الإنســان لا يعلم هو وظيفته فمعنى ذلك أنه ليس له وظيفة مطلقاً، **وثانياً**: اعتبر أن صــغر حجم

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P17.
2) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P24.

العضـو في الإنسـان عن نظيره في الحيوانات يعني أنه ضـامر أو مندثر، بينما حجم أي عضـو في الإنسان وفي غيره من المخلوقات يتناسب مع وظيفته التي يؤديها فيه، والتي تختلف من مخلوق لآخر، **وثالثاً:** أي عضـــو في أي مخلوق، كما علمتَ من قبل، وكررنا عليك مراراً، لا يتغير شـــكله، ولا يزيد حجمه ولا يقل، ولا تتغير وظيفته، إلا بتغير في جيناته والبرنامج وشفرة المعلومات التي تحويها، وليس بزيادة الاستخدام ولا بقلته، والطفرات الجينية ترتبط بالتشوهات والأمراض، وليس بالتحسن والترقي.

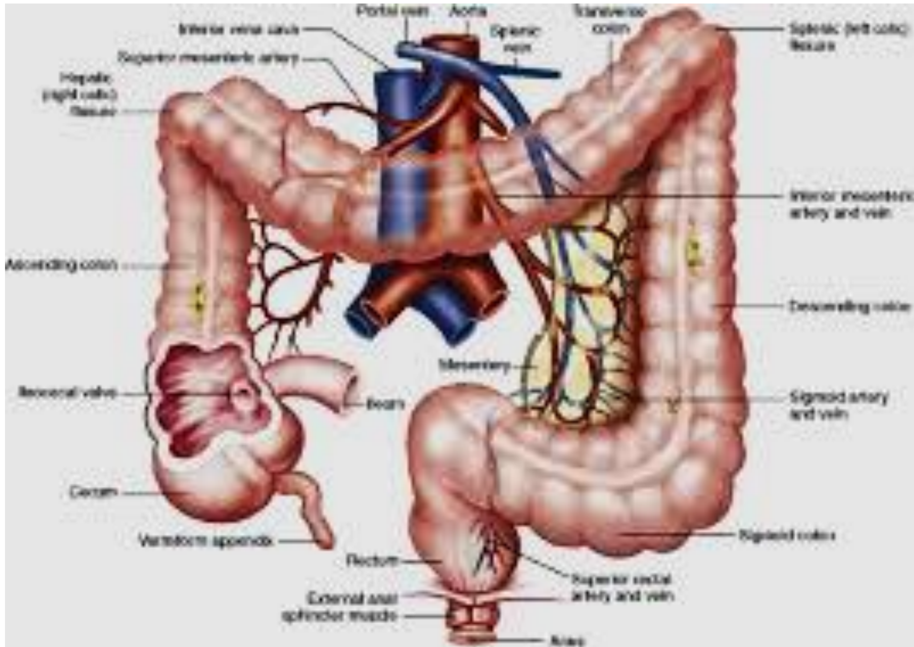
فإليك أشهر نموذجين من الأعضـاء التي قال تشارلز دارون إنها ضـامرة وليس لها فائدة في الإنسـان، **والنموذج الأول** هو الزائدة الدودية، وهذا أولاً هو وصــف تشــارلز دارون لها:

"المصـــران الأعور Caecum هو فرع من الأمعاء، ينتهي بجيب مغلق Cul-De-Sac، وهو بالغ الطول لدى العديد من الثدييات الدنيا التي تتغذى على النباتات، وفي حيوان الكاولا الجرابي Kaola، يزيد طوله عن ثلاثة أمثال طول الجسم بأكمله، ويبدو أن المصـران الأعور قد صـار قصـيراً بدرجة كبيرة في بعض الحيوانات نتيجةً لتغير النظام الغذائي أو العادات، وبقيت الزائدة الدودية كأثر للجزء القصير، ونستنتج أنها أثرية من صغر حجمها، وهي طويلة في الأورانج أوتان، وفي الإنســـان تخرج من نهاية المصـــران الأعور القصـــير، ويتراوح طولها بين ٤-٥ بوصـات، وقطرها ثلث بوصـة، وهي ليسـت فقط عديمة الفائدة، بل قد تكون أحياناً ســـبباً للموت Not Only Is It Useless, But It Is Sometimes The Cause Of Death"[١].

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P27.

فإليك أولاً صورة الجهاز الهضمي في الإنسان وموقع الزائدة الدودية منه.



الجهاز الهضمي في الإنسان وموقع الزائدة الدودية منه.

ثم إليك وظيفة الزائدة الدودية في الإنسان التي قال الماسوني المدلس تشارلز دارون إنها عديمة الفائدة فيه، من دراسة كتبها فريق من خمسة باحثين في مركز تيجات لدراسات الكبد والجهاز الهضمي في كلية الطب في جامعة أمستردام في هولندا Tytgat Institute For Liver And Intestinal Research، وعلى رأسهم أستاذ علم المناعة آي إيه كويا I A Kooij، ونُشرت في عدد شهر يوليو سنة ٢٠١٦م، من مجلة علم المناعة الإكلينيكي والتجريبي Clinical And Experimental Immunology، التي تصدرها جامعة أوكسفورد، وكان عنوان الدراسة: مراجعة الدراسات الخاصة بالزائدة الدودية في علم المناعة The Immunology Of The Vermiform Appendix, A Review Of The Literature.

وفي الدراســة، وبعد أن عرضــوا تفاصــيل تشــريح الزائدة الدودية وتركيبها ونوعية خلاياها والغشــاء المبطن لها والمواد والعناصــر المناعية التي تفرزها، يقول الباحثون الخمسة:

"تختلف الزائدة الدودية في الإنســان عن الكائنات الأخرى، مثل الأرنب، فوظيفتها في الأرنب هضــم الســيلولوز Cellulose، وهي وظيفة لا وجود لها في الإنســان، ولذا كان يُعتقد أنها مندثرة وبلا وظيفة في الإنسان، ولكن أثبتت الدراسات أن الزائدة الدودية، وخصوصاً الغشاء الحيوي للزائدة الدودية Appendiceal Biofilm، له تأثير مفيد على الأمعاء بأكملها، وأهميتها تكمن في أنها تُنَمي الجهاز المناعي في الأمعاء وتحافظ عليه، من خلال توفير موطن آمن للبكتيريا المعوية الحميدة والمتعايشــة مع الإنســان The Appendix As A Safe House For The Commensal Gut Flora، والتفاعل معها، وتســهيل انتشــارها في القولون، فالزائدة الدودية ليســت عضــواً مندثراً، بل هي جزء مهم من الجهاز المناعي، ولها وظيفة مميزة ضمن النسيج اللمفاوي المرتبط بالأمعاء GALT تختلف عن وظيفة النســيج اللمفاوي في أجزاء أخرى من الأمعاء، وبعد دراســة الخصــائص التطورية للزائدة الدودية، وبالتركيبة المتميزة لخلايا الزائدة الدودية وجزيئاتها والميكروبات التي توجد فيها، فضــلاً عن عدم إثبات العلاقة بين الزائدة الدودية والتهاب القولون التقرحي Cerative Colitis، ينبغي التخلي عن فكرة أن الزائدة الدودية عضــو أثــري The Idea Of The Appendix Being A Vestigial Organ Should Therefore Be Discarded"[1].

---

1) I A Kooij, S Sahami, S L Meijer, C J Buskens, A A te Velde: The Immunology Of The Vermiform Appendix, A Review Of The Literature, Clinical And Experimental Immunology, Volume 186, Issue 1, October 2016, Pages 1–9.

ولا ينبغي أن يكون قد فاتك، أن الباحثين الخمسة اكتشفوا أن وظيفة الزائدة الدودية الحيوية في الإنسان تتناقض مع الاستدلال بها على تطوره من كائنات أدنى، ثم لووا ما اكتشفوه وفسروه بما يجعله داخل عقيدة التطور ولا ينقضها، وقالوا إن التطور هو الذي منح الزائد الدودية في الإنسان خصائصها ووظائفها، دون أن يخبروا الأميين الذين يخاطبونهم كيف وبأي طريقة، فهو التطور وكفى.

فالتطور، كما أخبرناك وكررنا عليك، ولا نمَلُّ من تذكيرك، عقيدة يعتنقونها، ولا علاقة لها بالعلوم ولا بما تنتجه البحوث والدراسات التجريبية، بل يفسرون النتائج من خلالها، ويلوونها بأي طريقة لكي تتوافق معها ولا تخرج عنها، والعقائد لا تزيلها العلوم والبحوث، فلا يزيلها إلا العقائد، ولذا لن يتركوا هذه العقيدة أياً كان ما تنتجه بحوثهم التجريبية ويتناقض معها، كما لن يترك الهندوس عبادة البقرة، ولن يترك عبَّاد الأوثان أوثانهم، إلا إذا اهتدوا إلى ملة إبراهيم والعقيدة الإلهية وطهرت بناءهم الذهني والنفسي من هلاوس التطور وعبادة البقرة والأوثان.

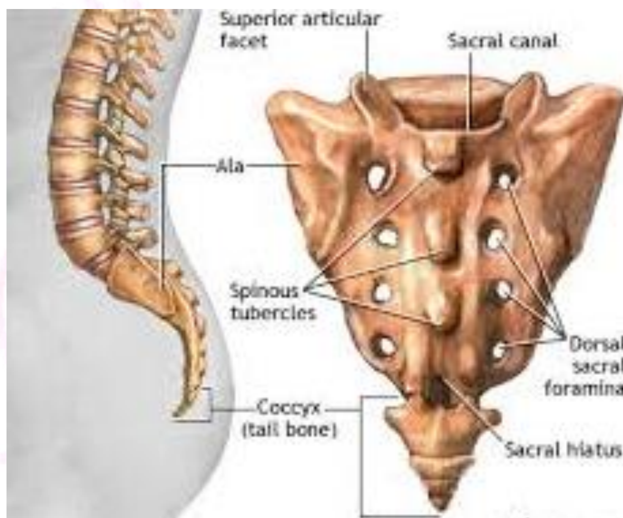
وإليك النموذج الثاني على الأعضاء التي قال تشارلز داروين إنها ضامرة وليس لها فائدة في الإنسان، وهو العصعص، والعصعص هو آخر عظمة في العمود الفقري من أسفل، وهو أربع فقرات ملتحمة معاً، ويقول عنه تشارلز داروين، في باب: أدلة نشوء الإنسان من شكل أدنى، من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي:

"عظم العصعص بقايا ذيل، ولكنه لا يعمل وليس له وظيفة في الإنسان، ورغم أن العصعص في الإنسان لا يؤدي وظيفة الذيل، إلا أنه يمثل هذا الجزء بوضوح في الفقاريات الأخرى، وفي المراحل الجنينية المبكرة يكون حراً، وكما رأينا، يمتد خارج الأطراف السفلية، وهو مزود ببعض العضلات الصغيرة، إحداها وصفها ثيل Theile صراحة بأنها تكرار ضامر للعضلة الباسطة للذيل Extensor Of The Tail، وهي عضلة متطورة بشكل كبير في العديد من الثدييات، وتُظهر الحقيقة، التي أدين

بها للبروفسور تيرنر Turner، مدى تطابق عظم العصعص مع الذيل الحقيقي في الحيوانات الدنيا How Closely The Os Coccyx Corresponds With The True Tail In The Lower Animals"[١].

ومعنى كلام تشــارلز دارون، أن عظمة العصـــعص في الإنســان من آثار عظام الذيل في المخلوقات الأدنى، بعد أن ضـــمرت ولم يعد لها وظيفة فيه، وهي عنده من أدلة انحداره منها.

فهذه عظمة العصعص وموقعها من العمود الفقري في الإنسان.



ا

عظمة العصعص وموقعها من العمود الفقري في الإنسان.

وهذه هي وظائف عظمة العصــعص في الإنســان، من دراســة لاثنين من أســاتذة التشــريح في كلية الطب في جامعة أوتاجو Otago، في نيوزيلندا، هما جاســون وون ومارك ســترينجر Jason Woon And Mark Stringer، وقالوا إنها تحوي مراجعة

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P29-30.

لإحدى وستين دراسة عن عظمة العصعص، والدراسة عنوانها: التشريح الإكلينيكي لعظمة العصعص، مراجعة منهجية Clinical Anatomy Of The Coccyx, A Systematic Review، ونُشرت في مجلة التشريح الإكلينيكي الأمريكية Clinical Anatomy، في شهر مارس سنة ٢٠١٢م.

يقول أساتذة التشريح في وصف عظمة العصعص، والاتجاهات والزوايا التي تتحرك فيها عند الوقوف والجلوس، والعضلات والأربطة التي تتصل بها، والأوعية الدموية التي تغذيها، والأعصاب التي تصل إليها:

"غالباً ما كان ينظر إلى عظمة العصعص على أنها تركيب مندثر Vestigial Structure، بسبب قلة المعلومات المتوفرة عن تشريحها، ولكن الدراسات الحديثة تثبت أن عظمة العصعص نقطة ارتكاز أساسية للعديد من العضلات والأوتار والأربطة التي تُشكِّل قاع الحوض، الذي يدعم الأعضاء الداخلية، فهي نقطة ارتكاز عضلة الإلية الكبرى، والعضلة الرافعة للشرج، والعضلة العصعصية، والعضلة الحرقفية العصعصية Gluteus Maximus, Levator Ani, Coccygeus, And Iliococcygeus، والرباط العجزي الشوكي، والرباط العجزي الحدبي، والرباط الشرجي العصعصي Acrospinous And Sacrotuberous Ligaments, And Anococcygeal Raphe، وعند الجلوس تعمل عظمة العصعص كحامل لتوزيع الوزن ودعم قاع الحوض، ويُسهم ذلك في الحفاظ على تركيب حلقة الحوض والتحكم في البراز، وعظمة العصعص في النساء تنثني للخلف عند الولادة لتوسيع مخرج الحوض"[١].

---

1) Jason Woon, Mark Stringer: Clinical Anatomy Of The Coccyx, A Systematic Review, Clinical Anatomy Journal, March 2012, Vol. 25, Issue 2, P158-167.

وبمناسبة عظمة العصعص، فخلفاء تشارلز دارون على هلاوس التطور، يسمونها عظمة الذيل Tailbone، لأنه قال إنها جزءٍ من ذيلٍ كان لأسلاف الإنسان وضمر فيه، وأنها تتطابق مع الذيل الحقيقي في الحيوانات الدنيا.

ويقول تشارلز دارون نفسه، ضمن كلامه عن أن عظمة العصعص بقايا ذيلٍ كان في أسلاف الإنسان وضمر فيه ولم يعد لها وظيفة:

"وفقاً لإيزيدور جفري سانت هيلر Isidore Geoffroy St.-Hilaire، من المعروف أنه في بعض الحالات النادرة والشاذة، تُشكِّل عظمة العصعص أثراً خارجياً صغيراً للذيل Small External Rudiment Of A Tail"[١].

فإليك التدليس فيما قاله الماسوني تشارلز دارون.

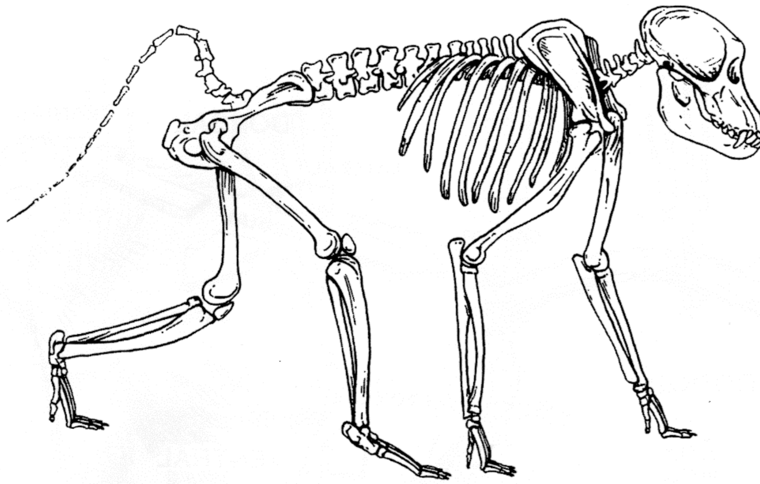
أولاً: الحالة التي وصفها تشارلز دارون مرض شاذ وشديد الندرة، كما قال هو نفسه، والأمراض، خصوصاً الشاذ والنادر منها، لا يُستدل بها على أصل طبيعة المخلوق، فالإنسان الذي يولد كفيفاً لا يُستدل به على أن سلفاً للإنسان كان أعمى، والذي يولد وبه أصابع زائدة في يديه أو قدميه لا يستدل به على أنه انحدر من الأخطبوط.

وثانياً وهو الأهم: ثمة فرق شاسع بين الحالة النادرة التي ذكرها تشارلز دارون واستدل بها وبين الذيل في الحيوانات، فالذيل في جميع الحيوانات يتكون بصفة أساسية من فقرات عظمية تتصل بالعمود الفقري، وهي امتداد له وجزء منه، ويوجد بداخل هذه الفقرات امتداد للنخاع الشوكي، بينما الحالة النادرة التي يدلس خلفاء تشارلز دارون ومن يعتنقون عقيدة التطور على عموم البشر ويسمونها ذيل الإنسان،

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P29.

هي كتلة من الأنسجة والأوعية الدموية والأعصاب، وتخلو تماماً من الفقرات والعظام، فهي طبياً ورم نسيجي، مثل أي ورم يمكن أن يحدث في أي مكان على سطح جسم الإنسان أو في داخله.

فهاك صورة الهيكل العظمي لقرد البابون من موقع الموسوعة البريطانية، ويظهر فيها فقرات ذيله واتصالها بعموده الفقري.



الهيكل العظمي لقرد البابون، ويظهر فيه فقرات ذيله واتصالها بعموده الفقري.

وإليك وصف ما سماه تشارلز داروين وخلفاؤه ذيل الإنسان، من دراسة لفريق من خمسة أساتذة في تخصصات مختلفة من طب الأطفال، في مستشفى جامعة وود جونسون Wood Johnson، في نيوجيرسي، وعلى رأسهم أستاذ طب الأطفال حديثي الولادة سورازاك بوفاباندِيتسِن Surasak Puvabanditsin، والدراسة نُشرت في عدد شهر يناير سنة ٢٠١٣م من مجلة علم أعصاب الأطفال Journal Of Child Neurology، وكان عنوانها: ذيل بشري جيلاتيني مع ورم شحمي نخاعي، تقرير حالة A Gelatinous Human Tail With Lipomyelocele, Case Report.

وفي دراستهم يقول الأطباء الخمسة في وصف الحالة المرضية النادرة التي تسمى الذيل البشري:

"الذيل البشري ظاهرة نادرة، والمسجل منها في جميع الدوريات الطبية ٦٦ حالة، وقد صنف نتسكي Netsky الذيول البشرية إلى نوعين، ذيول حقيقية وذيول زائفة True Tails And Pseudo Tails، والذيل الحقيقي هو نتوء من خط الوسط، خالٍ من العظام Boneless، ويتصل غالباً بجلد منطقة العجز والعصعص، وقادر على الحركة التلقائية أو الانعكاسية، ويتكون من جلد طبيعي وأنسجة ضامة وعضلات وأوعية دموية وأعصاب، ومغطى بالجلد، ويخلو من العظام والغضاريف والحبل الظهري والحبل الشوكي Bone, Cartilage, Notochord, And Spinal Cord Are Lacking، وتُصنَّف جميع النتوءات الأخرى في منطقة أسفل الظهر والعجز والعصعص على أنها ذيول زائفة، وتحتوي على أنسجة طبيعية أو غير طبيعية، مثل الغضروف، والورم الشحمي Lipoma، والورم الدبقي Glioma، والذيل الزائف امتداد غير طبيعي للفقرة العصعصية، وفي دراستنا نقدم حالة لمولودة جديدة لديها شكل جيلاتيني لذيل بشري زائف، مع ورم شحمي نخاعي Lipomyelocele، وهي حالة لم تُسجل من قبلُ، لأن الذيل البشري المصحوب بورم شحمي نخاعي حالة نادرة في الأدبيات الطبية المكتوبة بالإنجليزية"[١].

حفريات الإنسان:

والآن إلى **رابع أدلة تشارلز دارون** على أن الإنسان حيوان من ذوات الأربع وسلالة القردة، وأنه انحدر من الكائنات الأدنى، وهو الحفريات، وقد علمت من قبل أن

---

1) Surasak Puvabanditsin, Eugene Garrow, Sharada Gowda, Meera Joshi-Kale, Rajeev Mehta: A Gelatinous Human Tail With Lipomyelocele, Case Report, Journal Of Child Neurology, Jan 2013, Vol. 28, Issue 1, P124-127.

الماسوني تشارلز دارون وضع الإنسان ضمن ذوات الأربع، وفي رتبة الرئيسيات، ومن فصيلة القردة، وأنه كان يلتقي معها في سلف مشترك ثم انفصل عنها وتطور بالتدريج إلى أن صار الإنسان العاقل المنتصب، وفي الفقرة التي عنوانها: حول مهد الإنسان وعراقته، من الباب السادس، من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، الذي عنوانه: حول قرابة الإنسان ونسبه، يقول عن الحفريات أو الحلقات الوسيطة بين الإنسان وسلفه مع القرد الذي تراءى له في هلاوسه:

"فيما يتعلق بغياب بقايا الحفريات التي تربط الإنسان بأسلافه الشبيهة بالقردة Ape-Like Progenitors، لن يُولي أحدٌ اهتماماً كبيراً لهذه الحقيقة This Fact، خاصةً إذا قرأ مناقشة السير سي لايل C. Lyell، التي يُبين فيها أن اكتشاف الحفريات في جميع فئات الفقاريات كان عملية بطيئة للغاية وعشوائية، ولا ينبغي أن ننسى أن المناطق التي يُرجح أن تحتوي على بقايا حفريات تربط الإنسان ببعض المخلوقات المنقرضة الشبيهة بالقردة، لم يقم الجيولوجيون باستكشافها حتى الآن"(١).

فهل تنبهت أنه يخبر الأميين الذين يخاطبهم أن عدم وجود حفريات تربط الإنسان بسلفه القرد الذي توهمه حقيقة، ثم يقول لهم في الوقت نفسه إنه لا يجب أن يوليها أحد اهتماماً؟!

والماسوني تشارلز دارون، كان يعوِّل على أنه سيتم اكتشاف الحفريات التي تخيلها في هلاوسه مع الزمان، ومع استكشاف إفريقيا، التي كانت عقيدته، كما علمتَ، أنها المكان الذي انحدر فيه الإنسان من القردة، وأن شعوب إفريقيا السوداء هي النوع الفرعي الوسيط بين هذه القردة وبين النوع الفرعي الأوروبي الأبيض.

---

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P201.

وما كان يعول عليه تشارلز داروِن أن يثبت عقيدته وهلاوسه لم يحدث، بل نقضته جميع البحوث العلميـة والتجريبية الحقيقيـة، وعبر أكثر من قرن ونصـــف قرن من الزمان، لم يتمكن خلفاؤه الذين اعتنقوا عقيدته وهلاوســـه في التطور من العثور على الحفريات التي توهمها لكي تثبت هذه العقيدة والهلاوس، وقد نقلنا لك في باب: الزمان والحفريات والحلقات الوسيطة، عن أستاذ الجيولوجيا والحفريات ورئيس قسم الجيولوجيا في متحف فيلد للتاريخ الطبيعي في شـــيكاغو Field Museum Of Natural History Bulletin، ديفيد روب David Raup، في دراســته: الصــراع بين داروِن وعلم الحفريــات Conflicts Between Darwin And Paleontology، التي نشرها في عدد شهر يناير سنة ١٩٧٩م، من الدورية التي يصدرها المتحف، أنه:

"يوجد حوالي ٢٥٠ ألف نوع من حفريات النباتات والحيوانات المعروفة، ومتحف فيلد للتاريخ الطبيعي يحوي ٢٠% من هذه الحفريات، ونظرية داروِن في الانتخاب الطبيعي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـالأدلـة المســـتمـدة من الحفريـات، ومعظم النـاس يفترضـون أن الحفريات تُشـكِّل ركناً رئيسـياً في التفسـيرات الداروينية لتاريخ الحياة، ولكن للأســـف هذا ليس صـــحيحاً، ويجب أن نميز بين حقيقة التطور، التي يتم تعريفها على أنها التغير الذي يحدث في الكائنات الحية بمرور الوقت، وبين تفسـير هذا التغير، وإسهام داروِن من خلال نظريته في الانتخاب الطبيعي، أنه اقترح كيفية حدوث هذا التغير التطوري، ولكن الأدلة التي نجدها في السجل الجيولوجي لا تتوافق مع الانتخاب الطبيعي الدارويني، كما كنا نتمنى ... والحقيقة هي أنه قد مر علينا ١٢٠ عاماً بعد داروِن، ومعرفتنا بسـجل الحفريات توسـعت بشـكل كبير، ولدينا ربع مليون حفرية للأنواع المختلفة، ولكن الموقف لم يتغير كثيراً، وما كان يبدو تطوراً تدريجياً بسيطاً ولطيفاً عندما كانت المعلومات المتاحة قليلة، أصبح الآن أكثر تعقيداً وأقل تدرجاً What Seemed Like A Simple And Gentle Gradual

Evolution When Information Was Scarce Has Now Become "More Complex And Less Gradual[1].

عقيدة التطور ركن في هندسة السيطرة على وعي البشر:

ولأنه، وعبر أكثر من قرن ونصـــف قرن، لا توجد أدلة من الحفريات والجيولوجيا، على الحفريات والحلقات الوسيطة التي تخيلها تشارلز دارون لكي تثبت تطور الإنسان من سـلفه مع القردة بفعل الزمن، سـد خلفاؤه على الهلاوس هذا الصـدع بالتزوير في البحوث والدراسـات العلمية واختلاق حفريات والتزوير في أعمارها، فأي عظمة يعثرون عليها، حتى لو كانت ضـرسـاً أو عقلة إصـبع فقط، يزعمون أنها لحلقة وسـيطة بين الإنسان والقردة، ويتخيلون من الضرس أو عقلة الإصبع هيكلاً عظمياً كاملاً، ويحنونه أو ينصبونه، ويكسونه بالعضلات، ويمنحونه الملامح والقسمات، ثم يصفونه للرسامين المحترفين، وبعد ذلك يقدمون ما رســموه على أنه دليل قاطع على عقيدتهم في تطور الإنســان من القردة، فيتوهم من يرى الصــور أنهم وجدوها هكذا بعظمها ولحمها وشــحمها، ثم يتلقف البقر في الصــحف والمجلات والإنترنت في بلدان الحمار الأمي وفي بلاليص ستان هذه الصـور ويشـيعونها بين عموم الناس على أنها حقيقية وتثبت أن هلاوس التطور حقائق.

وقد وضــعوا سُـلماً افتراضــياً للمراحل والأنواع الوســيطة التي تخيلوها عن تطور الإنسـان من سـلفه المشـترك مع القردة العليا، مثل الغوريلا والشـمبانزي، وهذه الأنواع الوسـيطة هي نوع الأوسـترالوبيثيسـينز، أو القردة الجنوبية Australopithecines، ونوع الهومو هابيليس، أو الإنســان الماهر الذي يســتخدم يديه ويصــنع الأدوات Homo Habilis، ونوع الهومو إريكتوس، أو الإنســان منتصــب القامة Homo

1) **David Raup: Conflicts Between Darwin And Paleontology, Field Museum Of Natural History Bulletin, January 1979, P22, 25.**

Erectus، ثم جنس الهومو سيبيانز، أو الإنسان العاقل Homo Sapiens، الذي هو أنت، ثم جعلوا اســتراتيجيتهم الرئيســية لإثبات هذه الهلاوس هي الســعي والكفاح من أجل العثور على حفريات تثبت وجود هذه الأنواع، وأنها أنواع منفصـــلة، لا تنتمي إلى القردة العليا ولا إلى الإنســـان العاقل، فكل هيكل عظمي أو جزء منه أو حتى عظمة واحدة يعثرون عليها يزعمون أنها من الأنواع الوسيطة والانتقالية بين القردة والإنسان، ودليلهم الوحيد الاسم اللاتيني المعقد الذي يسمون به الحفرية، ثم يكتبون دراسة عنها وتنشـــرها لهم المجلات العلمية التي تعتنق عقيدة التطور، وفي الوقت نفســـه يمنعون نشـــر أي دراســـة توجد فيها إشـــارة إلى الخلق، ثم تنقل وســـائل الإعلام والصـــحف والمجلات العامة عن المجلات العلمية أخبار الكشـــف وتقدمه لعموم الناس تحت عناوين مثيرة، وتضـع اسماً شعبياً للحفرية، يرسخ في وعيهم عقيدة التطور، ويوهمهم أن نشـــوء الإنســـان من القردة حقيقة مؤكدة، ثم بعد ســـنوات أو عقود يتم اكتشـــاف التزوير، وأن الحفرية التي صنعوا لها فيلماً عن التطور، هي لقرد كغيره من القردة، أو لإنسان مثل جميع البشر، ولكن بعد أن يكون قد تم دق عقيدة التطور نفسها في أدمغة الأميين وهم عموم البشـر، وبعد أن تنتهي موضـــة هذه الحفرية يصـــنعون فيلماً جديداً لحفرية أخرى، تدق دقة جديدة وتعمق خازوق التطور في أذهان الأميين، وهكذا دواليك.

فتكون النتيجة الحقيقية هي تراكم آثار هذه الأفلام، وإزاحة الوجود الإلهي والخلق من أذهان عموم البشـر وإحلال عقيدة التطور محلها، لتصـبح مع كل حفرية يُزوِّرونها وكل فيلم يصنعونه المكون الأساسي لبناء أذهان البشر ونفوسهم، وهو ما تريده الطبقة التي تســيطر على وعي بلدان الحمار الغربي، وهي التي صـــنعت هندســـته وتتوارث حفظها وترسيخها، منذ عصـر النهضـة وحركة الروزيكروشـان، وليس العلم ولا النتائج الفنية المحدودة والمباشـــرة للبحوث والدراســـات، لأن الإطاحة بعقيدة الوجود الإلهي والخلق، كما أخبرناك عدة مرات، يتبعها تلقائياً الإطاحة بمنظومة القيم والأخلاق

والعلاقات التي ترتبط بها، وإحلال المنظومة التي يريدون أن يكون البشر عليها، لكي يقعوا بين الأنياب والمخالب الناعمة للتعليم ووسـائل الإعلام ووسـائط اللهو والترفيه التي يسيطرون عليها، فيصبحون دمى تطيعهم طاعة مطلقة وتتحرك كما يريدون وهي تتوهم أنها هي التي أرادته.

والمراهقون الذين يذهبون من بلاليص سـتان إلى جامعات الغرب وهم بلاليص فارغة، يسـتقبلونهم، ويمنحونهما الشـهادات، ليس لأنهم جمعية خيرية ومن يقومون عليها من أهل البر والإحسـان، بل من أجل غرض خبئ عميق لا تدركه هذه البلاليص، ولا يمكن أن تصـل أذهانهم ونفوسـهم الأمية إلى إدراكه، وهو أن يملؤوهم وهم يتعلمون ويمنحونهم الشـهادات بعقيدة التطور وهلاوسـها، ثم يعيدوهم إلى بلاليص سـتان، ليتمركزوا في بريق الشـهادات التي منحوها لهم في جامعاتها ووسـائل إعلامها، ويكونوا تلقائياً امتداداً لهم، ودعاة مخلصـين لعقيدتهم في التطور، ينشـرونها طواعية، ويبثون معها الفهم الذي ربوْهم عليه للوجود والحياة وللعلاقة بين الإله والبشـر ولمنظومة القيم والأخلاق والعلاقات الإنسـانية، فيذيبون بذلك العقيدة الإلهية ومنظومة القيم التي ترتبط بها في أذهان عموم أهل بلاليص سـتان ونفوسـهم، ويمهدون وعيهم لأن يلحق بوعي عموم البشـر في الغرب، ويقع بين أنيابهم ومخالبهم الناعمة، ويصبحوا من خلالها دمية طائعة لهم.

فارجع إلى كتبنا السـابقة، أو على الأقل إلى الأبواب الأولى من الجزء الأول من هذا الكتاب، وهو كتاب: **المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السـرية**، لتعرف تفصـيلاً ماذا تكون هذه الطبقة وممن تكون وما الذي تسـعى من أجل الوصـول إليه، وكيف صـنعت هندسـة الغرب بالطريقة التي تمكنها من السـيطرة على وعيه بمخالبها الناعمة غير المرئية للأميين، الذين لا يدركون إلا ما يقع تحت طائلة حواسـهم، وليس

عندهم معيار ولا ميزان يمكِّنهم من التمييز بين الحقائق والنظريات في العلوم الطبيعية وبين الأباطيل والضلالات التي يلبسونها بها.

وقبل الكلام عن الحفريات، وأهم منها، ينبغي أن ننبهك إلى مسألة ونذكرك بمسائل أخرى، فالمسألة التي ننبهك إليها، هي أن العلم، أي علم في أي مجال، هو التمييز بين المسائل المدمجة وفصلها عن بعضها، وإثبات كل مسألة على حدة، وعدم الخلط بينها، وعدم نقل دليل مسألة إلى أخرى دون برهان، فالدليل على صحة مسألة ليس دليلاً على صحة مسألة أخرى، حتى لو اندمجت بها وبدا من ظاهرهما أنهما مسألة واحدة، فإذا افترضت أنهم وجدوا حفريات لأشكال متنوعة من المخلوقات تختلف في درجة انحنائها وانتصابها وشكل أطرافها، وهو ما لم يحدث، فهذا دليل على تنوع المخلوقات واختلافها، وليس دليلاً على أنها تطورت وخرجت من بعضها، فهذه مسألة وتلك أخرى.

وأما المسائل التي مرت بك تفصيلاً من قبل ونذكرك بها، ولا نريدك أن تغفل عنها، **فأولاً:** أن الفرق بين الإنسان والقردة لا ينحصر في الهيكل وانتصاب القامة وشكل الجمجمة والعظام ومقاساتها، فالفرق الأساسي بين الإنسان والقردة وجميع المخلوقات هو الوعي والقدرات العقلية واللغوية، التي تمكِّنه من استقبال ما تنقله له الحواس من العالم الخارجي وتحويله إلى معان وأفكار والربط بينها وتوليد معان وأفكار جديدة منها وصبها في كلمات وألفاظ في داخله، ثم قدرته على نقل ما في داخله إلى خارجه مرة أخرى في منظومة صوتية راقية ومتناسقة، وهي المعضلة الكبرى التي لا يوجد لها تفسير في عقيدة التطور، مع معضلة أصل الحياة، ولذا فمنذ تشارلز دارون وحتى يومك هذا يسعى من يعتنقون عقيدة التطور إلى حجبها، وحصر الاختلاف بين الإنسان وغيره من المخلوقات في مسألة الشكل والقامة، التي تمنحهم مساحات للحركة والتزوير.

وثانياً: الفرق بين الإنسان والقردة لا يمكن تفسيره بالتركيب الجيني فقط، وقد عرفت في باب: **وعلم آدم الأسماء كلها**، أنهم اكتشفوا في بداية البحوث على جينوم الإنسان والشمبانزي أن نسبة التشابه بين جيناتهما تصل إلى ٩٩%، ثم تراجعت هذه النسبة، واستقرت عند ٩٥%.

ونقول لك: بل حتى لو كانت نسبة التشابه بين جينوم الإنسان والشمبانزي ٩٩,٩%، فهذا لا يعني أن الإنسان شمبانزي، أو أنه يشترك معه في سلف مشترك، فالتشابه بين جينوم الإنسان والفأر يتراوح في البحوث والدراسات بين ٨٠% و٨٥%، ولست بحاجة لمن يعرفك بالفرق بين الإنسان والفأر، والتشابه بين الإنسان والخفاش الذي يحدد المواقع بصدى الصوت في الجين FOXP2 الذي ربطوه بالكلام والنطق، أكبر من التشابه بين الإنسان والشمبانزي.

فالفروق بين الإنسان وغيره من المخلوقات، مسألة أعقد وأكبر من مستوى الجينات، وتتداخل فيها عناصر أخرى عديدة عميقة وغير معروفة، والجينات المتشابهة بين الإنسان والشمبانزي تُنتج في كل منهما آثاراً شاسعة الاختلاف في شكل أعضائه وتركيبها وخصائصها ووظائفها، بسبب هذه العناصر المجهولة.

وقد نقلنا لك في باب: **وعلم آدم الأسماء كلها**، عن دراسة أستاذ علوم الأعصاب والبيولوجيا التطورية في المركز القومي الأمريكي لدراسات الرئيسيات، تود بروس Todd Preuss، التي نشرها في عدد شهر يونيو سنة ٢٠١٢م، من مجلة الأكاديمية الأمريكية للعلوم، بِناس Proceedings of the National Academy of Sciences (PNAS)، وكان عنوانها: تطور المخ البشري من اكتشاف الجينات إلى اكتشاف النمط الظاهري Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery، أنه:

"لقد ذهل كينج وويلســـون King And Wilson في دراســـتهما الرائدة التي نشرت في مجلة ساينس سنة ١٩٧٥م، حين اكتشفا لأول مرة التشابه الكبير بين البشر والشمبانزي في تسلسل الأحماض الأمينية للبروتينات التي كان قد تم تحديد تسلسلها حتى ذلك الحين، فلم تتجاوز الاختلافات ١%، وهي نسبة أقل من تلك الموجودة بين الأنواع الشقيقة المتطابقة تشريحياً في بعض مجموعات الحيوانات، وهذا التشابه الجزيئي الكبير بين البشر والشمبانزي يتناقض مع الاختلافات العميقة في السلوك وحجم المخ والتشريح العام بين النوعين ... وبناءًا على هذه النتائج لا يمكن تفسير معظم الاختلافات الظاهرية بين البشر والشمبانزي بالتغيرات التطورية في عدد قليل من الجينات التنظيمية، التي عملت في وقت مبكر من التطور، وهو ما يثير مسألة بالغة الأهمية، وهي قصور معلوماتنا بخصوص الكائن البشري The Human Organism، وأعتقد أنه من الأمانة أن نقول إننا جهلاء تماماً بالعديد من سمات الإنسان وخصائصه البيولوجية It Would Be Fair To Say We Are Quite Ignorant About Many Human-Specific Features Of Human Biology"[١].

وثالثاً: أي تغير في شكل أي عضو أو خصائصه ووظيفته في أي كائن حي، لا يحدث إلا إذا تغير برنامج المعلومات المشفر الخاص به في الجينات، وعدد الكروموسومات في خلايا الإنسان ٢٣ زوجاً، أي ٤٦ كروموسوماً، بينما عدد الكروموسومات في القردة العليا، مثل الشمبانزي والغوريلا، ٢٤ زوجاً، أي ٤٨ كروموسوماً، والجينات في جينوم الإنسان يتراوح عددها بين ٢٠ ألف جين و٢٥ ألف جين، ونسبة التشابه بين جينوم الإنسان والشمبانزي، كما علمتَ، ٩٥%، أي أنه يوجد اختلاف بين الإنسان والشمبانزي في ألف جين على الأقل، وكل جين يتكون من

---

1) Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery, Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), 2012 Jun 22, Vol. 109 (Suppl 1), P10709–10716.

نيوكليوتيدات، يتراوح عددها في كل جين بين المئات والآلاف، وعدد النيوكليوتيدات في جينوم الإنسان ٣,٥ مليار زوج أو ٧ مليارات نيوكليوتيدة، وتطور الإنسان من القردة الذي يزعمونه يحتاج إلى آلاف الطفرات الجينية وتغير في ٣٥ مليون نيكليوتيدة، والبحوث التجريبية أثبتت أن حدوث طفرتين نافعتين ومستقرتين ومتكاملتين في الإنسان يستغرق ٨,٦ X ١٠ ٦ جيل، أو ٢١٦ مليون سنة، وعلى ذلك فتطور الإنسان من سلفه مع القردة بالطفرات الجينية يحتاج إلى زمن يتخطى عمر الكون كله، بينما الزمن الذي زعموا أن الإنسان انفصل فيه عن سلفه المشترك مع القردة، قدروه هم أنفسهم بأنه كان منذ فترة تتراوح بين ٥,٥ مليون و٦,٣ مليون سنة فقط.

والآن إلى مسألة الحفريات، وقد جئناك في باب: **الزمان والحفريات والحلقات الوسيطة**، بنماذج مفصلة عديدة على التزوير في حفريات الإنسان والحيوانات، ونذكرك بها هنا بإيجاز.

فالنموذج الأول، إنسان نبراسكا، الذي تخيله أستاذ الجيولوجيا ورئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، هنري أوسبورن Henry Osborn، مع ثلاثة آخرين من أساتذة الجيولوجيا والحفريات، من ضرس وجدوه في غرب ولاية نبراسكا سنة ١٩٢٣م، وقالوا إنه أحد أسلاف الإنسان من العصر البليوسيني، وأطلقوا عليه اسماً لاتينياً معقداً، هو هسبيروبيثيكوس هارولدكوكياي Hesperopithecus Haroldcookii، وقدموا دراسة عنه أمام الأكاديمية الأمريكية للعلوم، ونُشرت في عدد شهر مايو سنة ١٩٢٢م، من مجلة ساينس Science، ثم كلفت مجلة لندن نيوز London News، أستاذ الحفريات جرافتون سميث Grafton Smith، والرسام الفرنسي المتخصص في رسوم عصور ما قبل التاريخ أميدي فورستي Amédée Forestier، بتصميم رسم لإنسان نبراسكا حسب وصف أوسبورن في مجلة ساينس، ثم نشرته، وهو يصور اثنين من إنسان نبراسكا في غابة وأحدهما منتصب القامة مع انحناء خفيف وإبهامه

مضـمومة مثل الإنسـان على طوبة في يمينه، وعلى عصـا في يسـاره، والآخر جالس على الأرض، وصـارت هذه هي صـورة سـلف الإنسـان التي تثبت تطوره في أذهان عموم البقر.

ثم في سـنة ١٩٢٥م، أعادت بعثة للحفريات اسـتكشـاف مناطق غرب نبراسـكا، وعثرت على هيكل عظمي، واشـتبهت أنه الهيكل الذي ينتمي إليه الضـرس الذي اكتشـفوه سـنة ١٩٢٢م، فقام أسـتاذ البيولوجيا وعلوم الحيوان في جامعة كولومبيا، ورئيس القسم الخاص بها في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وليم كينج جريجوري William King Gregory، بفحص الهيكل العظمي والضـرس، ووصـل فعلاً إلى أن الضرس والهيكل لحيوان واحد، وكتب دراسة في عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧م، من مجلة سـاينس، عن نتيجة فحصـه، وقال فيها إن الضـرس لنوع من الخنازير البرية كان يعيش في أمريكا الشمالية، في العصر الميوسيني، وليس في العصر البليوسيني!

والنموذج الثاني، لوسـي، وهي عظام متناثرة في منطقة عفَر، في إثيوبيا، عثر عليها أسـتاذ الأنثروبولوجي ومؤسـس معهد أصـول الإنسـان في كاليفورنيا Institute Of Human Origins، دونالد جوهانسـون Donald Johanson، ضـمن فريق دولي من علماء الجيولوجيا والحفريات، يقوده أسـتاذ الجيولوجيا والحفريات، في المركز الأوروبي لعلوم الأرض والبيئة Centre Européen De Recherche Et D'enseignement De Géosciences De l'Environnement ، موريس طيب Maurice Taieb، وهو فرنسي من أصل تونسي، وبعد فحصها، قالوا إن هذه العظام تُكوِّن ٤٠% من الهيكل العظمي لامرأة عمرها ١٥ سنة، وكانت تعيش منذ ٣,٢ مليون سـنة، وأن عظام حوضـها وسـاقيها تدل على أنها كانت منتصـبة وتمشـي على سـاقين مثل الإنسـان، ولذا فهي سـلف للإنسـان وحلقة انتقالية بينه وبين القرد، ومن أقدم أسـلاف الإنسـان التي تم اكتشـافها، وأطلقوا عليها اسـماً لاتينياً، هو أوسـترالوبيثيكوس

أفَرانيزيز Australopithecus Afarensis، واسماً شعبياً، هو لوسي، ورسموا لها صورة كاملة بشحمها ولحمها وأثدائها وانحناء ظهرها.

ثم بعد ماراثون طويل من البحوث والدراسات والفحوص، اشتركت فيه فرق عديدة من الأساتذة والباحثين في الأنثروبولوجيا والجيولوجيا والحفريات والفيزيائيين وخبراء الفحوص بالأشعة، على مدى عدة سنوات، وصلوا إلى أن هيكلها العظمي الذي عثروا عليه، لنوع من القردة، وتوجد به فقرات اختلطت به ولا تخصها، بل هي لأحد قردة البابون، وأنها كانت تعيش على الأشجار وليس على الأرض، وماتت نتيجة السقوط من أعلى شجرة طويلة.

والنموذج الثالث بخصوص التزوير في أعمار الحفريات، وهو أستاذ الأنثروبولوجي في جامعة فرانكفورت، راينر بروتش فون تسيتن Reiner Protsch Von Zieten، الذي قام منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين وعلى مدى ثلاثين عاماً، بعمل دراسات لتحديد أعمار بعض الحفريات باستخدام الكربون المشع، وكشف فيها عن وجود أسلاف للإنسان في أوروبا منذ عشرات الآلاف من السنين، فقدر عمر حفرية إنسان هانْهُوفِرسانت Hahnhöfersand Man، أنه ٣٦,٣٠٠ سنة، وهو ما جعله عند علماء الحفريات أقدم ألماني معروف في التاريخ، ودليل على وجود نياندرتال Neandertal في شمال أوروبا، وهو كما كانوا يعتقدون أحد أسلاف الإنسان، وقدر عمر حفرية بِنسهوف شبايِر Binshof-Speyer، وهي جمجمة لامرأة وتحوي أضراساً، بأنه ٢١,٣٠٠ سنة، وعمر حفرية إنسان بادبورن زَنده Paderborn-Sande، بأنه ٢٧,٤٠٠ سنة.

ثم في سنة ٢٠٠٤م، قام أستاذ الحفريات في جامعة جريفزفالد الألمانية Greifswald، توماس تيربرجر Thomas Terberger، بفحص الحفريات وتحديد عمرها في معامل جامعة أكسفورد الحديثة، بالاشتراك مع مارتن ستريت Martin

Street، الأســـتاذ في معهد أبحاث العصـــر الحجري في بريطانيا Stone Age Institute، ونشـــروا نتيجـة فحصـــهم في مجلـة المعهـد الأمريكي لعلم الآثـار Archaeology، في عدد شـــهر مايو ســـنـة ٢٠٠٥م، وقالوا فيه إن إنســـان هانهُوفِرسانت، الذي تم تقدير عمره أنه ٣٦,٣٠٠ سنة، يبلغ عمره ٧,٥٠٠ سنة فقط، وجمجمة بِنسهوف شباير، عمرها ٣,٠٩٠ سنة، وليس ٢١,٣٠٠ سنة، وإنسان بادبورن زَنده الذي قال بروتش إن عمره ٢٧,٤٠٠ ســـنة، مات في القرن الثامن عشـــر، ولا يتجاوز عمره ٢٥٠ سنة!

وإليك الآن نموذجاً رابعاً من إحدى أشـــهر الحفريات التي جعلها خلفاء تشـــارلز دارون على هلاوس التطور، حلقة بين الإنسان والقرد، وهو نياندرتال Neanderthal، وقد ذكره تشارلز دارون نفسه مرة واحدة، وفي إشارة عابرة، في كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، ضمن كلامه عن الفرق بين مخ الإنسان ومخ القردة.

يقول تشارلز دارون في الباب الرابع من كتابه: نشوء الإنسان والانتخاب الجنسي، وعنوانه: طريقة التطور Manner Of Development:

"لابد من الإقرار بأن بعض الجماجم القديمة جداً، مثل جمجمة نياندرتال الشـــهيرة Such As The Famous; One Of Neanderthal، متطورة وواسعة"[1].

وعظام نياندرتال تم اكتشافها لأول مرة في شهر أغسطس سنة ١٨٥٦م، في كهف في وادي نياندرتال، شـــرق مدينة دســـلدورف في ألمانيا Düsseldorf، وفي كتابه: مسـار الحفريات، كيف نعرف ما نعتقد أننا نعرفه عن التطور البشـري The Fossil Trail, How We Know What We Think We Know About Human Evolution، يقول أســـتاذ علم الحفريات ورئيس المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي،

1) The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, P146.

إيان تترسـول Ian Tattersall، إن أسـتاذ التشـريح والأنثروبولوجي في جامعة بون، هرمان شـافهاوزن Hermann Schaaffhausen، قدم سـنة ١٨٥٧م أول دراسـة عن حفرية نياندرتال وعن جيولوجيا الكهف الذي اكتشـفت فيه، أمام جمعية الراين السـفلي للتاريخ الطبيعي والدراسـات الطبية في بون Niederrheinische Gesellschaft Für Natur- Und Heilkunde، ولم يكن كتاب: عن أصـل الأنواع بواسـطة الانتخاب الطبيعي لتشارلز دارون قد طُبع، ولا هلاوس التطور قد ظهرت، وفي دراسته يقول شافهاوزن :

" نياندرتال كان يتمتع بقوة وعضـلات هائلة، ربما نتيجة لنمط حياة شـاق للغاية، وعظامه تعود إلى فرد من قبيلة بدائية وهمجية، ولكنها مع ذلك بشـرية But Nevertheless Human، وسكنت شمال أوروبا قبل الجرمانيين"[١].

أي أن هرمان شـافهاوزن، صـنَّف حفرية نياندرتال على أنها لإنسـان بشـري عاقل، وإن كان بدائياً وهمجياً.

وفي سـنة ١٨٦٣م، بعد ظهور هلاوس التطور والانتخاب الطبيعي، قدم أسـتاذ الجيولوجيا والحفريات في جامعة الملكة في أيرلندا، البريطاني وليم كينج William King، دراسـة عن حفريـة نيـانـدرتـال، أمـام الرابطـة البريطـانيـة للعلوم British Science Association، ثم نشـرها في عدد الربع الأول من سـنة ١٨٦٤م، من مجلة كوارترلي أوف ساينس أو المجلة الربع سنوية للعلوم Quarterly Journal of Science التي تصـدرها الرابطة، وفي دراسـته أطلق وليم كينج على العظام المكتشـفة

---

1) Ian Tattersall: The Fossil Trail, How We Know What We Think We Know About Human Evolution, P14, Oxford University Press, New York, 1995.

اسم إنسان نياندرتال، ووصف العظام، خصوصاً الجمجمة، وصفاً تفصيلياً دقيقاً، وهذا جزء من وصفه وتصنيفه لها:

"بشـــكل عام، تتميز جمجمة نياندرتال بشـــكل بيضـــاوي ممدود Elongated Oval، مع مخطط لقاعدتها يشـــبـــه إلى حد كبير جمجمـة الزنجي Bearing Much Resemblance To That Of The Negro Cranium، وهي ذات حجم كبير، وطولها يزيد بمقدار بوصـــــة على الجماجم البريطانية العادية، والجبهة منخفضـة ومتراجعة بشـكل غير عادي، وتنتهي من الأمام بجبين حوافه بارزة بشـكل هائل ... وخصـــائص الجمجمة في مجملها نادراً ما توجد في الإنســـان، إن لم نقل إنها لا توجد أبداً ... وثمة اعتبارات أخرى تُرجِّح بقوة الاعتقاد بوجود فجوة واســـعة تفصـــل بين الإنســـان العاقل/هومو ســـيبيانز وحفرية نياندرتال، وتجعلها أقرب إلى القردة العليا ... ويوجد تشابه بين جمجمة نياندرتال وجمجمة الإنسان، ولكنه تشابه تقريبي، وهي تتوافق بشـــكل أوثق مع جمجمة الشـــمبانزي It More Closely Conforms To The Brain-Case Of The Chimpanzee"[١].

وهكذا وصل وليم كينج إلى أن حفرية نياندرتال لمخلوق بين الإنسان والقردة العليا، وأنها أقرب للشمبانزي من الإنسان، فصارت حفرية نياندرتال عند خلفاء تشارلز دارون على عقيدة التطور سلفاً للإنسان، وحلقة وسيطة بينه وبين القردة العليا.

وخلال العقود التالية اكتُشفت حفريات أخرى عديدة نُسبت لنياندرتال، وكُتبت عنها دراسات عديدة، وقدروا فيها أنه كان يعيش في مناطق واسعة من أوروبا وغرب آسيا، أثناء العصر البليستوسيني المتأخر Late Pleistocene، منذ فترة تتراوح بين ١٣٠ ألف سنة و٣٠٠ ألف سنة، ثم انقرض منذ ٤٠ ألف سنة، ومنذ دراسة وليم كينج سنة

---

1) William King: The Reputed Fossil Man Of The Neanderthal, Quarterly Journal Of Science, Vol. 1, P88-97, 1864.

١٨٦٤م، وحتى منتصف القرن العشرين، ظلت حفرية نياندرتال تُوصف في عشرات الدراسات التي كتبت عنها، على أنها نوع من القردة، وحلقة وسيطة بين الإنسان وبين سلفه مع القردة العليا، إلى أن اكتشف أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة روما، سيرجيو سيرجي Sergio Sergi، حفرية نياندرتال في جبل شيرشيو Circeo في إيطاليا سنة ١٩٣٩م، ثم اكتشف حفرية أخرى في ساكوباستور، وكتب عنها دراسة سنة ١٩٤٨م، عنوانها: جمجمة الإنسان القديم الثاني من ساكوباستور II Cranio Del Secondo Paleantropo Di Saccopastore، ثم أعاد نشرها سنة ١٩٥٦م، بعنوان: نياندرتال القديم في إيطاليا، مناقشة وتفسير Die Neandertalischen Palaeanthropen In Italien, II, Diskussion Und Deutung، في الكتاب التذكاري الذي أصدرته مؤسسة فينر جرين للبحوث الأنثروبولوجية Die Wenner-Gren Foundation For Anthropological Research، بمناسبة مرور مائة عام على اكتشاف حفرية نياندرتال Hundert Jahre Neanderthaler, Neanderthal Centenary 1856-1956.

وفي دراسته يقول سيرجيو سيرجي:

"نياندرتال نوع فرعي Sottospecie من البشر المعاصرين، ويمكن تصنيفه على أنه إنسان عاقل نياندرتالي Homo Sapiens Neanderthalensis"(١).

وبدراسته أخرج سيرجيو سيرجي النياندرتال من تصنيف القردة، وأدخله في تصنيف البشر، وإن جعله نوعاً فرعياً، وتشارلز دارون، كما علمتَ من قبل، كان في كتابه:

---

1) Sergio Sergi: Die Neandertalischen Palaeanthropen In Italien, II, Diskussion Und Deutung, In Hundert Jahre Neanderthaler, Gedenkbuch Der International Neanderthal Feier, P165-177, Für Die Wenner-Gren Foundation For Anthropological Research, Inc., Dusseldorf, New York, Herausgegeben, 1956.

نشـوء الإنسـان والانتخاب الجنسـي، قد صـنف أجناس البشـر والشـعوب في القارات المختلفة، على أنهم أنواع فرعية داخل نوع الإنسان العاقل.

ونسينا أن نخبرك، أن أستاذ علم الحفريات والجيولوجيا في متحف التاريخ الطبيعي في بـاريس Muséum National D’Histoire Naturelle، مـارسـيلان بول Marcellin Boule، كان قد عثر على حفرية نياندرتال في كهف بجوار كنيسـة القديسـين La Chapelle-aux-Saints، في وسـط فرنسـا، وكتب عنها دراسـة سـنة ١٩١٣م، وهذا هو وصـفه للحفرية في دراسته، كما نقله إيان تترسول في كتابه: مسار الحفريات، كيف نعرف ما نعتقد أننا نعرفه عن التطور البشري:

"نياندرتال ذو حواجب كثيفة، ورُكب منحنية، ورقبة مائلة، وخطوات متثاقلة، وأقدامه متشـبثة بالأرض، وعقله متدن Beetle-Browed, Bent-Kneed, Sloping Necked, Shuffling Slouches With Grasping Feet And Inferior Brains"[١].

أي إن مارسيلان بول، وصف نياندرتال بما يجعله أقرب للقردة.

وفي سنة ١٩٥٥م، بعد دراسة مارسيلان بول باثنين وأربعين عاماً، قام أستاذ علم الحفريـات والجيولوجيـا في متحف بـاريس للتـاريخ الطبيعي نفسـه، كـامي أرمبور Camille Arambourg، بإعادة فحص الحفرية، وكانت هذه نتيجة إعادة الفحص، كما نقلها إيان تترسول:

"الصورة التي رسمها مارسيلان بول عن هؤلاء البشر، بانحناء أكتافهم ورُكبهم، كانت زائفة تماماً Was Totally False، فنياندرتال كان يمشـي منتصـب القامة

---

1) The Fossil Trail, How We Know What We Think We Know About Human Evolution, P92.

تماماً، ورأسه كانت متزنة فوق عموده الفقري، والتدهور في عظامه ومفاصله ناتج عن التقدم في السن، والعديد من الاختلافات التي أشار إليها بول عن الإنسان الحديث لم تكن في الحقيقة اختلافات على الإطلاق Many Of The Differences From Modern Humans To Which Boule Had Pointed Were In Fact Not Differences At All"[1].

وبعد كامي أرمبور، ومع اكتشاف حفريات نياندرتال في مناطق عديدة وواسعة من أوروبا وآسيا وحوض البحر المتوسط، توالت الدراسات التي تخرج النياندرتال من القردة، وتدخله في الهومو إريكتوس، أو الإنسان المنتصب، وتقربه من الإنسان العاقل والبشر، من خلال دراسة آثار سلوكه ونمط حياته في الطبقات التي وُجد فيها، ومن أشهر هذه الدراسات، دراسات أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة شيكاغو، كلارك هَوِل Clark Howell، التي نشر أغلبها في المجلة الأمريكية للأنثروبولوجيا الفيزيائية American Journal Of Physical Anthropology، بين سنة ١٩٥٧م وسنة ١٩٦٤م، ثم وضع خلاصتها ونتائجها في باب: ماذا كان نياندرتال Just Who Was Neanderthal، من كتابه: الإنسان البدائي Early Man، وفيه يقول:

"نياندرتال هو أول أفراد جنس الإنسان العاقل الحقيقي He Was First True Members Of Homo Sapiens، ولم يكونوا حيوانات بليدة كما تم تصويرهم، فكل ما كان يفعله أسلافهم من الإنسان المنتصب، كان نياندرتال يتفوقون عليهم فيه، فقد كانوا صيادين ماهرين، وصانعي أدوات بارعين، ويستطيعون التحكم بدقة في النار، ويستخدمونها بانتظام، ومن المفترض أنه كان قادراً على إشعالها عند الحاجة، وقد وصلوا إلى مرحلة حفر المواقد في أرضيات كهوفهم، كما كانوا بارعين في بناء المنازل والكهوف، وظهرت عندهم بوادر التذوق وإدخال الزخرفة

---

1) The Fossil Trail, How We Know What We Think We Know About Human Evolution, P102.

والتصــوير الفني في أبنيتهم، وربما كانوا يتحدثون لغة بدائية، وقد تأملوا في طبيعة الموت، وربما شعروا بأُولى بوادر الدين البدائية"(١).

وهكذا، تحول نياندرتال من مخلوق همجي منحني القامة والرقبة والرُكب، وأقدامه تتشبث بالأرض، إلى مخلوق منتصب القامة، معتدل القوام، ماهر في البناء، ويصنع الأدوات، ويشعل النار ويستخدمها، ومهذب يتذوق الفن ويزخرف بيته وبيئته.

ثم جاءت الضربة القاضية للتزوير والتدليس، مع دراسات جينوم نياندرتال ومقارنته بجينوم الإنسان المعاصر، والتي أثبتت تزاوج النياندرتال مع البشر، ووجود جينات في الإنسان المعاصر تنحدر من النياندرتال.

فإليك خلاصة البحوث المقارنة بين جينوم نياندرتال والإنسان المعاصر، من دراسة عنوانها: تاريخ التزاوج بين نياندرتال والإنسان الحديث The Date Of Interbreeding Between Neanderthals And Modern Humans، ونُشرت في عدد شهر أكتوبر سنة ٢٠١٢م، من مجلة بلوس جينتيكس PLOS Genetics، وهي لخمسة باحثين، هم أستاذ الجينات في كلية الطب جامعة هارفارد سيرارام سانكارارامان Sriram Sankararaman، وأستاذ الرياضيات الحيوية في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا نيك باترسون Nick Patterson، وأستاذ البيولوجيا في جامعة هارفارد هينج لي Heng Li، وأستاذ الجينات في معهد ماكس بلانك للأنثروبولوجيا التطورية سفانتي بيبو Svante Pääbo، وأستاذ الجينات في كلية الطب جامعة هارفارد ديفيد ريتش David Reich، وجميعهم اشتركوا في البحوث المعملية والتجريبية الخاصة بمقارنة جينوم الإنسان بجينوم النياندرتال، وسفانتي بيبو

---

1) Francis Clark Howell: Early Man, P128-130, Time, Inc. New York, 1965.

حصـل على جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا سنة ٢٠٢٢م، عن بحوثه بخصـوص جينوم النياندرتال والدينيسوفانز، وإثباته وجود جيناتهما في جينوم الإنسان المعاصر.

وفي دراستهم يقول الباحثون الخمسة:

"أظهرت مقارنات تسلسل الدي إن إيه بين نياندرتال والإنسان المعاصر، أن نياندرتال يشترك مع غير الأفارقة في عدد أكبر من المتغيرات الجينية More Genetic Variants، مقارنةً بسكان إفريقيا جنوب الصحراء، وقد يعود ذلك إلى التزاوج بين نياندرتال والإنسان الحديث عندما التقت المجموعتان بعد ظهور الإنسان الحديث خارج أفريقيا، في أوروبا والشرق الأوسط، وقد يعود أيضاً إلى التركيبة السكانية التي تسبق ظهور أسلاف نياندرتال في إفريقيا، وقد قمنا بقياس مدى اختلال التوازن الارتباطي في جينوم الأوروبيين المعاصرين، ووجدنا أن آخر تدفق جيني من نياندرتال أو أقاربه إلى الأوروبيين قد حدث على الأرجح قبل فترة تتراوح بين ٤٧ ألف سنة و٦٥ ألف سنة، وربما حدث هذا التزاوج بين الأنواع عندما التقى البشر المعاصرون الذين يحملون تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى بنياندرتال أثناء توسعهم من إفريقيا، وحوالي ٢% من جينات غير الأفارقة انحدرت إليهم من نياندرتال"[١].

وفي عدد شهر فبراير سنة ٢٠٢٠م، من مجلة سِل/الخلية Cell، نُشرت دراسة عنوانها: الأصل النياندرتالي الظاهر لدى الأفراد الأفارقة وتفسيره Identifying And Interpreting Apparent Neanderthal Ancestry In African

1) Sriram Sankararaman, Nick Patterson, Heng Li, Svante Pääbo, David Reich: The Date Of Interbreeding Between Neanderthals And Modern Humans, PLOS Genetics, Vol. 8, Issue 10, October 2012.

Individuals، وهي لخمســـــة باحثين، على رأســـــهم أســـــتاذة الجينات في جامعة برنستون، لو تشين Lu Chen، ويقولون في دراستهم:

"حوالي ٢% من جينوم جميع الشـــــعوب غير الإفريقيـــة انحـــدرت إليهم من نياندرتال، ومن الملاحظات الثابتة في جميع الدراســـات التي تناولت اختلاط أســـلاف البشر القدماء، أن سكان شرق آسيا لديهم أصول من نياندرتال أكثر من الأوروبيين بنسبة ٢٠%، والدراسات السابقة كانت تميل إلى التقليل من نسبة أصول نياندرتال في الأفارقة، ودراســـتنا تثبت ارتفاع نســـــبة أصـــــول نياندرتال في الأفارقة، وأنهم يمتلكون ٣٣% من تســـلســـل الدي إن إيه المكتشـــف في نياندرتال مقارنة بغير الأفارقة، وهو ما يتفق مع دراســـــات ... و ....، ويؤكد حدوث اختلاط بين أســـــلاف الإنســـــان الحديث والنياندرتال Admixture Between Modern Human Ancestors And Neanderthals"[١].

والنياندرتال، كما ترى من الدراســـات عنه، كان منتصـــب القامة، ويصـــنع الأدوات ويشـعل النار ويصـنع المواقد ويبني البيوت ويزخرفها، وتزاوج مع شـعوب إفريقيا وآسيا وأوروبا، ونسبة من جينات هذه الشعوب انحدرت إليها من جيناته.

وهكذا، وبعد حوالي قرن ونصـف قرن من دراسـة وليم كنج، التي أدخلت النياندرتال في تصـنيف القردة، وجعلته أقرب للشـمبانزي، وحلقة وسـيطة بينه وبين الإنسـان، عاد النياندرتال إلى البشرية، وصار إنساناً لا فرق بينه وبين البشر المعاصرين.

---

1) Lu Chen, Aaron Wolf, Wenqing Fu, Liming Li, Joshua Akey: Admixture Between Modern Human Ancestors And Neanderthals, Cell, 20 February 2020, Vol. 180, P677–687.

وقد تقول: لا توجد مشـــكلة، فالدراســـات الأولى عن النياندرتال أخطأت وصـــنفته ضمن القردة، ثم استدركت الدراسات الحديثة الأخطاء وصححتها وأعادته إلى البشرية.

ونقول لك: سـؤالك هو موضــع المسـألة الحقيقية والعميقة التي لا يدركها الأميون، وهم عموم البشـــر، والتي لا تتعلق بالدراســـات ونتائجها الفنية المحض، بل تتعلق بالعقيدة والفرضــــية العليا التي تحكم جميع الدراســــات، ويجبرونها أن تكون دائماً محصورة داخلها، وتتوافق في تفسير نتائجها معها، ولا يسمحون لها بالخروج عنها.

والمســـألة الحقيقية والعميقة التي لا يدركها الأميون، أنه في القرن ونصـــف القرن الذي مر بين التزوير الذي أدخل حفرية نياندرتال في القردة وجعلها من أســـلاف الإنسان التي يتوهمونها، وبين اكتشاف التزوير وإعادتها إلى البشرية، وُضع النياندرتال في كتب العلوم التي تدرس للتلاميذ في المدارس، ونُشرت أخباره والصور التي تخيلوها له في الصـحف والمجلات التي تخاطب عموم الناس، وصـنعت هوليوود إمبراطورية اليهود أفلاماً عن النياندرتال سـلف الإنسـان، ووُلدت أجيال من البشـر وماتت وهي تعتقد أن الإنســـان ينتمي إلى عالم القردة وأنهما انحدرا من ســـلف مشـــترك، وأن النياندرتال هو الدليل على ذلك، وهو ما يريده الأبالســـة الذين يســـيطرون على وعي الحمار الغربي، وليس نتائج الدراسـات المحض، التي تفرزها دراسـة وتنقضـها أخرى، وحين تنقضـــها يكون قد تم إعداد العدة لصـــناعة فيلم جديد، فتكون النتيجة الظاهرة والسـطحية هي دراسـات علمية تخطئ ويصـحح اللاحق منها السـابق، بينما النتيجة العميقة والدائمة والتي تتراكم ولا تتغير، هي ترسـيخ عقيدة التطور وهلاوسـها في وعي البشـر، وتحويلها إلى مكون أسـاسـي في بنائهم الذهني والنفسـي، وإزاحة عقيدة الخلق الإلهي بها.

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾:

والطراز من أساتذة العلوم في بلاليص ستان الذين ذهبوا إلى بلدان الحمار الغربي مراهقين وبلاليص فارغة، فاحتضنتهم جامعاتها وعبأتهم بعقيدة التطور وهلاوسها، ممزوجة وسارية في العلوم التي ذهبوا ليتعلموها، ثم أعادوهم إلى بلاليص ستان وقد امتلأوا بها وصاروا يرون كل شيء في الوجود والحياة ويحكمون عليه من خلالها، ليتمركزوا بالشهادات التي منحوها لهم في جامعاتها ووسائل إعلامها، ويكونوا جنوداً لهم ودعاة لعقيدتهم وهلاوسهم فيها، فيزعزعوا بها عقيدة الوجود الإلهي والخلق في وعي أهلها وأذهانهم ونفوسهم، هذا الطراز من أساتذة العلوم ومن لفَّ لَفَّهم، يرفعون شعارات تأويل القرآن من أجل إهدار نصوصه ولويها لتتوافق مع العقيدة التي حقنتهم بها جامعات الغرب ودقتها في رؤوسهم.

وما يجب أن تعلمه الآن، أن القرآن هو بيان الإله النهائي إلى خلقه، وإلى البشرية كلها إلى يوم القيامة، وهو المصدر الأعلى والمطلق للمعرفة، وأي معرفة ينتجها أي مصدر آخر تتناقض معه، فهي باطلة وضلال، وإذا جاز التجديد في فهم القرآن وتفسيره وتجاوز تفسير الأئمة، ففي النصوص التي تتعلق بالمعارف العلمية والتاريخية، وهو ما فعلناه نحن أنفسنا في كثير من كتبنا، مثل كتاب: **الوحي ونقيضه**، وكتاب: **شفرة سورة الإسراء**، وكتاب: **يعقوب وإسرائيل**، ولكنَّا فعلناه بمنهج منضبط بصرامة، وبأدلة من اللغة والسنة ومن القرآن نفسه، وليس بإهدار نصوص القرآن الصريحة ولويها وإنطاقها بما يوافق الأهواء، ولا بالشطحات والإطاحة العشوائية والرعناء بما قاله الأئمة والعلماء.

أما نصوص القرآن التي تتعلق بالعقائد والعبادات فلا مجال فيها للابتكارات ولا للهلوسة، أياً كان اسم البلاص الذي يهلوس بها، وأياً كانت ألقابه وشهاداته ومناصبه.

وخلق الإنسـان، وخِلقته، وأصـله، ومن أين جاء، وكيف جاء، ولماذا، وما الذي يفعله على الأرض، وإلى أين هو ذاهب، جميعها مسـائل عقائدية، وهي المسـائل الأم التي أنزل الله عز وجل بيانه إلى البشـرية من أجل بيانها وحفظها، وبيانه في هذه المسائل الأم واضح صريح قاطع، ولا يحتمل اللبس ولا التأويل، إلا عند من في قلبه مرض.

والله عز وجل يخبرك في بيانه إلى خلقه، أنه خلق الإنسان خلقاً مباشراً في أحسن تقويم، لا أنه انحدر من القردة ولا من غير القردة، والماسـوني الإبليس تشـارلز دارون الذي أوحت له شـياطينه بهذه العقيدة، غرضـه منها، مثل جميع الحركات السـرية والماسـونية التي نشـأ بين أحضـانها، فصـل الإنسـان عن خالقه، وإزاحته من وعيه وتكوينه ومجتمعه، ومن منظومة قيمه وأخلاقه وعلاقاته، وليجلس الأب والأم مع أبنائهم، وبدلاً من أن يعلموهم أن الله خلقنا في أحسن تقويم ويجب أن نؤمن به ونسجد له وندعوه، يبولون في رؤوسـهم أن تشـارلز دارون وشـياطينه وأتباعه من البقر في الغرب والشرق طورونا من القرود.

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾ (التين: ٤).

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الأمير

٢٦ رجب ١٤٤٧هـ/١٥ يناير ٢٠٢٦م

الجزء الأول من هذا الكتاب

المحفل والمعمل

الكون والقبالاه والحركات السرية

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم، الوحي المعصوم وبيان الله عز وجل إلى خلقه.

ثانياً: المراجع العربية:

١) إخوان الصفا وخلان الوفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، عُني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها: مصطفى محمد، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

٢) الشريف علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني: التعريفات، المطبعة الخيرية، بجمالية مصر المحمية، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

٣) مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤) ناسا بالعربي: الإنتروبيا وقوانين الديناميكا الحرارية.
https://nasainarabic.net/education/articles/view/entropy-and-laws-thermody

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1) Adam Sedgwick: On The Silurian And Cambrian Systems, Exhibiting The Order In Which The Older Sedimentary Strata Succeed Each Other In England And Wales, In: Report Of The British Association For The Advancement Of Science (5th), Transactions Of The Sections (Geology), P59-61, 1836.

2) Alexander Oparin: The Origin Of Life On The Earth, Translated From The Russian By: Ann Synge, Academic Press Inc., Publishers, New York, 1957.

3) Alexander Rich: On The Problems Of Evolution And Biochemical Information Transfer, In: Michael Kasha And Bernard Pullman, Editors: Horizons In Biochemistry, Albert Szent-Györgyi Dedicatory Volume, Academic Press, New York, London, 1962.

4) Alice Baily: Initiation, Human And Solar, Lucifer Publishing Co., New York, 1922.

5) Alfred Wallace: My Life A Record Of Events And Opinions, Vol. II, Dodd, Mead & Company, New York, 1905.

6) Alfred Wallace: The Limits Of Natural Selection As Applied To Man, In: Contributions To The Theory Of Natural Selection, A Series Of Essays, Macmillan And Co, London, New York, 1870.

7) Alfred Wehrl: General Properties Of Entropy, Reviews Of Modern Physics, Vol. 50, No. 2, April 1978, P221-260.

8) American Speech Language Hearing Association: Childhood Apraxia Of Speech, Definitions Of CAS Section, Para. 1, 2007b.

9) Archaeology Journal: Look Before You Date, Volume 58, Number 3, May/June 2005.

10) Bill Gates: The Road Ahead, Penguin Books, USA, 1996.

11) Boyce Rensberger: Ideas On Evolution Going Through A Revolution Among Scientists, Houston Chronicle, November 5, 1980, Sec. 4, P15.

12) Charles Darwin: On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection, John Murray, London, 1859.

13) Charles Darwin: On The Two Forms, Or Dimorphic Condition, In The Species Of Primula, And On Their Remarkable Sexual Relations. J. Proc. Linn. Soc. (Botany) Vol. 6, P77 – 96, 1 March 1862.

14) Charles Darwin: The Descent Of Man, And Selection In Relation To Sex, Vol. I, Vol. II, John Murray, London, 1871.

15) Charles Thaxton, Walter Bradley, Roger Olsen, Jonathan Wells, James Tour, Brian Miller, Guillermo Gonzalez, David Klinghoffer, The Mystery Of Life's Origin, Discovery Institute Press, Washington, 2020.

16) Darwin Project: Charles Darwin To A. R. Wallace, 27 March, https://www.darwinproject.ac.uk/letter?docId=letters/DCP-LETT-6684.xml

17) David Raup: Conflicts Between Darwin And Paleontology, Field Museum Of Natural History Bulletin, January 1979, P22-29.

18) Dieter Hillert: On The Evolving Biology Of Language, Frontiers In Psychology, November 24, 2015, Vol. 6, Article 1796.

19) Discovery Institute: Expelled, No Intelligence Allowed, Documentary, https://www.youtube.com/watch?v=WZ9MYSa0Jiw.

20) Dunham I, Kundaje A, Aldred SF, Collins PJ, Davis CA, Doyle F, Et Al: The ENCODE Project Consortium, September 2012, Nature, 6 September, Vol. 489, P57-74, 2012.

21) Edmund Rolls: On The Relation Between The Mind And The Brain A Neuroscience Perspective, Philosophia Scientiæ, P31-70, Vol. 17, No. 2, May, 2013.

22) Elizabeth Pennisi: Genomics, ENCODE Project Writes Eulogy For Junk DN, Science, Sep 7, 2012, Vol. 337, P1159-1161.

23) Erasmus Darwin: The Temple Of Nature, A Poem, With Philosophical Notes, Printed For J. Johnson, In ST. Paul's Churche-Yard, By T. Bensley, London, 1803.

24) Erasmus Darwin: Zoonomia, Or The Laws Of Organic Life, Vol. I, Printed For R J. Johnson, In ST. Paul's Churche-Yard, London, 1794.

25) Ernst Haeckel: Anthropogenie, Engelmann, Leipzig, 1874.

26) Ernst Haeckel: Nschöpfungsgeschichte Gemeinverständliche Wissenschaftliche Vorträge Über Die Entwickelungslehre Im Allgemeinen Und Diejenige Von Darwin, Goethe Und Lamarck Im Besonderen, Reimer, Berlin, 1969.

27) Francis Clark Howell: Early Man, Time-Life Books, New York, 1965.

28) Francis Crick: Central Dogma Of Molecular Biology, Nature, August 1970, Vol. 8, P561-563.

29) Francis Crick And Leslie Orgel, Directed Panspermia, Icarus, Mars 1973, Vol. 19, P341–346.

30) Francis Crick: Life Itself, Its Origin And Nature, Simon and Schuster, New York, 1981.

31) Francis Crick, Sydney Brenner, Leslie Barnett, Watts-Tobin: The General Nature Of The Genetic Code For Proteins, Nature, December, 30, 1961, Vol. 4809, P127-132.

32) Francis Darwin: Life And Letters Of Charles Darwin, Vol.2, Vol. 3, John Murray, London, 1887.

33) Fred Hoyle: The Intelligent Universe A New View Of Creation And Evolution, Holt, Rinehart And Winton, New York, 1988.

34) Gang Cui, Yufei Ren, Xiaoran Zhou: Language As A Modulator To Cognitive And Neurological Systems, Acta Psychologica, April 2025, Vol. 254, Issue 45.

35) George Wald: The Origin Of Life, Scientific American, August, 1954, P45-52, Vol. 191, No. 2.

36) George Williams: Sex And Evolution, Princeton University Press, 1975.

37) Grand Lodge Of British Columbia And Yukon: Erasmus Darwin,

Http://Freemasonry.Bcy.Ca/Biography/Darwin_E/Darwin_E.Html.

38) Harmke Amminga: Life From Space A History Of Panspermia, Vistas In Astronomy, Vol. 26, Part 2, 1982, P67-86.

39) Harold Bernhardt: The RNA World Hypothesis, The Worst Theory Of The Early Evolution Of Life, Biology Direct, July, 2012.

40) Henry Osborn: Hesperopithecus, The First Anthropoid Primate Found In America, Science, Vol. 55, Issue 1427, P463–465, May 1922.

41) Hermann Joseph Muller: The Relation Of Recombination To Mutational Advance, Mutation Research, Volume I, Issu I, P2-9, May 1964.

42) I A Kooij, S Sahami, S L Meijer, C J Buskens, A A te Velde: The Immunology Of The Vermiform Appendix, A Review Of The Literature, Clinical And Experimental Immunology, Volume 186, Issue 1, October 2016.

43) Ian Tattersall: The Fossil Trail, How We Know What We Think We Know About Human Evolution, Oxford University Press, New York, 1995.

44) Ilya Prigogine: Order Out Of Chaos: Man's New Dialogue With Nature, Bantam Books, New York, 1984.

45) Iosif Shklovsky And Carl Sagan: Intelligent Life In The Universe, Holden-Day, San Francisco, 1966.

46) İrfan Yılmaz: Evolution Science Or Ideology, Paramus Publishing, New Jersey, 2009.

47) Isaac Asimov: Only A Trillion, Abelard-Schuman, New York, 1957.

48) James Watson And Francis Crick: Molecular Structure Of Nucleic Acids: A Structure For Deoxyribose Nucleic Acid, Nature, 25 April 1953, Vol.171, P737–738.

49) Jane Spencer: Animal Feeling In The Century Before Darwin, In: After Darwin, Animals, Emotions, and the Mind, P28-50, Brill, Amsterdam, 2013.

50) Jason Woon, Mark Stringer: Clinical Anatomy Of The Coccyx, A Systematic Review, Clinical Anatomy Journal, March 2012, Vol. 25, Issue 2, P158-167.

51) John Eccles: The Wonder Of Being Human Our Brain And Our Mind, Free Press, New York, Collier Macmillan, London, 1984.

52) John Herschel: Physical Geography, Adam & Charles Black, Edinburgh, 1862.

53) John Hartung: Genome Parliaments And Sex With The Red Queen, In: Richard Alexander And Donald Tinkle, Editors: Natural Selection And Social Behavior, Chiron Press, New York, 1981.

54) John Kappelman, Richard Ketcham, Stephen Pearce, Lawrence Todd, Wiley Akins, Matthew Colbert Mulugeta Feseha, Jessica Maisano & Adrienne Witze: Perimortem Fractures In Lucy Suggest Mortality From Fall Out Of Tall Tree, Nature, 22 September, P503-507, 2016.

55) John Whitehurst: Inquiry Into The Original State And Formation Of The Earth, Facts And The Laws Of Nature, Printed For The Author By J. Cooper, London, MDCCLXXVIII/1778.

56) Julian Huxley: Man in the Modern World, Chatto & Windus, London, 1947.

57) Julian Huxley: The Uniqueness Of Man, Readers Union, London, 1943.

58) Jussi Lehtonen And Geoff Parker: Gamete Competition, Gamete Limitation, And The Evolution Of The Two Sexes, Molecular Human Reproduction, October 16, 2014, Vol. 20, No.12, P1161-1167.

59) Klaus Dose: The Origin Of Life More Questions Than Answers, Interdisciplinary Science Reviews, December 1988, Vol. 13, P348-356.

60) Leigh Van Valen: A New Evolutionary Law, Biological Theory, Vol. 17, Issue 2, P120-125, January 1973.

61) Lewis Carroll: Through The Looking-Glass, And What Alice Found There, Macmillan And Co., 1872.

62) Lu Chen, Aaron Wolf, Wenqing Fu, Liming Li, Joshua Akey: Admixture Between Modern Human Ancestors And Neanderthals, Cell, 20 February 2020, Vol. 180, P677–687.

63) Luke Harding: History Of Modern Man Unravels As German Scholar Is Exposed As Fraud, The Guardian, Saturday 19 Feb 2005.

64) Marc Meyer, Scott Williams, Michael Smith, Gary Sawyer: Lucy's Back Reassessment Of Fossils, Journal of Human Evolution, Volume 85, August 2015, P174-180.

65) Michael Lopez, Shamim Mohiuddin: Biochemistry, Essential Amino Acids, the National Library of Medicine, National Institutes Of Health. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK557845

66) Michael Richardson, James Hanken, Mayoni Gooneratne, Claude Pieau, Albert Raynaud, Lynne Selwood, Glenda Wright: There Is No Highly Conserved Embryonic Stage In The Vertebrates, Implications For Current Theories Of Evolution And Development, Anat Embryol, August, 1997, P91-106, Vol. 196.

67) Nature: Prof. Huxley's Lectures On The Evidence As To The Origin Of Existing Vertebrate Animals, Nature, Vol. XIV, P33-34, 1876.

68) Nicholas Butterfield: Macroevolution And Macroecology Through Deep Time, Palaeontology, Vol. 50, Part 1, January 2007, P41–55.

69) Nick Hopwood: Pictures Of Evolution And Charges Of Fraud, Ernst Haeckel's Embryological Illustrations, Isis, June 2006, Vol. 97, No. 2, P260-301.

70) Noam Chomsky: Language And Mind, Cambridge University Press, New York, 2006.

71) Noam Chomsky: Some Core Contested Concepts, Journal Of Psycholinguistic Research, November 2014, P91–104, Vol. 44.

72) Oo, Dongahn, Rhie, Arang, Hebbar, Prajna; Antonacci, Francesca, Logsdon, Glennis A., Solar, Steven J., Antipov, Dmitry, Pickett, Brandon D., Safonova, Yana, Montinaro, Francesco, Luo, Yanting, Malukiewicz, Joanna, Storer, Jessica M., Lin, Jiadong, Sequeira, Abigail N.: Complete Sequencing Of Ape Genomes, Nature, Vol. 641, Issue 8062, May 2025, P401–418.

73) Parisa Gazerani: The Neuroplastic Brain, Current Breakthroughs And Emerging Frontiers, Brain Research, 1 July 2025, P1-15, Vol. 1858.

74) Paul Davies: The Fifth Miracle, The Search For The Origin And Meaning Of Life, Simon and Schuster, New York, 1999.

75) Paul Moorhead And Mmartin Kaplan, Editors: Mathematical Challenges To The Neo Darwinian Interpretation Of Evolution, Westar Institute Symposium Monograph No. 5, Westar Institute Press, Philadelphia, 1967.

76)) Philipp Gunz, Simon Neubauer, Dean Falk, Paul Tafforeau, Adeline Le Cabec, Tanya Smith, William Kimbel, Fred Spoor, Zeresenay Alemseged: Australopithecus Afarensis

Endocasts Suggest Ape-Like Brain Organization And Prolonged Brain Growth, Science Advances, Vol 6, Issue 14, April 2020.

77) Phoebus Levene: On Nucleic Acids, Proceedings Of The American Society Of Biological Chemists, Vol. 6, Pxxxvi–Xxxvii, 1909.

78) Erwin Chargaff: Chemical Specificity Of Nucleic Acids And Mechanism Of Their Enzymatic Degradation, Experientia, June 1950, Vol. IV, P201-209.

79) Richard Dawkins: Climbing Mount Improbable, W. Norton & Company Lid., London, 1996.

80) Richard Dawkins: In River Out Of Eden, A Darwinian View Of Life, Weidenfeld & Nicolson, London, 1995.

81) Richard Dawkins: The Blind Watchmaker, W. W. Norton & Company, Inc., New York, London, 1996.

82) Richard Dawkins: The God Delusion, Black Swan, London, 2007.

83) Richard Dawkins: The Necessity Of Darwinism, New Scientist, 12 April 1982, Vol. 94, P130.

84) Richard Dawkins: The Selfish Gene, Oxford University Press, 1989.

85) Robert Laughlin: A Different Universe, Basic Books, New York, 2005.

86) Ronald Fisher: The Genetical Theory Of Natural Selection, Oxford University Press, 1930.

87) Russell Howard Tuttle: Human Evolution, Https://Www.Britannica.Com/Science/Human-Evolution.

88) Schmidt Rick Durrett: Waiting For Two Mutations With Applications To Regulatory Sequence Evolution, Genetics, 2008, Nov, Vol. 180, P1501–1509.

89) Sergio Sergi: Die Neandertalischen Palaeanthropen In Italien, II, Diskussion Und Deutung, In: Hundert Jahre Neanderthaler, Gedenkbuch Der International Neanderthal Feier, P165-177, Für Die Wenner-Gren Foundation For Anthropological Research, Inc., Dusseldorf, New York, Herausgegeben, 1956.

90) Sriram Sankararaman, Nick Patterson, Heng Li, Svante Pääbo, David Reich: The Date Of Interbreeding Between Neandertals And Modern Humans, PLOS Genetics, Vol. 8, Issu 10, October 2012.

91) Stephen Jay Gould: Wonderful Life, The Burgess Shale And The Nature Of History, W.W. Norton & Company, New York, 1989.

92) Stephen Meyer: Signature In The Cell, HarperOne, New York, 2009.

93) Suzana Herculano-Houzel: Isotropic Fractionator: A Simple, Rapid Method For The Quantification Of Total Cell And Neuron Numbers In The Brain, The Journal Of Neuroscience, The Journal Of Neuroscience, March 9, 2005, Vol. 25, P2518 –2521.

94) Suzana Herculano-Houzel: The Human Advantage, A New Understanding Of How Our Brain Became Remarkable, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2016.

95) Susumu Ohno: So Much Junk DNA In Our Genome, Brookhaven Symposia In Biology, Vol.23, P366-70, 1972.

96) Svante Arrhenius: Worlds In The Making The Evolution Of The Universe, Translated By: R. H. Borns, Harper & Brothers Publishers, New York And London, MCMVIII/1908.

97) The Freemason's Chronicle: Freemasonry At Present, Oct. 26, 1889: Page 1, W.W. Morgan, Pentonville, London.

98) Todd Preuss: Human Brain Evolution From Gene Discovery To Phenotype Discovery, Proceedings Of The National

Academy Of Sciences (PNAS), 2012 Jun 22, Vol. 109 (Suppl 1), P10709–10716.

99) Walter Gilbert: Origin Of Life, The RNA World, Nature, February, 20, 1986, Vol. 319, P618.

100) Wikipedia, The Free Encyclopedia: March Of Progress, Https://En.Wikipedia.Org/Wiki/March_Of_Progress.

101) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Stephen C. Meyer, https://en.wikipedia.org/wiki/Stephen_C._Meyer

102) Wilhelm His: Unsere Körperform Und Das Physiologische Problem Ihrer Enstehung, P168-170, F.C.W. Vogel, Leipzig, 1874.

103) William Buckland: Geology And Mineralogy Considered With Reference To Natural Theology, William Pickering, London, 1836.

104) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Vol. I, Missouri Lodge Of Research Independence, Missouri, Published By: Macoy Publishing & Macoy Supply Co., Inc. Richmond, Virginia, 1957.

105) William King Gregory: Hesperopithecus Apparently Not An Ape Nor A Man, Science, Vol. 66, No. 1720, P579-581, Dec. 16, 1927.

106) William King: The Reputed Fossil Man Of The Neanderthal, Quarterly Journal Of Science, Vol. 1, P88-97, 1864.

107) William Thompson, Lord Kelvin: Origin Of Life, In: Inaugural Address Before The British Association At Edinburgh, August 2d, American Journal Of Science, Vol. S3-2, Issue 10, October 01, 1871.

108) Wolfgang Enard, Molly Przeworski, Simon E. Fisher, Cecilia S. L. Lai, Victor Wiebe, Takashi Kitano, Anthony P. Monaco & Svante Paabo: Molecular Evolution Of FOXP2, A

Gene Involved In Speech And Language, Nature, August 2002, Vol 418, P869-872.

109) Victoria Wobber, Esther Herrmann, Brian Hare, Richard Wrangham, Michael Tomasello: Differences In The Early Cognitive Development Of Children And Great Apes, Developmental Psychobiology, 14 June 2013, Vol. 56, No. 3, P547-571,

110) Xukang Shen, Siliang Song, Chuan Li, & Jianzhi Zhang: Synonymous Mutations In Representative Yeast Genes Are Mostly Strongly Non-Neutral, Nature, Vol. 606, June 23, 2022, P726-731.

111) Yoel Rak, Avishag Ginzburg, Eli Geffen: Gorilla-Like Anatomy On Australopithecus Afarensis Mandibles Suggests Australopithecus Afarensis Link To Robust Australopiths, The Proceedings Of The National Academy Of Sciences (PNAS), Vol. 104, No. 16, April, 2007.

112) Yuri Arshavsky: Role Of Individual Neurons And Neural Networks In Cognitive Functioning Of The Brain, Brain And Cognition, August 2001, Vol. 46, Issue 3, P414-428.

فهرس الصور

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٢	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٣	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، طبعة جديدة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٤	شفرة سورة الإسراء، طبعة جديدة مع زيادات وتنقيحات، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٥	اليهود والحركات السرية في عصر النهضة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٦	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، دار مدبولي للنشر والتوزيع.

١٧	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٨	بذور المشروع اليهودي في الشام، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
١٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة ومراجعة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٠	اليهود والماسون في الثورات والدساتير واليهود والماسون في ثورات العرب، طبعة جديدة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢١	النازية واليهود والحركات السرية، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٢	الحركات السرية في الشرق والتطور البيولوجي، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٣	يعقوب وإسرائيل، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٤	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، طبعة جديدة، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٦	أول الآتين من الخلف، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٧	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، دار مدبولي للنشر والتوزيع.
٢٨	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٩	اليهود والماسونية في المغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.
٣٠	الكعبة وزحل، مطبوع على نفقة المؤلف.
٣١	النمر في فلسطين، مطبوع على نفقة المؤلف.
٣٢	ثاني الآتين من الخلف، تحت الطبع.
٣٣	المحفل والمعمل، الكون والقبالاه والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
٣٤	هلاوس التطور البيولوجي، مطبوع على نفقة المؤلف.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت(•):**

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.
٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.

(•) روابط الدراســـات في مدونة صـــناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت، وموقع Archive.org.

٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات
٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.
٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.

٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.
٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في جزيرة العرب ومستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.
٥٧	نصيحة بخصوص تربية الأبناء.
٥٨	هارون الرشيد وشارلمان العظيم.
٥٩	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٦٠	الأرض والمقدسات بين التفسير الإسلامي والتفسير اليهودي.
٦١	القومية والعلمانية في التوراة.
٦٢	إلى أنصار الأرض المسطحة.
٦٣	الأسباط، شيطان بني إسرائيل، بنو إسرائيل واليهود، قابيل والمسيخ الدجال.
٦٤	أردوغان والمعمار القومي لبلاليص ستان.
٦٥	الرقيق والاسترقاق في هذا الزمان.

٨٦	سؤال عن تفسير الأحداث والتاريخ.
٨٧	بيان بشان حذف الفيديوهات.
٨٨	ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، وإنَّ أفضلَ رباطِكم عَسْقلانُ.
٨٩	ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، ردود على انتقادات وتعليقات.
٩٠	بلاليص ستان في العاصفة.
٩١	سوريا في العاصفة.
٩٢	الشياطين الخُضر.
٩٤	هندسة المملكة.
٩٥	التكفير الانتقائي.
٩٦	إخوان من طاع الله.

- **قصص قصيرة:**

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

- **المرئيات(•):**

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

•) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

ثانياً: مع الشـــاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات الســرية في إنشــاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإســلامي خالد عبد الله في برنامج مصــر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.
٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث:

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.

٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.
١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.

٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.
١٥	اليهود في الماسونية ج١ الطقوس والرموز.
١٦	اليهود في الماسونية ج٢ درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر ومعانيها.
١٧	أبو خربان.
١٨	تطبيع وتدليس.
١٩	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٢٠	اليهود والماسونية في المغرب، ج١، اليهود في المغرب، العلم القبالي.
٢١	اليهود والماسونية في المغرب، ج٢، الصهيونية في المغرب، تطبيع من قديم.
٢٢	اليهود والماسونية في المغرب، ج٣، الماسونية في المغرب.
٢٣	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية: سبعة مقاطع.
٢٤	ثاني الآتين من الخلف.
٢٥	مقدمة كتاب الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٢٦	مقدمة كتاب درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٢٧	روسيا وأوكرانيا واليهود والحرب، مقطعان.
٢٨	كتاب الوحي ونقيضه، مقدمة الطبعة الجديدة.

٢٩	ثاني الآتين من الخلف (١) بين أحضـــان اليهود: ١- مولود في مســـتوطنة اليهود والفرنســـيس، ٢- أمه وأبوه، ٣- خريج حارة اليهود، ٤- الطيور على أشكالها تقع.
٣٠	النمر في فلسـطين: ١- بلاليص سـتان في حرب، ٢- النمر في فلسـطين، ٣- تحقيق واقعة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز.
٣١	ثاني الآتين من الخلف (٢) في حرب فلســطين: ١- الحملة المصـــرية في فلســـطين، ٢- نهاية الحرب وبداية الخلافة الإســـرائيلية، ٣- بطل من هوليوود، ٤- مع ابن العم.
٣٢	مريم وعائشة
٣٣	نقصان عقلها كمال تكوينها.
٣٤	المرأة في القبالاه والحركات السرية.
٣٥	تدوين السنة وعلوم الحديث.
٣٦	دعوى تعديل التقويم الهجري وربطه بالتقويم الشمسي.
٣٧	التقويم الحبشي والتقويم الهجري مرة أخرى.
٣٨	صحيح البخاري.
٣٩	وما ينطق عن الهوى.
٤٠	ما الذي يترتب على إنكار السنة؟
٤١	الداروينية والتطور.
٤٢	التطور البيولوجي والحركات الســرية في الشــرق: ١-الحركات الســرية بين الشـــرق والغرب، ٢-إخوان الصــفا ماســونية الشــرق، ٣-القبالاه والتطور البيولوجي في رسـائل إخوان الصـفا، ٤-التطور البيولوجي بين إخوان الصـفا وابن خلدون.

٤٣	طوفان الأقصـــى ١-ملاحظات وتعليقات، ٢- ردود على انتقادات وتعليقات، ٣- الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا، ٤- حكم الاســتعانة بالكفار والمشــركين في قتال غير المسلمين، وفتوى الشيخ عبد العزيز بن باز وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية الســعودية، في جواز الاســتعانة بالكفار في قتال المســلمين، وهي الفتوى التي أجازت للمملكة اســـتدعاء الأمريكان لقتال العراق وإســـقاط نظام صدام حسين.
٤٤	شــفرة ســورة الإســراء ١- مقدمة الكتاب، ٢- قيود لا وجود لها، ٣- الشــفرة، ٤- دورتا الإفساد ومنهم العباد، ٥- وليتبروا ما علوا تتبيراً.
٤٥	يعقوب وإســــرائيل ١- انظروا عمن تأخذون دينكم، ٢- من أجل ذلك كتبنا على بني إســرائيل، ٣-ذرية من حملنا مع نوح، نســب الأنبياء، إســرائيل هو يعقوب، ٤- إلا ما حرم إســرائيل على نفســه، ٥- معنى إســرائيل، ٦- لماذا يخاطب الله بني إسرائيل وليس بني يعقوب، ٧-يعقوب وإسرائيل كاملاً.
٤٦	ثاني الآتين من الخلف (٣) رجل الأمريكان: ١- من الأخفياء، ٢- بلاليص ســتان من حرملك البريطان إلى حرملك الأمريكان، ٣- رجل الأمريكان، ٤- جلاء البريطان بالأمريكان، ٥- فصـــل مصـــر عن الســـودان، ٦- جيش للمظـاهرات والعرض فقط، ٧- المخـابرات البلاليص ســتـانيـة الأمريكيـة الإسرائيلية المشتركة.
٤٧	سؤال عن تفسير الأحداث والتاريخ، مالك بن نبي والمسألة اليهودية.
٤٨	بيان بشأن حذف الفيديوهات.
٤٩	ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، وإنَّ أفضلَ رباطِكم عَسْقلانُ.
٥٠	ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، ردود على انتقادات وتعليقات.
٥١	بلاليص ستان في العاصفة.

٥٢	سوريا في العاصفة ١- أسرة الآتين من الخلف في سوريا، ٢- سوفت وير إسقاط الأسد، ٣- لماذا دمرت غسرائيل الجيش السوري، أهداف إسرائيل في سوريا، ٤- ما ينبغي عمله.
٥٣	الشياطين الخُضر.
٥٤	هندسة المملكة ١-هندسة بلاليص ستان، ٢-هندسة المملكة، ٣-إخوان من طاع الله، ٤-التكفير الانتقائي، ٥-خطط تفكيك المملكة، ٦-مشروع للتحديث أم للتفكيك، ٧-مستوطنة في جزيرة العرب.

- **السمعيات:**

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

- **القرآن:**

١	جزء عم رواية حفص عن عاصم الكوفي.
٢	جزء عم رواية ورش عن نافع المدني.
٣	جزء عم رواية السوسي عن أبي عمرو البصري.
٤	سورة الإسراء، رواية خلف عن حمزة الكوفي.

هلاوس التطور البيولوجي

• ووجدتني أقول في نفسي: إذا كانت هذه البلاليص الضائعة، هي المفكرين وأساتذة الفيزياء والبيولوجيا في بلاليص ستان، فماذا يكون حال عوامها وعموم أهلها، وسط طوفان الضلالات التي تتدفق في الإنترنت.

• الماسوني تشارلز داروين، تحقق على يديه الإنجاز الذي كانت تكافح جميع الحركات السرية عبر التاريخ من أجل الوصول إليه، وتحاول تحقيقه في كل زمان بما توافر لها فيه من معارف، ألا وهو لبس عقيدة التطور بالشواهد العلمية، وتحويلها في وعي البشر من نظرية اعتقادية إلى نظرية علمية، وابتكار فكرة الانتخاب الطبيعي لتكون دعامتها العقلية، وتفسيراً لوجود المخلوقات ليس فيه موضع ولا حاجة للإله، ويمكن به الاستغناء عن الإله في تفسير الوجود وتسهيل إزاحته من وعي البشر.

• التطور، بديلاً للوجود الإلهي والخلق، هو عقيدة الجامعات والأوساط العلمية في الغرب، والفرضية العليا والحاكمة لجميع البحوث والدراسات، والجراثيم التي تسري في الأجواء ويتنفسها من يشتغلون بالعلوم الطبيعية، فجميع الفرضيات والنظريات لابد أن تُبنى عليها وتتبع منها، ونتائج البحوث يتم لبسها بها وتفسيرها بما يتوافق معها ولا يخرج عنها.

• اقرأ في هذا الكتاب:

• نظرية الصدف والهلاوس.

• الانتخاب الطبيعي أو السيكو سيكو.

• بذور الحياة التائهة في الكون وفيلم الكائنات الفضائية التي أحضرتها للأرض.

• حفرية عمرها ٢٧ ألف سنة لشخص مات من ٢٥٠ سنة.

• سلف للإنسان بلحمه وشحمه من ضرس خنزير بري.

• القرد رأى حيواناً مفترساً وانخض، فانفكت عقدة لسانه، وانطلق في الكلام زي البرلنت.

• الإنسان من ذوات الأربع.

• الإنسان في إفريقيا حلقة وسيطة بين القرد والإنسان في أوروبا.

• حادث تصادم بين الخلايا في المحيط أنتج الذكر والأنثى.

دكتور بهاء الأمير